

مَجَلَّة كُلِّيَّةُ الْآدَابِ



المجلد الرابع عشر - الجزء الأول
مايو سنة ١٩٥٢

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول
١٩٥٢

فهرس القسم العربى

صفحة

- الدكتور محمد كامل حسين . . الرسالة الراضة فى ننى دعوى ألوهية
الحاكم بأمر الله الداعى أحمد حميد الدين
الكرمانى ١
- الدكتور جمال محمد محرز . . من التصوير الاسلامى فى القرن ٨٨ / ١٤ م ٣١
- الدكتور توفيق الطويل المقلوب والتجريبىون فى فلسفة الاخلاق ٣٩
- الدكتور زكى نجيب محمود . . « مور » وطريقة التحليل ٦٩
- الدكتور نجيب محمد البهيتى . . البيئة التى نشأ فيها الشمر الجاهل وتياراته
الكبرى ٨٦
- الأستاذ عبد الوهاب حودة . . نظرية الأنساب فى الميزان ١١٩
- الدكتور محمد أنور شكرى . . الفنان فى مصر القديمة ١٥١
- الدكتور فريد شافعى منة مسجد ابن طولون ١٦٧

الرسالة الواعظة

في نفى دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله

للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى

محقق الركنوز محمد كامل حسين

مقدمة

وقع بين يدي نسخة خطية لمجموعة الرسائل التي عرفت في أدب
الاسماعيلية باسم «رسائل الكرمانى»^(١) للداعي أحمد حميد الدين بن عبد الله
ابن محمد الكرمانى الملقب في تاريخ الاسماعيلية بحجة^(٢) العراقيين. وتشتمل
هذه النسخة على ثلاث عشرة رسالة، منها إحدى عشرة رسالة تنسب
للكرمانى وهى:

- ١ - الرسالة الدرية في معنى التوحيد.
- ٢ - رسالة النظم في تقاليد العوالم بعضها بعضها.
- ٣ - الرسالة الرضية في جواب من يقول بقدوم الجوهر وحدوث
الصورة.
- ٤ - الرسالة المضببة في الأمر والأمر والمأمور.
- ٥ - الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحيثه.
- ٦ - رسالة الروضة في الأزل والأزلى والأزلية.

(١) Iranow: A Guide to Ismaili Literature, p. 44.

(٢) راجع ما كتبناه عن الحجة في كتاب أدب مصر الفاطمية ص ١٩ وما بعدها.
وما جاء في كتاب راحة العقل للكرمانى ص ١٣٤ وما بعدها (نشر محمد كامل حسين
وبمحمد مصطفى حاتم). وما جاء في المجالس المؤبدية ج ١ ص ٢٢٢ (نسخة فتوغرافية
بمكتبة جامعة فؤاد).

٧ — الرسالة الزاهرة في جواب مسائل .

٨ — الرسالة الحاوية في الليل والنهار.

٩ — رسالة مباهم البشارات بالامام الحاكم بأمر الله .

١٠ — الرسالة الواعظة في الرد على الأخرم الفرغاني .

١١ — الرسالة الكافية في الرد على الهاروني الجسني الزيدي .

هذه هي الرسائل التي تنسب إلى الكرمانى في هذه المجموعة ، أما الرسالة الثانية عشرة فهي في الرد على من ينكر العالم الروحاني للداعي شهریار ابن الحسن ، والرسالة الثالثة عشرة فهي جزائن الأدلة للداعي أبى يعقوب إسحق بن أحمد السجستاني (السجزي) .

وتقع هذه النسخة المخطئة في ٣٩٠ صفحة، في كل صفحة ١٥ سطراً كتبت بخط بين الرقعة والنسخ، وروجت على نسخة أخرى بدليل ما على الهوامش من تصحيحات. وقد جاء في ختام هذه النسخة: **بسم الكتاب بعون الله الملك الوهاب، إنه خير مسئول وأكرم معامول**، وفي اليوم الحساب، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله عدد قطر السحاب. وقع الفراغ في اليوم الثلاثاء الثاني من شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٣ هـ ثلاثة وثلاثمائة بعد الألف من السنين من هجرة النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله المصطفين. الإخيار، ما جن ليل وأضياء النهار، في عصر الداعي الأمين — حرمه الله — سيدنا ومولانا عبد الحسين حسام الدين، أطل الله بقاءه، وبلغنا به نهاية المأمول، مخط أقل من الكمال، وأحقر غلبانه إبراهيم ولد الشيخ الفاضل غلام حسين، وفقه الله على طاعة مولاه العلي، بحجامة محمد وآله الهداة من نسل علي.

فالمسألة الواعظة التي أنشرها الآن ، هي إحدى رسائل الكرمانى
التي وردت في تلك المجموعة الخطية ، وقد ذكرها الكرمانى في كتابه « راحة
العقل » إذ قال : ثم إنه تعالى ليس يحتمل فيكون لنا طريق إلى الكلام
عليه بما يليق بالأجسام ، ولا في جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما ينزعم

في الأجسام، لما يوجبه الدليل، على ما بيناه في رسالتنا المعروفة «بإواعظة»^(١) وبالرجوع إلى «الرسالة الواعظة» التي بين أيدينا الآن نجد هذه الآراء التي تحدث عنها في «راحة العقل»^(٢). كما نرى في «الرسالة الواعظة» إشارة إلى رسالة «مباسم البشارات»^(٣). ومعنى هذا أن صاحب كتاب «راحة العقل» هو صاحب الرسالة الواعظة ورسالة مباسم البشارات، وهو أحمد حميد الدين ابن عبد الله بن محمد الكرمانى. لم يصلنا شيء عن حياته إلا أنه كان حجة العراقيين (أى فارس والعراق) في عهد الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١١ هـ. ويخيل إلى أنه كان أكبر شخصية علمية إسماعيلية في عصره، فقد وصفه الدباغى إدريس بقوله: «هو أساس الدعوة الذي عليه عمادها، وبه علا ذكرها»^(٤) ونحن نعلم من تاريخ الدعوة الإسماعيلية أن علماء هذه الدعوة كانوا مختلفي الآراء، ينقص بعضهم بعضاً، ويخطئ أحدهم الآخر، مثلاً وضع الداعى النخشبى كتابه «المحصول»^(٥) في فلسفة المذهب، وجاء بعده أبى حاتم الرازى وألف كتاب «الاصلاح» خالف فيه ما جاء بكتاب «المحصول»، ثم جاء أبى يعقوب السنجستانى ووضع «كتاب النصرة» يدحض فيه أقوال أبى حاتم الرازى وينتصر للنخشبى^(٦)، وجاء بعده الكرمانى فحاول في رسالته «الرياض» أن يوفق بين آراء الشيخين أبى يعقوب السنجستانى وأبى حاتم الرازى^(٧)، ثم لا نكاد نجد خلافاً يذكر في فلسفة المذهب بين علماء الدعوة بعد الكرمانى، وإن كتبنا نجد خلافاً شديداً بينهم في المسائل التأويلية^(٨). فكل الدعاة

(١) الكرمانى: راحة العقل من ٤٣ (طبع مطبعة النيل بالقاهرة).

(٢) أنظر من ١٨ من هذه الرسالة.

(٣) أنظر من ٢٣ من هذه الرسالة.

(٤) إدريس عماد الدين: كتاب فيون الأخبار (نسخة خطية).

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق من ٢٦٧ — ٢٧٧ (طبعة محمد بدر)، ناصرى

خسرو: كتاب خوان الاخوان من ١١٣ — ١١٥ (طبعة الدكتور يحيى الحشاش).

ونلاحظ أن البغدادى كفى النخشبى بأبى عبد الله بينما كناه ناصرى خسرو بأبى الحسن.

(٦) Ivanow: Studies in Early Persian Ismailism p. 115-120.

(٧) Ivanow: A Guide to Ismaili Literature p. 46.

(٨) راجع ما كتبه عن ذلك فى: ديوان أنور دى الدين داعى النجدة من ١١٧

(طبع دار الكتاب الأمري) والمجلد المستنصرية (طبع دار الفكر العربى) وكتب

أدب مصر الفاطمية من ٣٤

على اتفاق في فلسفة الدعوة بعد الكرمانى ، بل لا أعالى إذا قلت إنهم لم يأتوا بشئ جديد بعده ، بل اكتفوا بشرح أقواله ، أو الاقتباس منها للاستشهاد بها على صحة أقوالهم التي لم تخرج عن آرائه ، ومن هنا يتضح لنا قيمة مؤلفات الكرمانى ومركزه في الدعوة .

كان الكرمانى يقيم في العراق منتقلا بين البصرة وبغداد ، وفيهما كان يلقي مجالس الحكمة التأويلية ، وله كتابان أحدهما يعرف « بالمجالس البغدادية » والآخر يعرف « بالمجالس البصرية » جمع فيهما محاضراته التأويلية في البلدين ^(١) ، ومن الاتفاق أن يكون الكرمانى في العراق وينتقل من حين لآخر إلى البصرة في نفس الوقت الذي كان فيه جماعة إخوان الصفاء في العراق وفي البصرة خاصة ، وأكثر الباحثين يذهبون إلى أن هذه الجماعة كانوا من الاسماعيلية ^(٢) ، والكرمانى إذ ذاك كبير دعاة الاسماعيلية في العراق ، فهل نستطيع القول إن الكرمانى كان أحد جماعة إخوان الصفاء ؟ هذا ما أذهب إلى القول به ، ولا سيما بعد أن درسنا كتابه « راحة العقل » ورسائله التي ذكرتها آنفاً ، فهي تتفق كلها مع آراء جماعة إخوان الصفاء ، وهناك فقرات بأكلها في راحة العقل أسلوبها هو نفس الأسلوب الذي أجده في بعض رسائل إخوان الصفاء ، وسنفضل ذلك كله في بحث مستقل ، ونرجو مع تقدم الدراسات الاسماعيلية أن نوفق إلى معرفة جماعة إخوان الصفاء التي شغل العلماء منذ وجودها إلى الآن .

ورب سائل يسأل : كيف تسنى للكرمانى أن يعقد مجالس الحكمة التأويلية في بغداد والبصرة وهو إسماعيلي المذهب وتابع للخلافة الفاطمية في مصر ومناوئ للعباسيين ؟ فجوابي على ذلك هو أن سياسة البويهيين كانت ترمي إلى الحرية المذهبية ، فلا عصبية مذهبية ولا إكراه في الدين ،

(١) Iranow : A Guide to Ismaili Literature p. 46.

Louis Massignon : Sur la date de la composition de Rasail Ikhwān al Safa (٢)

Vol. 3, p. 324, et T. J. de Boer : Gesch des Philosophis im Islam p. 76-89.

هذه السياسة نراها واضحة جلية في رسائل وزيرهم الصاحب بن عباد^(١) ،
 فسياسة التسامح المذهبية ساعدت الكرمانى على هذا النشاط الذى أظهره بالعراق ،
 والذى كان من نتيجته هذه المؤلفات العديدة التى تركها بالرغم من أنها كانت
 تخالف آراء وتعاليم السلطان العباسى المقيم فى العراق إذ ذاك .

ونحن نعلم من كتب الكرمانى ورسائله أنه وفد على مصر سنة ٤٠٨ هـ ،
 ويفهم من أقوال الداعى إدريس أن الامام الحاكم بأمر الله الفاطمى أرسل
 إليه يستقدمه إلى مصر حينما ظهرت بدعة تأليه الحاكم^(٢) ، وهال الكرمانى
 ما رآه فى مصر من اضطراب الدعوة الاسماعيلية ، ووصف ذلك
 فى رسالته الموسومة برسالة « مناسم البشارات بالامام الحاكم » فهو يقول
 « فأتاني لما وردت الحضرة النبوية مناجراً ، وللسنة العلوية زائراً ، ورأيت
 السماء قد أظلت بسحاب عجم ، والناس تحت ابتلاء عظيم ، والعهد فى الرسوم
 السالفة قد نقض ، وعن أولياء الدين بما كتب أيديهم قد أعرض ،
 والرسم فى عقد مجلس الحكمة جزياً فهم بالأحسان قد زفص ، والغالى قد انضغ ،
 والسافل منهم قد ارتفع ، وشاهدت أولياء الدعوة المأذونة شطربسط الله
 أنوارها ، والناشين فى عصمة الامانة وأولى ولائها قد حيرهم ما يطرأ عليهم
 من هذه الأحوال التى تشيب لها النواصي ، وبهرهم ما مجد لهم من الأسباب
 التى لا يملك بها إلا أولوا النفاق والمعاصى ، وهم يومئذ يوج بعضهم فى نقض ،
 ويرمى كل منهم صاحبه بفسق ونقض ، فتلاعب بهم الأفكار الردية ،
 وتهدأو لهم الوسواس المردية ، ثم لا يعلمون ما أعظم من الدخان المبين ،
 ولا ما ألم بهم من الإمتحان المستبين ، فصار البعض منهم فى الغلو مرتقين
 إلى ذراه ، والبعض فى النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين
 وعراه ، والقليل منهم قد ترعزع أركان اعتقادهم . وما قبلوه من الدين
 باختيارهم ، وهم على شفا انحلال واختلال ، وأعتاق أولى الطرفين

^(١) عبد الوهاب غرام يتوفى ضيف : رسائل الصاحب بن عباد ص ٩٣ ، ص ١٤٧ .

ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ وغيره .

(٢) محمد الدين اندريس : عيون الأخبار (مخطوط) .

من الأبالة إلى اختلاسهم ممتدة ، وهما في اصطلاحهم عن اعتقادهم
محددة . . الخ »^(١) .

ففي هذا النص صورة صادقة لحالة الاضطراب الذي كان عليه الاسماعيلية
في مصر حين ظهر دعاة بدعة تأليه الحاكم بأمر الله ، ولستنا في معرض
الحديث عن تاريخ هذه الحركة ، فقد أغنانا عن ذلك البحث القيم الذي وضعه
المستشرق الكبير سلفستر دى ساسي^(٢) إذ لم تظهر بعد كتابه أبحاث لها قيمة
بحته ، إنما أريد أن لا أمر على هذا النص الذي ورد في تاريخ ابن البطريق
إذ يقول : « وصار أصحاب الهادي (أي حمزة بن أحمد أحد مؤسسي بدعة
التأليه) إذا لقوا أصحاب ختكين داعي البدعة^(٣) لعن بعضهم بعضا ،
ويكفر كل فريق منهما بالآخر »^(٤) . فهذا النص يدل على أن دعاة الاسماعيلية
وعلى رأسهم ختكين داعي البدعة كانوا يكفرون أصحاب بدعة التأليه ،
ومع ذلك لم يستطيعوا صدم عن غوايتهم أو معاقبتهم عقابا رادعا ، إنما اكتفى
الكرماني وهو أحد شيوخ الدعوة الاسماعيلية بوعظ دعاة التأليه ، وهو
موقف يدعو إلى الدهشة حقا . ويقول ابن البطريق أيضا : « إن الحاكم أمر
البرزلي أن يحسن الناس بالرقاع ، ويدعوهم بها إلى مذهبه ، فكتب رقعة
إلى متولى القلستان الأتراك يستدعي مصيرهم إليه ليقفوا على الوحي الوارد
إليه من الله ، وكتب أيضا إلى ختكين داعي البدعة ، وإلى ولي عهد المسلمين

(١) الكرماني : رسالة باسم البشارات (من مجموعة رسائل الكرماني . غطوط) .

(٢) Silvestre de Sacy : Exposé de la Religion des Druzes

(٣) ختكين الداعي المعروف بالضيف كان صاحب دراة الملك يعضد الدولة البرزنجي
ولذلك كان يلقب بالعضد (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٥) وبينه الحاكم
بأمر الله والياً على دمشق سنة ٣٩٢ هـ وعزل سنة ٣٩٤ هـ (نفس المصدر ص ٥٧)
وهو الذي أوحى إلى الحاكم بهدم كنيسة القيامة سنة ٣٩٩ هـ (ابن القلانسي ص ٦٧)
ولكن ابن خلكان يقول إن ذلك كان سنة ٤٠٨ هـ (ابن خلكان : الوفيات ج ٢
ص ١٣٧) ولاء الحاكم مرتبة داعي البدعة ورد إليه أمر المجلس بأن يجري فيه
الأمر على سائر الرسم وزاد في لقبه الصادق الأمين (سعيد بن البطريق : كتاب
التواريخ المجموع على التحقيق والتعديق ص ٢٠٩) .

(٤) سعيد بن البطريق : ص ٢٢٤

والنوفق في الدين عميد المؤمنين ، وإلى غيرهم ، يدغوم إلى مقالته ، فطالعوا الحاكم بما كانتهم ، واستخبروا منه رأيه فيما ذكره لهم ، وإن كان عن أمره . فأنظر الانكار له لمرآه من إعظامهم له وتقديرهم منه ^(١) . فهذا دليل آخر ثبت أن دعاة الاسماعيلية كانوا يفرون من مقالة الدرزي وأصحابه ، وأن دعاة التأييد كانوا يرسلون رقاعا إلى دعاة الاسماعيلية ووجوه رجال الدولة يدعونهم إلى مقالتهم ، ومن سوء الحظ لم تصلنا هذه الرقاع ، ولكن من حسن الحظ في الوقت نفسه وصلتنا الرسالة «الواعظة» في الرد على هذه الرقاع ، ومناظرة لأجد دعاة التأييد الحسين القرقاني المعروف بالأخرم ^(٢) الذي يهزه الكرمانى في هذه الرسالة بالأجدع إمعانا في تحقيره والسخرية به .

وفي هذه الرسالة «الواعظة» يدحض الكرمانى فكرة تأييد الحاكم ويفندها ، ويثبت عقيدة الاسماعيلية في الله الذي لا إله إلا هو ، تلك العقيدة التي تحدث عنها الكرمانى في تكتيبه الأخرى فقال : «إنه تعالى واحد ولا شريك له ، وأن ليس فيه محال ^(٣) ، وهو سبحانه متعال عن الانقسام ، وبريء من انجاء النقصان ، وإن تنوول بصفة أو قيل عليه شيء من الصفات فتلك الصفات هي مأخوذة بمبتغاة من الموجودات التي هي واقعة تحت الوجود المخترع ^(٤) ، وأن من وصفه فقد كذب عليه بكون ما وصفه به صفة لغيره ^(٥) ، وأنه لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يبين به الآخر ، وبه تقع الإنثنية ، فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما وجود ذاتيهما : أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما تقدم عليهما جميعا ، ويكون هو الذي أعطى كلاهما ما اختص به وبأين الآخر ، وهو بالأوهية أخرى ، وهو تعالى من هو —

(١) ابن الطریق : ص ٢٢٢

(٢) رجل أخرم هو الذي قطعت وتره الله أو طرف الله ، والأخرم الثقب الأذن أيضا .

(٣) الكرمانى : راحة العقل ص ٣٧

(٤) المرجع نفسه ص ٤٢

(٥) المرجع نفسه ص ٤٣

من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه وتناول عليه فيكون هو دونه ، فهو من فوق نهاية المراتب في الجلال والعظمة والكبرياء والسناء والقدرة والبهاء على أمر يضيق مجال العقول في الاحاطة به ، تعالى الله علوا كبيرا ، فالذي يكون بهذه المثابة فلا يكون له ضد ولا مثل ^(١) وأنه لا يهرب عنه بلفظ قول ، ولا بعقد ضمير ، وكيف يكون للحروف دلالة على هوية ظهرت عنها المبدعات والمنبثات والمكونات التي منها هي ، وهو تعالى من ورائها في ذروة العزة ، فلا تهتدى العقول إلى تناوله بصفة ، أم كيف يكون للعقول طريق إلى تصور فيه وهي لا تعقل إلا بما شملته سمة الجوهرية والعرضية ^(٢)

ويقول الكرمانى أيضا في كتاب الوضيفة : وهو تعالى من حيث هو هو لا صفة له ، ولا نعت ، ولا أحد ، ولا شبه ، ولا قرين ، كما نعت به ما كان من عالمي الجسم والعقل ، وهويته هوية ليست بهوية يمكن أن يكون لغيره من مبدعاته فيها ^(٣) ، والكل منسوب إليه بكون جدونه بأرضه ^(٤) .

ويروى الاسماعيلية أن عليا قال : وصفه تشبيه ، ونعته تعوية ، والاشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والاختيار عنه تحديد ^(٥) .

فمثل هذه العبارات التي ذكرها الكرمانى ، وردد معناها جميع علماء الدعوة الاسماعيلية هي عماد التوحيد عندهم ، وهم في ذلك يشتركون مع علماء المعتزلة في نفى الصفات والتنزيه . ولكن الاسماعيلية جعلوا أسماء الله الحسنى للبدء الأول الذي سماه الاسماعيلية بالسابق وبالقلم والذي يعرف عند الفلاسفة بالعقل الكللى ^(٦) ، وخلعوا على السابق جميع الصفات التي جعلها

(١) المرجع نفسه من ٤٨

(٢) راحة العقل من ٥٠

(٣) الكرمانى : الرسالة الوضيفة من ٢٣ ، ٢٤ (مخطوط) .

(٤) نفس المرجع من ٢٥

(٥) على بن ابي زيد : رسالة جلاء العقول (مخطوط) .

(٦) المؤيد في الدين : المجالس الزيدية في مواضع متفرقة .

الفلاسفة للعقل الكلي متأثرين في ذلك بأراء الغنوسطية، وهذا السابق الذي به هذه الصفات هو ممثل الامام^(١)، ولذلك جعل الاسماعيلية هذه الصفات التي تصف بها السابق الامام أيضا، ومنها أسماء الله الحسنى التي نفوذها عن الله سبحانه وتعالى، ولهذا يرى شعراء الاسماعيلية مدحوا الأئمة باسم الله الحسنى على عقيدتهم في تزيه الله تعالى عن الصفات، وأن الامام في عصره مثل السابق، مع اعترافهم بأن الامام من البشر، وفي ذلك يقول المؤيد في الدين «إن أولياء الله (الأئمة) من طينة الأرض معجونون، وللكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونون، يحسبهم الشراب والطعام، وتلحقهم الأمراض والآلام، ويقضى عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام»^(٢). بل أرى المؤيد في الدين يعيب على الشيعة الاثني عشرية قولهم باختفاء الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري في السرداب؛ والقول بأنه حيّ وسعيد وليلاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً، فهو يقول «إن من يتوقع طلوعه من السرداب ليس يخلو حاله من كونه بشراً يأكل ويشرب، فكانت الضرورة تؤدي إلى تصرم عمره منذ زمان، وإن كان في غير أسلوب البشرية فما ينبغي أن يكون غير بشر من نسل بشر، وإذا كانت أيدي الحدّاث عنه مغولة فما الذي يقتضي لزوم السر والكنان»^(٣).

ومعنى هذا كله أن الاسماعيلية لم يؤلّها أو اتّهمهم، بيد أن بعض دعاة الاسماعيلية غلوا في الأئمة الفاطميين ونسبوا إليهم الألوهية طورا، ومعرفة الغيب طورا آخر، وفيهم قال الكرمانى: «إن أعظم الفرق ضلالا فرقة الغلاة ضلت وأضلت غيرها فانتسخت عن جملة أهل الدين والديانة»^(٤) وروى القاضي النعمان بن محمد المغربي عن المنصور بنصر الله الفاطمى «إنما أراذ الدعاة إلى النار الذين

(١) راجع محمد كامل حين: نظرية النحل والمحتول (بحث قرىء بمؤتمر المستشرقين بباريس سنة ١٩٤٨ وطبع بمطبعة المفكرة بالقاهرة سنة ١٩٤٨).

(٢) المؤيد في الدين: المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦١ (نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد).

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) الكرمانى: تنبيه الهادى والمتهدى (مخطوط).

اتسبوا إلينا بما ينحلونا إياه أنا نعلم الغيب ، وما تخفى الصدور ، وأشباه ذلك بما افتروه علينا ونسبوه إلينا . أن يجعلوه عدة لنفاقهم » (١) ، ويقول المزيد في الدين داعي الدعاة « استعذروا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة » (٢) ، وهكذا ترى أئمة الناطبيين ودعاتهم يبرأون من أمثال هذه المقالات التي يغلو أصحابها في الأئمة ، وما قضية تأليه الحاكم بأمر الله إلا من هذا القبيل ، فقد دنا بها قوم من الغلاة ، فعارضها دعاة الإسماعيلية ، وثار بسببها أهل مصر ، ومع ذلك ركله فاني أوافق على ما ذهب إليه المؤرخون من أن الحاكم كان يعمل إلى ادعاء الألوهية ، فالأحداث التي ذكرها المؤرخون من تقية الحاكم على أهل القسطنطين وبعض الفلاس ، انتقاما لقتل الأخرم ، والشدة التي كان يأخذ بها بالمصريين كما تاروا على هؤلاء الدعاة الغلاة ، ومساعدته للدرزي في فراهة إلى سوريا إلى غير ذلك من حوادث ذكرها المؤرخون ، ثم ما جاء في هذه الرسالة الواعظة من اتهام صريح لأصحاب هذه البدعة بالضلال والكفر وتروكهم سادسين في ضلالتهم وتكفيرهم دون أن ننالهم من راجلنا ، وهو الذي كان يقتل المخالفين والأصحاب الأتقياء الأسباب ، كل هذا يجعلني أوافق المؤرخين على أن الحاكم كان يحمي هؤلاء الغلاة ويميل إلى تأليه نفسه غرورا وكبرا ، دون أن يستمد عقيدة التأليه من عقائد الإسماعيلية على نحو ما وهم المؤرخون (٣)

ومهما يكن من شيء ، فإننا تقدم الآن « الرسالة الواعظة » في الرد على الأخرم الحسن اليرغاني أخيل الدعاة الغلاة الذين قالوا بألوهية الحاكم ، كتبها أكبر عالم إسماعيلي هو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكيرماني المتوفى حوالي سنة ٤١٢ هـ .

محمد لامل حسين

الجزيرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١

(١) القاضي النعمان بن محمد بن حنون : المجالس والسيرات ورقة ٨٦ (نسخة خطية) .

(٢) المؤيد في الدين : المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥١ .

(٣) راجع ما كتبه محمد عبد الله عنان في كتابه « الحاكم بأمر الله » Silvestre de

Sacy : Exposé de la Religion des Druzes .

” الرسالة الواعظة “ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبطاعته أوليائه نعم البركات ،
وصلى الله على دوحه المكارم محمد سيد الأم ونفر العرب والعجم وسلم على آله
الطاهرين أعضاد الملة الخفيفة وأعيان الحكم النبوية أمير المؤمنين الامام الحاكم
بأمر الله وآبائه الأئمة الطاهرين .

أما بعد . فقد كانت رقعتك وصلت ، أوضح الله لك منار الهدى ، وعاد بك
إلى الطريقة المثلى ؛ ووقفت على ما ضمنتها من مسائل التي تنطق عنك بالكبر
والارتداد ، وتشهد عليك بفساد الدين والاعتقاد ، فكانت في اختلال مبانيها
وسقيم معانيها على حالة لا يصدر مثلها إلا عن تمييز غثخل ، واعتقاد معتل ،
فلم أر الأجابة عنها ، والنص على ما تضمنته من الكفر منها ، إلا بجليين القول
وحسن التلطف ، وسلوك طريق الوعظ والتعطف ، إذ كانت المواعظ للأتفس
العليلة دواء ، وبذلك أضر الله تعالى سيد المرسلين وخاتم النبيين محمدا صلى الله
عليه بقوله جل من قائل ” ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة “ (٢).
أى ادع من كان من أهل الحكمة بالحكمة ، ومن كان من ذوى الجمالة والضلالة
بالموعظة الحسنة ، ففعلت زبناه أن تنجع فيك فترعوى عن البدعة التي أنت

(١) ورد في المخطوط (الرسالة الواعظة) مجموع موعظة وأجوبة عن مسائل المارق
في الدين حسن الفرفاقي الإجماع . من كلامه (أى من كلام الكرماني) أيضاً ، قدس
الله روحه وورثنا شفاعته بمنه وكرمه) وإذا نظرنا إلى الرسائل التي تضمها مجموعة رسائل
الكرماني يتضح لنا أن عنوان الرسالة الذي وضعه الكرماني هو (الرسالة الواعظة ،
مجموع موعظة وأجوبة عن مسائل المارق في الدين حسن الفرفاقي الإجماع) أما باقي النص
السابق فهو من وضع النساخ .

(٢) سورة النمل ١٦ / ١٣٤

فيها تنفي ، وقلت لعل وعسى تذكر فتتخشي فتصيح بقبولها وقد جملك ظاهر الاسلام ونورك باطن الايمان ، فما زادتك العظة إلا في غيك استمرارا ، ولا ابن القول والتلطف بك إلا في ضلالك تباديا واستكبارا ، فظلمات تواصل برقائق تارة ، وتراسل على لسان أتباعك أخرى ، تطلب أجوبة ما كتبت ، ضنا منك أنه حق متبع ، وأن الطريق إلى إبطاله ممنع ، وأنا أعظك ثانية قبل تتبع ما كتبت ، وإظهار الكفر فيما أوردت ، جريا على رسم الدين مع مثلك ، فأقول :

إن الله تعالى بعظم كبريائه لما كان محتجبا عن الرؤية فلا يكون لعباده إليه إلا الاستعفار وظل الربى والعفو عما يدور منهم من الزلات والمفوقات ، جعل فيهم ، بفضل سبجانه وسعة رحمته ، منهم الرسل والأوصياء (١) والأئمة الأبرار سلام الله عليهم أجمعين سفراء بينهم وبينه تعالى ، يستغفرون لمن استغفر منهم ، فيعفو الله لهم ويغفر عليهم ، كما قال تعالى في كتابه المبين لنبينا محمد صلى الله عليه « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (٢) وأنه لما كان مقدورا أن لا يبقى للنبي صلى الله عليه بين عبادته فاستغفر الله لهم إذا أذنبوا ويهديهم إلى الحق إذا ضلوا ، ويوصيهم إلى ما تعجز أنفسهم بذواتها عن الوصول إليه في عبادة الله تعالى وتوحيده ، حفظ الله بعدله مكانه بالأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين عليهم السلام في زمانهم ، وبأئمة المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله عليه السلام في زماننا ، وبالتنظرين بعده واحداً بعد واحد إلى يوم الدين فيما بقي ، وخصهم بأن يكونوا سادس بسببه في جميع ما كان يتعلق به

(١) الأوصياء جمع وصي . اعتقد الفاطميون أن اسكن نبى وصياً . يوصى إليه النبي بأمر أمته من بعده بأمر من الله تعالى فكان وصى آدم حيث وصى نوح ابنه سام ووصى إبراهيم ابنه إسماعيل ووصى موسى أخاه هارون ، ووصى المسيح بشدون العفا (مسمان بن يونس الذي سماه المسيح صفاً بمعنى بطرس — الاصحاح الأول ٢ : من أنجيل يوحنا) وصى محمد ابن عمه علي بن أبي طالب (راجع رسالته البيان بخلاوط بمدرسة الفاتن الشرقية بسند رقم ٢٧٤٠) ، والجليل المؤيد ج ١ ص ٥ ورسائل الطغاة ص ٣٩ ، وأسرار الطغاة ص ١٣٠ والفتنات والفتنات ص ٥٤ وما بعدها . وكما نلاحظ خفية بمكتبي الخاصة .

(٢) سورة النساء ١ / ٦٤

صلى الله عليه من أمر الله تعالى وأمر عباده لئلا يختص معه قوم من عباده
الله تعالى في الفضل^(١) ، يكون النبي صلى الله عليه سببا بينهم لنجاتهم :
وهاديا إلى إصلاحهم ، ومستغفرا لهم دون غيرهم ، مع استواء الأقدام
في وجوب الطاعة والعبادة على الجماعة : وكون الرسول صلى الله عليه رسولا
إلى الكافة ، المكنن في الوجود منهم ومن يحىء إلى الكون إلى يوم القيامة :
عدلا منه وفضلا ورحمة ، وأن باب الله تعالى بمكان أمير المؤمنين عليه السلام الله
عليه للتائب مفتوح ، وعفو الله تعالى وعفو أمير المؤمنين عليه السلام لمن طلب
ممنوح ، وما يوجب مع القدرة الممنوحة والاستطاعة الموهوبة والمفارقة
المقدورة ، وكون المرجع إما إلى الثواب وإما إلى العقاب ، وصدق الوعد في الوقوف
بين يدي الله تعالى للواقعة والحساب « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر
يومئذ لله »^(٢) ، أن ينزى المرء في عبادة الرب وتوحيده ، وتصديق الرسول
وتفضيله ، واتباع الامام وتوقيده ، فتعقبه الندامة « يوم تجدد كل نفس
ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه
أمدا بعيدا »^(٣) حين يرى ميزان حسناته قد خف ، وريقه من خوف العذاب
قد جف ، وهو تحت قدرة الجبار ، ويقال له ولأمثاله : « لا مرحبا بهم إنهم
صالحوا النار »^(٤) . فيقول وقد أيقن من العذاب : بأن لا مناص ومن سوء
العقاب لا خلاص « لو أن لي كرة فأكون من المحسنين »^(٥) يتمنى الشفاعة
وأنى له ذلك وقد فرط وقصر وعصى واستكبر وطغى وبغى وتولى واتبع
الهلوى « فهل لنا من شفاعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا نعمل

(١) قال الأوزي في الذين هب الله الشرايين في مجالسه (ولاية الرسول كالمركز
الذي تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده ، وإذا كانت هذه نسبة
الرسول في حياته كانت نسبة من يوليه أمر دينه مثلها ، وكل ذلك نسبة من يليه ومن يلي
من يليه ما انتقلت الأولوية من واحد إلى واحد وورثها ولد عن والده انظر : كتاب جامع
الحقائق ج ١ ص ٥٠ . نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد .

(٢) سورة الأنعام ٨٢ / ١٩

(٣) سورة آل عمران ٣ / ٣٠

(٤) سورة ص ٣٨ / ٥٩

(٥) سورة الزمر ٣٩ / ٥٨

قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون»^(١) . بل يجتهد والله تعالى بوحده ، والرسول صلى الله عليه يصدق ، والوصي يقدم ، والامام الهادي سلام الله عليه يتبع ، والعمل الصالح يعمل ، وباليوم الآخر يؤمن ، وبالخسر والنشر والجنة والنار يوقن ، فيلقاه جهده يوم حشره أكرم معين ، فيسعد مع الأئمة والأوصياء والأنبياء في جوار رب العالمين . فإن قلت ، وعن أباطيلك رجعت ، فقد حماك جمال الاسلام ، وتولاك عز الامام ، وحصلت من أهل الايمان . وإن أبيت ، وعن الاتعاظ امتنعت ، إصرارا على ضلالك التي أنت فيها أضل عباد الله وتمنهم عن عبادة الله ، وتنقص مراتب حدود الله تعالى : وتزيد «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»^(٢) ، ولا عما يفعله المبطلون . فإنه يقول جل من قائل «وذرتي والمكذبن أولى النعمة ومنهم قليلا» . إن لدينا أنكالا وجعيا ، وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما»^(٣) . وإن ظالمين يطلب خراب المساجد وسد أبواب العبادة ، وإبطال الوسائط في نيل السعادة . لطالب ممنوع لا يثمر له إلا الخذلان وسخط الرحمن ، فعوذ بالله من ذلك ، ومن الضلالة بعد الايمان .

ثم أبتدىء في أجواب كلامك وسؤالك ، وإظهار كفرتك وضلالك ، فأقول :

إنني وجدت رقعتك أولا خرساء عمياء جذماء بترأء بأسقاطك منها اسم الله ربك ورب العالمين ، وإله الأولين والآخرين ، وخالق السموات والأرضين ، الذي ألفت تركيبك في ظلمة الأحشاء ، وصورك وأخرجك إلى ساحة الهواء ، ورزقك وأنعم عليك ، ومن الأنعام ميزك . الذي سجدت له الجباب ، وله شهدت الشفاه بأنه الرب الإله ، « وإذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه »^(٤) .

(١) - سورة الأعراف ٧ / ٥٣

(٢) - سورة إبراهيم ١٤ / ٤٢

(٣) - سورة الزمر ٣٣ / ١١

(٤) - سورة الإسراء ١٧ / ٦٧

واسم خير من عبد ووعظ ووجد ، وبلغ الرسالة وأُنذِر ، وأدب الأمانة وحذر ، محمد المصطفى صلى الله عليه ، والإقرار به والصلاة عليه الذي اختاره الله تعالى من بين عباده ، وأقامه للدعاء إلى توحيده ، فتوَجَّه بمكارم الأخلاق النفسانية ، وخصه بمجامع الأنوار القدسية ، وبعثه والأصنام معبودة في حرمه فهشمها ، والأوثان في بيته منصوبة فكسرها ، فأصبحت به كلمة الحق متعالية ، وكلمة الشرك والضلال وإهية هاوية ، وأمر الله تعالى بالصلاة عليه في كتابه الكريم حيث يقول جل من قائل « إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ وَمَلَايَكُنْهُ يَصُلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (١) .

واسم الوصي والأئمة الطاهرين وأُمير المؤمنين سلام الله عليهم أعمدة الحق وأعضاده ، وشيوش الدين وأطواره ، الذين هَدَمَ اللهُ بهم أركان الضلال ، وبين بمكانهم الحرام من الحلال ، ولا يقبل الله عملاً من أعمال العباد إلا بولائهم (٢) ، ولا صلاة من الصلوات إلا بالصلاة عليهم ، الذين بدت بهم مناسم الدين وقد أشرقت مطالعها ، وشر اسم العباد القويمة وقد سلكت مشارعها .
— يا أيها السعيد يا سعيد له يد —
ولا يخلو أن تكون في قضايرك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام إما متعالة ، أو غير متبع ، فإن كنت متبعاً فمخالفتك إياه سلام الله عليه ، فيما أمرك به في السجلات المكرومة من السلام عليه وعلى آئمة الطاهرين في جميع المكتابات ، وقعودك عن الاقتداء فيما فعله سلام الله عليه من تصدير سجلاته وجميع مكاتباته وخطبه بيمين الله الرحمن الرحيم ، والاستفتاح به والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد والترك بها ، قد كفرت

(١) الأحزاب ٢٣/٥٦ .

(٢) قال جعفر بن منصور البجلي في كتابه سرائر النطاء [لادن الإطاعة على ولايته ولا فئمة تامة إلا مودته ومحبه ، ولا قبل للأئمة فرض ولاسته ولا عمل بمقتضى الإطاعة . زوج البتول ومولاته ومحبه والأئمة من ولده يرون مقامه وتقدله (على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٨ نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد)] .

وقال القاضي النعمان بن جعفر الصادق قال « يَا عَبْدَ اللَّهِ وَبِئْسَ اطَّاعَ اللَّهُ وَبِئْسَ يَمْنَى اللَّهِ ، فَمَنْ اطَّاعَ اللَّهَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَا اللَّهَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ » (كتابهم الإسلام ص ٣٩ نسخة خطية بمكتبة) .

وإن كنت غير متبع فعودك عن اتباعه عصيان ، والعاصي فيه ضال
كافر ، ففي كلا الوجهين ما تنفك من الضلال والكفر ^(١) .

وأما قولك : فمن عرف منكم إمام زمانه حياً فهو أفضل ممن مضى
من الأمم من نبي أو وصي أو إمام .

فقول زور وكفر ، كيف يكون أفضل من نبي أو وصي أو إمام -
من كان ما يحسنه من دينه من فضلهم وعلمهم ، أم كيف يكون أفضل منهم -
من هو تحت حكمهم وأمرهم ، وهو محتاج إليهم ومتبع لهم ، ولا تخلو
أن تكون في علمك ذلك ، إما أنك استفدته من بشر جيماني مثلك ، وأنتك
استفدته من ملك روحاني ، فإن كنت استفدته من بشر جيماني مثلك
فهو أفضل منك ، إذ هو العلة في معرفة ما عرفته ، والعلة أبدأ متقدمة الرتبة
على ما بها كان وجوده ، ثم إن الذي أقاد من أقادك أفضل منه أيضاً كذلك
إلى أن ينتهي إلى نبي أو وصي أو إمام ، فيكون هو أفضل من غيره ،
وقد انتقض قولك ذلك وظهور كفرك . وإن كنت استفدته من ملك روحاني ،
فلا يستفيد من الملك الروحاني وحياً - على ما ينقسم إليه بحسب المراتب -
إلا نبي أو وصي أو إمام ، أفأنت نبي أو وصي أو إمام ؟ وبطل أن تكون
إماماً بكون الإمامة لغيرك ، وبطل أن تكون وصياً إذ لا يكون وصياً
من لا يكون إماماً ، وبطل أيضاً أن تكون نبياً إذ لا يكون نبياً من لا يملك
هذه المراتب ، فلا إمام أنت ولا وصي ولا نبي ، وإذا لم تكن إماماً
ولا وصياً ولا نبياً بطل كونك مستفيداً من الملك ، وإذا بطل ذلك فقولك
كفر وضلال .

ثم يجابك أن من عرف الامام فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصي أو إمام
هو الايجاب أن من عرف الامام فهو أفضل من الامام ، وذلك أن من اللواتين
في الاعتقادات أن الامامة والوصاية والنبوة رتب لئله تعالى التي بها يستحق

(١) يروى الشيعة أن جعفر الصادق قال : الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر وجاهلية
سؤال بجاهلية الكفر ما كان قبل بعث النبي ، وجاهلية الضلال ما يكون بعد بعثه فيمن
ضل عن إمام زمانه (جامع الحقائق ج ١ ص ١٥١ نسخة فنوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

المؤمنون عليه أن يكون إماما ووصيا ونبيا ، وأن هذه المنة ليست إذا من الله تعالى بها على نفس طاهرة تزول عنها بمفارقتها شخصها ، فلا تستحق أن يقال إنها ممنونة بها عليها ، بل هي لها في ذاتها تمامية جوهرها فلا تفارقها ، وإذا كانت الإمامة والوصاية والنبوة ربانية لله تعالى بها ، والمؤمنون بها عليه تستحق أن يكون إماما ووصيا ونبيا لا غير ، كان قولنا نبي ووصي وإمام أسماء من الله تعالى عليه بمنته فجعله إماما ووصيا ونبيا ، وإذا كان قولنا نبي ووصي وإمام أسماء لمن من الله تعالى عليه بالإمامة والوصاية والنبوة ، كان قولك هو أفضل من نبي أو وصي أو إمام هو القول بأنه أفضل ممن من الله تعالى عليه بالإمامة والوصاية والنبوة ، وإذا كان قولك هو القول بأن من عرف الإمام حيا فهو أفضل ممن من الله تعالى عليه بالإمامة والوصاية والنبوة ، وكان الإمام الذي عرفه ممن من الله تعالى عليه بالإمامة ، كان منه الإيجاب أنه أفضل منه ، وذلك كفر فعوذ بالله من الكفر .

ثم نقول : إذا ثبت أن بالمنة والاصطفاء يصير الإمام إماما ، وكان من قولك أن من عرف الإمام حيا فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصي أو إمام ، ولم يكن من مضى من نبي أو وصي أو إمام نبيا ووصيا وإماما إلا بالمنة والاصطفاء الذي به كان الإمام الذي عرف إماما لا غير ، كان منه الإيجاب أنه أفضل من الإمام الذي عرفه ، يكون العلة في إمامة من مضى وإمامة من عرف حيا — وإن كان كل من الأئمة يختص في ذاته وأحواله بما لا يختص به الآخر — علة واحدة ، ووقوع العلم بأن أشياء عشرة إذا كانت مشتركة في علة واحدة ومتى واحد ، وكان شيء آخر غيرهما خيرا من شيء واحد من تلك الأشياء العشرة أو شيئين أو أكثر في المعنى الذي اشتركت فيه جميعها فهو خير من سائرهما وأفضل ، وإذا كان قولك موجبا على الرجوع التي ذكرتها ، كون من عرف الإمام حيا خيرا منه وأفضل فقد ظهر كفره وزندقته فعوذ بالله من الكفر والزندقة .

وأما قولك : إن من عبد الله من جميع المخلوقين لعبادته لشخص لا روح فيه ، واستدل ذلك على ذلك بأن الله اسم ، والألف منه شبهة بالطول ، واللام

منه شبيه بالعرض ، والهاء منه شبيه بالعمق ، فيكون طويلا عريضا عميقا
وأن الله تعالى اسم وهذه صفته والمعنى هو الشخص .

فما أضعفه من استنباط ، وأداة على اختلاط قائم : إذ أوجبت الطول
والعرض والعمق للألف واللام والهاء ، يكون الألف شبيها بالطول ،
واللام شبيها بالعرض ، والهاء شبيها بالعمق كما زعمت ، فالذى يكون طويلا
عريضا عميقا جملة الاسم الجامع للألف واللام والهاء الشبيهة بالطول والعرض
والعمق لا المسمى ، فلو كان الطول والعرض والعمق فى المسمى لأجل اسمه
— بكونه جامعا للألف واللام والهاء الشبيهة بالطول والعرض والعمق —
لزم أن يكون ما لا يجمع اسمه الألف واللام والهاء لا طويلا ولا عريضا
ولا عميقا ، وبوجودنا أن الأمر بخلاف ذلك ، يكون اسم الطويل العريض
العميق الذى هو جسم خاليا من الألف واللام والهاء ، وله الطول والعرض
والعمق فى ذاته ، صح وثبت أنك سلكت فى الاستنباط طريق الضلال ، فإن
الطول والعرض والعمق للوجودات من الأجسام لا لأجل أساميها ، فيخلو
منها إذا لم يكن الاسم جامعا للألف واللام والهاء ، بل من ذواتها على ما خلقتها
عليه خالقها جل وتعالى ، وكيف يكون الله تعالى وتكبر شخصيا ، والشخص
جسم والجسم غير منفك من الحوادث ، وهو من قبيل ما يقبل أثر غيره .
كما نراه عيانا من تباين أحواله واستحالاته ، وما يكون متغيرا ومستجيلا
وقابلا لأثر غيره فهو محدث ، وما يكون محدثا ، فله محدث أحدثه .

ومما يدل على أن الله تعالى ليس بجسم^(١) أنه لما كان ذات الجسم ليست
إلا مادة وصورة ، وكان إحداها حاملة والأخرى محمولة ، وكان اختصاص
كل من المادة والصورة بما اختص به من كون المادة حاملة للصورة

(١) قال السكرماني فى الصرع الثالث من السور الثانى من كتاب راحة العقل
« ثم إنه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بما يلىق بالأجسام ،
ولا فى جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم فى الأجسام لما يوجب الدليل — على ما بيناه —
فى رسالتنا المروية (بالواضحة) — من وجوب ما يتقدم عليه أن لو كان جسيما أو كان
فى جسم (راحة العقل ص ٤٣) ؛ فنسرد محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى .
والاسماعيلية ينفون الصفات عن الله تعالى ويحملون هذه المقالة أصل التوحيد عندم . فى
الطبيعى إذن أن يقولوا إن الله ليس بجسم ولا فى جسم .

وكون الصورة محولة في المادة بامتناع وجود الاختصاص إلا عن
 وجود التخصص الفاعل يوجب ما تقدم عليهما مما عنه كان وجودها
 على ما اختص به ، وكان الله تعالى لا يتقدم عليه ما يصير به مسبوقا ومخلوقا
 ومبدعاً ، بعد أن كان هو مبدعاً ومخلوقاً وسابقاً ، كان من ذلك العلم
 بأن الله تعالى ليس بجسم ، إذ لو كان جسماً لوجب بما قلنا وجود ما يتقدم
 عليه ، وإذا كان الله تعالى ليس بجسم ، فأقول ولا في جسم أيضاً ، تعالى الله
 وتكبر ، وذلك أن الله تعالى لو كان في الجسم وحاز كونه فيه لكان لا يخلو
 أن يكون في كونه فيه إما مناسباً له أو غير مناسب ، فإن كان في كونه
 فيه تعالى الله عن ذلك غير مناسب له ، فهو في كونه فيه محتاج إلى حافظ
 هو غيرهما يحفظ وجوده ووجود ما هو فيه معاً ، إذ من شأنه ألا يكون
 مناسباً لغيره أن ينافيه ، ولا يوجد معه إلا رابط يحفظهما جميعاً هو غيرهما ،
 ومحال أن يكون وجود الله تعالى بغير محفظه ، وإذا كان محالاً لوجود
 الله تعالى بغير محفظه بطل وجوده في الجسم ، إذ الشرط في وجوده في الجسم
 مع كونه غير مناسب له أن يكون محتالاً إلى غير محفظ وجوده ، وقد استحال
 وجود غير محفظ وجوده ، وإذا بطل وجوده في الجسم فهو غير مناسب
 له لا يجوز كونه فيه ، والله تعالى ليس بجسم ، ولا في جسم ،
 وإن كان في كونه فيه تعالى الله وتكبر عن ذلك مناسباً له فلا يخلو
 أن يكون مناسبته : إما من جهة الصورة ، أو المادة ، أو كليهما ،
 فإن كان مناسباً لكليهما ، فهو جسم ، وقد بطل أن يكون تعالى جسماً بما قدمنا
 ذكره ، وإذا بطل أن يكون جسماً بطل أن يكون مناسباً لكليهما ، وإن كان
 مناسباً من جهة الصورة فلا يخلو أن يكون : إما مناسباً في كل الوجوه ،
 أو مناسباً لها في بعض الوجوه ، فإن كان مناسباً لها في بعض الوجوه ،
 ففي مابقية كل منهما صاحبه بما لم يتناسب فيه اختصاص كل منهما
 بما اختص به ، وفي اختصاص كل منهما بما اختص به وجوب وجود
 ما يتقدم عليهما مما عنه كان اختصاصهما ، ومحال لوجود ما يتقدم على الله
 سبحانه ، وإذا كان محالاً وجوب وجود ما يتقدم على الله سبحانه بطل
 أن يكون له اختصاص ، وإذا بطل أن يكون له اختصاص بطل كونه

مناسبا لها من بعض الوجوه ، وإذا كان الله تعالى عن ذلك مناسبا لها في كل الوجوه فهو هي ، واختصاصها بأن تكون محمولة دون أن تكون حاملة يوجب تخصيصا لها يتقدم عليها ؛ وإلا لم تكن الصورة مع عدم اختصاص بأن تكون محمولة أولى من أن تكون حاملة ، ولا المادة بأن تكون حاملة أولى من أن تكون محمولة ، ولا يمنع أن يكونا شيئا واحدا بلا اختصاص يوجد فيهما ، ومحال وجود تخصص موجد للأوائل التي هي المبادئ بلا واسطة غير الله تعالى . وإذا كان محالا وجود تخصص فاعل موجد غير الله تعالى بطل أن يكون له اختصاص ، وإذا بطل أن يكون له اختصاص بطل أن يكون الله تعالى هو الصورة .

وكذلك الكلام على المادة تقسيما حتى يبطل أن يكون الله تعالى هو المادة . وإذا كان الله تعالى عن ذلك في كونه في الجسم مناسبا له ، لم يخل أن تكون مناسبتها : إما من جهة الصورة أو المادة أو كليهما . وبطاعت الوجوه الثلاثة بطل أن يكون مناسبا له ، وإذا بطل أن يكون مناسبا له استحال وجوده فيه تعالى وتكبر ، ولما كان الله تعالى لو كان في الجسم وجاز كونه فيه لا يخلو أن يكون كونه فيه إما مناسبا له أو غير مناسب ، وبطل أن يكون مناسبا أو غير مناسب بوجوب وجود ما يتقدم عليه ويحفظ وجوده أن لو كان مناسبا أو غير مناسب ثبت أنه لا في الجسم ، تعالى الله وتكبر . وإذا كان الكلام قد أسفر عن الأمر في أن الله تعالى ليس بجسم ولا في جسم وهو مقدس عن صفات الجسم على كونه تعالى متقدما أيضا عما يدرك بالعقول والألهام^(١) ، فقد ظهر أن العبادة ليست لشخص ، وأن المعبود ليس بشخص ، وظهر كفرك وإلحادك نعوذ بالله من الكفر والالحاد .

(١) يقول المزيدي في الدين : العقل لا يدرك إلا الدركات العقلية التي هي متجوهر بجزورها ، وأن مبدعه متعال عن أن يكون مدركا كواحد منها (جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٨) .

ويقول في ديوانه (التقييدة الثانية — راجع ديوان المزيدي في الدين داعي الداعين . نشر محمد كامل حسين) :

وليس من جنس العقول الله يا قوم كي تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور مجسما كيما يلاقيه البصر

وأما سؤالك عن الآية « عينا فيها تسمى سلسيلا »^(١) ، فلا تغفل
 من حالين : إما أنك من أهل القبلية المرضية ، ومن جملة العابدين لله جل اسمه
 بالملحة الخشقية ، أو خارج عنها . فإن كنت منها فترك تسمية الله تعالى
 في زعمك والاقرار بالرسول صلى الله عليه والصلاة والسلام على أمير المؤمنين
 وآبائهم الأئمة الطاهرين المهادين إلى توحيد الله يحل ذكره خروج منها
 ومفارقة لها ، ومن كان ذلك صورته في مضاهاة الزنادقة والمعطلة في الكفر
 بالله وبالرسول لا يطالع على سر الله تعالى ومعاني كلامه ، ولا على سر الرسول
 ولا على سر الأئمة إلا بعد الإقرار وأخذ العهد : وإن كنت خارجا عنها
 فلا معنى لسؤالك عن الآية وأنت بمن أتى بها بكافرا وله تجاهد حتى تقر به ،
 ولا يوجب مخاطبتك عليها ، كما أن يهوديا لو سأل عن إمامة علي بن أبي طالب
 صلوات الله عليه والدلالة عليها لمسا كان يوجب مخاطبته على ذلك وهو منكر
 لمحمد صلى الله عليه وعلى آله حتى يقرأ بنبوته ، ومضى . ثبت عن مقابلتك
 وحسن إسلامك وإيمانك وأزديت معرفة التوحيد ، ويوجب الرسالة
 والامامة ، ومعرفة أقسام العبادة التي هي العلم والعمل وأنواعها ، والجزاء
 والثواب والعقاب ، وأن دارها غير العالم الطبيعي ، وغير ذلك مما يشرحه
 التنزيل والتأويل ، أخذت حظك من العلم باستحقاقك ، فثابته من العلوم
 الدينية إلا وعند أولياء الله وعند تابعيهم^(٢) على الخصوص بحسب استمدادهم
 منهم خزائنه ، وما يعلمون أحدا إلا بقدر عند الاستحقاق ، اقتداء بالله تعالى
 فيما قال « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »^(٣) .

وأما قولك مخاطبا لأهل الدعوة الشريفة : قد قامت قيامتكم وانقضت
 دور سترك .

(١) سورة الانسان ٢٦/١٨

(٢) روى القاطبون أن النبي (ص) قال : تعلموا من عالم أهل بيتي أو من تعلم
 من عالم أهل بيتي تتجوا من النار (الجزء الزيدية ص ١) وقال المؤيد (في التمهيد ٥٥) :
 لعلم قوم به خصوا أنفسهم رب الوري الوري في أرضه علما
 وهذا الرأي الذي ذموا به جلهم يقولون بالستر ، فهم يسترون علومهم إلا على
 بعض الخاصة .

(٣) سورة الحجر ١٥/٢١

فالكلام الذى يترى من البرهان هو ضرب من الهذيان ، فكيف قامت القيامة ولها أشراف وعلامات بينها سيد الأنبياء ورسول رب العالمين محمد شمس الأنوار ومفجر الأئمة الأبرار صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين ، ولم يظهر شئ منها ، أم كيف انتضى الدور ومعاقب التنزيل والشريعة محفوظة وبعين البقاء إلى يوم الدين ملحوظة ، وأصدق القائلين جل وعز يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ^(١) أم كيف انتضى ولم يتم حدوده ولا استتم موعوده ، وعلامة تمام كل شئ من الموجودات فى عالم الكون والفساد استحالة صورته بالفعل بحسبما يكون عليه الموجود القائم بالفعل أولاً ، ولو علمت أنك من الدور فى أى نسبة لأقصرت عن هذيانك ، لكنك باتباع رأيك خيلت إليك تمسك الأمانة بالسوء ما خيلت من الضلال وسوء المقال ، وهيات ثم هيات ، « أولئك يتنادون من مكان بعيد » ^(٢) أين أنت مما أومأنا إليه فى رسالتنا المعروفة بمباسم البشارات ^(٣) عما يقضيه الله تعالى لمحمد رسوله صلى الله عليه بوليه فى أرضه أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله سلام الله عليه من بسط شريعته وتأييد أحكامه وسلته فى المسلمين كافة ، ويجدده من القوة

(١) سورة الحجر ١٦/٩

(٢) سورة فصلت ٤١/٤٤

(٣) « رسالة مباسم البشارات » هى إحدى الرسائل التى تضمها مجموعة رسائل الكرماني ، واسم الرسالة بالكامل ، كما ورد فى النسخة المطبوعة التى امتنعها « مباسم البشارات بالامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين » وأول الرسالة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب الأرباب ، وماك يوم الحساب ، الذى جعل الدنيا سقفاً محفوظاً ، وما بينها وبين الأرض بين الفناء ملحوظاً . الخ » وقد ذكر الكرماني أنه كتب هذه الرسالة فى مصر بعد أن وفد عليها ، وهى تتضمن على أربعة عشر فصلاً يتحدث فيها عن بيان إمامة الحاكم بأمر الله ومدقها ، والبشارات الواردة من الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم بحقها ، وما ينجز الله تعالى له من وعده ، والكلام على الأسباب المعارضة التى طرأت فى عهد الحاكم ، ورأى الكرماني فيها أنها ليست إلا لما يريد الله تعالى من تصديق قول الأنبياء وما هو إلا أمارات تقوم مقام النص بأن الحاكم ولى الحق . ويستشهد الكرماني فى رسالته هذه ببعض آيات من التوراة باللغة العبرية كتبها بأحرف العبرية ، ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، مما يدل على أن الكرماني كان واسع الثقافة ملماً بأكثر من لغة .

بعده فيقوم مقامه سلام الله عليه ويسر الله له من الفتوح والبشارات^(١) أم أين أنت من الامام الثامن عشر وأفعاله في دور النبي صلى الله عليه ، وأفعال الحادى والعشرين والخامس والعشرين والثامن والعشرين والثاني والثلاثين والخامس والثلاثين سلام الله عليهم ، بل أين أنت من الامام التاسع والخمسين وعجيب أفعاله سلام الله عليه في هذا العالم باستعلاء كلمته على كل كلمة تخالف ما جاء به النبي صلى الله عليه^(٢) بل أين أنت من المسألة الذي يملك فيعجز من يشاء

(١) النص الذي يشير إليه السكرماني هو ما ورد في رسالة مباحث البشارات « إن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه في كونه إماماً في وقته وقائماً في زمانه دائماً لأهله ورفقائه المؤمنين بحبله ، وإن لم يكن سابقاً من الأسابيع لله من القوة والتأييد الممتد إليه من جهة الله تعالى بموازاته للأعداء التي من شأنها إطفاء النامية ومناسبة إلهام ما يحبه ، بأذن الله تعالى الفتح بأجره والزمان بجهوده وأعوامه فيعجز الله تعالى به وعده لمحمد جده صلى الله عليه بقوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطوي السجل للكتب ﴾ كما بدأنا أول خلق نبيه وعدنا علينا إنا كنا فاعين ﴾ (٢١/ سورة الأنبياء/ الآية ١٠٤) أي نطوي ذكر الامام الضال ودولته كما طوى الغمام الظالم ذكر أئمة الهدى ونبيه الأنس في كونه كائناً في بيت محمد (ص) كما كان بداياً فيملك المسلمين بأمرهم كما ملكهم النبي (صليماً) في زمانه ويفتح الله له من الفتوح ما يشين به جده أبي طالب وأهله ويستأصل شاة الضلال وأهله (ورقة ١٠٤ من مجموعة رسائل السكرماني) (٢) جاء في رسالة مباحث البشارات « ولا يجب أن يتفقد إذا ظهر في أخذ هذه الأيام قوة مساوية ومواد إلهية أنه صاحب القيامة الكبرى الذي لم يحل وقته ولم يجمع زمانه إذ ذلك لا يكون إلا بعد مضي حدود دور محمد (صليماً) بنائها وكاملها ، على رأس ذلك الحد الذي هو في آخر الحد وبه تمامية حدود دور النبي محمد (صليماً) تكون القيامة التي حكم النبي (صليماً) بامتداد حسبه ونسبه إليها وسيكون السادس عشر والثامن عشر والحادى والعشرين إلى ثمة الحدوث شأن من الشأن (ورقة ١٠٩ ب من مجموعة رسائل السكرماني) وملاحظ أن الحاكم هو الامام السادس عشر في دور النبي محمد (ص) — وأول الأئمة هو الحسن بن علي بن أبي طالب أما على فهم ينتهونه وصياً ، ومرتبته الوصاية — عند أعلى من مرتبة الامامه وتلي مرتبة النبوة — فلا أدري هذا الشأن الذي يتحدث عنه السكرماني قائمنا مع محمدنا أن الحاكم وهو السادس عشر كان مضطرباً في حكمه . والامام الثامن عشر وهو المستنصر بالله بدأت الدولة تضعف في عهده وتلاعبت به أمه ثم الوزراء ، والامام الحادى والعشرون هو في زعمهم الامام الطيب ابن الآسر ، والمؤرخون يقولون إن الآسر لم يتجرب ولذا أينما يقول الاسماعيلية المستولية إنه أجب الطيب الذي استتر ولا يعرف عنه ولا عن نفسه شيء إلى الآن . وأين إذن هذا الشأن الذي يتحدث عنه السكرماني . أما هذا الاسماعيلية الزاوية فلم ينظم لأنهم شأن إلا في أيامنا هذه على يد إمامهم الثامن والأربعين وهو محمد الحسيني المعروف بأفغان .

ويذل من يشاء باذن الله رب العالمين . كلا إنك لفي ضلال مبين ، وإن إنسانا
 يظن انحلال معاهد الدين ممكناً أو جائزاً ، تعطل العباد عن عبادة الله تعالى
 ما دامت السموات والأرض لعلة سخيصة وتخييلة سقيمة ، وهو بأن يُهدى
 أحق من أن يهدى ، وما يعلم ذلك إلا العالمون الذين صح في توحيد الله تعالى
 ومعرفة حدوده اعتقادهم ، واطف في عبادة الله تعالى وطاعة أوليائه عليهم
 السلام مكانهم وارتدادهم ، وإن بقيت فسوف ترى كيف تكون عوائد الله تعالى
 عند المسلمين كافة في بلادهم شرقاً وغرباً بما يهمهم من أمر ولى الله سلام
 الله عليه ، ويتأولونه من السعادة بعنده وتأيد أحكام الشريعة والتزويل والتأويل
 في دور الرسول صلى الله عليه وآله .

وأما قولك : ما الاسلام وشرائطه ؟

فالاسلام وشرائطه شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
 عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب
 فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فمن قال ذلك فهو مسلم ولزمه شرط
 الاسلام ، وحلت مناصبته وموارثته والصلاة عليه إذا مات ، وأن يقبر
 في مقابر المسلمين (١) .

وقولك : وما الذي يتقرب به إلى المعبود ؟

(١) نلاحظ أن الفاطميين يفرقون بين الاسلام والايمان ، فالاسلام مثله مثل الظاهر
 والايمان مثله مثل الباطن ولا بد من إقامة الاسلام والايمان جميعاً والتصديق بهما معا
 والعمل بما يجب العمل به منهما فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون مسلماً أما الايمان فهو
 شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار
 حق والبعث حق والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، والتصديق
 بأنباء الله ورسوله والأئمة ، ومعرفة إمام الزمان والتصديق به والتسليم لأمره والعمل
 بما افترض الله على عباده والعمل به والالتقاء عما نهى عنه (تأويل دعاتهم الاسلام ج ١
 ص ١٢ نسخة خطية بمكتبي) فمن ذلك نقبين أن الفرق بين الاسلام والايمان في عقيدتهم
 هو أن الايمان يزيد عن الاسلام بمرتبة معرفة الامام وولائه .

فأعمل الصالح ما توجبه الشريعة والسنة والاعتقاد الصحيح في توحيد الله تعالى (١).

وقولك : وما الذي استعبد الله به الخلق ؟

فأجيب أن العالين الذين تقع تحتها أنواع العبادات وما العالم والعمل (٢) بحسب الأمر والنهي من جهة الله تعالى وجهة رسوله صلى الله عليه وعلى آله .

وقولك : أهو العلم كله أم جزء من العلم أم أثر من العلم ؟

ففي تقسيمك ذلك إنباء على نفسك بقلة المعرفة ، وأقول في الجواب ، لا أثر ولا جزء ولا علم فقط ولا شيء غيره ، بل علم وعمل .

وقولك : فما بال الأنفس لم تختلف في آثار الطبيعة وعلوم الصنائع واختلفت في آثار الأنبياء عليهم السلام ؟

فأقول : إنما لم تختلف في آثار الطبيعة لكون الموجودات الطبيعية مدركة بالحواس فلا يقع الاختلاف فيما بين ذواتها ، وفي آثار الأنبياء عليهم السلام إنما تختلف فيها لكونها غير محسوسة وتعلق معرفتها بالأنفس ، والأنفس في ذواتها ما لا تتبع المعلمين من الدعاة المنصوبين من جهة أئمة الحق

(١) التوحيد عند الفاطميين هو أصل الدين (جامع الحقائق ج ١ ص ٤٥) وهو أن ينشأ عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحية ومخلوقاته التي هي الصور الجسائية من الأسماء والصفات والحدود ، ويتصور أنه ما كاد ينقذ لاحد فكر فيه جل جلاله إلا وذلك الذكر مثل الفكر وممنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانها ومحدثها ولا يتناسب شيئا مهما (المجالس المؤيدة في مواضع متفرقة) . ويقول صاحب كنز الولد ص ١٥٩ : نظام توحيد الله تعالى الصفات عنه وإقامة حدوده (وصرح المؤيد بأن إخلاص التوحيد لا يثبت إلا بثبوت رتبة الرضاية والامامة وبها الإجابة عن مقامات الحدود الروحية والجسائية وتنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود (جامع الحقائق ج ١ ص ١٣) .

(٢) يصرح الكرماني أن أنواع العبادات يجمعها العلم والعمل ، والعالم يدعى العبادة الباطنة ، والعمل العبادة الظاهرة ، والفصود بالأدلى وجوب التأويل الباطن والاعتقاد به ، والفصود بالثانية القيام بفرائض الدين من صوم وصلاة وطهارة وزكاة وحج وجهاد وولاية وهي دعائم الإسلام عند الفاطميين .

عليهم السلام في معرفة معالم الدين التي هي آثار الأنبياء عليهم السلام (١) فإنها تأتي إلا اتباع الزجاءت والمزاجات مختلفة ، وبحسب اختلافها تختلف الاعتقادات والآراء ، ولذلك أوجب الله تعالى طاعة الأنبياء والرسل عليهم السلام ليهدوا الأنفس بأمر الله سبحانه ، وبأخذوها من الضلالة إلى الطريق المستقيم في العبادة . فأعترف ذلك .

وقولك : هل الشريعة محدثة أم قديمة مع الدهر ؟

فالشريعة وجودها بوجود وأصغها وأصغها ، وما يكون وجوده بوجود غيره فهو محدث .

وقولك أم قديمة مع الدهر إيجاب أن الدهر قديم قبل من دليل ؟

وقولك : هل الشريعة هي الدين أولاً دين غيرها ، أم هي طريق الدين ؟

فالدين معان كثيرة ، وأقربها الطاعة ، والطاعة لا تكون ممن الشريعة

بل من العمل بها إذا أقام عليها وأدى حقتها فيكون طائعاً ودينياً .

وقولك : إن كانت الشريعة محدثة بها الدين الذي لم يزل ولا يخلف فيه ؟

إيجاب الدين قديم لم يزل قبل من دليل ، وإلا فالكل ممن غير في وغير مني ،

ومعقول ومحسوس وموجود ومعدوم محدث ، أحده الله الذي لا إله إلا هو

الذي أبدعه ظهرت الأشياء كلها على أقسامها ، تعالى الله وتكبر .

وقولك ؟ ما النفس ؟ وما العقل ؟ وما غاية الأبداع الذي فوق الروحانيين

والجسمانيين ؟ فعمل ذلك شريف مثبت في صحيف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ،

بأيدي سفرة ، كرام بررة . وهو عندنا معشر الدعاة ودعوة من جملة أربابها :

الرسول صلى الله عليه وآله وبوصي عليه السلام ، والقائم بيننا عبد الله ووليّه

(١) روى الاسماعيليه أن النبي قال « تعلموا من عالم أين يتي أرو من تعلم من عالم

أهل يتي تنجوا من النار » وذهبوا إلى أن النبي والأنبياء من ذرية م الدين . اختصوا

بعلوم الدين الظاهر منها والباطن دون غيرهم من البشر ، والأنبياء يعلمون الدعاة ، والدعاة

يعلمون المستجيبين ، وقد ثبت لنا بعد قراءة كتب علماء الدعوة الاسماعيليه أن اغتائب

التاريخية تثبت عكس هذا الادعاء . فالدعاة هم الذين وضعوا علوم الدعوة ونسبوا

إلى الأنبياء (راجع ما كتبناه من ذلك في كتاب ديوان الزيد في الدين داعي الدعاة

ص ٦٢ ، وفي مقدمه كتاب المجالس المستمرة ص ٧) .

ابن نبيه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وآبائه الأئمة الطاهرين
سلام الله عليه وعليهم أجمعين ، على أن تؤديها إلى من استحق من أقر بفضلهم
ودان الله تعالى بطاعتهم . وأنت فقد قطعت الأسباب ، وأنكرت الأرباب
وصرت في جحودك فضلهم ومزلتهم مستمرا ، وعلى كئودك لهم وكفرك
مستقرا ، نخل في تفضيلهم بالاعتقاد والاقرار ، وتستند في باهم إلى الانكار ،
ومتي عاودت طريق العبادة على شرائطها بسطنا لك في علم ذلك وغيره ما ترتع
في رياضه بأذن الله تعالى .

وأما قول أصحابك : إن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين سلام الله عليه .
فقول كفر تكاد السموات ينفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال ،
هذا أن دعوا للاله المعبود غيرا ، فيا لجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكا
ما أعظمها ، وبالجحأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أنظفها ،
ولقد قالوا عظيما وافتروا إثمنا مبينا ، وإن ذلك إلا كفر محض ، فإمير
المؤمنين عليه السلام إلا عبد لله خاضع وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ويعظمه
غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه في أموره يتوكل ، وأمره إليه يفوض ،
والله تعالى قد فضله على خلقه وجعله من جهة رسوله محمد صلى الله عليه خليفة
له في أرضه ، ووسيلة لعباده إلى جنته ، وأوجب طاعته على عباده^(١) ،
وهو سلام الله عليه يتبرأ إلى الله تعالى بمن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون
معبودا وهو جسم ذو أبعاد مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكلفة ، يأكل ويمشي
وينام ويستيقظ وتنطوى عليه الأحوال المتضادة من رضا وسخط وغم
ومسرة وسقم وصحة وكفيرة من البشر^(٢) ، وهو سلام الله عليه ينفي ما تنسبه

(١) روى القاضي النعمان أن النبي صلى الله عليه قال : إن الله قد فضلنا وشرّفنا واخترنا
واسطقنا وافترض طاعتنا على جميع خلقه وجعلنا أئمة لجميع عباده [المجالس والمسايرات
ص ٨ ه نسخة خطية بمكتبتي] .

(٢) قال المؤيد في الدين : إن أولياء الله من طينة الأمر مذكورون والمكون والنساد
من حيث أجسادهم مضمونون بحكمهم الشراب والطعام وتلحقهم الأمراض والآلام ويقضى
عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام [جامع الحفائض ج ١ ص ٦١] فالامام عند الفاطميين
لا يختلف عن سائر البشر إلا من جهة تنسبه للشرقة التي هي أثر ما يماثلها من الحدرد
المعولة للشرقة ، فاختص الفاطميون عن الشيمة الاثنى عشرية الذين قالوا إن إمامهم
محمد بن الحسن العسكري لا يزال حيا ، واختلفوا عن الخلافة الذين ألقوا الأئمة .

أنت وأصحابك إليه عن نفسه . كلا إن المعبود ليس إلا الإله الذى له يسجد
 أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ويوحده ويسبحه وعن الثنوت والصفات
 بقده ، وله سجد من النبيين والأوصياء والأئمة المتقين وتابعيهم ، وإياه يعبد
 وله يسجد من يخرج إلى الكون منهم ما دام عقل وفاض عدل ، الذى خلق
 السموات بأفلاكها ، والنجوم بأنوارها ، والأركان بطائعها ، والمواليد
 بأجناسها « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن
 إن كنتم إياه تعبدون » (١) .

وَأما قولك وقول أصحابك : إن الشريعة والتزويل والتأويل خرافات
 وقشور وحشو ولا يتعلق بها نجاة . وأنهم لا يوجهون وجوههم إلى القبلة
 لأنها حائط ولا يسجدون إليها !!

فهو شقاوة تدعو إلى بحر النيران ، وكفر من عمل الشيطان وارتداد
 من الإسلام وخروج من أهل الإيمان ، وكيف يكون التزويل المستنير
 والتأويل المنير والشريعة الغراء التى هى أسس العبادة ، وبها ينال الفوز
 والسعادة قشوراً وحشواً ، ولا يتطلب حكمة إلا كانت لها بحراً ،
 ولا يكتفى بتقوى ومعرفة إلا كانت فى أفقها يدرك ، أم كيف تكون كذلك
 وهى يسبب الخيرات الجسمانية ومجمع السعادة النفسانية ، ومنبع البركات
 القدسية ، فيها توطد مهد الأمن والاستقامة ، ومن جمها فاض نور العبد
 والسلامة ، وبسببها عرف الآباء والأمهات ، وبشرائعها علم البنون والبنات ،
 وبأحكامها استتب أمر العبادات ، وبمبادئها تحفظ الحرم ، وباستعمالها
 عز الكريم ، ولأجلها انسدت أبواب الفتن ، وببركتها انطلقت نيران الإحسان ،
 وعليها ثاب العامل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، « كلا إن النجار
 لى خبيث » (٢) .

وإن قولك لقول سقيم ، « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا
 من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » (٣) فلو لا أسدل أمير المؤمنين عليه السلام
 شتر الأمن على المؤمن والمنافق والمسلم والكافر حتى استنوت الأقدام فيه لكان

(١) سورة فصلت ٤١/٣٦

(٢) سورة الألقاب ٨٢/١٤

(٣) سورة آل عمران ٨/٣

الجواب عن ذلك التوكيد بـ ، ثم قطع اوتين منك ، وتجريد حد السيوف عليك ، لكن الأمر لله تعالى ، ولوليّه عليه السلام « ولا يحسن الذين كبروا إنما نأى لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نأى لهم يزدادوا إيماناً وهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب . وما كان الله ليظلمكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتلقوا فلكم أجر عظيم » (١) .

وبعد فإني أنصحك ، ومن نكال الدنيا والآخرة أحذرك ، وإياك وهذه المقالات الشيعة ، فلا تعقبك إلا البعد عن الله تعالى ، وعن أوليائه عليهم السلام ، ولا تكسبك إلا العاقبة السوء : ورد عنك من تبعك على ضلالتك رداً بالافقار لم يطلان ما ارتكبتك وفساد ما أبدعته ، ولا يفرتك الاغتيال عنك ، وتب إلى الله تعالى قبل أن تضيق عليك عرصة الامهال ، ويشمر لك ما أنت فيه من الضلال ، عالماً أن الدنيا وما فيها إلى انقضاء ودثور ، والانسان من بينها إلى حشر ونشور ، والويل لمن أفنى عمره في ما لا يرضاه الله ولا وليه عليه السلام . فيضل ويفسد ، « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » (٢) . جعلنا الله وجماعة المؤمنين التابعين للحق وأهله من التابعين على عهده والقائمين بطاعته ووليّه ، وختم لنا بالحسن وحفظنا من مصارع الهوى ، وحشرنا مع الأئمة الأبرار المتقين في جوار رب العالمين بممه .

وبعد ذلك نختم الرسالة بالحمد لله رب العالمين وبالصلوة على رسوله محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وبالسلام على آله الطاهرين ، أمير المؤمنين وآبائهم الأئمة المهادين ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل . وكتب أحمد بن عبد الله ابن محمد الكرمانى وكتبته عنه بأمره في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربع مئة سنة عربية مما نسخت بفسطاط مصر حرمه الله .

هكذا وجدت في النسخة الأصلية التي نسخ منها هذا الكتاب .

« تمت الرسالة انواعظة »

(١) سورة آل عمران ٣ / ١٧٨ - ١٧٩

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٢ ، ١٣

من التصوير الإسلامي في القرن ٨ / ١٤ م

كتاب الحيوان للجاحظ

للكنوز جمال محمد محرز

عرف القرن ٨ / ١٤ م ثلاث مدارس في التصوير الاسلامي . اثنتان منها في شرق العالم الاسلامي والثالثة في غربه ، وتختلف أولى هذه المدارس عن المدرستين الأخيرتين من حيث الصفات والمميزات إذ تتبع هذه المدرسة الإيرانية وتسمى بالمدرسة المغولية ، في حين تنتمي كل من الثانية والثالثة إلى المدرسة السلجوقية العربية وأولاهما هي التي يميل بعض علماء الآثار الإسلامية إلى تسميتها باسم المدرسة المملوكية ، أما الثانية فأندلسية .

وبالرغم من التشابه الكبير الموجود بين صور كل من المدرسة المملوكية والأندلسية ، إلا أن أمر التفرقة بينهما سهل هين ، وذلك لاختلاف خط كل واحدة منهما عن خط الأخرى . نخط المخطوطات الأندلسية من نوع الخط المغربي بينما خط المملوكية شرقي .

وتنسب إلى هذه المدرسة المملوكية مجموعة من المخطوطات العربية تتشابه في الصفات والأساليب ، منها هذا الجزء من كتاب الحيوان للجاحظ الذي تمكن الأستاذ (Oscar Ljöfgrén) من اكتشافه في مكتبة أميروز بيلان في صيف عام ١٩٣٩^(١)

ولم نكن نعرف قبل هذا الاكتشاف أن كتاب الجاحظ عن الحيوان كان من الكتب التي اتخذها المصورون المسلمون مظهرًا لنشاطهم الفني

(١) نشر الأستاذ أوسكار لوفجرين دراسته عن الفن العربي والأندلسي في المصور في مجلة جامعة أوبسالا سنة ١٩٤٦ .

Ambrosian Fragments of an Illustrated manuscript containing the Zoology of Al-Gahiz in Uppsala Universitets arskrift 1946.

إذ لم يكن اسمه ضمن قائمة المخطوطات المصورة التي استطعنا إحصائها ،
والتي تشمل مقامات الحريري وكلية ودمنه والبطرة والفروسية والحيل
النيكانكية وخواص الأشجار وعجائب الخلوقات ومنافع الحيوان .

وتوضح صور هذه المخطوطة ما ورد في كتاب الحيوان عن الإنسان
والحيوان والطير ، فنجد رسومها وحدها أو مصحوبة برسوم أشجار
أو مياه أو صخور أو عمائر ، ويبلغ عدد هذه الصور ٣٢ صورة مرسومة
في ٣٠ صحيفة لأن بكل من الورقة ٩ (١) و ٤ (٢) (ب) صورتان ، والصور ملونة
بالأبيض والأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والأسود والبرتقالي
والبنفسجي والذهبي .

ونلاحظ أن الصور غير محددة ، وغير ملونة الخلفية ، ولم يرسم الفنان
ما يدل على الأرض في أغلب الصور مكتفيا بذلك الخط الأفقي الذي يقف
عليه الأشخاص والحيوانات وتقام فوقه المباني وتنمو عليه الأشجار ، شأنه
في ذلك شأن مصوري القرن ٨٧ / ١٣ م (شكل ١) ، وفي القليل الباقي
من الصور استعاض عن هذا الخط بشرائط مكون من أوراق نباتية متلاصقة
(شكل ٢) ، وفي صورة واحدة رسم أرضا مصحوبة بصخور مكونة
من كتل متراص بعضها فوق بعض ومحجب المتقدم منها جزءا من المتأخر ،
وتظهر الأشجار من ورائها (شكل ٣) .

والنبات في هذه المخطوطة من النوع المذهب ، فيمثل الشجرة غالبا فرع
صغير ينتهي بزهرة كبيرة أو ما يشبهها أو بورقة كبيرة ، ويتفرع منه عينا
وشمالا الأوراق النباتية التي قد تكون طبيعية في بعض الأحيان ، والملاحظ
أن بعض الأوراق تنفرع تنفرعا غير طبيعي إذ تقابل الأوراق اليمنى واليسرى
عند التفرع في نقطة واحدة في حين أن الواجب يقضى بأن تكون متبادلة
الوضع (شكل ٤ ، ٥ ، ٦) . ولبعض الأشجار ساق مجزع كأنه ساق نحل
(شكل ٧) وتظهر بعض الأشجار غير طبيعية نتيجة لرسم الأوراق المتفرعة
على الجانبين متلاصقة في كل جانب مثلها في ذلك مثل الشريط النباتي الدان
على الأرض (شكل ٨ ، ٩ ، ١٠) .

وكذلك نجد هذا الشريط يحد مجارى المياه التى رسم مأوها على هيئة أشكال هندسية غير منتظمة موزعة بدون نظام ، وهذه الطريقة فى رسم الماء وإن كانت غريبة فى مظهرها إلا أنها تدل على توفيق الفنان فى اختيار هذا الأسلوب للتعبير عن الماء إذ أنه أراد أن يمثل لنا صفحة الماء الراكد عند ما يهب عليه النسيم (شكل ٨ ، ٩ ، ١٠) ولقد حافظ المصور على الأسلوب القديم المستمد من الفن الساسانى والذى تظهر فيه الأسماك والحوانات على سطح الماء كأنها واقفة على يابس .

أما الحيوانات فتقن الرسم وتدلنا على دقة ملاحظة الفنان ودراسته لها (شكل ١١ ، ١٢) وقد استطاع أن يكسب بعضها شيئاً من الحركة والحياة (شكل ١٣) ، إلا أنه لم يكن موفقاً فى رسم الطيور فى حالة الطيران إذ تظهر كأنها واقفة ناشرة أجنحتها (شكل ١٤ ، ١٥) .

ولكى يوضح لنا المصور أعضاء الحيوانات حدد الرقبة والبطن والجزء الخلقى من الفخذ ولونها باللون الأبيض كما بذلك الطبيعة حيث تملأ ألوان هذه الأجزاء من جسم الحيوان إلى البياض . أما المفصل الأمامى وأعلى اتصال العضد بلوح الكتف فقد رسمه على هيئة قوس ، إلا أنه يختلف هنا عن غيره من الأقواس فى المخطوطات الأخرى من حيث أنه يكتسب طابعاً زخرفياً ، إذ رسم طرفه معقوفاً ، ثم أنه لم يكتفِ برسم قوس واحد ، وجميعها معقوفة الأطراف (شكل ١) ^(١) ، ولقد اتبع مع هذا القوس الأسلوب الآخر الذى برسم فيه المفصل على هيئة شكل يضاوى (شكل ١٢ ، ١٣ ب) وهو من الأساليب التى كانت متبعة فى هذه المدرسة أيضاً وكلا الأسلوبين من مظاهر التأثير الساسانى فى التصوير الإسلامى .

وتمثل صور الأشخاص مناظر بلاط (شكل ١٦ ، ١٧) أو اجتماعات (شكل ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) أو صيد طيور (شكل ٢) أو إطلاقها (شكل ١٥) أو حيوانات مع خزانتها (شكل ١٢) . وقد تكون هذه الصور رسوم رجال فقط أو نساء فقط أو لهم معا أو لأشخاص مع حيوانات وطيور ^(٢) .

(١) المصدر السابق لوحة ٥ .

(٢) نفس المصدر لوحة ٨ .

ووجوه الأشخاص من النوع المستدير المسمى بالوجه القمري وقد رسمت كاملة أى مواجهة أو ثلاثة أرباعها ، ولا نجد الوجه الجانبي إلا فى صورتين (شكل ١٢ ، ١٥) ونلاحظ فى الوجوه تأثيراً مغولياً فى رسم العين الضيقة المائلة وقد رسمت اللحية والشوارب مرتبة غير مشعثة .

والملايس هى الجلباب الذى قد يكون طويلاً فيصل إلى القدم تقريباً أو أقصر من ذلك فيصل إلى ما تحت الركبة بقليل ، وفى هذه الحالة يظهر فى بعض الصور السروال الطويل الضيق الفتحة عند الرجال (شكل ١٥) وواسعاً عند النساء (شكل ٢٠) وبعض الأشخاص ، كحارس الزرافة ، له كم قصير وذيل قصير أيضاً يصل إلى الركبة . ونجد طرازاً حول الأذرع كما نجد إطاراً عند ذيل الرداء الذى قد تكون أكمامه واسعة أو ضيقة ؛ وبعض النساء ملحقه .

وأغطية الرؤوس التيجان أو العمام أو الفلانس ، وقد يكون للعمامة ذؤابة . ونجد حول رؤوس بعض الأشخاص هالات مستديرة (شكل ٨ ، ١٨ ، ٢٠) ولا نجد إلا تاجاً واحداً وهو على رأس الشخص الجالس على عرش محمول على أسدين على الأسلوب الساسانى (شكل ١٦) ويمسك هذا الشخص فى يده اليمنى سيفاً ، ومع كل من التابعين سيف وفى يد أحدهما قوس ومع الآخر بلطة ، وكذلك نجد سيفاً فى منظر البلاط الآخر (شكل ١٧) مع الشخص الجالس على الوسادة ومع التابع الواقف أمامه ، أما الواقف خلفه فله حربة قصيرة . وكذلك يحمل الشيخ فى شكل ١٩ سيفاً فى حين يمسك التابع خلفه ما يشبه العصا المقوسة الطرف ، أما أغطية رؤوس السيدات فتتبدل معصوب وطرحة ، وأغلب الأشخاص يلبسون أحذية إلا فيما ندر .

وطيات الملايس هنا على نوعين ، نوع زخرفى بحث لا يمت إلى الطيات الطبيعية بسبب ويرسم بطريقة معينة يظهر بواسطتها الرداء مقسماً إلى أقسام هندسية أقرب ما تكون إلى الشكل المربع أو المستطيل ، ضلعاه الرأسانيان مستقيمان إلى حد ما والأفقانيان متموجان ، وهذه الطريقة فى رسم الطيات

من أهم مميزات مجموعة المخطوطات التي تنسب إلى المدرسة المملوكية . ويذهب الأستاذ جرای إلى أن مصدر هذه الطيات هي مدرسة الموصل ، ولكننا نرى بدايتها في صور مخطوطة مقامات الحريري المبة بنسخة شيفر من عمل يحيى الواسطي عام ٦٣٥ هـ - ١٢٣٧ م^(١) ، كما نجد لها في نسخة أخرى من هذه المخطوطة أيضا في المكتبة الأهلية بباريس^(٢) . أما الطريقة الأخرى الطبيعية إلى حد ما (شكل ٢٠) .

وبعض الملابس منخرفة برسوم نباتية عبارة عن أفرع وأوراق نباتية أو أنصاف أوراق وهي طبيعية متقنة الرسم ، ونجد ما يشابه هذه الزخارف في الأثاث كظهر الكرسي - الجالس عليه (الأمير - أو الملك) في شكل ١٦ وفي بعض العمارات^(٣) ، وفي زخرفة الأرض ، كما في شكل ٨ حول الفسقية . وكذلك قطع المنسوجات التي تغطي ظهور الحيوانات^(٤) ونلاحظ مع هذه الزخارف ما يشابه رسم السحاب الصيني في شكل ١٢ ، وبعض ملابس الأشخاص منخرفة برسوم هندسية داخلها عنصر زخرفي يشبه حرف S الإفريقي (شكل ١٦) .

وقد عبر الفنان عن العاز في رسومه بواسطة عقود محمولة على أعمدة ، وبثقافات بعض هذه العقود منخرفة برسوم مختلفة من العناصر النباتية أو الهندسية ، وتعدى منها أحيانا بعض الستائر المزخرفة بالرسوم النباتية المتقنة (شكل ١٩) .

والملاحظ أن الفنان لم يحافظ على النسبة بين الأشخاص بعضهم وبعض فنجد رسم الجالسين منهم بمقياس أكبر من مقياس الواقفين لدرجة أنهم يصلون إلى ارتفاع واحد (شكل ١٧) كما أنه عمد إلى اقتباس الأسلوب القديم للتعبير فنجد أيدي مدودة وأصابع موضوعة في القم (شكل ١٨ ، ٢٠) . ونجد بعض الشبه بين مخطوطة الحيوان هذه ومخطوطتين لمقامات الحريري ، الأولى محفوظة في المكتبة الأهلية بشينا وتاريخها ٥٧٣٤ هـ - ١٣٣٤ م

Corbin : Les Arts de l'Iran pl 9. (١)

Corbin : op cit. pl 9. (٢)

أنظر لوحة ٨ من مقال الأستاذ لام السابق الذكر في مجلة جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ (٣)

المصدر السابق لوحة ٢٣ (٤)

والأخرى في المكتبة البودلية بأكسفورد وتاريخها ٥٧٣٨ هـ — ١٣٣٤ م ،
 ووجه الشبه هنا في طريقة رسم الطيات وفي ظهور التأثير المغولي في رسم
 العين^(١١) ، غير أن سحن الأشخاص في مخطوطتي مقامات الحريري سلجوقية
 أكثر منها في مخطوطة الحيوان .

وأكثر ما يكون التشابه بين مخطوطة الحيوان ومخطوطات كلية ودمنة :
 في باريس بالمكتبة الأهلية رقم ٣٤٦٧ وميونيخ رقم ٦١٦ والمكتبة البودلية
 بأكسفورد رقم ٤٠٠ وهي من عمل محمد بن أحمد عام ٧٧٥ هـ — ١٣٥٤ م ،
 وكذلك تشابه مخطوطة منافع الحيوان المخطوطة بالإسكوريال رقم ٨٩٨
 من عمل علي بن محمد الموصلي عام ٧٥٥ هـ — ١٣٥٤ م .

وتشابه مع مخطوطات كلية ودمنة في طريقة التعبير عن الأرض بذلك
 الشريط النباتي من الأوراق المتراسة^(١٢) وفي رسم شجرتين على جانبي المنظر^(١٣)
 ورسم الماء^(١٤) والصخور^(١٥) ورسوم الحيوانات^(١٦) ورسوم الأشخاص
 سحنًا وملابسًا^(١٧) غير أننا نلاحظ أن عيون الأشخاص في مخطوطة الحيوان
 أكثر سعة من عيون الأشخاص في المخطوطات الأخرى ، وكذلك نلاحظ
 التشابه في رسوم الطيات^(١٨) وفي الزخارف النباتية الطبيعية^(١٩) .

أما وجه الشبه بين كل من مخطوطة الحيوان بميلان ومنافع الحيوان بالإسكوريال
 فنجده في طريقة رسم الطيات^(٢٠) ورسم الماء^(٢١) والشريط النباتي^(٢٢)

Gluck and Diez : Die Kunst des Islam fig. 502. Kühnel : Islamische Miniatur-
 malerei Pl. 17. Arnold : Painting in Islam Pl. 12.

Blochet : Musulman Painting Pl. 23, Sakisian : La Miniature Persane Pl. 12 (٢)
 fig. 11; Binyon, Wilkinson and Gray : Persian Miniature Painting Pls. 4, 27 ; Schulz :
 Die persischislamische Miniaturmalerei Pl. 10.

Blochet : ibid ; Sakisian : ibid ; Schulz : ibid, Binyon, Wilkinson and (١)
 Gray : ibid ; Blochet, op. cit. fig. 21.

Blochet : op. cit. Pl. 18. (٥)

Sakisian : op. cit. Pl. 12; Schulz : op. cit. Pl. 10; Binyon, Wilkinson and Gray : (٦)
 op. cit. Pl. 3.

Blochet : op. cit. Pls. 8, 9; Schulz : op. cit. Pl. 11; Corbin : op. cit. fig. 12. (٧)

Blochet : op. cit. Pls. 8, 9, 22; Corbin : op. cit. fig. 12 ; Kühnel : op. cit. Pl. 13 (٨)

Blochet : op. cit. Pl. 9 ; Corbin : op. cit. fig. 12 ; Schulz : op. cit. Pl. 11; Kühnel : (٩)
 op. cit. Pl. 13.

De Lorey : Le Bestiaire de l'Escorial figs. 1, 2 (Gazette des Beaux Arts, (١٠)
 Decembre 1935)

(١١) ورقة ١١٨

De Lorey : op. cit. fig. 1. .

(١٢)

ولهذا كله تعد مخطوطة الحيوان بميلان معاصرة لهذه المخطوطات (ماعداء
نسختي مقامات الحريري) ويقع تاريخها جميعاً حوالى منتصف القرن ٨ / ١٤ م
كما يدلنا على ذلك التشابه الدقيق بين المخطوطات غير المؤرخة من هذه المجموعة
ومخطوطتي كلية ودمنة ومنافع الحيوان المؤرخة السابقة الذكر .

وإذا أردنا تاريخاً أدق لمخطوطة الحيوان جعلناها معاصرة لمخطوطة كلية
ودمنة بميونخ رقم ٦١٦ لظهور الطيات الطييرية بكل منهما ، ولقد سبق أن أرخنا
مخطوطة كلية ودمنة هذه في مناسبة أخرى بين ٧٥٤ — ٧٥٩ م
١٣٥٥ — ١٣٦٠ م .

أما عن المركز الفنى لهذه المخطوطات أو لهذه المدرسة المملوكية بمعنى آخر
والذى قد يكون فى الموصل أو الشام^(١) أو القاهرة ، أو هى معاً ، فنترك
أمر تعيينه إلى فرصة أخرى لحين الفراغ من دراسة باقى المخطوطات التى تنسب
إلى هذه المدرسة .

العقليون والتجريبيون

في فلسفة الأخلاق

للدكتور توفيق الطويل

كانت مشاكل الأخلاق مثار جدل بين الباحثين من قديم الزمان ، وقد وضحت مذاهبهم فيها إبان العصر الحديث ، وانصبت على كثرتها في اتجاهين واضحتي المعالم هما : اتجاه العقليين أو دعاة الفطرة (١) ، واتجاه التجريبيين أو أتباع الاستقراء (٢) ، وعن أولها صدرت مذاهب الجدسين والمثاليين (٣) في مختلف صورهما ، وعن الثاني صدرت مذاهب المنفعة العامة والتطور ، والمذهب العملي والمذهب الوضعي كما يبدو عند المدرسة الاجتماعية الفرنسية ، ومذهب الوضعية المنطقية المعاصرة (٤) . ولعلنا نريد أن نستقصي وجوه الخلاف في وجهات النظر الأخلاقية عند أتباع هذين الاتجاهين السابق الذكر ، وحسبنا أن نعرض لأظهر صورهما كما تبدو في كبرى مشاكل الأخلاق ، وأن نعقب بمناقشتها عسى أن تلقى المناقشة بعض الضوء على ما تنطوي عليه من حق أو باطل .

الملاحظ أن مرجع الخلاف بين المعسكرين السابقين إلى موقفهما من نظرية المعرفة (Epistemology) فمن الخير أن نقف عند هذا الخلاف قليلا : رأي أصحاب المذهب العقلي (٥) أن المعرفة لا تكون يقينية إلا متى صدرت

(١) Apriorism, Rationalism.

(٢) Empiricism, Inductive School.

(٣) Intuitionism and Idealism.

(٤) Utilitarianism, Evolutionism, Pragmatism, Logical Positivism على التوالي .

(٥) Rationalism يطلق اللفظ على اتجاهين ، وهو في المعرفة يقابل للمذهب

التجريبي والمسي Empiricism & Sensualism وفي اللاهوت والحياة المادية يقابل لمذهب القول بخوارق العبادات Irrationalism or Super-naturalism ، ولهذا يؤثر البعض أن يسمى

المذهب العقلي في الاخلاق خاصة Intellectualism .

عن العقل دون التجربة الحسية ، والعقل عندهم قوة فطرية يشترك فيها الناس جميعاً ، وهو المصدر الوحيد لأعم صفتين تمتاز بهما المعرفة اليقينية هما الضرورة والصدق المطلق ، وهما الشاهد العدل على أن قضايا المعرفة الصادقة أولية بديهية ^(١) ، وبينما يغالى العقليون في قيمة الاستدلالات التي تقوم على قوانين العقل العامة ، يغالى الحدسيون منهم في أهمية الحدس الذي يدرك الحقائق البسيطة إدراكاً مباشراً دفعة واحدة ومن غير مقدمات ، وإن كان يتأثر كثيراً بالشعور الوجداني والغريزة ، ولا يرقى إلى درجة العقل والتجريد ^(٢) .

والإنسان — عند العقلين عامة — لا يتلقى من الخارج علماً يقينياً ، لأن التجربة عندهم لا تزودنا بأكثر من معلومات مفرقة لا ترقى بإجتاع بعضها إلى بعض حتى تبلغ مرتبة العلم اليقيني الذي ينشده العقليون .

أما أصحاب المذهب التجريبي — في شتى صوره — فانهم يضيّقون بهؤلاء العقلين الذين يغمضون أعينهم ويسدون آذانهم ويستبعدون كل معرفة يقينية تجيء عن طريق الحدس ، وقد أنكروا في غير تردد وجود فكرة في العقل لم تصل إليه عن طريق الحدس ، ورفضوا كل معرفة يقال إنها أولية بديهية قليلة سابقة على التجربة ، واستبعدوا نهائياً قول العقلين بوجود حقائق ثابتة دائمة ، أو قوانين مطلقة عامة لا يحدّها زمان ولا مكان .

ويتمد المذهب الاستمولوجي عند المعسكرين السابقين الذكر حتى يشمل نطاق الأخلاق ، فيرى العقليون أن الأحكام اليقينية مردها إلى العقل دون التجربة الحسية ، والحير عندهم « ضرورة عقلية » بقضيتها العقل ، وإدراكه حدسي يشبه إدراك العقل للأوليات الرياضية axioms ، وهي عند القائلين بها واضحة بذاتها (Self-evident) وصادقة بالضرورة ، ومن ثم كانت في غير حاجة إلى برهان أو تأييد ، فالعقل يدركها بطبيعته ويستنبط منها بالاستدلال القياسي نتائجها التي تلزم عنها ، كما هو الحال في الأوليات الرياضية .

Kul-e, Introduction to Philosophy 1907 p. 181.

Wulf. Recent & Contemporary Philosophy (in Outline of Modern Knowledge) (٢)

p. 546.

ترجم هذين المدرسين الدكتور أ. ج. د. لاغني بك تحت عنوان « الدخول إلى الفلسفة ، ١٩١٢ وفلسفة المحدثين والمعاصرين ، ١٩٣٦ » .

ويعضى العقليون في موقفهم الذى نشأ عن مذهبهم الاستمولوجى فيقولون بأن الانسان يولد مزوداً بقواعد عملية خلقية لا تجيئه اكتساباً ، وهذه القواعد ثابتة داعة مطلقة من حيث إنها عامة فى الناس جميعاً لا يحدھا زمان ولا مكان .

أما التجريبيون الذين رفضوا التسليم بأى نوع من العلم لا يستنى من التجربة ، فقد بسطوا مذهبهم حتى شمل مجال الأخلاق ، فرفضوا القول بوجود مبادئ فطرية مطلقة عامة فى الناس ، وراوا أن الأحكام الخلقية مجرد اصطلاح تعارف عليه مجموعة من الناس يقيمون فى مكان معين وزمان محدد ، ومن ثم كان الحكم الخلقى تقريراً لواقع يمكن التثبت منه بالمشاهدة والتجربة ، واختلاف الناس فى أمر هذه الأحكام الخلقية باختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال أعدل شاهد على تهافت القول بفطريتها وعموميتها ، وأصدق دليل على انتفاء الحقائق الخلقية الناتجة المطلقة التى يزعمها العقليون ، فإذا كانت الأحكام الخلقية عند العقليين قبسيلة ، أى تقوم فى النفس بطبيعتها سابقة على كل تجربة ، فهى عند التجريبيين مجرد تعميمات يبيحها الانسان لنفسه بعد خبرة وتجربة (*a posteriori*) .

ومنذ أيام سقراط والعقلون يرون أن المنهج الذى يتبع فى التوصل إلى قوانين الرياضه — وهو منهج الاستنباط *Deductive method* — يمكن استخدامه فى وضع قواعد الأخلاق ، والحتمية للمحوظة فى قواعد الأخلاق تشبه الحتمية التى تراها فى قوانين العلم ، وهى إلزام مزده إلى العقل لا إلى الحس ، وقد شجهم على اصطناع هذا المنهج أن الدقة أخص ما يميز العلوم الرياضيه ، وأن اليقين الذى يتوافر فيها أصدق أنواع اليقين وأوطأها ، ومن هنا كان انجاء الكثيرين إلى إخضاع علم الأخلاق أو غيره من العلوم الانسانية لمنهج العلوم الرياضيه ، عسأم يتوصلون بهذا إلى مثل اليقين الرياضى دقة وضبطاً .

وهكذا اتخذ منهج الاستنباط أساساً لمباحث الأخلاق عند العقليين ، وهو منهج يقوم على مسلمات ^(١) واضحة بذاتها وصادقة بالضرورة ، تدرك بالحدس من غير استدلال قياسي أو تجربة حسية ، ومن هذه المسلمات يتوصل الباحث إلى نظرياته ، وينتهي هذا المنهج بالعقليين إلى وضع قواعد عامة مطلقة تصدق في كل زمان ومكان .

ويضيق التجريبيون بهذا المنهج الاستنباطي ، ويرون أن المنهج الذي يتبع في دراسة الأخلاق — إن شئنا أن نجعلها علماً (Science) — لا يمكن إلا أن يكون منهجاً استقرائياً خالصاً (Inductive) ، وهو منهج يقر التجربة الحسية ويبتكر هذا الحدس الذي يبلغ الحدسيون في اختياره أساساً لمذهبهم الاستقرائي في الأخلاق معاً ، ولا يطمح إلى منهج الاستنباط العقلي لأنه يرفض المسلمات جملة وتفصيلاً ، ولا يلتفت باليقين إلى القوانين العامة لأنها مجرد احتمالات أو ترجيحات ، لا شيء سوى ذلك .

ويرفض التجريبيون اصطناع المنهج الاستنباطي في الأخلاق ، لأن النتائج فيه لا تقاس بالواقع ، بل تعد تنافياً معه ، لأنها تستنبط من مقدمات مسلمات لا يتوصل إليها الباحث بالاستقراء ، ولم يثبت من صحتها بالملاحظة والتجربة ، بل أدركها بما يسميه العقليون بالحدس ، افترض صحتها مجرد افتراض ، ويسوق ليفي برون (Lévy Bruhl) أحد زعماء المدرسة الاجتماعية الفرنسية أمثلة يوضح بها نوع المصادرات التي يعتمد عليها العقليون ، ويأخذ في مناقشتها ليبان وجه التباين فيها وضرورة الالتجاء إلى منهج الاستقراء ، فيقول أن افتقار علم الأخلاق إلى معرفة عليية يبدأ بها بمحتمل لم يقق قط — عند العقليين — عن تكوين مبادئ وقواعده ، فهو يستلم مبدئياً بأنه يعرف كل ما يحتاج إلى معرفته بصدد الإنسان أو المجتمع ، ومن هنا

(١) تشمل الأوليات (البديهيات) axioms والمصادرات Postulates والأولى قضايا واضحة بذاتها ومن ثم لا تحتاج إلى برهان ، وهي مستفاد من علم سابق ، تعلما على العلم الذي يأخذ بها ، أما المصادرات فتتميز بأنها فروض يخمن علماً ما ، وتكون أيضاً واضحة بذاتها ولا تحتاج إلى برهان — قارن Calderwood & Fleming's Vocabulary of Philosophy art. Axiom & Postulate

كان استغناؤه عن منهج العلوم الطبيعية والدراسة الدقيقة التي تنصب على ما هو كائن ، فهو يفترض منذ بداية الأمر مصادرات (*Pré-judices*) يضعها أساساً لمباحثه ويستنبط منها نتائج تعبر عن نظرياته ، وأول هذه المصادرات يقرر أن الطبيعة البشرية واحدة في كل زمان ومكان ، فيبيح هذا لنفسه أن يضع قواعد للسلوك الانساني بما هو كذلك ، دون نظر إلى اختلاف هذا السلوك باختلاف المكان أو الزمان ، وما من مذهب من مذاهب الأخلاق النظرية إلا افترض هذه المصادرة أساساً له ، بل يذهب « كانت » إلى أبعد من هذا فيشرع للكائنات المفكرة الحرة ، وليس الجنس البشرى إلا جزءاً ضئيلاً من عالم تلك الكائنات ! بل حتى فلسفة الوجدانيين ودعاة المصلحة في الأخلاق — وإن كانت أكثر من هذا تواضعاً — فانها تنزع بدورها هذا النزوع في تصور الطبيعة البشرية بريئة من كل قيد يربطها بهصر أو بيئة ، إنها في نظر هؤلاء الفلاسفة ثابتة لا تتغير أبداً ، ومعرفتها لا تتطلب دراسة علمية ، وإلى هذا كان اتجاه الفلسفة الخلقية منذ عهد اليونان .

والمصادرة الثانية التي يفترض العقليون صحتها من غير بحث ولا تدليل ، ومنها يستنبطون نتائج لها خطرهما في الأخلاق ، هي أن الضمير شيء مطلق وأن في الامكان أن نبرر بالمنطق أو امره وإملاءاته ^(١) .

وقد كان الضمير من أظهر وجوه الخلاف بين التجريبيين والعقليين ، فالضمير الذي يعتبر مصدر الأحكام الخلقية — سواء أصدرت على أفعالنا أم أفعال غيرنا — هو في نظر العقليين قوة فطرية لا تعرف بغير الحدس ، أما التجريبيون فقد ردوه إلى التجربة أو إلى عملية تطور تدريجي ، ورأوا أن الأخلاقية مردها إلى سلطات خارجية ، بينما أرجع العقليون الأخلاقية إلى سلطة ذاتية — هي الضمير أو ما يدخل في معناه ، ذلك لأن العقليين يرون أن ما في القوانين الخلقية من قوة ملزمة بالعمل ، وما في الأحكام الخلقية العامة من صدق مطلق يضطرنا إلى اعتباره شيئاً فطرياً صادراً عن

Lévy Bruhl, *La Morale et la Science des mœurs*; Eng. trans. by E. Lee, *Ethics* (1) & *Moral Science* ch. 3 p. 53 ff.

الذات أو على الأقل نتيجة لازمة عن العقل العملي ، وقد أيد هذا المذهب ديكارت وليبنز وأفلاطونيوكامبريدج وغيرهم .

أما التجريبيون فلا يقرون بفطرية أفكار في العقل البشري ، ولا يسمون بوجود معرفة أو قواعد عملية أولية ، ولهذا رد دارون في كتابه «تسلسل الانسان» (Descent of Man) نشأة الضمير إلى ثلاثة عوامل :

أولها الغريزة الاجتماعية التي فطر عليها الإنسان والحيوان معاً .
وثانيها القدرة على مقارنة الحاضر بالماضي وعلى جمع التجارب السابقة والانتفاع بها ، وهي قدرة تنمو في الحيوان بنمو رقبته في سلم التطور .
وثالثها تكوين العادة التي ينظم بها الإنسان كل وجوه نشاطه العضوي وميوله .

ويضيف إلى هذه العوامل الانتخاب الطبيعي وتأثير المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان في تشكيل حياته الخلقية من حيث تحريمه أفعالا وإباحته أخرى (١) .

أما كيف يتحول فري في معرض ازده على العقليين الذين يزولون الضمير مطلقاً أن علم الاجتماع يشهد بأن الضمير نعمة الزمان وابن التجارب ، وأن مبادئه وليدة مجموعة من الخبرات والعادات تتفاوت في نشأتها كل التفاوت .

وترتب على اختلاف العقليين والتجريبيين في المجال الاستعمولوجي ، أن اختلفت وجهات نظرم بصدد موضوعية الأحكام الخلقية وذاتيتها (objectivity and Subjectivity) فالعقليون يزولون أن الطبيعة البشرية واحدة ومن ثم تبصر وضع مبادئ أخلاقية ناجمة لا تتغير ، وأنكر التجريبيون لهذا الرأي ، واختلفت وجهات نظرم بصدد هذه الأحكام ، ولكنهم على اتفاق بشأن نسبيتها (relativity) وصُدورها عن الذات ، إذ يرى بعض أتباع النزعة الذاتية في الأخلاق أن أحكامها خاطئة ، وقد يقولون إنها حقيقية ولكنها في رأيهم لا تفسر شيئاً أكثر من التعبير عن وجدانات معينة (feelings) يشعر بها صاحب هذه الأحكام ، فأضافة الخيرية إلى فعل

إنساني معناه في رأيهم أن صاحب هذا الحكم «يميل» إلى اعتبار هذا الفعل خيراً ، ومن أصحاب النزعة الذاتية من غلا حتى أنكر أن تكون هذه الأحكام التوجيهية أحكاماً ، فهي عنده أوامر (imperatives, commands) أو مجرد رغبات وتمنيات (wishes) ، بل رأى بعضهم أنها مجرد صياح أو صراخ (exclamation) يعبر عن انفعال (emotion) فهي تشبه في نظره قولنا : واحمر ناء ! إنك لا تقرر بها شيئاً أكثر من أنك في محنة !^(١)

فرد النزعة الذاتية في الأخلاق إلى القول بأن أحكامها التوجيهية تدور حول ميول الفرد وحالته النفسية ، ولا تقرر حقيقة موضوعية ، أو إلى أنها أحكام خاطئة ، أو أننا لانجد ما يبرر الظن بأنها صادقة ، أو أنها ليست في الواقع أحكاماً وإنما هي أوامر أو تمنيات أو تعبير عن انفعالات !^(٢) . وسنعود إلى بيان هذا ومناقشته عند ما نعرض للحديث عن موقف الوضعية المنطقية المعاصرة ، وهي أحدث صورة من صور المذهب التجريبي .

ومن أظهر وجوه الخلاف الجوهرى بين العقليين والتجريبيين موقف كلهما من أخلاقية الفعل الإرادى ونظرتهما إلى البواعث التي تؤدي إليه ، والنتائج التي تترتب عليه ، ومدى أهمية هذين العاملين — البواعث والنتائج — عند إصدار حكم أخلاقى .

تزد أخلاقية الفعل إلى سلطة تقوم خارج الذات ، هي الدولة أو الحاكم — فيما يقول توماس هوبز وكيرشمان Kirchmann — وهي الله وأوامره — فيما يقول متأخرو علماء اللاهوت من أمثال ديزسكوت ووليام أو كام في الغرب ، ثم أهل السلف في الإسلام — وهي عرف الجماعة وتقاليدها — فيما يقول أتباع المدرسة الاجتماعية من الوضعيين ، أما العقليون عامة والحديسون منهم بوجه خاص فيردون أخلاقية الفعل إلى طبيعته ، يقول كدويرث ١٦٨٨ Cudworth أحد أعلام أفلاطونى كامبردج في رده على هوبز ممثل المدرسة التجريبية — الاستقرائية — إن الفرق بين الخير والشر يبدو قائماً في طبيعة

(١) A. C. Ewing, Definition of Good 1947 p. 10 والاشارة هنا إلى أتباع

الوضعية المنطقية .

ibid p 2. (٢)

الأشياء واضحة منذ الأبد مطلقا غير مرهون بظروف أو أحوال ، فلا تقوى على تغييره قوانين الانسان التعسفية — التي يزعمها أمثال هوبز — أو حتى إرادة الله — التي يقول بها رجال اللاهوت (١) — إن الفروق التي تفصل بين الخير والشر حقيقة موضوعية مستقلة عن كل إرادة إنسانية أو إلهية ، وإدراك العقل لهذه الحقيقة لا يقل عن إدراكه لعلاقات المكان والعدد ، إن الخير خير لأن في طبيعة الفعل الخير ما يجعله خيرا ، وليس في وسع الله أن يجعله شرا ، كما أنه لا يستطيع أن يجعل الشكل الذي ليست له ثلاث زوايا مثلثا ، ولستأ نذكر الفروق الناتجة الجوهرية بين الخير والشر بحواسنا بل بعقلنا المحض . . . إلى آخر ما يراه . كيدويرث . ومن جرى مجراه من العقليين (٢) ، وهو رأي قريب من رأي المعتزلة في الاسلام — في ردِّهم على أهل السلف بقولهم إن في الفعل الخير صفات ذاتية تجعله خيرا وفي الشر خصائص ذاتية تجعله شرا ، والله بأمر بالشئ لأنه في ذاته حسن ، وينهى عن الشئ لأنه في ذاته قبيح ، وليس أمر الله هو الذي جعل الخير خيرا ولا نهيه هو الذي جعل الشر شرا (٣) . ولا شك أن المعتزلة كانوا في هذا — وفي الكثير من نواحي مذهبهم — من العقليين .

أما عن البواعث والنتائج وموقف كل من العقليين والتجريبين من مدى أهمية كل منهما في تحديد الحكم الخلقى ، فقد كان الاختلاف بينهما في هذا الصدد جوهريا ، وقبل أن تعرضه نقول إن الأخلاقيين عامة قد اختلفوا في فهمهم لمعنى الباعث Motive والمقصد intention والغرض purpose والغاية end والنتيجة consequence ونحوها من ألفاظ لا نستطيع أن نحدد موقف المسكرين السالفي الذكر في هذا الصدد قبل تحديد ما نقصده بهذه الألفاظ ، ولستأ نريد أن نطيل في ذلك مخافة أن نخرجنا هذا عن صلب البحث ، فحسبنا أن نقول إن فلاسفة الأخلاق على خلاف بين بصدد علاقة

(١) قارن W. L. Collins في كتابه Butler, p. 31-34 .
(٢) H. Sidguick, History of Ethics p. 170 & other pages .

(٣) قارن أحمد بك أمين في لجر الاسلام ص ٢٤٩ — ٣٥٠ ومضى الاسلام ج ٣ ص ١٧ — ١٨ و ٧١ طبعه (أولى) ١٩٣٦

الباعث بالغاية والمقصد والغرض ، ومعنى كل منها^(١) ، وسنحدث عن الباعث على الفعل الإرادى باعتباره مساوياً شاملاً لغاية منه ، وهذا رأى ذهب إليه أرسطو قديماً وأكدّه جون نيبوى^(٢) وكهـ^(٣) ، وجونستون^(٤) وغيرهم من الباحثين حديثاً .

إذا أخذنا هذه الوجهة من النظر قلنا إن العقليين رأوا أن يقيموا الحكم الخلقى على الفعل الإرادى على أساس تقديرهم للبواعث motives التى تؤدى إليه ، فالتية resolution هى التى تحدد خيرية الفعل أو شرته ، فإذا اتجهت النية إلى الخير — مع إمكان اختيار الشر بارادة جرة كان الفعل خيراً ، وإذا اتجهت النية إلى الشر — مع إمكان اختيار الخير بارادة جرة كان الفعل شراً^(٥) ، ففرد الحكم بالخيرية أو الشرية إلى اتجاه النية دون نظر إلى الإرادة أو إلى نتائج الفعل ، وصواب الأفعال أو خطؤها مرجعه من الناحية الأخلاقية إلى الباعث الذى يتضمن شعور الفاعل بالرغبة فى عمل الخير ، والغاية التى يريد تحقيقها بفعله ، ولا عبرة بعد هذا بالنتائج التى تنجم عن الفعل بعد تحقيقه .

أما التجريبون بوجه عام فيميلون أمر البواعث على الأفعال الإنسانية عند إصدار الحكم الخلقى^(٦) ، يصرح جون ستورت مل Mill بأن أشياع المذهب النفى — وهو صورة من صور المذهب التجريبى — لا يشترطون فى الفعل الخلقى أن يصدر عن الشعور بالواجب ، فإن الباعث مهما كان لونه لا يغير من قيمة الفعل الخلقى ، إن مذهبهم لا يعنى بالباعث متى حقق الفعل واجبا أى متى عاد بأكبر قسط من السعادة على أكبر عدد من الناس ، ولا يذلل

(١) فى تحديد هذه الحدود والخلاف بين ماينها أنظر Muirhead, Elements of Ethics, 1904 ص ١٠ وغيرهما ثم Mackenzie, Manual of Ethics, 1897 ص ١٦٦ و١٦٧ وغيرهما
(٢) فى Introduction to Philos. ص ٣٧١ — ٣ فى معنى الباعث .

(٣) J. Dewy, Outline of Ethics p. 9

(٤) Külpe p. 214-15.

(٥) Johnston, An Introduction to Ethics 1915 p. 143.

(٦) Külpe p. 158.

(٧) J. Weston, Groundwork of Ethics. ص ١١٠ — ١١١

للبايع بعد هذا في أخلاقية الفعل وتحديد خيرته أو شرته ^(١) ، وإن كان له دخل في تقديرنا لصاحب هذا الفعل .

والعقليون على خلاف في هذا الصدد مع النفعيين ومن ذهب مذهبهم من التجريبيين ^(٢) ، فليس يكنى عند « كانت » مثلا أن يجيء الفعل الخلقى مطابقا للواجب ، أى متفقا في نتائجه مع مبدأ الواجب ، بل يتحتم في رأيه أن يجيء هذا الفعل طبقا للواجب ، أى ببايع منه ، وليس بهم بعد ذلك أن تكون نتائجه نافعة أو ضارة ، لاذة أو مؤلة .

هكذا فلاحظ : أن اعتبار نيات لا يدخل عند النفعيين وغيرهم من التجريبيين في تقييم الأفعال الانسانية ، وإن كان له أثر في تقدير أفعالها ، فإن هناك أفعالا ضاربة قد تصدر عن نيات شريرة ، وأفعالا خاطئة قد تصدر عن نيات خيرة ، فلا تؤثر النية في قيام الحكم الخلقى ، إن العبرة عندنا بتتبع الأفعال من حيث تقع الجماعة أو ضررها ، والذلة أو الألم الذى تصيبه ، وقد ينبغ المذهب النفعى أن يخرج الإنسان على قواعد القانون متى كان في خروجه تحقيق منفعة تكبر المنفعة التى تتحقق باتباع هذه القواعد ، ويشترط ألا يتسبب عن عصيان القانون إضرار للآخرين . فيما يقول « مل » نفسه :

وموقف النفعيين وغيرهم من التجريبيين من مشكلة البواعث والنتائج وأثرها في إقامة الحكم ، يذكرنا بموقف رجال القانون الوضعى ، إن أحكام القضاء تقوم على تقدير النتائج وإغفال النظر إلى البواعث ، لا تأثير للبواعث على تكوين الجريمة قانونا ، فالقوضوى الذى يلقي قبلة في جمع ليلقت النظر إلى مبدئه من غير أن يقصد إلى قتل أحد من الناس ، يعتبر في نظر القانون قاتلا إن تسبب في قتل أحد من الحاضرين ^(٣) ، وإن كان للقاضى أن يجعل من الباعث عاملا في تقدير العقوبة ، ولكن لا عبرة للبايع في المسؤولية .

J. S. Mill, Utilitarianism ch. II & Autobiography ch. II p. 50 ff. & Muirhead, (١)
Elements of Ethics p. 58.

Cf. Butler's Dissertation II p. 336.

(٢) أحمد صفوت بك : شرح القانون الجنائى (القسم العام) ص ١٦٨ و ١٦٩



(شكل ٢) خمي يصيد طيوراً



(شكل ١) ب: كلاب



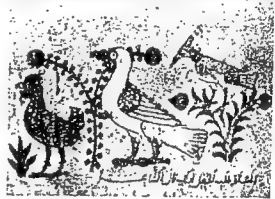
(شكل ٤)

(أ) السمع ولد الذئب من الضبعة
(ب) ديسم ولد الذئب من السكابة



(شكل ٣)

نماعة محتضن بيضها



(شکل ۵)

(۱) ارنب (ب) دیک و نر و هدهد



(شکل ۶) عنز



(شکل ۷)

(۱) دیک و فرخه (ب) قط و نمب

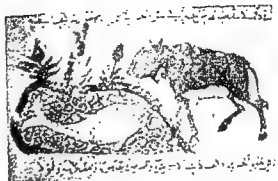


(شکل ۸)

أم جعفر بنت النعمان ویرکة سکه



(شكل ١٠)
(١) ديك (ب) تمساح و طائر ينقر لسانه



(شكل ٩)
(١) حيوان ومك (ب) آملاك



(شكل ١٢) زراعة وسانها



(شكل ١١) ديك



(شکل ۱۳)
(۱) کلاب تاکل جیغه (ب) آسد یا کل جیغه



(شکل ۱۴)
مقیال تقابل حیات



(شکل ۱۵) خعی یلق سراح طیور



(شکل ۱۶) منظر بلاط : ذو القرنین ؟



(شكل ١٨)
سيدات يتعادين



(شكل ١٧) منظر بلاط
عثمان بن حيان يقرأ كتابا من هشام بن عبد الملك



(شكل ٢٠) محادثة في محاسن الحميان
(أر) طفيان، الجواز، سنان



(شكل ١٩) معاوية ومعه خفي له يدخلان
على ميسون بنت بجدل أم يزيد

ولا أثر له عليها وجوداً وعدماً، وسيان أن يكون شريفاً أو فقيراً، وضاهراً أو خفياً، هذا مبدأ عام في الشرائع التقليدية — كالفانوك الفرنسي والمصري — وإن وردت في نصوص التشريع وأحكام القضاء حالات استثنائية تتوقف فيها المسؤولية على نوع البواعث، ولهذا رأى بعض أنصار المدرسة القديمة مجازاة لتأثر الشعور الشعبي بنوع البواعث الاهتمام بالباعث عند النظر إلى المسؤولية، واقترحوا أن تنظم للجرائم ذات البواعث الشريفة درجات من العقوبات أقرب إلى الرحمة والعطف، إلى جانب درجات العقوبات المقررة للجرائم ذات البواعث الشريرة، وهذا هو نظام القوانين المتوازنة وقد أخذت به بعض الدول.

ولا يقنع أنصار المدرسة الإبطالية بهذا التخفيف في المسؤولية — فيقتربون بذلك من أصحاب المذهب العقلي في الأخلاق — إذ يجعلون من شرف الباعث سبباً لزوال المسؤولية، كالقتل الذي يقع استجابة لمرضاة القتل بدافع من المحبة. وقد أيد هذه النظرية علماء جنائيون، وأخذ بها القانون الترويجي الصادر في عام ١٩٠٢، ومشرقة قانون الاتحاد السوفييتي. ولكن بعض أنصار المذهب التقليدي الحالي قد عارضوا هذه النظرية ورأوا فيها خلطاً بين الجرائم التي تبرر بواعثها التخفيف وبين الأفعال المشروعة التي ترتكب لأداء حق أو واجب، وإنكاراً لوظيفة العقاب في تهديد المجرم وإنذار الغير لاجتناب الأفعال المجرمة، والواقع أن في سلطة القاضي في استعمال الظروف القضائية المخففة في القانون المصري مجالاً فسيحاً لاعتبار البواعث في تقدير العقوبة على المجرم^(١).

وهكذا نرى أن في القانون الوضعي يمثل الاتجاه التجريبي الأخلاق في فهم البواعث وتقدير مدى أثرها في إقامة الحكم، وإن كان من رجال القانون من نزع نزعاً تدنيهم من أصحاب المذهب العقلي في الأخلاق، والواقع أن النظرية التقليدية عند رجال القانون — وهي التي تقتضي إقامة الحكم على نتائج الفعل دون بواعثه — لها ما يبررها، إذ ليس في مقدور رجال

(١) على يدى بك: الأحكام العامة في القانون الجنائي ج ١ ص ٣٤١ — ٣٤٤

العدالة أن يعرفوا حقيقة البواعث على الأفعال الانسانية ، ومن هنا جاء اقتناعهم بالنظر إلى آثارها ونتائجها ، إلى جانب أن القوانين لا تهتم إلا بسلامة المجتمع ، وهي لا تضار بالبواعث شريرة كانت أو خيارة ، أما الأخلاق فانهما تهتم بتصفية النفوس وتطهيرها من الشهوات والزوات ، ومن هنا كان اهتمامها بالبواعث والنيات ، ولما كان إدراك البواعث على وجهها الصحيح غير ميسور إلا لأصحابه ، لجأت الأخلاق التقليدية إلى ضمير الانسان وجعلته مدير الأفعال الانسانية ومرجع الأحكام فيها .

إذا كان المذهب التجريبي في الأخلاق يهتم بنتائج الأفعال وآثارها ، دون البواعث التي أدت إليها ، فقد كان هذا شأن الأحكام التفويضية في الجماعات البدائية ، ومن هنا انصبت الأحكام على الطوائف الأربع التي اتفقت الشرائع الحديثة على إعفائها من المسؤولية ، وهي الجملاد والحيوان والطفل والمجنون ، وكان المقياس عندها هو مصلحة القبيلة ، كما كان المقياس عند رجال القانون مصلحة الجماعة التي وضع القانون لصيانة سلامتها ، وكما كان مقياس الحيرة والشرية عند أتباع المذهب النفعي هو السعادة التي تتحقق لأكبر مجموع من الناس ، في الحق إن قواعد الأخلاق تمثل أسمى مرحلة في تاريخ التطور الروحي ، إن قواعدا إنسانية خالصة ، والالزام فيها باطنى ذاتى وليس خارجيا ، أو هكذا ينبغي أن يكون الحال في فلسفة الأخلاق^(١) .

كان « مويرهيد » Muirhead يقول إن الباعث هو النتيجة القصوى التي يتصورها صاحب الفعل ويريدها ، فمن الممكن أن يقال إن موضوع الحكم الخلقى هو النتائج والآثار إذا كنا نقصد بها النتائج والآثار التي يتصورها صاحب الفعل قبل وقوعه^(٢) ، وأدخلها جونستون Johnston في موضوع الحكم الخلقى^(٣) ، ولكن هذا لا يهون من شأن الخلاف بين البواعث

(١) ولكن بعض الباحثين يزعمون تقدم المذهب « كانت » وغيره أن القانون الخلقى لا يكون ملزما إلا متى صدر عن سلطة عليا خارجية .

(٢) Muirhead p. 62.

(٣) أنظر Johnston ص ١٤٥ ، وإن كان جونستون في الواقع قد أضاف النتائج الواقعة إلى النتائج المتوقعة والباعث بما يتضمن من شعور الفاعل وغيته مآ . وأما Welton في كتابه السالف الذكر ص ١١١ فقد أرجع الحكم الخلقى إلى الباعث والنتيجة مما .

والتأنيج موضوعا للحكم الخلقى ، لأننا نقصد بالتأنيج والآثار فيها سلف من حدينا
ما وقع منها بالفعل ، لا ما نتوقع وقوعه .

وموقف العقليين والتجريبيين من الحكم الخلقى والخلاف القائم بينهما
بصدد البواعث والتأنيج ، قد جرهما الى النزاع حول الجزاءات Sanctions
وعلاقتها بأخلاقية الفعل ، إذ لماذا ينبغي أن نكون أختياراً ؟

مرد الأخلاقية Morality عند جبهة التجريبيين عامة إلى جزاءات
خارجية ، فالتفهمون برون أن السعى لتحقيق السعادة للمجموع تحفزنا إليه
جزاءات خارجية بتراتبنا للخير وسعيها لتحقيقه ، وأما جبهة العقليين
فيرون أن الفضيلة تتضمن في ذاتها ما يبررها وتحمل في باطنها جزاءها ،
فلتقف عند هذا النزاع وقفة قصيرة :

صنف بنتام Bentham مؤسس مدرسة النفعيين هذه الجزاءات
الى أربع : جزاءات بدنية Physical Sanction وسياسية Political or legal
وإحسانية popular, social, و Morality و دينية Religious . يتحمل أولها
فيما يصيب الإنسان من جراء الإفراط في السكر مثلاً ، وثانيها في العقوبة
التي يوجها القانون على من يعصى أوامره ، وثالثها في احتقار المجتمع
وكرهه لخطيئه وإعجابه وامتداحه بالبحسن ، ورابعها في العذاب
الذي ينتظر المسيء في جهنم أو النعم الذي يلقى الخير في الجنة .

ولقطة : جزاء : Sanction مشتقة من اللفظ اللاتيني Sanctio بمعنى
التقييد أو بمعنى الشيء الذي يستخدم للتقييد ، ثم اتخذ اللفظ معنى قانونياً ،
وشمل في رأى البعض الثواب reward والمعاقب معاً (١) ، فمن عاش عفيفاً سلم
جسمه من الأمراض ، ومن احترم قوانين بلاده برئت حياته من المتاعب
وسام في تطور أمته الى الكمال ، ومن اتبع أوامر دينه وانتهى بنواحيه

(١) قسرها Austin في "Province of Jurisprudence Determined" على العقاب ،
لأن القوانين تعاقب ولا تتيب وجعلها لوك Paley و بنتام شاملة للعقاب والثواب وسنها
Rain إلى داخلية وخارجية في كتابه Moral Science ف ٢ — انظر Fowler's Progressive
Morality ص ١ ثم Calderwood ص ٣٠٤

كانت اللجنة متواء ، ومن لزم أوامر العرف واستجاب لتعليمه أصاب احترام الرأي العام وتقديره ^(١) .

وقد سلم « مل » بكل هذه الجزاءات ، ولكنه فطن إلى أنها جميعا جزاءات خارجية ، فأضاف إليها جزاء باطنيا هو جزاء الضمير ، وهو يتمثل في لذات العواطف الخلقية وآلامها ^(٢) ، وقد كان بنتام يرى (في كتابه مبادئ الأخلاق والتشريع ف ٣ فقرة ١١) أن الجزاء الفيزيقي هو كل شيء ، لأن من الممكن أن يقوم وحده مستقلا عن غيره من الجزاءات الثلاثة ، بينما لا تقوم هذه الجزاءات الثلاثة إلا من خلاله ، ولكن الجزاء الباطني الذي قال به « مل » لا يقوم على ظروف بدنية ، لأنه جزاء سيكولوجي أو ذاتي ، وإن كان الضمير عنده يخضع لتأثير البيئة الخارجية .

ولكن سدجويك يروى أن بنتام قد أشار في خطابه إلى (Dumont) إلى ما يسمونه في العادة بالعواطف الأخلاقية واعتبرها جزاءات تعاطف أو مشاركة وجدانية (Sympathetic) أو كراهية للغير (antipathetic) ، ومن ثم يكون بنتام قد سبق مل في القول بالجزاء الباطني ، ولكنه لم يصرح به ولم يشر إليه في كتاباته المنشورة على الناس ، ولعل مرد هذا إلى اختفائه لهذه العواطف ^(٣) .

هذا هو مجمل موقف النفعيين من الجزاءات ^(٤) ، أما الحدسيون فقد ضاقوا بتعليق الخيرية على جزاءات خارجية ، بل لم يستريحوا حتى للجزاء الباطني الذي أضافه مل وأشار إليه بنتام فيما يقال ، فصرحوا بأن ميز الفعل الخلقى يصحتم أن يكون هو ذاته أخلاقيا ، فيختار الخير لذاته بصرف النظر عن النتائج التي تترتب على اختياره ، أو الجزاءات التي تفرى به أو تنفر من عمله ، كما ينبغي أن يتجنب الشر لذاته ، لا لما ينتج من ارتكابه عن عقاب — أي اكان لونه ^(٥) .

Bentham, Principles of Morals & Legislation ch. III, & Cf. also Principles of Legislation Ch. VII. & Sidguick, History of Ethics pp. 240-245 & Johnston, Introduction p. 145-148.

Mill, Utilitarianism ch. III p. 41 ff. (٢)

Sidguick p. 242. ه متى . (٣)

Mackenzie p. 395-96. (٤)

انظر في الجزاءات : Fowler's Progressive Morality ف ١ و ٢ — وقارن

أيضاً Sidguick, Methods of Ethics ف ٥ ك ٢ والفصل الختامي ، ثم Muirhead

١٠١ — ١٠٤

بل لعل العقليين يضيفون حتى بالجزاء الذى تأله الصوفية ، وهو إتيان الخير أو تجنب الشر «حبا» فى الله ، لا طمعا فى نعيمه ولا خوفا من عذابه ، ذلك لأن العقليين يكرهون أن يكون جزاء الفعل خارجيا أو غريبا عن طبيعة الفعل ذاته . إن السلوك الذى يصدر استجابة لجزاءات ، لا يعتبر عند العقليين والحداثيين سلوكا أخلاقيا ، قد باتى مطابقا للسلوك الأخلاقى فى مظهره ونتائجه ، ولكنه لم يصدر عن بواعث أخلاقية ، بالإضافة إلى أنه يهدف إلى غايات لا تمت بصلة إلى الأخلاق ، قد يمشى الرجل عفيفا ليحظى بجزاءات الغنى التى يصيبها العفيف عند الله أو فى نظر الناس ، أو يتقى بعفته عقوبة القانون الموضوعة لمن يتجاوزون حديم فيضرون بغيرهم من الناس ، أو يتفادى بالغنى متاعب الجسم التى تنشأ عن شره النفس والعجز عن ضبط الشهوة ، مثل هذا السلوك لا يرضى عنه العقليون من الأخلاقيين ، إن الرجل عفيف فيما يقول أفلاطون بسبب خوفه من متاعب الشره ، مثله مثل الشجاع الذى يبدو على بئالة لأنه يخاف المتاعب التى تترتب على الجبن ، إن شجاعته حين متعنه ، والالتجاء إلى ما ممتناه «مثل» بالجزاء الباطنى — وهو لذات الضمير الخير والآلم وخزائنه — الإلتجاء إليه كباعث على السلوك الطيب يبدو على شيء من التناقض ، لأن هذه اللذات مرهونة برضاء الضمير ، وهذا بدوره مرهون بحباد السلوك وخلو الباعث عليه من كل لذة شخصية^(١) ، فى موقفه إذن دور منطقي^(٢) .

ولكن إذا كان أصحاب الاتجاه العقلى فى الأخلاق قد هاجموا الجزاءات مبررا لاتباع الخير فلماذا ينبغي أن يكون الإنسان خيرا ؟ إن الحيرية عندهم ليست أداة لاقفاء أذى المجتمع وعقاب القانون وعذاب الدين ومتاعب الجسم ، فالخير يتبع لأنه فى ذاته شيء جميل ومجود ، والسلوك الطيب فى طبيعته ما يمكن تبرير إتيانه ، والأخلاقية تحتوى فى ذاتها جزاءها^(٣) .

وفى ضوء هذا الاتجاه تعرض رأى فيلسوف جديس نحى الأخلاق بعيدة عن الدين بأوامره ونواهيه ، ووعدده ووعيدة ، لأنه كان لا يؤمن

Muirhead p. 103-104. (١)

يراد بالدور المنطقي توقف نغمة على نغمة ثانية تتوقف بدورها على النغمة الأولى . (٢)

Cf. Johnston p. 148-150. (٣)

بالوحي والرسل والكتب المقدسة ، وردّ الأخلاقية إلى ما تتضمنه الفضيلة من جمال تهفو إليه النفس السليمة بطبيعتها ، دون توقع لنواب أو عقاب ، فكان من الأخلاقيين الذين وحدوا بين الخير والجمال ، ذلك هو شافيتسبرى Shaftesbury + ١٧١٣ صاحب مذهب الحاسة الخلقية Moral Sance إذ يقول :

لو وجه إلى هذا السؤال رجل تدل سباه على أنه رجل مذهب : لم أتجنب القذارة وأحرص على أن أكون نظيفاً وأنا بعيد عن الناس ؟ إذن لاقتنبت لأول وهلة بأن صاحب هذا السؤال رجل قذر ، وأن من العسير على أن أجعله يتصور معنى النظافة ، وإن كان هذا لا يمنع من أن أجيب على سؤاله فأقول له : إنى أتجنب القذارة عند ما أخلو إلى نفسى بعيداً عن الناس ، لأن لى أنفا أشم به ، فإذا عاد إلى الجدل بعد هذا وافترض أن تنبى برداً بمعنى من شم الروائح ، أو أنى بطبيعتى كرهه الرائحة ، أجبته قائلاً :

إنى لا أحب أن أرى نفسى أو يرانى الناس قذراً ، فإذا ألح فى السؤال قائلاً : هب أنك فى الظلام لا ترى نفسك ولا يراك أحد من الناس ، قلت له حتى فى هذه الحالة ، على افتراض أنى من غير أنف أشم به ، وبغير عين أرى بها ، فإن إحساسى بالموضوع يبقى على حاله ، وإنى لأفكر بطبيعتى عند التفكير فى هذه القذارة ، ولو لم تنفر طبيعتى لمجرد تصور القذارة ، لكأنت طبيعة خسيصة حقاً ، ولكرحت نفسى لأنها عندئذ تكون نفساً ذليلة هينية لا أستطيع إجلالها .

وبمضى شافيتسبرى قائلاً : بمثل هذا أقول إنى إذا سمعت الناس يقولون إنك إذا يكون من واجب الإنسان أن يكون صريحاً وهو بعيد عن أعين الناس ، لا أجرؤ على أن أجهر برأى فىمن يوجه إلى هذا السؤال (١) .

وهكذا نرى أن شافيتسبرى قد أبى أن يردّ كراهيته لسلوك الشرير أو خبه لسلوك الخير إلى ما يترتب عليهما من ضرر أو نفع ، ومن ألم أولدة ، ورد حبه للخير إلى ما فى إتيانه من جمال تهفو إليه النفس بطبيعتها ، كما رد تقوزه

Characteristics "An Essay on the Freedom of Wit and Humour" Part III. (1)
Sec. IV and Mackenzie p. 178-79.

من الشر الى ما فيه من قبح يشر في النفس التفرز والاشمئزاز ، ففصل بهذا بين الأخلاقية والجزاءات التي كانت موضع اعتمام النفعيين ومن جرى مجراهم من التجريبيين .

ومن العقليين من ضاق بمذهب شافيتسيري في الأخلاق ، ولكنه انفق معه في النفور من تعليق الأخلاقية على الجزاءات ، من ذلك ما زاه في مذهب الواجب عند « كانت » Kant إذ رفض المذاهب الأخلاقية التي تقوم على الحس ، كمذاهب اللذة والسعادة ، وهي التي تجعل الأخلاق مرهونة بنتائجها ، ثم أنكر المذاهب التي تقوم على العواطف الخلقية ، كمذهب شافيتسيري ومن اليه ، لأن العواطف نسبية متغيرة ، وهو يشد أخلاقاً تصدر عن العقل العملي وتخذه ، ولا يرى مبدأ أخلاقياً في غير الإرادة الحرة ، لأنها الشيء الوحيد الذي يعتبر خيراً بالذات ، لا بالقياس الى نتائج وآثاره ، وهي عنده إرادة العمل طبقاً للواجب من غير تقدير لأي اعتبار آخر ، وآية الواجب أنه أمر مطلق (Categorical Imperative) وليس مشروطاً Hypothetical عام لا يتقيد بزمان ولا مكان ، ولا يقوم على نتائج وآثار ، إنه يصدر عن العقل وفاقته يفرضها العقل على كل كائن ناطق ، ومن ثم كان خطاباً موجهاً للإنسانية بأسرها ، لا يقصد الى تحقيق منفعة أو مصلحة « إعمل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي أي شخص آخر كغاية لا كوسيلة » إنه إلزام عام يصدر عن العقل العملي ، وهو من السبلات الرياضية التي لا تقبل برهاناً ... الى آخر ما يراه كانت في تحديده لمعنى الواجب (١) .

وقد ترتب على هذا أن تميزت الأخلاقية عن نتائج الفعل وآثاره ، لأن الإرادة الحرة هي إرادة العمل وفقاً للواجب من حيث هو كذلك. دون نظر الى ما يقرب على العمل من لذات أو آلام ، منافع أو مضار ، وقد أشرنا الى الخلاف بينه وبين النفعيين في هذا الصدد .

وترتب على مبدأ الواجب أيضاً أن الأخلاقية أصبحت أبعد مجالاً من المشروعية ، فالرغبة في السرعة غير مشروعة ولا مقبولة أخلاقياً ، ولكن

(١) أنظر في تفصيل هذا H. J. Paton, Categorical Imperative 1946 وترجمة Paton هذا الكتاب « كانت » : Kant's Groundwork of the Metaphysics of Morals 1947

الامتناع عن السرقة قد يكون مشروعا — لأنه يطابق القانون الوضعي —
وليس أخلاقيا متى كان مرد الامتناع الى خوف من عتاب القانون أو خشية
من عذاب الله أو رهبة لسلطان العرف أو توقع للتألم اشغافا على المسروق أو رهبة
من تأنيب الضمير ، ويكون الامتناع عن السرقة مشروعا وأخلاقيا متى كان
مرجعه الى احترام الانسان للواجب بوحى من العقل والعمل لا لأى سبب آخر .
وهكذا فصل العقليون والمحدثيون بين الأخلاقية ونتائج الأفعال
وآثارها ، وأقاموها — بحق — على البواعث دون غيرها من اعتبارات .

ومن أظهر وجوه الخلاف بين المعسكرين (التجريبي والعقلي) نزاع شغل
فلاسفة الأخلاق في القرن الماضي ، وأدى إلى قيام مدرستين متعارضتين
هما مدرسة النفعيين ومدرسة المحدثين ، وكان النزاع بينهما يصعد مشكلتين
هما : نشأة المثل الأخلاقية العليا ، والمقاييس *Criteria* التي تقاس بها
الأفعال الانسانية .

فأما النفعيون من التجريبيين فكان رأى عندهم أن المثل العليا يمكن تتبعها
والارتداد عنها إلى التجربة مضذرا لها ، وكانوا يقصدون بالتجربة الادراكات
الحسية ووجدانات اللذة والألم التي تصطب هذه الادراكات أو تعقبها ،
ومن هنا ذهبوا إلى القول بأن كل حقائق الشعور الخلقى ، وهى معرفة الحق
والباطل وأحكام الضمير وإدراك الواجب والتبعة الخلقية ونحو ذلك ،
كل هذه الحقائق يمكن فى رأى النفعيين أن يتتبع الباحث نشأتها حتى يرتد بها
إلى التجربة أصلا لها ، وهو مصدر حسى آخر الأمر ، لأنه يعزى
إلى الادراكات الحسية ووجدانات اللذة والألم .

أما عن موضوع المقياس أو المستوى الخلقى *Criterion or Standard*
فانهم يرون أن التمييز بين الحق والباطل يقوم على نتائج فعل بشئ فى النفس
لذة أو ألم ، فالقول خير أو حق متى كان فى جملته وفى نهاية المطاف يجلب
لذة أو سعادة لأولئك الذين يتأثرون به ، وهو باطل أو شر متى كان فى جملته
وفى آخر أمره يشئ ألم أكثر مما يشئ لذة عند أولئك الذين تأثروا به ،
ومن ثم كان موقف النفعيين إزاء المشكلتين السالفتين يتأخض فى أن المثل

الأخلاقية العليا مردها إلى التجربة لا إلى العقل أو نحوه ، وأن المقياس الذى يميز بين الخير والشر هو ماينتج عن الفعل من لذة أو ألم ، وقد أدى موقعهم من نشأة المثل العليا إلى أن يسميهم بعض مؤرخى الأخلاق بالمدرسة التجريبية ، كما أدى موقعهم من المستوى الخلقى إلى أن يسموا أنفسهم ويسميهم غيرهم بمدرسة المنفعة العامة (١) .

أما الحدسيون فالرأى عندهم أن الشعور الخلقى عند الانسان لا يمكن حده بالتجربة التى يلج فى أمرها هؤلاء النفعيون ، ويرون أن المثل العليا روحية فى نشأتها وإن كان فى الإمكان استدعاؤها إلى الشعور بتجربة الوقائع التى تطبق عليها ، ومن أجل هذا سميت المدرسة بحق مدرسة الحدسيين ، وسمى اتجاههم أحيانا بالاتجاه العاطفى ، إذ كانوا يقولون إن المثل الأخلاقية نتلقاها برؤية مباشرة (Direct Vision) أو ندرکها بحدس مباشر ، وليس بعملية استقراء للوقائع الجزئية كما يذهب النفعيون .

وكذلك الحال فى موقعهم من المستوى الأخلاقى ، رأوا أنه مستقل عما يترتب على الفعل الخلقى من سعادة أو تعاسة ، بل ذهبوا على عكس النفعيين إلى أبعد من ذلك ، فقرروا أن الأفكار الخلقية تتضمن فى ذاتها صدقا مطلقا مستقلا عن كل لذة أو ألم ، وأن لها قيمة وسلطة تفرضها على السلوك الذى لا يمكن تحديده بالنتائج التى تنجم عن الفعل ، إنها تتصل بمهابة الانسان ومن ثم تهبات لها سلطة على سلوكه .

واعتبر الحدسيون أنفسهم ، واعتبرهم الغير حماة الأخلاق التقليدية ، وليس فى موقف النفعيين ما يوحى بمناقضتهم للقانون الأخلاقى المعروف ، اتفق المعسكران فى هذا حتى ظهر نيتشه Nietzsche وطالب بضرورة إعادة النظر فى القيم الخلقية ومراجعتها من جديد (٢) .

(١) أنظر فى نشأة هذا الاسم M. Halvey فى كتابه L'Évolution de la Doctrine Utilitaire من ٣٠ وقارن W. R. Sorley فى كتابه Recent Tendencies in Ethics 1904

هامش من ٣ — ٤

(٢) أنظر W. R. Sorley فى كتابه السالف من ٢ — ١٤ و Collin's Butler من ٣١

وعلى قمة التجريبية Empiricism التي أفرغت وسعها في دحض المذاهب العقلية وإقامة فلسفة علمية تقوم على المشاهدة والاستقراء يقوم اليوم مذهب الوضعية المنطقية المعاصرة Logical Positivism^(١) .

وأخص ما ينبغي ذكره عن هذه الوضعية المعاصرة موقفها من علم الأخلاق ، رفضت مع كل المذاهب التجريبية كل تفكير ميتافيزيقي أو أولي قبلي priori ، سابق على التجربة ، وأنكرت أن تكون العلوم المعيارية خاصة والانسانية عامة علوما بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ، لأن العلم عند أتباعها لا يخوض في بحث تدخل فيه النزعات الذاتية ، أو يقوم على تأملات عقلية أو يهتم بغير التعبير عن الواقع المحسوس ، أو يصطنع منهجاً يقوم على غير المشاهدة والتجربة .

إن قضايا العلوم المعيارية — عند دعاة هذا المذهب — تحليلية وليست تركيبية^(٢) ، ومن ثم فإنها عديمة المعنى لا توصف بالصدق ولا حتى بالكذب إذ ليس في وسع الباحث أن يثبت من صحتها أو خطئها بالتجربة . ويختلف أصحاب الوضعية المنطقية اختلافاً يسيراً في فهم القضايا الأخلاقية ، فالأستاذ كارناب Carnap يرى أنها مجرد أوامر Commands فقولك إن الصدق فضيلة ، شبه قولك : التزم الصدق أما الأستاذ آي آر Ayer

(١) نشأت ندوة فينا Vienna Circle بالنمسا ونشت في إنجلترا — ينزعها اليوم Prof. A. J. Ayer أستاذ الفلسفة بجامعة لندن (University College) — إلى أمريكا ينزعها اليوم Carnap الذي هاجر من النمسا إلى أمريكا عام ١٩٣٨ — بعد احتلال هتلر — وعين أستاذاً في جامعة شيكاغو إلى اليوم — وقيل كان M. Shlick الذي هاجر إلى أمريكا عام ١٩٣٣ وهذا مع Wittgenstein كانوا أعلام ندوة فينا ومنشئ الوضعية المنطقية .

(٢) القضايا التحليلية — كقضايا المنطق والرياضة — هي التي يستخرج مبادئها من موضوعها كقولنا الشكل أعظم من الجزء ، فهي إذن أحكام أولية قبلية priori سابقة على التجربة وهي كاية ضرورية ، وهي تفسيرية لا تأتي عن علم جديد ، ومقيار الصدق فيها قانون عدم التناقض ، أما الأحكام التركيبية أو التأليفية فهي التي يزيد مبادئها عن موضوعها فهي تبرز دائماً عن علم جديد ، ومقيار صدقها هو الواقع ، وهي طارة احتمالية ترجيحية وليست يقينية وتتمثل في قضايا العلوم الطبيعية ، وإذن فهي تختمل الصدق والكذب ، أفضل A. J. Ayer في القضايا التحليلية ص ٧٨ و ٧٩ وفي التركيبية ص ١٦ و ٣١

من كتابه Language, Truth & Logic 1949

فيميز بين الأحكام الخلقية العقلية والمواظف الخلقية وهى الأوامر
- فى رأيه - ويرى أن الأولى تعبر عن انفعال كما سنرى بعد قليل .
وفى كلتا الحالتين لا تعتبر قضايا الأخلاق قضايا علمية تجريبية يمكن التثبت
منها بالتجربة .

ومع أن (آير) قد تقادى الاتفاق مع (كارنب) فى القول بأن الأحكام
الخلقية أوامر ، إلا أنه اتفق معه فى القول بأن جميع الأحكام تتميز
بخاصتين : أنها تعبر عن حالة عقلية وأنها تؤكد أو تقر شيئاً ما ، ولكن
الأحكام الخلقية لا تقر شيئاً - واقعياً - وهى مجرد تعبير عن حالة عقلية
تشير إلى تحبنا لنوع من السلوك فع رغبتنا فى أن يتبعه غيرنا من الناس ^(١١) .

من هذا نرى أن القضايا الأخلاقية فى نظر الوضعية المنطقية تتمثل
فى صورتين : إحداهما يعبر عنها كارنب حين يراها مجرد أوامر لا تقوم
إلا على أحكام تعسفية راد بها التأثير على سلوك الآخرين بطرق يراها فرد
أو تقرها جماعة ، إذ قول كارنب إن قضايا الأخلاق ليست إلا أوامر
فى صيغة لغوية مضلة ، وهى لا تؤكد شيئاً بالقياس إلى الواقع ، ولا يمكن
التثبت من صحتها بالتجربة ^(١٢) .

وثانى الصورتين اللتين تتمثل فيهما الأحكام الخلقية فى نظر الوضعية المنطقية
تبدو عند (آير) ، فهى عنده مجرد صراخ أو صياح يعبر عن انفعالات ، تشير
إلى عواطف أو تمنيات فردية أو جماعية ^(١٣) .

وقد ألقى الأستاذ (Dingle) محاضرة عن « العلم والأخلاق » فى المجمع
البريطانى لشئون الصحة الاجتماعية أعلن فيها اتفاقه مع التجريبية المنطقية
المعاصرة فى القول بأن المسائل الخلقية لا تكون صادقة إلا خارج نطاق
البحث العلمى ، لأن بين العلم والأخلاق حاجزاً منيعاً ، إذ يقوم العلم على العقل
والتجربة ، أما علم الأخلاق فإنه لا يستند إلى أساس يبرر قياسه ،

Sir W. D. Ross, Foundations of Ethics 1939 p. 31-34. (١١)

Carnap, Philosophy & Logical Syntax p. 24. (١٢)

Ayer, Language, Truth & Logic 1949, p. 102-103. (١٣)

وكل مذهب، وكل إغراء بانباع نوع من السلوك إنما يقوم على عقيدة لا تجد لها مبرراً، واليقول بأن الأخلاق لا تقوم على العقل والتجربة، ينتهى بنا إلى الاستفسار عن الأساس الذى تقوم عليه الأخلاق، ولا يزال الباحثون يواجهون هذه المشكلة: كيف يختار الإنسان بين فعلين؟ ويقول (Dingle) يائسا في إجابته على هذا السؤال: ليس لدى حل أقدمه^(١)!

ويعضى آير في اتجاه كارتيه وغيره من دعاة التجريبية المنطقية، فيهاجم في غير رفيق مذهب العقلين والجدسين من قالوا بالمبادئ الثابتة والأحكام المطلقة في علم الأخلاق، ويقول إن القضايا التى تعبر عن قيم أخلاقية لا يمكن التثبت من صحتها بالاتجاه إلى التجربة، وليس الحدس محكاً للصواب والخطأ، أو مقياساً للصدق والكذب، فما يبدو قنينا لحدس فرد ما، قد يمثل باطلاً أو مثاراً للشك أمام حدس غيره من الناس، وليس لدينا مقياس يميز به بين الصائب والخطأ. من هذه الحدوس المتنازعة، ومن هنا تعذر التثبت من صحة القضايا الأخلاقية، وامتنع تحليلها لأنها غير ذات معنى من المستحيل وجود مقياس يميز به بين صدق الأحكام وكذبها، لا لأن صدقها مطلق ومستقل عن كل تجربة، كما يزعم العقليون من الأخلاقيين، بل لأن صوابها مرهون بوجودان صاحبها، وليس الصدق هنا حقيقة موضوعية وإذا كانت عبارة من العبارات لا تحمل معنى، فإن من العبث أن نسأل عن صدقها وكذبها، والعبارات التى تعبر عن أحكام خلقية لا تفر شيئاً وأقناباً لأنها كما قلنا تعبر عن وجدان صاحبها ومن ثم لا تحتل الصدق والكذب، ولا يمكن التثبت من صحتها بالتجربة لانه

وإذا كانت الأحكام الخلقية تعبر عن مشاعر صاحبها، ولا سبيل إلى التثبت من صحتها فهي ليست قضايا علمية، والذى يعنى بدراسة الوجدانات هو علم النفس، والبحث في العادات الخلقية عند فرد أو جماعة، مع دراسة الاسباب التى أدت إلى اتباعها يدخل في مجال العلوم الاجتماعية،

M. Cornforth. In Defence of Philosophy against Positivism & Pragmatism (١)
1950 p. 251-2.

Ayer, p. 106-108. (٢)

فليس ثمة ما يبرر قيام علم الأخلاق ، لأنه كفرع من فروع المعرفة البشرية شعبة من علمى النفس والاجتماع^(١) .

هذا هو مجمل الاتجاه الذى ذهبت اليه الوضعية المنطقية المعاصرة : وهو يختلف عن اتجاه الوضعية القديمة فى القرن الماضى ومطلع القرن العشرين ، فى أن الثانية قد رفضت معيارية الأخلاق لأن العلم عندها يبحث فيما هو كائن لا فيما ينبغي أن يكون — كما رأى دوركايم وليئى برون وغيرهما ، ولكن هذه الوضعية القديمة قد أرادت أن تحول فلسفة الأخلاق إلى علم طبيعى يصطنع مناهج البحث التجريبى^(٢) ، أما الوضعية المنطقية المعاصرة فلها ترفض أن يكون العلم معياريا وتزيد فتقرر أن الأخلاق لا تصلح حتى أن تكون علما تجريبيا لأن قضاياها تحليلية وليست تركيبية تضيف إلى علمنا شيئا جديداً يمكن التثبت منه بالتجربة — كما قلنا من قبل .

أما عن موقف البرجماتزم أى المذهب العلمى Pragmatism عند فلاسفة أمريكا فيخالف ذلك ، إذ بينما ترى التجريبية المنطقية رد الأحكام الخلقية الى الاعراب عن وجدانات محيرة مربكة ، وتنتهى الى خيبة أمل تبدو فى موقف Dingle حين يقول : « ليس لدى حل أقدمه ! » على ما أشرنا من قبل ، تصمد البرجماتزم لمواجهة الموقف ، ويقول وليام جيمس W. James فى كتابه الذى يوحى عنوانه بمعناه : « إرادة الاعتقاد » إن اعتقادنا لا يمكن أن تقوم على معرفة علمية للحقيقة الموضوعية ، ولكن هذا لا يهم ، إن ما يهمنا هو أن نكون لدينا الإرادة التى تؤكد كل معتقد يمكن استغلاله والاستمتاع من ورائه متى اعتنقه الانسان ، فيكون هذا هو الشاهد على صدقه .

ولا تسلم البرجماتزم برأى القائلين بأن الأحكام الخلقية لا تحمل معنى — كما زعمت التجريبية المنطقية — لأن جميع الأفكار عندها أساس للعمل ، وهى صادقة بمقدار ما تنتج من ثمار وما تؤدي من منافع ، ولكن البرجماتزم

Ibid p. 112. (١)

(٢) فى تفصيل الوضعية القديمة عند المدرسة الاجتماعية الفرنسية نقرأ مقدمة توفيق الطويل لترجمة كتاب - سيدجويك Sidguiek المجلد فى تاريخ علم الأخلاق ١٩٤٩

— كغيرها من صور المذاهب الوضعية المختلفة — تنكر إمكان قيام علم للأخلاق الإنسانية الخالصة يتضمن مبادئ عامة مطلقة تصدق في كل زمان ومكان ، ويستند هذا العلم إلى أسس عقلية موضوعية ، وهي وإن أنكرت هذا الأساس العقلي للمعتقدات الأخلاقية فإنها توصي بإرادة الاعتقاد ، فتنتهي بهذا إلى التوكيد الأعمى لكل ما يظن الإنسان أنه يعين على أداء ما يسميه « جيمس » « إلزامنا العام بعمل ما يقيد » (١).

في عرضنا لأظهر وجوه الخلاف بين التجريبيين والعقليين من فلاسفة الأخلاق ، أشارات مقتضية تكشف عما يبدو لنا من حقي أو باطل في وجهات النظر عند العسكرين ، ولكن من الخير أن نقف على ما أسلفنا بكلمة نجعل فيها رأينا في موقف الفريقين ، ولعل من الخير أن نعهد لها مناقشة موجزة لموقف الوضعية المنطقية في بعض دعاؤها ، وتوطئة لمناقشة التجريبية والعقلية بوجه عام في محله (٢).

حسبنا أن نقول في مناقشة وجهة النظر التي ذهب إليها (كارنت) حين قرر أن قضايا الأخلاق مجردة أوامر ، أن الأمر لا يستلزم اعتقاد صاحبه بصحته ، فقد أمر بشيء أعتقد أنه خاطيء ، ولا يمكن أن يقال هذا عن مبادئ الأخلاق ، وقد أرى أن من واجبك أن تستجيب لأمر لا أجرؤ على إصداره اليك ، كما أن أقول لك : جافني ! وليس ثمة « إلزام » بطاعة إنسان لمجرد أنه يصدر أمرا ، فإذا أطعته لسبب أخلاق — كالبر — بعد سابق — لم يكن مرجع الطاعة إلى الأمر ، بل إلى شيء ورائه ، وقولنا ينبغي أن تفعل كذا ، ليس معناه : أمرك بفعل كذا ، لأن الإلزام يخفى في حالة الأمر ، وقد يؤكد امرؤ أن فعلا ما خير ويؤكد غيره أنه شر ، فيكون الأمران من الناحية المنطقية متناقضين (٣).

M. Cornforth, In Defence of Philos. p. 252-3. (١)

Ewing, Definition of Good 1947 p. 14 & Cf. Ayer p 109, 110. (٢)

وقد ذهب «روس» W.D. Ross مذهباً آخر في مناقشة هذه الفكرة، إذ إننا نجد فيها من ناحية صيغتها المنطقية وما تحمله من دلالات — وأصحاب الوضعية المنطقية مولعون بالتحليل المنطقي^(١) — فقال إن الحكم الخلقى الوحيد الذى يمكن اعتباره أمراً هو الذى يصدره فرد الى آخر بقوله: ينبغي أن تفعل كذا فالأمر محاولة يراد بها إغراء امرئ على أن يسلك سلوكاً يريد له صاحب الأمر، أما بمجرد استخدام صيغة لغوية جازمة، أو باستخدام هذه الصيغة مقرونة بالتلميح بأن عصيان الأمر سيكون موضع عقوبة، ولكن علينا أن نلاحظ أن اللفظ «ينبغي» قد لا يحمل معنى الأمر إطلاقاً، وتشهد بهذا الصيغ التالية:

ينبغي عليه أن يفعل كذا — كان ينبغي أن تفعل كذا — إذا كان هذا هو ما حدث لكان ينبغي أن تفعل كذا — إذا كان هذا هو الحال فينبغى أن تفعل كذا — ينبغي أن أفعل كذا — فى هذه الحالات نلاحظ أن الحكم بالالزام يشير الى شخص ثالث متغيب لا الى الشخص المخاطب، أو الى الماسخ، أو الى طرف ماض لم يتحقق، أو الى مستقبل يحتمل وقوعه، أو الى المتكلم نفسه، فى كل هذه الحالات لا نجد مبرراً لوصف الحكم الخلقى بأنه أمر، بل إن هذه الصيغة ينبغي أن تفعل كذا، إذا استخدمت لاغراء شخص على اتباع سلوك معين، فإن هذا لا يعنى أن الصيغة ليست قضية بل أمراً، إنها تتميز عن الأمر بأن صاحب الحكم يوحى للمخاطب «بسبب» يبرره حكمه، ذلك أن الفعل المطلوب عمله صواب أو خير^(٢).

بل إن التسليم بأن الأحكام الخلقية ليست إلا أوامر، قد لا ينفى وصفها بأنها عامة مطلقة، لأنها تقوم على رغبات إنسانية لا تتقيد بزمان ولا مكان، فطاعة الأمر وسيلة لا كدابة شئ لا يستطيع أحد منا أن يتفادى الرغبة فيه، إلى هذا ذهب (Prof. Kraft) فى كتاب نشره بالألمانية فى قينا عام ١٩٣٧ و (Prof. Stace) فى كتابه (The Concept of Morals) نيويورك ١٩٣٧

(١) وليست الفلاسفة عند اتباع الوضعية المنطقية إلا تحليلاً لتوابع.

W. D. Ross, Foundations of Ethics 1939, p. 33, 4. (٢)

وقد رأى (Stace) أن ليس في وسعنا أن نميز بين القضية الخلقية والأمر العادي ، ولكنه أضاف إلى هذا قوله إن صحة الأمر الذي يصدر عن شخص مبرونة بالفعل الذي يراد إتيانه باعتباره وسيلة ضرورية لتحقيق رغبته .

ويقول كرافت Kraft إن الأوامر التي تسمى في العادة أحكاما تقويمية لاتوصف بالصدق أو بالكذب ، ومن ثم يمتنع اعتبارها أحكاما بالمعنى الدقيق . ولكنها مع هذا قد تكون عامة وضرورية بالمعنى الأخلاقي ، إذا كان الفعل المأمور به وسيلة ضرورية لتسبب لإشباع حاجة أو تحقيق رغبة ، وكانت هذه الحاجة أو الرغبة عامة في الجنس البشري كله ، وكان الناس يميلون إلى تحقيق هذه الرغبة ، أو إشباع هذه الحاجة ^(١) .

أما عن رأى « آير » في اعتبار قضايا الأخلاق مجرد تعبير عن وجدانات ، فحسبنا أن نقول إن الحكم الخلقى إذا كان يعبر عن حالة نفسية ، ويشير إلى ميل إلى فعل أو تفورى منه ، فإن من الواضح أيضا أنه لا أحب أو أقبض من غير تفكير بغير الحب أو الكراهية ^(٢) . وواضح أيضا أن الحكم الخلقى يعبر عما يعتقد صاحبه أنه حق أو خير وليس مجرد أمنية أو أمر أو انفعال ^(٣) ، وكثيرا ما يختلف الأخلاقيون بصدق الأحكام الخلقية ، ولكنهم إذا بلغ بهم الجدل مقدمات تبدو لفريق منهم أولية سابقة على التجربة ، وأنكرها الفريق الثانى توقفت الجدل ، لا معنى أن تخفى وجوه الخلاف فى الرأى ، ويبقى الخلاف فى المشاعر والوجدانات ، إذ لا يزال فريق يقول هذا خير وفريق يقول إنه شر ، وإذا صح ما يقوله آير من أن الأحكام الخلقية مجرد تعبير عن وجدانات ومشاعر ، فكيف الأخلاقيون عن كل جدل ، إذ ماذا يراد البرهنة عليه ؟ هل يجادل فريق للتدليل على أنه يجب سلوكا معينا ، ويجادل غيره ليدل على أنه يمت هذا السلوك ؟ إن الأول لا يساوره الشك فى أن خصمه ينفر من هذا السلوك الذى يطريه ، وهذا على يقين من أن خصمه يمتدح هذا السلوك ويميل إليه ، فى الحقى أن الحاجة بينهما إنما تهدف إلى الكشف

(١) Ewing p. 14-17.

(٢) Ross, p. 34.

(٣) Ewing p. 12-14.

عن مبررات الميل والنفور في كل حال ، وأن الفعل الذي تنصب عليه يحصف بصفة أو صفات تجعله موضعاً للحب أو مثاراً للكراهية ، أي تجعله خيراً أو شراً^(١) .

والتعبر عن الاتعمال في كل صورة تقرير عن واقع يحسه المفعول ، أما القضية الأخلاقية التي يهاجمها آيرفن طبيعة أخرى ، والعبرة ليست بالتاعدة ، بل بالطريقة التي اتبعت في التوصل إليها ، أي بالبحث الذي أدى إليها ، والمنهج الذي اصطنع في دراستها ، فمن التجنى أن يقال إن القضية الخلقية كصرخة الألم أو صيحة السرور — التي يعبر بها الانسان عن إيقاعه ، لا يمكن التثبت من صحتها بالتجربة ، فإن طبيعة البحث الحق قد تفرض هذا المنهج الذي لا يروق هؤلاء الوضعيين ، والقيم — على عكس ما يظنون — يمكن التثبت من صحتها متى سبرناها بالمقاييس التي نلائمها ، وهذا كلام يسلمنا الى الحديث عن المنهج الذي يريد أصحاب المذاهب التجريبية على اختلاف صورهم أن يفرضوه على الدراسات الأخلاقية :

لعل في نظرية التجريبيين للعلوم الانسانية عامة والمياري منها خاصة تضيقاً لآفاق العلم وحيداً من مناهجه ، إن الأصل في منهج البحث العلمي أنه طريقة يتبعها العقل عند ما يعرض لدراسة موضوع ما ، رغبة منه في التوصل الى قانون عام أو مذهب جامع ، والعلوم وإن انفقت في غائتها ، وهي اكتشاف الحقيقة ، فإن موضوعاتها ليست من طبيعة واحدة حتى يتيسر إخضاعها لمنهج واحد ، فالعلم يراد به كل دراسة منظمة تهدف الى معرفة حقيقة وتفسيرها وتعليلها في ضوء منهج منظم ، ملتصق بهذا أن يوصل الى كشف الحقيقة وبصحبها في قالب قانون عام .

بهذا يتسع معنى العلم ويجاوز نطاق العلوم الطبيعية ، وتصبح مناهج البحث فيه أعم من المناهج التجريبية وأتمل ، وتدخل في نطاق العلم دراسات تتوافر فيها الخصائص السالفة .

ولعل النظرة التجريبية الى العلم ومناهجه ، مرجعها الى الأزمة التي عانتها العلوم الانسانية في العصور الحديثة ، ساور الناس الشك بصدد قوانينها

ومناهجها التي كانت موضع ثقة قبل ذلك ، إذ نجحت العلوم الطبيعية في خدمة البشرية وحقق الكثير من وجوه التقدم وأسباب الرفاهية للمجتمع الانساني وكان حذا العلوم الإنسانية في هذه المجالات ضئيلا ، ومن هنا تزع بعض المفكرين إلى تغيير مناهجها حتى تحقق من النفع في المجال العملي ماحققته العلوم الطبيعية من السيادة والسيطرة على قوى الطبيعة ، وتنادى بهم هذا الزرع إلى تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية . وبدأ لهم هذا الحل خير وسيلة يتقادون بها تقصير العلوم الانسانية في خدمة البشرية على الوجه الذي يريدون . فيما يروي كوفمان :

ويقال : إن هؤلاء الرواد قد نسوا أن طبيعة الموضوعات التي تعالاجها بعض العلوم الإنسانية لا تخضع لهذه المناهج التجريبية ولا تخضع لمقاييسها ، ولا يتميز استبدال الكيفيات فيها بالقياس الدقيق الذي تحرص عليه العلوم الطبيعية ، وأول الأسباب التي تحول دون اصطناع المناهج التجريبية في الأخلاق خاصة وفي العلوم الإنسانية بوجه عام ، أن حزية الإرادة البشرية تتدخل في الظواهر الخلقية والاجتماعية وتتكفل بتغيير مجراها حتى تتعذر إخضاعها لقانون علمي ثابت ، ومن هنا تفسر التنبؤ العلمي ، في مجال العلوم الطبيعية وتعذر في العلوم الإنسانية .

وثانيها أن الأخلاق — والعلوم الإنسانية عامة — تتعذر إخضاعها لضبط الكمي وتستحيل تصورها بالمعادلات الرياضية ، ولهذا تغذر أن تبلغ قوائدها الدقة التي نلحظها في قوانين العلوم الطبيعية . فيما يقول اللاطيعيون Anti-naturalistic (1)

واعتقياً على هذا نقول إنه لا ضير في استخدام المنهج التجريبي في الأخلاق ، وإن لم نطمع من وراء هذا إلى صير قوانين الأخلاق في قالب رياضية دقيقة ، لأن قوانين الأخلاق احتمالية ترجيحية ، ولكن اصطناع هذا المنهج ينبغي ألا يقف بالبحث الخلقى عند الوصف والتقرير ، بل ينبغي تجاوز هذا إلى دراسة ما ينبغي أن يكون .

Cf. F. Kaufmann, Methodology of the Social Sciences 1944 ch. V. p. 141-7 (1)

& ch VIII, p. 169 ff.

— فومن الخير أن نلاحظ أن العقليين قد كفوا عن الاعتقاد في المعرفة الأولية (apriori) التي تنضجها طبيعة العقل — وكانت هذه من أعم معتقداتهم وأكبرها خطراً — وأنهم يرون أن هذه المعرفة البدئية يراد بها جزء من المعرفة لا يتوقف صوابه على التجربة الشخصية^(١) بل تخاض المعاصرون استخدام اللفظ الغامض «فطري» imnte غير مكتسب، وكان التطوريون على حق حين اعتبروا الفطري الغريزي عادة اكتسبها الجنس بالتجربة وورثها الأفراد جيلاً بعد جيل حتى طلت فطرية غير مكتسبة، وهذا المعنى ذهب سبنر H. Spencer إلى أن المبادئ الخلفية نشأت بالتجربة بعد تطور طويل في حياة الجنين، وإكبتها يبدو في نظر الفرد فطرية جديدة يشترك فيها الناس جميعاً، وفي ضوء هذا نقول إننا لا نستخرج إلى دعوى العقليين من أن الخير ضرورة عقلية، توفي اعتقادهم بوجود مبادئ فطرية ثابتة مطلقة تنزع من طبيعة العقل البشري ولا تتكسب بالتجربة، ونرى إمكان التوصل «بالاستقراء» إلى قوانين عامة تصدق على تعديل الترجيح في كل زمان ومكان، ويبرهن الغرض منها أننا نميل إلى اعتبار الطبيعة البشرية مؤاخدة في جزئياتها، وليست هذه مستمدة كما اعتبرها لين برون من قبل، فإن التجربة تشهد بأن هذه الطبيعة في ماضيها وحاضرها بعقل وهوى والمفروض أن قوانين الأخلاق وإن لم تهمل الجانب الحيواني في طبيعة البشر، إلا أنها توضع لأروى ينبغي أن توضع في منسابة لأسمى جانب في هذه الطبيعة — وهو الجانب الناطق — وهو — فيما تشهد التجربة — يحظ مشترك بين الناس جميعاً، وأوضح من هذا أن قوانين الأخلاق — بقوانين العلم عند التجريبيين — احتمالية أو ترجيحية وليست يقينية بالمعنى الذي يقصده العقليون، هذا تحفظ فلسفة الأخلاق باتجاهها المعيارى Normative وتتجاوز نطاق البحث التجريبي فيما هو كائن إلى دراسة ما ينبغي أن يكون، وتدرس «القيم» Values والمثل العليا Ideals دون أن تقيم دراساتها على مجرد «مسلمات» تفترض صحتها مجرد افتراض، وتبرر قوانينها بوحدة الطبيعة البشرية التي يشهد بها استقراء بني الإنسان.

والرأى عندنا أن الحركة التجريبية الوضعية التي غزت الأخلاق وغيرها من علوم معيارية أو إنسانية ، خير يرتفع عن كل شك ، بشرط ألا تنهى هذه الثورة بالتقصص على معيارية هذه العلوم . فلتكن لنا دراسات تجريبية في المنطق تضاف الى فروع علم النفس دون أن تقضى على علم المنطق المعيارى ، ولتكن لنا دراسات وضعية تقريرية في الجمال ، على ألا نستغنى بها عن علم الجمال المعيارى الأصيل ، ولتكن لنا دراسات أخلاقية تصطنع منهج الاستقرار وتصف ما كان وما هو كائن وتلحق بفروع علم الاجتماع — كدراسات المدرسة الاجتماعية الفرنسية — دون أن تلغى معيارية فلسفة الأخلاق التي ترسم قيمنا وتصور مثلنا العليا ، إن هذا يجعل مجال العلم أكثر رحابة وبضياء من جوانبه المظلمة الغامضة ويزيد في خصوبة إنتاجه ^(١١) .

إن أظهر الاتجاهات التي تسود التفكير الأخلاقى في هذه الأيام ، يتمثل في كراهية التسليم بمذهب يتعذر إخضاع البحث فيه لمناهج العلم التجريبى ، ومنذ الحرب الكبرى الأولى والمذهب العقلى فى الفلسفة يعاني فى كل مجالاته هجوماً عنيفاً . كرجع لانتشاره وسيادته قبل ذلك ، وحقيقة أن مرد هذا الاتجاه الملحوظ إلى ما صادفته العلوم الطبيعية ، بالقياس إلى ما لقيته الفلسفة من تقدم محدود ، وإلى اختلاف الناس أفراداً وجماعات فيما يصدرون من أحكام خلقية على الفعل الإنسانى الواحد ، وإلى أن الأخلاق كانت متصلة بالدين عند بعض الناس ، فلما ضعف إيمانهم بالدين فقدوا الثقة فى مبادئ الأخلاق التي لم تصدر عن مناهج تجريبية كما يقول (Ewing) ^(١٢) ، ولكن من الإنصاف أن نقول إن لسيادة الاتجاه التجريبى — مع كل ما يقال فيه — مبرراتها التي يمكن أن تصمد لكل نقد .

(١١) قارن مقدمتنا لترجمة كتاب Sidgwick's Hist. of Ethics «المجمل فى تاريخ علم

الأخلاق» ١٩٤٩ م ص ١٧ — ٢١

(١٢) Ewing p. 3, 4.

”مور“ وطريقة التحليل

للكنتور، بركي نجيب محمود

(١)

مجمع طالب صيني بفيلسوف الانجليز المعاصر « مور » (G. E. Moore) هاتحل إليه ليأخذ عنه ، مادام الرأي قد أوشك على إجماع بأنه - في الفلسفة المعاصرة إمام ، وإذا برتقاء الطالب يفتن خيبة - كبرى ، لأنه لم يجد - عند هذا الفيلسوف المشهور حديثا في الكون وأسراره ، وفي الحياة والموت والجلود كما كان يتنى ويشتهى ، بل وجد الرجل في محاضراته لا يزيد على أن يتناول عبارات انجليزية بالتحليل ، ولا يفتني في ذلك ويختار ، فلا بأس عنده - مثلا - في أن تكون العبارة التي يحللها هي « الديقاج يبيض » أو « هذه بحيرة كبيرة » إذا فياضجة - الأمل ، إنه بإحاطة هذه الرحلة الطويلة من أقصى الشرق الى كيمبردج ، ليسمع « مور » وهو يحدد معنى كلمة أو يحلل عبارة (١) . بل قد تجد من الفلاسفة أنفسهم من يستصغر شأن فلسفة التحليل ، لأن هؤلاء الفلاسفة بدل أن ينظروا نظرة شاملة واسعة الى الانسان وقيمته ومصيره ، والى كمال الله أو لانهاية الكون ، ترام يشغلون أنفسهم بمناقشات تفصيلية تحليلية في معنى هذه العبارة أو تلك ، مما يقع لهم عرضا في حديث الناس ، إنهم لا يظفرون على أجنحة من الخيال للتأمل ، ولا يضربون في مجاهل الغيب ، ولا ينتجون النظريات الضخمة الفخمة ، إنما زادهم كله تحليلات لغوية ، لأن دراسة الألفاظ قد شغلتهم عن دراسة العالم (٢) .

لكننا لا نريد هاهنا أن نقف طويلا عند تقدير بعض الفلاسفة وطالب الفلسفة لمهمة التحليل التي أخذها كثيرون من فلاسفة العصر الحاضر

(١) Pap, Arthur: Elements of Analytic Philos. من ٦ من المقدمة

(٢) Barnes, W. H. F. : The Philosophical Predicament من ٢٩ -

على أقدامهم وجعلوها شغلهم الشاغل عن كل شيء عداها مما اعتادت الفلسفة أن تحوِّض فيه ، وبكفينا أن نسجلها حقيقة واقعة ، وهي أن الكثرة الغالبة الساحقة من أئمة الفلاسفة المعاصرين ، متجهة بالفلسفة الى أن تكون تحليلات منطقية ، وحسبك لكي ترى ذلك أن تلقى نظرة سريعة على مؤلفات « مور » و « رسل » و « جماعة فينا » و « رايشباخ » و « مناطق وارسو » و « مناطق هارفارد » ، بل حسبك أن تتابع الدوريات الفلسفية الهامة مثل مجلة Mind ومجلة Philosophy of Science ومجلة The Philosophical Review وغيرها لتعلم أن مجال البحث عند الفلاسفة اليوم قد أوشك أن يكون كله تحليليا ، فالجواب أن « ليست جميع المشكلات الفلسفية التحليلات لتركيبات لغوية » (١).

فأذا كانت الفلسفة التقليدية في مجلتها « تأملا » ، فالفلسفة المعاصرة في مجلتها « تحليل » ، وبين الفلسفة التأملية والفلسفة التحليلية اختلاف واضح : فالتأملية تدعى الفلسفة التأملية التقليدية أنها تكشف عن الحق فيما يتصل بالكون باعتبار كلاً واحداً ، وأما الفلسفة التحليلية المعاصرة فتبني أمن الادعاء بأنها تكشف عن شيء من حقائق الكون أصغر أو أكبر مما تعلم أن ذلك من شأن العلماء ويخدم بها لديهم من وسائل تفهيمهم على المشاهدة وإجراء التجارب ، كل عالم فيما يخصه من جوانب الكون وأجزائه ، ولا يزعم الفيلسوف التحليلي المعاصر لنفسه شيئا سوى أنه يتناول العبارات التي يقولها العلماء أو عامة الناس ، فيوضح فامضتها ويبرز عناصرها
 فالتأملية تحاول الفلسفة التأملية التقليدية أن تواجه عالم الأشياء وجهها لوجه ، وما ألقاظ اللغة وعباراتها إلا أدواتها الثانوية للتعبير عما قد تفضل إليه من حقيقة ، بل كثيراً ما تدعى أن ألقاظ اللغة وعباراتها قاصرة لا تمض بالتعبير عن الحقيقة التي وصلت إليها « التأملات » ، الفلسفية تعبيراً كاملاً شاملاً ، وأما الفلسفة التحليلية المعاصرة فتدور كلها حول ألقاظ اللغة وعباراتها ، اعتباراً منها بأن مهمتها الوحيدة التي لا مهمة سواها ، هي أن تظمن إلى وضوح

ما ينطق به الناس ، علماءهم وعامتهم على السواء ، وأما الحقيقة الشبيهة فمذكورة
الى رجال العلوم على اختلافهم ، وفي هذه الصفحات بيان لطريقة التحليل غنبد
إمام من أئمة الفلاسفة المعاصرين ، وهو « جورج مور » .

(٢)

والفلاسفة التحليلية المعاصرة التي من أعلامها « مور » ، كثيراً ما تعرف
باسم مدرسة كيمبريدج ، لأن الطبقة الأولى من فلاسفة التحليل اليوم ، قد كانت
— ولا يزال بعض أفرادها — من أساتذة تلك الجامعة وأبنائها ، وأهمهم
الى جانب « مور » — « رسل » و « رود » و « استينج » .
لكن « مور » يكاد يفرد دونهم جميعاً بالجاه خاص عرف به ، وهو جعل
« التهم المشترك »^(١) أساساً لفلسفته ومجوراً لتفكيره .

وإخلاصة موقفه هي أننا « بالتهم المشترك » نعرف أن بعض القضايا باضاح ،
فكلنا نعرف صديقاتنا أن « الدجاج بيض » ، لكن يأتي المتأفرون فيمتدحون
بجاهلها شعراً فالتأفرون بالتأفرون منها فاعلية عقلية عند تأملها ، والمتأفرون
بالمادية فهم منها حركات ذرية في أجزاء المادية ، وفي موقف « مور » وإزاء
هؤلاء وأولئك هو ألا يتدخل بتأييد أو تنقيد ، تأيلاً أنه مهما اختلفت المعنى
عند جماعة المتأفرون ، فكلمهم معنا على اتفاق بأن القضية الفائلة بأن الدجاج
بيض قضية صحيحة^(٢) ، فليس في مستطاع الفلسفة التأملية ، أن تنقض
لنا هذه القضية — وإن اختلفت في تفسيرها — وحسبنا ذلك ، لأنه وحده
دليل كاف على أننا ندرك الصديق بدهة « التهم المشترك » .

١) — أرى أن عبارة « التهم المشترك » ترجمة ذوقية لعبارة الإنجليزية Common Sense
ومما يؤديها أنها ترجمة حرفية للأصل — فكلمة Sense في اللغة الإنجليزية لها معنيان ،
فهو معنى « الحبس » بإحدى الحواس (كالسمع والبصر) ومعنى كقولهم « المعنى
الغليظ » ، فزمام يصنون لك الشخص أو العبارة بهذه الكلمة ومشتقاتها ، وليدلو
بذلك على أن الشخص ذو عقل حبيب أو ذليل منه ، وأن العبارة ذات معنى ، فبينة العقل
أو خلوصه ، وعلى ذلك فهم اذا وصقوا شيئاً بأنه Common sense قائماً يقصدون بأن ذلك
الشيء يمكن ادراكه فانس جيداً بظنهم وبداهتهم التي لا تحتاج الى تعلم وتدريب
وعبارة « التهم المشترك » — في الأصل — تؤدي هذا المعنى خير الأداء .

(٢) Moore, G. E. : Philosophical Studies . ص ٥٥ .

فبالفهم المشترك نعرف أن العالم المادى موجود ، وأن فيه أناسا غيرنا ،
وأنه قد لبث موجودا عدة سنين الخ ، فليس بنا حاجة الى ميتافيزيقا نبرهن لنا
على ذلك ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلو كان هنالك من المعرفة ما ليس
يأتينا به « الفهم المشترك » بفطرته ولا العلم بمشاهداته كالكقول بخلود الروح
مثلا ، فستعجز الميتافيزيقا كذلك عن إمدادنا بهذه المعرفة ، بعبارة أخرى :
ما نعرفه عن طريق الفهم المشترك والعلوم لا حاجة بنا فيه الى الميتافيزيقا لزيد
من معرفتنا به ، وما لا نعرفه عن ذلك الطريق ليس في وسع الميتافيزيقا
أن تحيطنا علما به .

غير ما تشغل الفلسفة نفسها به هو أن تحلل عبارة المتكلم التي يصدر فيها
عن « فهم مشترك » أو عن بحث علمي ، تحليلا يبين على وجه الدقة ما يراد بها
من معنى حتى يصبح لها أن تكون عبارة صادقة .

ليس صدق العبارات الآتية عن طريق « الفهم المشترك » موضع شك
أو بحث . في رأي « مور » ، وكل ما قد يحتاجه هو التحليل الذي يوضحها
ويبرز عناصرها ، لا الدليل الذي يبرزها ويؤيدها ، وقد نشر سنة ١٩٢٥ بحثه
المشهور « دفاع عن الفهم المشترك » (١) جاء فيه : « هنالك في هذه اللحظة
الراهنة جسم بشري حي ، هو جسمي ، وقد ولد هذا الجسم في وقت معين
في الماضي ، ولبت منذ ذلك الحين مستمرا على وجوده ، وإن لم يخل من
تغيرات سارت وجوده ، فثلا كان أصغر مما هو الآن حين ولد وكدة
من الزمن بعد ولادته ، وقد ظل منذ ولادته حتى الآن ملامسا لسطح
الأرض وغير بعيد عنه ، وكان هنالك كذلك منذ ولد أشياء كثيرة أخرى
لها شكل وحجم في أبعاد ثلاثة . . . وكان جسمي على مسافات مختلفة
من تلك الأشياء . . . » (٢) .

هكذا يأخذ « مور » في ذكر أشياء أدرك وجودها « بالفهم المشترك »
إدراكا لا يجوز أن يكون موضع شك ، فمن العبث والباطل أن قلنا ن

الفلسفة إقامة البرهان على أن معرفتنا بأمثال هذه الأشياء صحيحة وقائمة على أساس سليم ، فالتفهم المشترك يدركها وفي ذلك الكفاية .

لا ، بل إنه إذا جاءت فلسفة تزعم أننا حقائق ينكرها « التفهم المشترك » فهي فلسفة باطلة : إن جاء فيلسوف مثالي زاعماً بأن المكان والزمان ليسا من عالم الطبيعة الخارجية ، وزاعماً بأن هذه القاعد والمناضد لا وجود لها ، تنسكراً لنا لزعمه على أساس أن « فهما المشترك » يقرر حقيقة المكان والزمان ووجود القاعد والمناضد ، فالفلسفة « التأملية » (الميتافيزيقا) ليس في مقدورها أن تفند ما يقرره « التفهم المشترك » أما « التفهم المشترك » ففي استطاعه أن يفند الميتافيزيقا إذا جاءت بما يتعارض مع إدراكه .

قد يقال عن « مور » أحياناً ، أنه فيلسوف واقعي جاء معارضاً للفلسفة المثالية ، لكن الجريد في « مور » هو منهجه لافلسفته الواقعية ، فلئن رأيت متفقاً مع الواقعيين في قبول وجود الأشياء الخارجية ، فهو يختلف معهم في أساس القبول : هم يقولون بوجود الأشياء الخارجية على أساس مبررات عقلية يدلون بها ، وأما هو فيقبل وجود الأشياء الخارجية على أساس أن « التفهم المشترك » يقضي بذلك ، ولا حاجة بعد ذلك إلى برهان ، فيلسوفنا « مور » لا يرى ما يبرر إقامة الدليل على صدق « التفهم المشترك » ، وكل محاولة في هذا السبيل عبث لا طائل ورائه ، ولا فرق في ذلك عنده بين مثاليين وواقعيين ، لأن الطائفتين كليهما تحاولان إقامة مثل هذا الدليل : فأما المثاليون فيقيمون الأدلة الباطلة الفاسدة على أن « التفهم المشترك » لا يدرك الصواب ، وأما الواقعيون فكذلك يقيمون الأدلة الفاسدة لاثبات ما يدركه « التفهم المشترك » إدراكاً صائباً .

المثاليون ينتهون بأدلتهم إلى نتائج ينكرها « التفهم المشترك » ، فيكني ذلك بياناً لبطالان نتائجهم وصرفاً لنا عن مراجعة أدلتهم ، والواقعيون ينتهون بأدلتهم إلى نتائج يؤيدها « التفهم المشترك » فنحن نقبل النتائج ، ونصرف النظر عن الادلة ، إذ لا حاجة لنا إليها .

فالوضع الحقيقي الذي يحتله « مور » ليس هو أنه واقعياً يهاجم المثالية ، بل هو أنه عدو للفلسفة التأملية ، ومعارض للميتافيزيقا مثاليها وواقعها على السواء ^(١) ، ولو صورنا موقف « مور » بصورة (رمزية) كانت كما يلي : « من حقيقة واقعة أدركها بالفهم المشترك ، لكن النظرية ص التي يقولها الفيلسوف القلاق تتناقض منطقياً مع س ، إذن تكون النظرية ص باطلة » وهذا يعني أنه هو موقفنا في الأبحاث العلمية وفي الحياة اليومية على السواء ، فنحن في هذين المجالين لا نتردد لحظة في رفض أية نظرية تراها تتناقض مع الحقائق الواقعة التي نعرفها ، ولم يشذ عن ذلك إلا الفلسفة ، ففي الفلسفة وحدها لا نخلص الفلاسفة لأنفسهم فتراهم يعرفون شيئاً على أنه حقيقة واقعة ، ويرتبون حياتهم العملية في غير تردد ولا أرتاب على أساس ما يعرفونه ، لكنهم إذا ما جلسوا على مقاعدهم « فيلسوفون » فليس ما يمنع لديهم أن ينسجوا نظريات يدافعون عنها ، مع أنها تتناقض بالحقائق الواقعة التي يعرفونها وقيمون حياتهم العملية على أساسها ، ولا قدر استطاع الفلاسفة أن يعرفوا أنهم يبنون على ما يقيمونه أحياناً ، يسلكونه في عقائدكم الفلسفية ، بعضنا يتناقض مع لما يغلبون هم أنفسهم أنه صواب ^(٢) .

إذا دلني « الفهم المشترك » على خدق قولتي بأنني الآن وأنت لم أكتب به ، فليست للمشكلة عند « مور » هي أن أسأل في عقله هل هذه معرفة صابغة حقاً بل للمشكلة هي أن أسأل : « ما تحليل هذه العبارة التي أقولها ؟ » وذلك لأن صدق العبارة لا يرقى إليه شك بإدراك « الفهم المشترك » هو وسيلة الإدراك فكيف يقوم « مور » بعملية التحليل ، هذه التي جعلها — وجعلها منه معظم الفلاسفة المعاصرين — محور الفلسفة كلها ؟ الحق أن الفلسفة التحليلية ليست وليدة اليوم ولا الأمس القريب ، بل تستطيع أن تلتمس أصولها عند الأقدمين عند سقراط في محاولته توضيح

(١) Barnes, W. H. F. : The Philosophical Predicament ص ٣٥
(٢) Moore, G. E. : Defence of Common Sense (Contemporary British Philosophy)

المعاني ، وإن يكن قد قصر نفسه على المدرجات الأخلاقية وحدها ، وتستطيع
كذلك أن تنبئها عند أفلاطون وهو يحاول في الجمهورية أن يحل معي
« العدالة » مثلاً ، وعند أرسطو في منطقته .

والفلاسفة التجريبيون من الإنجليز : « لوك » و « هيوم » و « باركلي »
وأتباعهم ، هم من أولئك الذين نظروا إلى الفلسفة على أنها طريقة في التحليل ،
فلو استبعدت ما كتبوه في علم النفس ، وجدت بقية آثارهم تحليلات لبعض
المعاني ^(١) وهكذا قل في « بنتام » و « جون ستيوارت مل » هؤلاء
جميعاً يحاولون التجديد والتحليل لهذا المعنى أو ذلك . . . ولم يقل شيئاً
عن « كانت » الذي جاء الشطر الأعظم من فلسفته « نقداً » — أي تحليلًا —
للأفكار التي تقوم عليها العلوم .

غير أن رجال المذهب الوضعي التحليلي المعاصر ، ينفردون بما عزم
حتى من أسلافهم الأقرين في القرن التاسع عشر — مثل « مل » و « ماخ »
و « كارل بيرسن » — إذ يتميزون بمحرفهم للمتناقضات من قاعة الكلام المقبول ،
فهم ينفردون بالمناقضات حذفاً تاماً على أساس تحليلاتهم المنطقية للعبارة القوية
ثم يتميزون كذلك بفرقهم بين قضايا المنطق والرياضة من جهة وقضايا العلوم
الطبيعية من جهة أخرى ، على حين كان المحللون السابقون يفسرون هذه
بما يفسرون تلك ، كما فعل هيوم نفسه ، أو يفسرون تلك بما يفسرون هذه
كما فعل « مل » حين رد القضايا الرياضية إلى أصول جسيمة ، وفي كلتا
الحالتين يكون إشكال ، في الحالة الأولى ينتهي الأمر بالتشكك في العلوم
الطبيعية مما ذممت ، لا تتوصل إلى هيئتي الرياضة ، وفي الحالة الثانية ينتهي الأمر
بجعل قضايا الرياضة احتمالية لا يقينية .

فلئن كان التحليل شائعاً في الفلسفة منذ قديم ، إلا أن أصحاب التحليل
من المعاصرين قد تميزوا عما يزرع — دون سائر الأسلاف — من خصائص

١) Pap. Arthur : Elements of Analytic Philosophy
وأنظر كذلك Ayer, A. : Language, Truth and Logic من الطبعة الأولى .

(و « مور » على رأس هؤلاء المعاصرين) وها نحن أولاء مُحدّثوك فيما يلي عن بعض طرائق التحليل التي بصططعها المعاصرون ، والتي تنتهى الى ما انتهوا اليه من نتائج ، وأهمها حذف المتافيزيقا .

ليس المراد بالتحليل تعريفاً للالفاظ ، فالتعريف يكون للحدود كل على حدة ، أما التحليل فيكون لعبارة كاملة ، وفضل التحليل على التعريف هو أنه حينما يتمتع تعريف واحد ما تعريفاً مباشراً ، فلجأ الى تحليل العبارة التي يرد فيها ذلك الحد المراد تعريفاً ، فإذا ما استبدلت بالعبارة كلها عبارة أخرى تساويها معنى ، لمستعنتاً بها عن الحد المراد تعريفاً ، كنست بمثابة من قدّم تعريفاً لذلك الحد بطريق غير مباشر .

لكن ليس المراد بالتحليل أن تترجم عبارة الى عبارة أخرى مساوية لها في معناها — سواء كانت الترجمة الى نفس لغة العبارة الأولى أو الى لغة أخرى — بل لا بد أن يحلّى العبارة الثانية التي هي تحليل للأولى أكثر إرثاقاً للعناصر التي تنطوي عليها العبارة الأولى ، بهذا لا يكون التحليل مجرد ترجمة عبارة الى عبارة تساويها ، بل يشترط — كما قلنا — أن يحلّى العبارة الثانية مساوية للأولى في معناها ، ومضافاً الى ذلك زيادة في الوضوح وفي عرض عناصر المعنى ، لأنه لو كانت العبارة « ك » مجرد ترجمة للعبارة « ق » لا أكثر ، فإن « ق » تكون أيضاً ترجمة للعبارة « ك » ، أما ان كانت « ك » تحليلًا للعبارة « ق » فلا تكون « ق » تحليلًا للعبارة « ك » .

ونسوق لذلك مبدئياً مثلاً بسيطاً ساقه ، « مور » في — — — — —
أكون قد حللت عبارة « زيد شقيق عمرو » حين أبرز العناصر المضمومة في كلمة « شقيق » ، فأقول : « إن زيدا وعمروا ذكران ، والوالدان اللذان أنسلا زيدا هما الأبوان اللذان أنسلا عمراً » — فهذا هنا اسمى العبارة الناية تحليلاً للأولى ، لكن ليست الأولى تحليلًا للثانية ولو كان الأمر مجرد وضع عبارتين مكان أخري تساويها معنى ، لكأنت الأولى تحليلًا للثانية بمقدار ما تكون الثانية تحليلًا للأولى ، فالعنصر الهام في عملية التحليل هو السير نحو الزيادة

في اوضح باراز العناصر الخبيثة في العبارة المراد تحليلها، ويختصر «الدكتور وزدم» عملية التحليل بالوصف الموجز الآتي :

إنك تحمل القضية «ق» لو وجدت عبارة أخرى «ق₁» تكشف عن مكنون «ق» أكثر من «ق» نفسها^(١).

فإن كنا قد جعلنا التحليل مهمة الفلسفة من وجهة نظر المحدثين، فكأنما أردنا أن نقول إن مهمة الفلسفة هي توضيح المعاني، يقول «شليك» نقلاً عن «وتجنشتين» : «إن موضوع الفلسفة هو توضيح الأفكار توضيحاً منطقياً»^(٢) ويقول «رامزي» : «واجب الفلسفة أن توضح وتحدد أفكاراً كانت قبل تحليلها غامضة مبهوشة»^(٣) ، فالفيلسوف التحليلي كطبيب العيون الذي يضبط الرؤية المضطربة بأن يمكن العين من تركيز المرئي في بؤرة الابصار تركيزاً صحيحاً ، إنه لا يخلق أمام العين مرئياً جديداً ، لكنه يوضح ما هناك وكفى ، وهكذا قل في فيلسوف التحليل الذي يمكننا من إدراك العبارة المراد تحليلها إدراكاً أوفى وأكمل .

إننا لا نريد بالغموض الذي يزيله التحليل غموضاً يكون مصدره جهل السامع بمعنى هذه الكلمة أو تلك ، لأنه لو كان الأمر كذلك ، لقام القاموس بالمهمة كلها ، إنما نريد الغموض الناشئ من طبيعة اللغة نفسها في طريقة تركيبها للعبارات تركيباً يخفى بعض العناصر المكونة للمعنى .

خذ لذلك مثلاً : إنه من الصواب أن أقول إنه ما دام الفيل حيواناً فالفيل الأسود يكون حيواناً أسود ، لكنني أخطئ إذا قلت على ذلك قولي : إنه ما دام الفيل حيواناً فالفيل الصغير يكون حيواناً صغيراً — ويتبين مصدر الخطأ حين نأخذ في تحليل عبارتيه فنجد أنه على الرغم من التشابه بينهما في التركيب النحوي ، إلا أنهما يختلفان في التركيب المنطقي : فقولي «الفيل حيوان أسود» مؤلف من عبارتين . يمكن تحقيق كل منهما على حدة ،

(١) Wisdom, John : Moore's Technique (The philosophy of Moore ed. Schilpp)

ص ٢٥٤

(٢) Schlick, M. , The Future of philosophy

ص ١٣٢

(٣) Ramsey, F. P. : The Foundations of Mathematics

ص ٢٦٣

كما يمكن اثبات واحدة وثقى الأخرى ، أو اثباتها معاً ، أو تفهما معاً ،
والعبارتان هما : (١) الفيل حيوان ، (٢) الفيل أسود ، فهاتان العبارتان
مستقلتان ، لا يتوقف صدق الواحدة أو كذبها على صدق الأخرى أو كذبها
إذ يجوز لى أن أقول — مثلاً — إن الفيل حيوان ولكنه ليس أسود ،
أو أن الفيل أسود ولكنه ليس حيواناً ، أو أقول إن الفيل لا هو حيوان
ولا هو أسود ، أو هو حيوان وأسود فى آن معاً .

لكن بما هكذا تتركب العبارة الثانية « الفيل حيوان صغير » ، إذ يتألف
بنائها من قضيتين أيضاً ، لكنهما مختلفتان نوعاً ، وهما : (١) الفيل حيوان .
(٢) الفيل أصغر من متوسط القبيلة ، وهذه القضية الثانية — كما ترى —
قضيتها علاقات وليست — مثل الأولى — قضية عملية ، أعنى أنها لا تصف
الفيل بصفة قائمة فيه ، بل تنسبه إلى أفراد أخرى من مجموعة معينة تنسبه
تبين علاقتها بها ، وألا فلو خلتنا عبارة « الفيل حيوان صغير » إلى عبارتين
هما « الفيل حيوان » و « الفيل صغير » لجاءت العبارة الثانية منهما بغير معنى ،
إذ الصغر والكبر لا يكونان إلا بالنسبة لشيء إلى شيء آخر ، كما أن يساوية
أو يصغرسفته أو يكبرسفه ، ولورثتنا العبارة — مهملة بغير تحديد — على أساس
أننا ننسب الفيل إلى سائر الحيوان ، لما كان صواباً أن الفيل صغير بالنسبة
لسائر الحيوان ، وإن يكن صغيراً بالنسبة لسائر القبيلة .

وخذ هذا المثل السابق بعد تحليله ، وانتقل إلى أصحابنا المتأخرين
لترى كيف تتألف مشكلاتهم الكبرى من قصورهم عن أمثال هذا التحليل
المنطقي لعباراتهم ، فمثلاً مشكلة القيم الأخلاقية والجمالية هل هى ذاتية
أو موضوعية ، قد نشأت كلها من الظن بأن هاتين العبارتين متساويتان :
(١) هذا أصغر ، (٢) هذا خير .

لما دامت العبارتان تتشابهان فى التركيب النحوى ، فقد سبق إلى ظنهم
أنهما متساويتان فى التركيب المنطقي كذلك ، وإن كان الأمر كذلك ، ثم
إن كان اللون الأصفر شيئاً خارجياً يضاف إلى موضوعه فيكسبه صفة ما ،
وقد يزول عنه فتزول عن الموضوع صفته تلك ، إذن « فالخير » كذلك
(أو الجمال) شيء خارجى يضاف إلى موضوعه أو يزول عنه ، فيكسب

موضوعه صفة أو يفقد صفة ، وكما أن الانسان لا دخل له في أن يكون الشيء أصغر ، فكذلك لا دخل له في أن يكون الشيء خيراً أو جيئلاً ، فهذا يطبق صفة اخير وصفة اجمال من الخارج كما يطبق صفة الأصفرار .

لكن الأمر كله — كما قلنا — مصدره قصور عن التحليل ، فلو حللنا العبارة الثانية « هذا خير » إلى عناصرها فقلنا « هذا الشيء بينه وبينى علاقة هي إحداث البلدة » ظهر على الفور بأن العبارتين (١) هذا أصغر ، (٢) هذا خير ، وإن يكونا متشابهتين نحويًا إلا أنهما مختلفتان في البناء المنطقي ، فالاولى قضية حملية تصف موضوعاً بصفة قائمة فيه ، والثانية قضية علاقات بين العلاقة بين شيئين هما (١) الشيء المشار إليه ، (ب) أنا. (١)

ومثل آخر من المشكلات الميتافيزيقية كيف تنشأ عن خطأ منطقي في فهم العبارات اللغوية ، هذه التفرقة التي يجعلها الميتافيزيقيون بين « الوجود الفعلي » و « الوجود الضمني » (٢) ، إذ يقولون إن هناك مرحلة بين الوجود والعدم هي مرحلة الوجود الضمني ، فليست القسمة ثنائية بين ما هو موجود وما هو غير موجود ، أو قل بين ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي ، بل هناك كائنات بين بين ، هي الكائنات التي ليس لها وجود فعلي ، لكننا نتحدث عنها ونصفها بصفات معينة ، فمثلاً « العنقاء » طائر غير موجود ، لكنني أقول عنه إنه طائر وإنه طويل العمر الخ ، فماذا أصف بهذه الصفات ؟ است أصف شيئاً موجوداً بين الأشياء ، إذ ليس للعنقاء وجود فيشار إليه ، يشار الى الصقر والذئب ، لكنني في الوقت نفسه يستحيل أن أصف بالعدم بصفات إيجابية فأقول إنه طائر وإنه طويل العمر ، إذن فالعنقاء « وجود ضمني » فلا هو موجود فعلاً وتحققاً ، ولا هو معدوم . .

لكن المشكلة المزعومة هنا مصدرها خلط في التحليل المنطقي للعبارات ، فلأننا نجد شيئاً ظاهراً في البناء النحوي بين هاتين العبارتين :

(١) العنقاوات ليست موجودة .

(٢) الأنهار ليست مدحة .

(١) ليست هذه الأمثلة مأخوذة من « مور » كلا ولا هي تمثل آراء دائماً ، فنحن هنا متنبون بطريقة في التحليل وحسب ، أما الأمثلة فقد اخترتها لتخدم رأيي وهذا .

(٢) أنعد بالوجود الذي ترجمه لفظة Existence وبالوجود الضمني ترجمه Subistence

ترانا نزع أنهما شبهتان أيضاً في بناءهما المنطقي ، فنظن تبعاً لذلك أن كلتا العبارتين على السواء تنفيان صفة من موصوف — أو محولاً عن موضوع لو استعملنا لغة المنطق — أما العبارة الأولى فتنتفي صفة الوجود عن العنقافات ، وأما الثانية فتنتفي صفة الملحجية عن الأنهار ، ثم نظن أيضاً أن الموضوع في كلتا العبارتين يتألف من طائفة معينة من أفراد ، فموضوع العبارة الأولى هو طائفة العنقافات ، وموضوع الثانية هو مجموعة الأنهار ، وطائفة العنقافات تشترك كلها في صفة عدم الوجود ، كما أن مجموعة الأنهار تشترك كلها في صفة عدم ملحجية ماها .

لكن لحل العبارتين تحليلاً منطقياً ، نجد أنهما مختلفتان اختلافاً شديداً من شأنه أن يزيل المشكلة المتافيزيقية التي نشأت حول « الوجود الضمني » .
وابداً بتحليل العبارة الثانية : « الأنهار ليست ملحة » ، هذه العبارة تنحل إلى مجموعة كبيرة من قضايا أولية ، تتخذ هذه الصورة الآتية :

س_١ نهر و س_١ ليس ملحاً
س_٢ نهر و س_٢ ليس ملحاً
س_٣ نهر و س_٣ ليس ملحاً

س_٤ نهر و س_٤ ليس ملحاً

ليس من الصدق أن تجتمع في فرد جزئي واحد هاتان الصفتان معاً .
وما أن يكون الفرد الجزئي نهراً وأن يكون ملحاً في آن معاً .

ثم انظر بعد ذلك في العبارة الأولى : « العنقافات ليست موجودة » .
فلن نجد عنقافاً ، عنقافاً ، عنقافاً ... ، لأنك منذ بداية الشوط لن تجد أفراداً جزئية ، فلو كمل علمنا عن العالم كله ، ولو وضعنا هذا العلم الكامل في قاعة طويلة من قضايا ، كل قضية منها تثبت صفة لموصوف ، لما كان

في هذه القائمة قضية : « العنقافات ليست موجودة » لأن العنقافات ليست جزءاً من العالم .

فأساس الخطأ المنطقي هنا ، هو أننا عاملنا الفئة الفارغة من الأفراد معاملةً لنا للفئة ذات الأفراد ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى أننا حسبنا أن العبارتين . متشابهتان منطغياً من حيث أن الكلمة الأولى في كل منهما (« العنقافات » و « الأنهار ») موضوع تنفي عنه محولاً ، لكن الحقيقة هي أن « الأنهار » في العبارة الثانية محمول ، لأنني — كما رأينا — حين أفرد الأنهار فرداً فرداً وأقول س نهر ، س نهر الخ ، فأنا في كل حالة من هذه الحالات الأولية أصف شيئاً ما بأنه نهر ، ثم في النهاية أصف مجموعة ما بأنها أنهار ، وإذن فلفظة « أنهار » محمولة على موضوع ، وليست في ذاتها موضوعاً ، وأما في العبارة الأولى « العنقافات ليست موجودة » فلفظ « العنقافات » يتخذ وضع المحمول ، لكنه لا يفعل فعله ، إذ ليس هناك فرد واحد يحمل عليه .

فإذا جئت تسأل : علام أبحث حين أقول « العنقافات ليست موجودة » ؟ أليس يتحتم أن يكون للعنقافات « شبه وجود » حتى يتسنى لي الحديث عنها ؟ وما دامت العنقافات لا وجود لها بين الموجودات الفعلية ، فنقول إنها موجودات وجوداً ضمنياً . الخ ، أقول إنك إذا جئت تسأل هذا السؤال بعد التحليل الذي أسلفناه ، فسيكون جوابنا هو : إنك لا تتحدث شيئاً مشروطاً ، فالأصوات التي نظقت بها هي مجرد أصوات ، اتخذت « صورة » الكلام وليست من الكلام في شيء .

ومثل ثالث من المشكلات الميتافيزيقية التي لا تحتمل البقاء في أشعة التحليل المنطقي . هذه المشكلة المشهورة التي يثيرها أفلاطون في اجتماع الأضداد في الأشياء الجزئية ، مما يخفضها في سلم الوجود ، فما دام الشيء الواحد قد يكون كبيراً وصغيراً في آن واحد ، أو حاراً وبارداً في وقت واحد ، إذن فهو — عنده — موجود وغير موجود في وقت واحد ، وإذن فهو من الأشياء المتغيرة المعرضة للضرورة ، وليس هو من الحقائق الثابتة الخالدة .

ولنضرب لذلك مثلاً هاتين العبارتين الآتيتين :

١ — هذه بطيخة صغيرة .

٢ — هذه البطيخة نفسها فاكهة كبيرة (بالنسبة الى البرتقال مثلاً)
إذا فالبطيخة — بلغة أفلاطون — صغيرة وكبيرة معاً . . الخ وإنا في الحقي
لنعجب عجباً لا ينقضى من أمثال هذه المشكلات يثيرها الفلاسفة من لاشئ . ا
هل يحتاج الأمر هنا إلى إعجاز في التحليل حين نقول إن العبارة الأولى تنسب
البطيخة الى مجموعة من أفراد غير المجموعة التي تنسبها اليها العبارة الثانية ،
فلا يكون هنالك تناقض بين أن تكون البطيخة صغيرة بالنسبة الى أفراد
المجموعة الأولى (وهي مجموعة البطيخ) وكبيرة بالنسبة الى أفراد المجموعة
الثانية (وهي مجموعة الأصناف الأخرى من الفاكهة كالبرتقال) ؟

يقول بيرتراند رسل في هذه المشكلة الأفلاطونية ما يأتي : « انني لأظن
أن الاعتراضات المنطقية التي يثيرها أفلاطون ضد وجودية الأشياء الجزئية
وجوداً حقيقياً ، تثبت أمام النقد ، فهو يقول مثلاً إن ما هو جميل هو أيضاً
قيح من بعض نواحيه ، وما هو ضعيف هو كذلك نصيف وهكذا ، لكننا
حين نصف أثراً فنياً بأنه جميل من بعض نواحيه قبيح من بعضها
الأخر ، فإننا نستطيع دائماً بواسطة التحليل (على الأقل نظرياً) أن نقول :
« إن هذا الجزء أو هذه الناحية من الأثر جميلة ، بينما ذلك الجزء أو تلك
الناحية منه قبيحة » ، وأما عن « الضعف » و « النصف » فهذان حدان
متضايقان ، وليس هنالك تناقض في الحقيقة الواقعة وهي أن ٢ ضعف ١
ونصف ٤ ، أن أفلاطون ما ينفك يثير حول نفسه المشكلات من سوء فهمه
للحدود المتضايقة ، فهو يظن أنه مادامت (ا) أكبر من (ب) وأقل من (ج) ،
إذا تكون (ا) كبيرة وصغيرة في آن معاً ، وهو الأمر الذي يدوله متناقضاً ،
وأمثال هذه المشكلات نسلکہا في عداد الأمراض الطفلية التي أعميت بها
الفلسفة » (١)

قدمنا فيما سبق أمثلة للتحليل المنطقي كيف ينتهي باقتلاع المشكلات الميتافيزيقية اقتلاعا من جذورها ، وذلك حين تكون تلك المشكلات قائمة على خطأ منطقي في تحايل العبارات وفهمها .

لكن التحليل المنطقي وحده لا يكفي للتخلص من سائر المشكلات التي ما برحت تشغل الميتافيزيقيين ، فيجىء التحليل الفلسفي ليجهز على البقية الباقية ؛ فهناك فرق بين نوعين من التحليل : المنطقي من ناحية والفلسفي من ناحية أخرى .
وتمهداً لآبراز الفرق بين هذين النوعين من التحليل ، نقول إن ألفاظ اللغة نوعان : أسماء وعلاقات ، فأما الأسماء فهي الألفاظ التي تسمى بها الأشياء ، فهذا قلم وهذا كتاب وهذه شجرة ، وإذا فالألفاظ الثلاثة « قلم » و « كتاب » و « شجرة » أسماء لأشياء ، وأما العلاقات فالألفاظ لا تسمى شيئاً في عالم « الأشياء » وإنما تربط الأجزاء في بناء واحد ، دون أن تصيف إلى تلك الأجزاء جزءاً جديداً ، فحين أقول : « إن الكتاب بين الخمرة والمصباح » ، لا يكون في عالم الأشياء إلا ثلاثة : « كتاب » و « خمرة » و « مصباح » أما كلمة « بين » وكلمة « و » فلا تسميان شيئاً ، وكل عملهما هو أن تربطاً الأجزاء الثلاثة الأخرى في بناء واحد لغوي ، حتى تبحى العبارة المرتبطة الأجزاء صورة تعكس الواقعة الخارجية « بأشياءها » و « علاقاتها » .

ومهمة المنطق الرئيسية هي البحث في هذه الألفاظ التي لا تسمى « شيئاً » مثل « كل » ، « بعض » ، « إما ... أو » ، « إذا ... إذن » الخ ، لأنه حين يبحث في هذه الألفاظ « العلاقية » فانهما يبحث في التركيبية الصورية للعبارة ، بغض النظر عن « المادة » التي تملاً ذلك الاطار الصوري ، فإذا تناولت هذا التركيب الصوري بالتحليل لأخرج ما يحتويه من علاقات بين أجزائه ، كان التحليل منطقياً .

أما إذا تناولت أسماء « الأشياء » بالتجديد والتحليل ، فليس ذلك « منطقاً » إنما هو تحليل « فلسفي » ، فإذا حلت — مثلاً — فكرة العدد ، أو فكرة المكان أو الزمان أو المادة أو الدولة وما شابه ذلك ، فلا أكون عندئذ في مجال

البحث المنطقي لأن المنطق صوري بحث ، بل أكون في مجال بحث آخر ، هو الذي نسميه بالتحليل الفلسفي ، ماذا الأمر لا يزال متعلقاً بالألفاظ والعبارات (لأنه لو جاوز ذلك إلى وصف الأشياء الخارجية نفسها وتحليلها إلى عناصرها تحليلًا مباشرًا ، كان ذلك علمًا طبيعيًا ، فلا هو تحليل منطقي ولا هو تحليل فلسفي) .

نقول إن التحليل المنطقي وحده لا يكفي للقضاء على الميتافيزيقا ، لأنه يقوم بجانب واحد ، وهو بيان أن العبارات الميتافيزيقية تتكشف عن خطأ في فهم قائمها للبناء اللغوي وما ينطوي عليه من روابط وعلاقات ، فيجىء التحليل الفلسفي ليجهز على البقية الباقية ، إذ يتناول المدرجات الفلسفية نفسها بالتحليل ، مثل « القيم » و « حرية الإرادة » و « وجود العالم الخارجي » و « شخصية الدولة » وما إلى ذلك ، والمشكلة التي عني بها « مور » بصفة خاصة هي مشكلة « وجود العالم الخارجي » (١) .

في التحليل الفلسفي نهدف إلى التقليل من الألفاظ الاصطلاحية ، وما كانت اللفظة الاصطلاحية الواحدة كثيراً ما تنتحل إلى عبارة طويلة من الألفاظ الأخرى المألوفة في الحياة اليومية ، كان التحليل في الكثرة الغالبة من الحالات ، ينتقل من جملة أقل إلى جملة أكثر في عدد الكلمات ، وبهذا وحده يمكن إخراج العناصر التي كانت منطوية في جوف الجملة الأصلية ، فمثلاً لتحليل عبارة « إنسان كاذب » نقول : « يكون الإنسان كاذباً إذا قال خيراً على سبيل الإثبات ، ليحمل السامع على الحكم بأنه — المتكلم — يعتقد في صدق الخبر ، مع أنه في الحقيقة لا يعتقد في صدقه » .

ونحب هنا أن نذير إلى نقطة هامة ، وهي أن القارئ لعبارة ما ، قد لا يعلم للوهلة الأولى كم هو يجهل من عناصر معناها ، حتى إذا ما فصلت له تلك العناصر ، لم يعرف جديداً ، بل اتضح له في جلاء ما كان في إدراكه الأول مشوباً بالغموض ، وإذا أردت مثلاً لذلك فأنظر إلى هذه العبارة

Moore, G. E. : Proof of an External World, (Proceedings of the British Academy, (١)
Vol. XXV, 1939, pp. 273-300)

البسيطة : « زهرة اللعب مكعبة » ، هل برزت أمامك كل العناصر المحتواة في المعنى ؟ إذا أجبت بالإيجاب فأعود إلى سؤالك : كم حافة لزهرة اللعب ؟ إنني لأدري بماذا ستجيب لنفسك عن هذا السؤال ، لكنني أرجح أن الإجابة الصحيحة وهي أن للمكعب اثنتي عشرة حافة لن تسرع إلى المنول أمام ذهنك ، وإذا كان أمرك هكذا ، إنذا فلم تكن فكرة تكعيب زهرة اللعب واضحة كل الوضوح كما قد ظننت⁽¹⁾ .

ونسوق لك مثلاً آخر للتحليل الفلسفي ، نحاول فيه أن نجيب « بياناً للطريقة التي يهدم بها التحليل الفلسفي مدركات الميتافيزيقا :

« تركيا حاربت اليونان » ، انظر الى هذه العبارة تجدها في ظاهرها شديدة الشبه بعبارة مثل « زيد قاتل عمراً » ، ففي كلتا العبارتين ترى طرفين مرتبطين بعلاقة ما ، الطرفان في العبارة الأولى هما « تركيا » و « اليونان » والعلاقة التي تربطهما هي « الحرب » ، والطرفان في العبارة الثانية هما « زيد » و « عمرو » والعلاقة التي تربطهما هي « القتال » .

لكن ابدأ في عملية التحليل ، تر الفرق واضحاً ، وتعلم كيف يقع كثير من الأخطاء التي يظلفون عليها اسم ميتافيزيقا ، قواضح في العبارة الأولى أن « تركيا » باعتبارها قطعة من الأرض لم تكن هي التي حاربت « اليونان » باعتبارها قطعة من الأرض ، وإنما المقصود من كلمتي « تركيا » و « اليونان » مجموعتان من الناس ، مجموعة هنا ومجموعة هناك ، بل المقصود — بعبارة أدق — جيشان يتألف كل منهما من أفراد معروفين ، كانت المعلومات الفردية عن كل منهم مثبتة في قوائم معينة ، ولو أردنا وصفاً واقعياً كاملاً للحوادث التي نطلق عليها عبارة « تركيا حاربت اليونان » لجعلنا نذكر الأفراد الذين كان يتألف منهم الجيشان فرداً فرداً ، لنقول ماذا صنع كل فرد من هؤلاء وأولئك قولا تفصيلياً يذكر أعمال الفرد الواحد عملاً عملاً ، ويذكر لكل عمل ظروفه الزمانية والمكانية ، بحيث يصبح لدينا في النهاية قائمة طويلة من قضايا أولية ،

Langford, C. H. : Moore's Nation of Analysis (The philosophy of Moore, ed. (1) Schilpp).

صورة كل منها هي : الفرد : س « التركي قام بالعمل » نص « بالنسبة
اليوناني م » وهكذا .

فإن كان مثل هذا التحليل مستحيلا من الوجهة العملية ، فقل ما يهدينا
إليه هو ألا نخطئ فنظن أن « تركيا » و « اليونان » كلمتان تطلقان على
حقيقتين ، كل حقيقة منهما قائمة بذاتها ، كما هي الحال في قولنا « زيد قاتل
عمراً » ، فليست « تركيا » اسماً على مسمى بمثل ما يكون « زيد »
اسماً على مسمى ؛ وكذلك ليست « اليونان » اسماً على مسمى كما يكون
« عمرو » اسماً على مسمى ، ليس هنالك كائن قائم بذاته يشار إليه في لحظة
معينة ومكان معين ، ويقال هذه هي « تركيا » أو هذه هي « اليونان » ،
وإذا عرفنا ذلك ، أدركنا أن ما نسميه بلقطة « تركيا » أو بلقطة « اليونان »
هو في الحقيقة تركية زعنية ليس لها ما يطابقها في عالم الأشياء الخارجية ،
في عالم الأشياء الخارجية هذا وهذا وذلك من الأفراد الذين يسكنون قطعة
معينة من الأرض ، فأبني أنا من هذه المفردات بناء خيالياً ذهنياً وأسميه
« تركيا » — مثلاً — سهيلاً للتفاهم .

بهذا نتخلص من الوهم الميتافيزيقي الذي قد يقع فيه الفلاسفة السياسيون
حين يفرضون أن « الشعب » له كيان وجود قائم بذاته عل نحو ما يكون لزيد
أو لعمر من الأفراد كيان وجود ، ومصدر الخطأ أن هنالك « أسماء »
نحسبوا أن لكل اسم مسماه ، والحقيقة أن هذه الأسماء لا تشير إلى مسميات
خارجية ، ولا تعدو أن تكون رموزاً للتفاهم السريع .

١- وأمثال هؤلاء الفلاسفة الميتافيزيقيين ، حين يهتزون حولهم فلا يجدون
« دولة » أو « شعباً » بين الموجودات الفردية التي تقوم وتقع وتنا كل
وتنام وتمرض وتلبس الثياب ، تراهم يمدون في الوهم فيفرضون بأن
« الدولة » — مثلاً — كائن من طبقة أعلى من طبقة الكائنات الفردية ،
وكثيراً ما يخلصون من هذا التفكير إلى نتيجة أو نتائج ، لها كل الخطر
على حياة الأفراد ، كأن يقولوا — مثلاً — إن الدولة أعلى من الفرد
في سلم الوجود ، وإذن فليس للفرد حق مناهضة أو الثورة عليها ، فإذا
ما تناول فيلسوف التحليل هذه الميتافيزيقا بمبضعه ، وجدها قائمة على غلطة

منطقية في فهم العبارات وتحليلها لا أكثر ولا أقل ، والغلظة هي الظن بأن العبارة التي ترد فيها كلمة « دولة » أو « أمة » أو « شعب » أو ما هو شبيه بذلك ، هي كالعبارات التي تتحدث عن فرد من الأفراد ، فإذا فككتنا كل عبارة فيها لفظة « دولة » — مثلاً — إلى قائمة طويلة من العبارات الأولية التي تتحدث كل منها عن فرد واحد في حالة واحدة من حالاته الكثيرة ، تبخرت هذه الأشباح الوهمية وزالت من الوجود ، وزالت بالتالي الميتافيزيقا القائمة على أساسها .

وأهم مشكلة عالجاها « مور » بهذه الطريقة التحليلية ، هي مشكلة العالم الخارجي ، إذ ترى أصحاب التفكير الميتافيزيقي بقضاء لون : هل العالم الخارجي موجود حقيقة ؟ وإن كان موجوداً فهل هو واحد أم كثير ؟ أتدري كيف أقام « مور » البرهان على هذه المشكلة المزعومة .. ؟ أقامه هكذا :

« أستطيع الآن أن أقوم البرهان — مثلاً — على أن يدين بشريتين موجودتان ، كيف ؟ بأن أرفع كلتا يدي ، قائلاً — وأنا أشير إشارة خاصة بيدي اليمنى : « هذه يد واحدة » ، ثم أضيف إلى ذلك قولي — وأنا أشير إشارة خاصة بيدي اليسرى — « وهذه يد أخرى ... » ^(١) .

هذا في رأي « مور » برهان كاف على أن العالم الخارجي موجود أو على أنه متكثر ، وهو برهان لأن المقدمات فيه غير النتيجة (المقدمتان هما : (١) هذه يد ، (٢) وهذه أخرى — والنتيجة هنالك يدان موجودتان — وقد اعتبر النتيجة مختلفتين عن المقدمتين ، لأنها قد تكون في ذاتها صواباً مع خطأ المقدمتين ، إذ تستطيع — مثلاً — أن ترفع قلباً وتقول هذه يد ، ثم ترفع كتاباً وتقول : وهذه يد أخرى ، ثم تستنتج النتيجة : إذن هنالك يدان موجودتان ، فتكون النتيجة صواباً والمقدمتان خطأ ، وعلى ذلك فتقول هذه يد وتلك أخرى زعم يختلف عن الزعم المثبت في النتيجة وهو : هنالك يدان

موجودتان) ، أقول إن هذا في رأى « مور » برهان كافى على وجود العالم الخارجى ، وعلى أن هذا العالم كثير ، لأنه مؤلف من مقدمتين ونتيجة ، ولأن المقدمتين ثابت صدقهما على أساس « الفهم المشترك » ، وإن تكون النتيجة على الأخرى صواباً — لكن النتيجة تثبت وجود أكثر من يد واحدة ، إذن هنالك — على الأقل — شيان ، هما هاتان اليدين .

لقد توهم الميتافيزيقيون وجود المشكلة ، لأنهم — كما يبدو — حين تساءلوا : هل العالم الخارجى موجود ؟ حسبوا أن هاتين اليدين البشريتين اللتين أعلم بوجودهما علماً — يثور على « الفهم المشترك » لو أنكرت صحته — حسبوا أن هاتين اليدين البشريتين ليستا من الضخامة والفخامة بحيث تكفيان أن تكونا عالماً خارجياً ، حسبوا أن العالم الخارجى كلمة مجيدة عظيمة غير هذه الأشياء الجزئية البسيرة التى أعلم بوجودها ، لكن فيلسوف التحليل يفك بمشرطه هذه العقدة إلى خيوطها ، فإذا هى أبسر جداً مما توهم الميتافيزيقيون .

هكذا جعل « مور » مهمة الفلسفة تحليل العبارات تحليلاً منطقياً وتحليلاً فلسفياً ، توضيحاً لمعناها ، حتى يزول الأثر الذى تستند عليها الفلسفة التأملية ، لأن هذه الفلسفة — كما قد أظهر التحليل — قائمة كلها على أغلاط منطقية فى فهم العبارات اللغوية — أقول إن التحليل هو المهمة الرئيسية التى جعلها « مور » شغل الفلسفة وشاغل القائمين بها ، فشق بذلك طريقاً أمام مدرسة فكرية جديدة ، هى التى تستطيع أن تسميها بالمدرسة الفلسفية المعاصرة .

البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي

وتياراته الكبرى

للكنوز نجيب محمد الهريشي

(١)

صورة موهومة شائعة عن حياة العرب قبل الإسلام

الفن الجاهلي القديم هو حجر الأساس في بناء الشعر العربي كله ، وعلى خطوطه سار الشعر العربي بعد ذلك ، وقام هذا الهيكل الضخم الذي تركزت فيه مجهودات العصور التالية ، وانيسطت فيه مشاعرهم .

وفي آداب كل أمة يجد الباحث أمامه ميادين منيأة ، موطأة من التاريخ والاجتماع والفن ، درست كلها لتكون خدماً لبحثه ، ولكننا في الأدب العربي الجاهلي خاصة نجدنا لسوء الحظ بازاء نقص فادح جداً في تلك النواحي التي لا يتم الحديث على الأدب دونها .

فالباحث إما مقصر إن هو اعتمد على هذه الأحكام المبصرة المختصرة ، المنتثرة ، على صورة تاريخ للقوم في جاهليتهم ، وليست من ذلك في شيء ، وإما باعث عزمه على استكمال أبحاثه بأبحاث أخرى تمتد إلى هذه الآفاق ، يلجئ بها الضوء على تلك الزوايا المظلمة المدهمة الظلمة في الدراسات الأدبية .

ولست أزعم أنني سأفتح في مطلع هذا البحث فتوحاً في التاريخ والاجتماع ولكنني أرجو أن أكشف عن بعض الحقائق التي تذهب بشيء من الغموض المحيط بالشعر الجاهلي . هذا الغموض الذي يكشف ويكشف إذا نحن نظرنا في اتجاهات الشعر وانتشعابه ، وتياراته فوجدناها لا تنبشئ مع تلك المفاهيم القديمة المأقورة بالنفس عن الحياة العربية في العصر السابق للإسلام :

فقد غرّب الناس على وهم عجيب ، وتصوّر أعجب منه للحياة السابقة للإسلام . فعندهم أن العرب قد جاءهم الإسلام ، وهم يعيشون عيش الجماعة البدائية ، التي تبرا حياتها من النظام ، فهم في فرقة أبداً ، وفي حروب لا تنقطع . وليست حربهم بالحرب المشهورة في سبيل غاية سامية ، وإنما هي غارات قبلية يشنها قريش على ضعيفهم ، وتقوم فيها القبيلة للقبيلة ، والطائفة للطائفة في جماعة لا تزل فيها بين الناس إلا تلك الروابط الساذجة من القرابة أو النسب ، التي تقوم بين أعضاء الأسرة ، وأن هذه الروابط هي التي تنتهي عندها كل العلاقات ، وتتكيف على مقتضاها الفضائل والأخلاق .

وأول ما أحب أن أقوله هو أن هذه الصورة ليست بصحيحة ، وأن هذا الوهم خاطئ . فالعرب يوم جاءهم الإسلام لم تكن تنزل من حياتهم تلك المنزلة الجسدية هذه الدواعي التافهة . والعرب لم يكونوا يومئذ جماعة بدائية ، يعيش أهلها عيش السائمة ، لا تحكهم فيما بينهم إلا تلك العلاقات التي لانسود الجماعات إلا في الطور الباكر من تاريخها .

وإنك ليسقط عندك هذا الوهم إذا أنت نظرت فوجدت أن هذه الأمة التي تصور لنا هذا التصوّر هي نفسها التي تتحدث لغة تستطيع وأنت مطمئن تمام الاطمئنان أن تضمها في مقدمة اللغات القديمة والحديثة كلها سلامة واكتئالا ، وجمالا ، ووفاء ، وحيوية ^(١) .

فهذه اللغة موزونة ، يعتمد اللفظ الواحد من ألفاظها على بذية موسيقية سليمة قل أن تناظرها فيها ألفاظ لغة أخرى . ثم إن حركة اللغة الذاتية انداخلية المتمثلة في طواعية مفرداتها طواعية تدرج بها تحت قوانين صوتية مطردة ، وتنطوي بها تحت قياسات منتظمة ، تمتشى مع مقاصد التعبير ، وتجارب اتجاهات المعنى ، دالة كلها على تقدم التكوين .

وما كذلك تكون لغات الأمم إذا كانت عند بداية تكونها الاجتماعي ، وعلى عتبة النبه العقلي والفكري . وإنما تكون عند هذه المرتبة لغة قوم

(١) وإن ألفريد جو ليوم لبروءه ذلك الاكتناك حتى يقول « إن الآرامية ليست إلا سائنا ضربه الفكر إن هو قورل بالربية » بل إن البعيرة القديمة ، في أحسن حالاتها لا تنرم لهذه اللغة العربية » (The Legacy of Islam Preface P.VI) .

بعد أن تدور في آفاق واسعة من التعبير عن الحاجات والمشاعر ، وتمتد إلى أعماق بعيدة من التحضر النفسى لا يمكن أن تنهياً لأمة من الأمم إذا كانت عند مطالع التكون الاجتماعى والقومى .

وإذا جاز لنا أن نقدر أعمار الأشجار عن طريق ظواهر مادية تبدو على جذوعها وسيقانها ، ومن حالة أوراقها ، فما أقرب هذا النحو من التقدير لعمر هذه اللغة أن يتحقق لنا ، ولو على نحو من التقريب ، إذا نحن نظرنا إلى اللغة العربية على ضوء هذا التقدم التكوينى ، والاكتئال البنائى لها .

فاللغة العربية لا يمكن أن تكون لغة قوم كانت تلك حالهم قبل الاسلام مباشرة . ولو صح أنهم كانوا كذلك ، وأنهم كانوا قد ورنوا هذه اللغة عن أجيال منهم سبقت كانت على قدر من التحضر والمدنية لم يكونوا هم عليه ، لو صح ذلك لانحدرت هذه اللغة فى أيديهم فى خلال المائتى السنة السابقة للاسلام انحداراً يردها عن تقدمها إلى ما يشبه تأخرهم ويناسبه . لأن الأمم لا تستبقى من لغاتها ما تعجز عقولها عن أن تتناسب مع سموه ، ولا أن تحتفظ منه بما لا تمس إليه حاجتها .

وهذه الأمة نفسها هى الأمة التى نشأ فيها الاسلام . والاسلام بوصفه نظاماً تشريعياً يراد به إلى تنظيم الجماعة ، تجرى أحكامه على حال لا يمكن معها أن يقال عنه : إنه نزل لتنظيم جماعة بدائية جياتها على تلك الصورة التى أطال المؤرخون والقصاصون الحديث عنها . فالجماعة البشرية لا يمكن أن تنقل طفرة من حالة الفوضى ، وعدم الاستقرار ، والتفرق الذى يمت إلى شريعة الغابة ، إلى حالة من النظام المثالى الذى لا يكاد يتصل به مثال . وقد تصور هذه النقلة وصية أبى بكر رضى الله عنه لجند أسامة بن زيد فى خروجهم إلى الشام بعد موت رسول الله . فأنها تصور قوانين حريمهم ، وقوانين عهدهم ، ومقدار ما انتهوا إليه من سمو فى إنسانية معاملتهم ، ومن فهم للخلق العام . يقول أبوبكر : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تسقروا نخلًا وتمزقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً .

وسوف همرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم قد قصصوا أوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خثقا . اندفعوا باسم الله » (١١) .

وقد فعلوا ما أمرهم به أبو بكر ، لم يخرج منهم عن ذلك خارج ، على ضخامة العدد ، ومنزالي الامتحان . هذا التقدر من الحضارة النفسية لا يمكن إلا أن يكون في القوم عربيا وليس يمكن أن تنتقل إليه أمة بمجرد تغييرها دينها ، فالحضارة عبء يتناسب دائما مع قدرة الأمة الناهضة به ، ومع عددها . والقدرة والعدد في هذا متلازمان لا يفرقان . فالأمة قد تزيد عددها وتتأخر قدراتها فلا تستطيع النهوض بعبء حضارة من الحضارات ، وقد تزيد قدراتها ويقل عددها فيتأثر بذلك قدر سيرها بنوع عينته من أنواع الحضارة .

والإسلام أول نظام تشريعي ربط بين الدين والدنيا ، وجعل من ضمير الانسان رقيبا مسلطا على أعماله ، وأقام لله تمنا لا حيا في قلب كل رجل ، فأحال الدين إلى قوة إيجابية عاملة في الحياة .

والاسلام أول تشريع جعل المساواة الكاملة بين الناس في الحقوق نظاما ، وفرض هذا النظام واجبا على الدولة وعلى الأمة :

والاسلام أول نظام جعل من حق المحكوم اختيار الحاكم ، وقيد الحاكم ، وأطلق يد الجماعة في التصرف بحكامها باعتراف الحاكم نفسه ، وخطبة أبي بكر بعد البيعة مشهورة « أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . . . الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه . . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (١٢) .

والاسلام أول تشريع انتهى إلى جعل سلامة الفرد من أي لون ومن أي جنس — مادام قد اعتنق الدين أو دخل في الذمة — أساس تكوين الجماعة . وإقامته الفرد من غيره مقام المساواة المطردة ، ووضع موضع اللبنة

(١١) (الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٢ ، ط الأزمريه) .

(١٢) (ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠) .

المتيزة في بناء الجماعة أمران يكشفان عن إحساس فذ بالكرامة الانسانية
لسنا نعرف له نظيراً في تاريخ الأمم التي سبقت العرب إلى قيادة الحضارات .

ثم إن الاسلام مع هذا الإدراك الواضح لقيمة الفرد لم يغفل
حق « الجماعة » ولم ينس كيان « الأمة » .

« والأمة » في الاسلام ليست بمعناها الضيق الحديث وحدة جغرافية ،
أو جنسية ، وإنما هي وحدة حضارية كبرى تطوى كل جماعة تعتنق
الاسلام فهي في امتداد أبداً ما امتد الدين واستبحر سلطانه . وهذا الدين
لم يزل لجنس بعينه ، ولم يعث به نبيه إلى بيئة محدودة ، وإنما أُنزل
للناس كافة ، وجعل الجهاد فيه فريضة على من اعتنقه ، ومعنى ذلك أنه يرمي
إلى تكوين وحدة إنسانية عامة ، تتحقق فيها تلك المثل الحضارية التي رسمها
لبنييه جميعاً . وهو إحساس جديد بجماعة إنسانية تهضم الأجناس والألوان ،
لم يسبق إليه قبل الاسلام دين : ولم تبلغ مداه حضارة ، وهو أمانة يفرضها
الدين على معتنقيه يؤدونها للانسانية بشئ يدفعونه من دماهم وحياتهم .

وقد تدعو النحلة أو الهوى أو الرأي إلى الاختلاف في تقويم الوسائل
التي اصطنعت لتحقيق هذه المثل عملياً في الحياة ، ولكن الاختلاف في تقويم
الغاية هنا عسف وجور . والاختلاف حول التطبيق لا يمكن أن يمتد
إلى غير القول بأن بلوغ الانسانية إلى هذه المرحلة نمو في تكوينها الجماعي
والعقلي ، وأن الأمة التي طمحت إليه أمة قد اتسعت آفاق تفكيرها اتساعاً ينمي
عن غير هذا المفهوم الضيق لحياتها في فترة سبقت هذا العهد من تاريخها
وأدت إليه .

ومن سوء الحظ أن هذه النظرة لم تخرج على تاريخ العرب الجاهليين وحدهم ،
وعلى كل ما يمكن أن يمت إلى حضارتهم بسبب ، ولكنها جاوزت ذلك كله
إلى الجور على تشخيص طبيعة الجنس السامي كله ، إذ العربي هو المثل الأول
لهذا الجنس . فيقول ريتان :

« فالسامي لا يعرف من الواجبات إلا واجباته نحو نفسه . فطلبه الثأر ،
وسعيه إلى كل ما يمكن أن يعيده حقاً لنفسه ، يقع في عينيه موقع الالتزام .

أما أن تطالب إليه الوفاء بوعده ، والعدل في أمر لا يعنيه أو يخصه ،
فانك تطالب بذلك إليه المستحيل » (١) .

والواقع أن هذه النظرة تتجافى مع هذا الالتزام الذي وضعته الدعوة
الاسلامية في عتق المسلم بالنسبة للانسانية كلها ، وتتناقى مع اتساع الأفق
الذي يكشف عنه ما رمت إليه الدعوة الاسلامية من لم شعث الانسانية
الموزعة تحت ظل نظام عام واحد .

ولو رجح ريتان إلى نفسه ، وإلى بعض ما قرأ عن العرب في جاهليتهم
لوجد فيما قرأ عن نواذر البطولة الخلقية في الجاهلية ما لا يدع مجالاً لتصور
هذا العزى الأنانى مثلاً لكل عزى ، ثم لكل ساقى .

فقصة « كعب بن مائة الأيادي الذي أثر بنصيبه من الماء رفيقه الثمري
فبات عطشاً فضرب به للمثل في الجود » (٢) .

وأقدم من ذلك ما نقله أخبارهم من أن قوم هود لما أهلهم الله كان
منهم جماعة يستسقون لهم بمكة ومن بينهم قيل بن عزة فلما دعا قيل له : اختر
لنفسك فقال : « اختار أن يصيبني ما أصاب قومي . فقيل له : هلاك . فقال
لا أبالي ، لا حاجة لي في البقاء بعد قومي . فأصابه الذي أصاب عاداً من العذاب
فهلك » (٣) .

ولست أعرض لهذه القصص باعتبارها حقائق ، ولكن باعتبارها مصورة
لمثل خلقية في الجماعة تحرص عليها ، وتجمع عن طريقها خلائقها ، حتى تستقيها
رمزاً على الزمن داعياً إليها .

وقصص الوفاء التي لا تعد في الجاهلية وما أثر عن الجود في العرب ،
وحق الضيف ، وحق الجوار ، وغير أولئك تشهد بأن ريتان لم يكن ينظر
إلى الوقائع قدر ما كان يستجيب لعصبية خاصة يراها منها العلم .

(Histoire Générale et Système Comparé des Langues Sémitiques, première
partie, p. 15)

(١) (الشمر والشراء لابن قتيبة ، ترجمة أبي دؤاد الأيادي) .

(٢) عرائس المجالس لابن إسحق التلملي الشرق سنة ٤٢٧ هـ .

ولعل تلك النظرة الجريئة على الجاهلية ، التي خيل لقوم أنهم سيرفعون
بها من قدر الإسلام فأساءوا ، كانت سبباً من الأسباب التي سهلت على رينان
ترك الأخبار المتناقضة عن العرب قبل الإسلام ، والاعتماد على تصوير خاطيء
لها لم ينتقله عن وقائعها المباشرة .

ولقد أثر عن العرب أنهم كانوا قوماً يعيشون على الرعى ، ويقتولون انتجاعاً
للكلاء ، فهم رعاة قبل كل شيء . وترك هذا المفهوم لقوام الحياة العربية قبل
الإسلام ظلالاً ممتدة طويلاً على تفسير كل شيء يمت إلى الحياة العربية بسبب .

وهو زعم خاطيء . إذ ترك له الاستبداد بأنهم امنوا كل شيء عن الحياة
العربية . إذ أن الرعى لم يكن العمل الأساسي ، ولا المورد الأول لحياة
سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وإنما كان عملاً جانبيّاً ضئيلاً جداً
بالتقاسم إلى مصدر الثروة العربية التي قامت عليها الحياة الجاهلية كلها ، وحضارة
العرب التي سبقت الإسلام في الأزمنة السحيقة والقرينة . وذلك المورد
هو « التجارة » .

ولكن نذكر ذلك يجب ان نعرف قدر ما كانت تقع به جزيرة العرب
من حياة العالم القديم كله ، وما أفادته من ذلك ، والثر الذي أصابها به .

(٢)

منزلة الجزيرة العربية في العالم القديم

كان العرب أمة وسطاً في عالم مترامي الأطراف . فهم على أبواب العالم
القديم كله ، يقعون إلى الجنوب الغربي من آسيا ، فيشرفون من حيث تقع
بلادهم على المعبرين الأكبرين إلى أوروبا في البر والبحر ، وهم من إفريقيا
مشرفون كذلك على المعبرين الأكبرين إليها في البر عن طريق برزخ السويس ،
وفي البحر عن طريق البحر الأحمر بطوله كله . يستطيعون الاتصال
عن هذين الطريقين بالحبشة ، والصومال ، والسودان ، ومصر . ويمكن لهم
حذان الطريقان أيضاً من التغلغل في قلب إفريقيا ، حتى في عبور موزمبيق
في القديم . وأما آسيا فقد كان لهم إليها طريقان : طريق البر الأعظم المسار

بقلب القارة والمخترق لها حتى الصين ، وطريق المحيط الجنوبي ، وقد روضوه
وذلوله حتى استقاد لهم . فكانت سفنهم تخترقه ، على أهواله ، إلى الهند ،
وجزر الهند الشرقية ، وتوغل فيه حتى الصين .

وكانت جزيرتهم قد جمعت بين لونين من ألوان الحياة متضادين تضاد
الأطراف . فمن صحارى جرداء قاحلة ، تجف فيها الدماء رهبة ، وتطير فيها
النفوس هلعاً ، إلى أودية خصيبة تجري الحياة في عروقها خضراء ريانة ،
وترف أشجارها بظلالها الرطبية ، وثمارها الحلوة ، ومن جبال ربداء غبراء
تكاد تذوب صخورها الصم بين وهج الشمس تتكالب عليها الصيف والشتاء ،
إلى نجاد منبسطة تنبجس من صخورها العيون ، وينبت عليها أجمل زهر ،
وأطيب ثمرة . يمكن أن ينبت في مناطق الأرض المعتدلة المناخ .

وهذا كله يتوزع فيها توزيعاً عجيباً بحيث يصبح خيراً في أمن بما أحاط به
من شرها ، وأهلها بحيث يستمتعون بما وهبته لهم طبيعة أرضهم لا يشاركونهم
في الاستمتاع به غيرهم ، وبحيث يحترقون بلظاء ، ويلقون عنته لا يشاركونهم
في ذلك غيرهم أيضاً .

فصحارها تقع منها موقع الدرع الحامى لها من الغير ، وأوديتها تتبعثر
بين جبالها الواقعة في داخلها أو عند أطرافها الجنوبية أو الغربية
التي يحميها البحر .

ويحيط بالجزء الأساسى من شبه الجزيرة سوار من الحضرة الرائعة تمتد
في شرقها وشمالها ، ويمثل في العراق ، والشام ، ومصر .
وهذا السوار ظل أبدأ للتنفس الطبيعى لسكانها ، وموطن المد والجزر
لطاقمهم العديدة إذا زادت عن طاقة أرضهم أو تقصت .

وهذا الهلال أيضاً كان مسكنهم ، وماوأم ، وكرسى ملكهم ، وديهم
الذى لم ينحصر عنه سلطانهم في هذا الشطر من الدهر الذى يمكن أن يمتد إليه
علم الانسان . ولقد كانوا أحياناً يغلبون على أمرهم فيه ، ولكنهم لم يفارقوه
قط ، ولم يحتله غيرهم ويطردوهم منه ، فإنهم ضعف فيه سلطانهم بعض الزمان

صابروا الزمان ، حتى إذا استدار دورته نبذوا سلطان غالبيهم ، وعادوا إلى سيادة
بيتهم ، يتكرر ذلك على الدهر .

هذه البيئة المتغيرة النوعية كانت مجالا صالحا لنمو الجنس وتكاثره ، ولزيادة
السكان زيادة متصلة ، إلا في حالات كانت تصيبهم فيها الأوبئة : أو تضر بهم
فيها الأرض ، أو يعصف بهم الجو ، فيمتر الجنس كله ، ويندفع في موجات
من الهجرة كانت تتفاوت قوة وضعفها إلى متنفسه الجيوى المخصب .

ولم تكن منتجات الجزيرة وحاصلاتها بحيث تمد سكانها بالكفاية في حياتهم
إن هم زادوا عددا فولوا وجههم شطر الانقاع . بفنيرها ، فكان من أثر
ذلك ظاهران :

١ — الهجرة إلى البلاد المجاورة والاستقرار بها ، وتأسيس لوزن من الحضارة
يقوم على أساس من صورة حضارتهم الأصلية في جزيرتهم ، ويخرج بلون
الحضارة السائد في البيئة الجديدة التي انتقلوا إليها .

٢ — الانحجار بكل حاصلات العالم القديم الذي كانوا يصلون به بحكم موقع
جزيرتهم ، يساعدهم في ذلك الجمل ، وهو أسرع وسيلة وأكفأها في ظروف
الحياة العربية في الجزيرة . فكانوا يتجرون بمحاصيل قارات ثلاث يمدون
كل جزء من العالم بما احتاج إليه من حاصلات الجزء الآخر .

فتحوحت جزيرة العرب بهذه الوسيلة إلى خلية حية ، وإلى حركة
لا تنقطع بين الشمال والجنوب ، وبين الشرق والغرب .

فلم يكن في أمم العالم القديم أمة ذلت أرضها وبحارها بمثل ما ذلت العرب
أرضها وبحارها ، ولم يكن في العالم القديم أمة قد أحكم الاتصال بين أجزائها
بمثل ما أحكم به الاتصال بين أجزاء شبه الجزيرة العربية .

وهذه الحقيقة تدعو اليوم غريبة ، بعض الغرابة ، ولكن غرابتها لا تغير
من أنها حقيقة قديمة في العالم القديم . فقد كانت هذه المسافات الطوال ،
وتلك المشاق المضنية في الأسفار تنطوى وتذلل بأثر من استخدام الجمل الذي
لم يكن يستخدم في السلم وحده ، ولكن قدراته كانت تجعله صالحا للجر

كذلك . ومن هذه الحال ما لم يكن يقل في سرعة عدوه عن الجليل ، فيذكر
هيروdotس في وصف موقعة حرية وقعت أيام دارا « أن العرب كانوا
يمتطون جمالا لا نقل سرعة عن الجليل » (١) .

ونظمت طرق القوافل التجارية ، ووضعت لها الأنظمة الصارمة
لحراستها ، وحمايتها ، وضمان سلامة بلوغها إلى غايتها ، وبنت لهذا المعامل
والحصون على الطرق وفرضت للعقوبات الزاجرة الرادعة لكل من تجرأ
على تهديد أمر هذه الوسيلة الحيوية لأهل هذه الجزيرة . وهدئت جميع الوسائل
للتغلب على عقبات الصيغرة القائلة حتى تسلطوا عليها ، وصيروها مراكبا
ذلولاً ، لا تقطع الجماعات الصغرى في أمان فحسب ، ولكن لتعده الجيوش
السكري كذلك . فيقول هيروdotس عن غزو قمير بلصر ، واختراقه بحموشه
صحراء العرب إليها ، وأخذها بذلك على غرة ، « أن العرب لم يخضعوا
قط للفرس الفارسي ، ولكنهم كانوا على صلوات حسنة . وصدافة معهم ، ولولا
أنهم سمحوا لقمير وجيوشه باجتياز طريق بلادهم إلى مصر لما استطاع
قمير فتحها » (٢) .

ويصف الطريقة التي أتوا بها لهذا الجيش الجرار اختراق كبد صحرائهم
بعد أن اختاروا له فيها أقرب الطريق بأن العرب قدموا لهذا الجيش عند الصحراء
قناة من الماء العذب ، يمر في أنابيب قد صنعوها من جلود الابل ، تصاحب
الجيش في سفره . يروى هذه ويجعل إلى جانبها رواية أخرى هي أنهم ذبحوا
من الابل عدداً ضخماً ، ثم ملأوا جلود هذه بالماء ، وحملوها على رواحل
أخرى بعدد ما قضيت الجيش حتى جاز الصحراء ، ثم يغضب بالغضب الملك
الذي كان لابد أن يقتله لو لم يغضب ملك العرب (٣) .

وكان الاحساس السليم بالحاجة إلى المحافظة على الحياة ، التي كان قوامها
التجارة ، سبيلاً إلى تعزيز اختراق هذه الأوضاع في نفوس أهل الجزيرة ،

Herodotus, VII. 86, (١) -

Hérod. III. 88 (٢) -

Hérod. III. 9. (٣) -

ورفعها بذلك إلى منزلة الفرائض الخلقية المقدسة . مجتمع على ذلك الناس إلا شذوذاً .

وإن هيرودس أيضاً ليصف لنا كيفية أخذ العرب العهد على قلوبهم إذا هم كفوهاً أمراً يحصل بتجارة أو سفارة ، فتجد طقساً دينياً كاملاً يشهد فيه إلهان إله الخمر (Bacchus) واسمه عند العرب كما ينقله المؤرخ (Orotal) واللات أي الشمس^(١) .

وقد راحت الجماعة نفسها تجعل هذه الحماية لشربان حياتها فضائل خلقية ناجية ، فكان من خلافتها حق الجوار ، وإكرام للضيف ، وإعانة للمهوف ، وغيرها مما هو منطوق في الواقع على قواعد لحماية كل ما في الجزيرة العربية مما عسى أن يصيبه من كيد لو وقع واستفاض ، فانه كان لابد أن يترك أثره العميق على أمان الوسيلة الأولى للحياة العربية .

وقد انتهى هذا للتجارة إلى رواج هائل ، وإلى فكيس الثروات التي تفضحت إلى جدد بعيد ، فأصبحت الجزيرة مخزناً للذهب العالم القديم ، ومعبداً تمثل منه خيرات كل إقليم في العالم إلى سائر أقطار الأرض . وكانت مهمة جسيمة إذ أنه كان عليها أن تقوم بتسيير التبادل لتاجر قارات ثلاث تجمع كل سكان العالم القديم المعروف .

فكان العمل للاحتفاظ بهذا حملاً تنوع به الاعتناق ، كما كان النجاح فيه غنياً يسيل له لعاب الطامحين إلى الثراء ، والذين يرون الأمور عند أطرافها من غير مكيدة لمبا تمز به أو أسطها . وقد ربي هذا اللون من حياة النضال للدائب ، يكلل فيه المسعى بالغنم الناجح ، العربي على لقاء المشاق ، والتغلب على الأحوال ، فصلب عوده ، وذكا قلبه ، وجراه ذلك على الثقل ، وجعل منه أكرم عبقرية تجارية في العالم القديم كله ، وأقوى الجنود جسداً ، وأطولهم أناة وصبراً ، وأكثرهم استعداداً للفتح إن كان الفتح طريقاً إلى دفع الشر بهم أن يقع به .

« كانت بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة المعروفة للتاريخ كرسى التجارة بين القارات ، التي كان يقوم بها النبلتيون . فغير رمال شبه الجزيرة الملتصبة نظموا صلاتهم ببلاد الهند والحبشة . فقد أصبح العرب وكلاء في إقامة العلاقات التي كانت تنظمها صور مع أمم الدنيا القديمة ، ينسب ذلك عليهم قرابة اللغتين اللتين تنتمان إلى أسرة واحدة » (١)

والواقع أنهم لم يكونوا وكلاء ، ولكنهم كانوا شركاء . شركاء حتى لتضامل التفرقة فيما بينهم على أساس اختلاف القرار والسكن إذا ذكرت معها وحدة المنشأ لأبناء الجنس الواحد في قومه . فهذه النقلة الدائمة على الدهر كانت تضرب بينهم ، وتقربهم بعضهم إلى بعض ، وإن تخالفت شيئاً صفاتهم المستفادة من مكان قرارهم . فلم تكن تفضل بينهم تلك القوميات المتباعدة على أساس البيئة الجغرافية التي تقوم اليوم بين أمم العالم الحديث . وهذه النقلة الدائمة قد قربت بين لهجات القروى المختلفة ، الموزعة لأبناء هذه الجزيرة ، ولعلنا لاحظنا ذلك دى غير خفى إذ يقول عن العربى نزار :
منه راحة كان يحمل معه إلى كل مكان رطل إلى رطله وحلقه وطعانه إلى
وإلى كل مكان كان يحمل معه رفيقه الذكيين الذين لم يفارقهما قط
الحصان والجمل ، وفى كل مكان كان ليحمل وكده إدخال الأرز والقرع
الغذاء من الوحيدى الضرورى لارضاء ذوقه وحاجته (٢)

وهذه النقلة الدائمة ، والحياة التي لا تنقطع عن الرحلة ، في داخل الجزيرة وإلى خارجها قد أتاحت له توحيد اللغة ، ووضعت الفروق بين اللهجات المتفرقة ظاهراً ، وكانت ذوقاً قريباً إلى الإجماع والحدة عامة ، يشترك الناس عن طريقها في التعبير عن حاجاتهم المختلفة في بيئاتهم المختلفة ، على تباعد المسافة ، وتزوج الجوار .

وقد قميص ذلك اللغة ، التي تنوارد عليها هذه الشعب من الجنس الواحد مزروعة ، وقوة أداة ، مستفادتين من مختلف التجارب النفسية ، والحيوية ،

ومن سعة الخلط القائمة على سعة الاتصالات ، لم تنهأ لغزها من اللغات في العالم القديم كله . وليس بعجيب إذن أن يطلع علينا الشعر الجاهلي الباقي في لهجة أدبية واحدة يشترك فيها الشامي والجنوبي ، وأبناء الوسط ، وإن وجدت إلى جانبها لهجات خاصة ، لاشك في أن الفروق بينها لم تكن من السعة بحيث تعزب بأهلها عن الاتصال بالباقيين ذلك الاتصال الذي كانت تدفع إليه كل ذرة في حياة الجزيرة العربية في تلك الأزمنة البعيدة .

أفاد العرب من هذه الحياة الجاهلية العتيقة ، القائمة على التجارة والنقلة الدائمة ، والغنى المخصب للنفوس ، والصلة المتعددة للتجارب ، الموسعة لأفاق النفوس تلك الأداة المنة المخصصة الكاملة من حيث شكلها ، ومن حيث جوهرها .

كما أفاد العرب من هذه الصلات الناجحة بالعالم القديم غنى حضارة إلى جانبهم غنى الإمبراطوريات القديمة كلها على فقر أرضهم النسي .

وأفادوا بخبرة بالدين ، وجرأة على أحوال البحار ، والمصحات ، وفهماً ذكياً لأحوال الأمم .

ولكن هذه الأمور كلها لم تكن معروفة للعالم القديم . فلم تكن اليونان ، في عصر متأخر نسبياً تشرف على الدنيا ، وتمتد بانتصارها على الفرس سلطانتها إلى الشرق حتى خيل إليهم أن الجزيرة العربية كنز يفيض بالذهب والخصب الذي ليس بعده خصب . كانوا يتصورون أن كل بضاعة حلما إليهم العرب إنما هي من نمار أرضهم . فكان لعابهم يسيل شوقاً وتحرقاً إلى فتح شبه الجزيرة . ولكنها كانت قد عرفت منذ العهود القديمة بأنها أرض قداسة تعصت على الماعين . فكان ذلك يمنه من عزمهم . حتى جاء الاسكندر فكان من برنامج فتح شبه الجزيرة العربية ليستولى على كنوزها ، وليجعل من قسمه إلهاً يعبد ذلك الجنس الذي لم يعبد في تاريخه كله إلهاً أجنبياً ، ولم تدنس أرضه قدم قاطع .

وبعث الاسكندر بعثونه ، وأرسل أحد ضباطه ليتحسس له شواطئ بلاد العرب ، وحدودها ، ويرى الثغرة التي يمكن أن ينفذ إلى قلبها منها .

ويبدو أنه كان يرجو أن يأتيها من قبل البحر لما عرف عن فشل كل محاولة لفتحها من قبل من قبل البر. ولكن الاسكندر مات قبل أن يعرف إن كان حبله هذا كان يمكن التحقيق أو مستحيله. على أن تفكيره فيه جعله سنة عند خلفائه ووارثي ملكه من قواده وضباطه الذين جاؤا بعده. فأخذوا على الزمن يواجهون هذا الحلم العتيق بجواً من ستة قرون أو يزيد وظلت المحاولات تترى لتفتح شبه الجزيرة، فتبوء كلها بالفشل، وتطورت هذه المحاولات حتى تحولت آخر الأمر إلى تطويق عسكري اقتصادي، اصطفت له كل الأساليب. فمن مواجهات عسكرية سافرة بالحرب للجزيرة العربية، إلى مناع تبشيرية يقصد بها إلى الغزو الفكري لشبه الجزيرة، إلى اصطلاح للأعشاب سلاحاً ومزكياً لأخذ الجزيرة من الجنوب بعد أن فشلت الجهود لفتحها من الشمال أو أخذها عن طريق البحر الأحمر مع مداهم بالعتاد وشخصت السفن الرومانية غلذمة هذا الغزو الجنوبي.

وقد نجح هذا الغزو الجنوبي بعض النجاح، واستقرت في الجنوب زماناً منتقما واستقرت معه شيء من السلطان الروماني يعتمد على ممثلين دينيين. ولم يفتح السلطان الروماني هذا فأراد أن يحقق بلاما لم يستطع من قبل بحقيقة عن طريق سلاحه ويده، فلم تلبث أن تطورت وجوه الخلاف بين الأحياء والعرب، الذين هالهم نزول أجني في أرضهم واستقراره، إلى أن بدأ أزمة الجيش جليسا، والروماني رفايده إلى جرم بلاد العرب وقلبها المقدس في مكة. فكانت واقعة الفيل، التي لم يلبث العرب بعدها أن اتجهوا إلى وجة القاهرة، اتخذت رايته ولواءها الاسلام، فلم تكف بزد هذا النفوذ عن أراضيهما ولا كنهما لم تزل تطارده حتى هدمت في مطاردتها له الامبراطوريتين الكبيرتين في العالم القديم، وحتى جيسر الأسطول الروماني الذي كان يهددها في ديارها في جانب من جوانبه (١).

ولكن هذا الصراع الرهيب بين شبه الجزيرة وأعدائها على حدودها، يتصل قرونا ستة وهذا الحصار التجاري الذي طال، ترك آثاره الخطيرة جداً

(١) انظر في هذا القسم التاريخي من كتابي: تاريخ العرب حتى آخر القرن الثالث الهجري.

على حياة شبه الجزيرة العربية : اجتماعها واقتصادها ، ورغبتها الداخلي للمتعلق
بمرافقها التي كانت قائمة فيها لتنظيم حياتها الداخلية كالسدود ، والمجاري المائية
وغيرها . ولقد كان طول عهد الصراع فترة من فترات امتحان النفوس ،
وبلائها ، فانهى بتعقداته ومضاعفاته إلى زلزلة مكانة طبقة الأمراء ،
وإلى اضطراب في منازل طبقات الاجتماع العربي ، وإلى شبوب ثورات
وحروب داخلية ، كانت كلها أترأ من آثار محاولات السادة الاحتفاظ
بالأوضاع الراهنة ، أو محاولات من الناس لانتفاذ انفسهم ، أو تبعاً لحصومات
الأمراء وتنافسهم . وترك ذلك آثاره القوية على الشعر العربي ، بوصفه أداة
من أدوات التعبير الفكري عما تجرى به النفوس انفعالا .

وأم مظاهر الحياة في ذلك العصر اثنان :

الأولى : تكسب الثروة بين أيدي طبقة من الناس ، واشتداد فقر الطبقات
الأخرى وقيام التحاسد والخقد بين هذه الطبقة وبين سواها من سائر الناس .

الثاني : تقدم الطبقة الوسطى ، وتزعجها جركات الثورة ، ودعوتها إلى تحرير
الطبقات الدنيا من عنت الحياة ، وتبلور وحدة قومية في الجزيرة كان مرماها
تخليص البلاد من الشرين اللذين يكالبان عليها : الدخلى والخارجى .

وقد انقسم الناس في ذلك طوائف وشيعاً ، وانشعبت آراؤهم ومذاهبهم ،
وعبر الشعر عن نفوسهم في اضطرابهم ذلك الذى كانوا يضطربونه .

وإذا كان من المحقق أن أكثر الشعر الجاهلى قد ضاع فضاء فضاء بذلك
على المؤرخ لهذه الحقبة من الزمان الكثير فإن الباقي مع ذلك يكشف
عن كثير من الانفعالات التي طرأت على نفوس العرب في العهد الجاهلى
الأخير خاصة .

وهذا القدر الباقي لنا من الشعر يكشف لنا هذه الأحداث منعكسة
على نفس الشاعر .

وأول ما يجب التنبيه إليه في هذا المقام هو أننا لا يجب أن ننظر
من الشاعر الجاهلى أن يحدثنا عن هذه الأمور على طريقة حديثنا نحن

عنها اليوم ، وبالعبارات التي نصطنعها نحن في التعبير عنها ، متأثرين في طريقتنا هذه بالعصر ، وبلون الحضارة التي نعيش في ظلها وبأبجائها . إذ أن لكل عصر طريقته ، ولكل بيئة أدواتها الخاصة بها في التعبير عن حاجاتها ، والجانب الذي يرون منه قضاياهم ومشاكلهم . وإنما تتميز شخصيات الأئم وأدائها بمقدار ما تخالف أو تشابه غيرها .

وطريقة الشعر العربي في التعبير غنائية ، تكشف فيها الفردية كل ما عداها . . فالشاعر هو بطل قصته ، وصاحب انفعالاته . وهو من أجل ذلك يترك للأحداث أن تتكلم معبراً عن مشاعره بأزائها تعبيره المباشر ، في غير فلسفة لها ، بل في تجنب أحياناً عن أن يعلق عليها بالخبر أو بالشر ، فالشعر عندهم أدب مباشر .

(٣) .

طائفتان من الشعراء في الجاهلية أريستوقراطيون وشعبيون . وكتلة الشعر الباقي عن الجاهلية تذهب في تيارين : الأول : شعر قالة أصحابه تعبيراً عن نفوسهم وهم في عراع يتصل بكبريات مشاكل الحياة في الجزيرة العربية ، كطلب الوحدة العامة ، والبكاء على السلام الذي فقدته الجزيرة في خروبها الداخلية وثوراتها ، وما يشبه ذلك من المطالب التي تتصل أكبر اتصال بمركز شبه الجزيرة بالنسبة للعالم الخارجي . وهذا الضرب من الشعر أريستوقراطي في شكله وفق موضوعه . والثاني : الشعر الدائر حول النظام الطبقي الداخلي بين أهل شبه الجزيرة ، وهو شعر في أغلب سجاياه وسماته شعبي ، أو متصل بالشعبية اتصالاً قريباً أو بعيداً .

وأصحاب الشعر الأول في أغلبهم من القادة الذين حملوا عبء النضال الدامي في شبه الجزيرة دفاعاً عن استقلالها ، ومحاربة إعادة الوحدة إلى بني قورمهم .

وأصحاب الصنف الثاني ينقسمون إلى طائفتين :

الطائفة الأولى : وهم من الفقراء الثائرين على الاوضاع الاجتماعية في قومهم والطائفة الثانية : وهم من أبناء الأريستقراطية الذين نشأوا في خلال من عز الفنى ، ومنعة السلطان ، ولكنهم آثروا أن ينتصروا لهذه الطبقة من ضعفاء قومهم ، وأن يزلوا عن تراثهم ليعيشوا في عمرة المظلومين ، وينتحلوا لون حياتهم العنيفة القاسية ، التي تحتقر العرف والقانون

الأريستقراطيون

فأما الشعراء الأريستقراطيون ، وهم شعراء التيار الأول فمنهم :

طرفه بن العبد البكرى ، وقد كان طرفه زعما سياسيا ، وقائدا عسكريا في حروب الوحدة والتحرير التي قام بها الشاليون على الجنوبيين من أهل اليمن بعد أن خضعت اليمن للإحباش .

كان طرفه على رأس كتية حاربت في خزاز تدعى بالأراقم . وفي خزاز انتصف الشاليون من الجنوبيين ، وتكونت بهذا النصر الوحدة العربية الشاملة أول ما تكونت ، وأسفرت عن ملك موحد كان على رأسه كليب التغلب . ولكن دسائس ملوك الحيرة الذين تنكروا لهذه الوحدة بعد أن ساعدوها على التكون أدت إلى مقتل كليب فامحطمت بذلك الوحدة العربية التي بذل في سبيلها الشاليون ما بذلوا . فراح طرفه ينكي هذه الوحدة التي لم تؤت ثمرتها والتي كان هو أجد بناتها . وقد ظل يصارع في بناتها من جديد حتى سقط بدوره في سبيلها ، وكان سقوطه على يد أعداء هذه الوحدة التقليديين . وهم المناذرة في الحيرة .

والباقي من شعر طرفه يكفي لتشخيص مذهبه ، ولتبيين تلك المهمة المظلمة التي كانت تطرق صدره ، وتظل أيامه .

ومنهم أيضاً عمرو بن كلثوم التغلب ، صاحب تغلب ، وزعيمها فانك ذلك العهد الرهيب المضطرب . وقصة عمرو وقتله عمرو بن هند بعد ملاحاة كانت بينهما مشهورة معروفة ، وهي إن لم تكن حقيقة كلها بتفاصيلها التي صاغها

القصص الشعبي فإنها حقيقية بمغزاها ، وبمقدار ما تدل عليه من ضخامة
الخلافا بين الحيرة وتغلب .

ومنه الحارث بن حازم اليشكري البكري ومعلقته مشهورة ، والنظر فيها
يكفي لاندراك مقدار ما كان هذا الشاعر يسعى لرتق الصدع الذي اتسع
بين يكر وتغلب ومقدار ما حاول فيها من تذكير هذين الأخوين بذلك النضال
المشترك بينهما في سبيل الوحدة الضائعة ، والأمل المحطوم .

ومن هؤلاء أيضا عبيد بن الأبرص الأسدي ، وهو من زعماء ثورة
الشماليين على ملك كندة في قلب الجزيرة العربية ، لأنه كان ملكا يحالف
الروم ، ويحاسب الأقباش أو يذبح بنوع من الانتساب لليمن الخاضعة لهم ،
وكان هذان الأمران خطيئة لا تغفر لأصحابها . فكان عبيد شديد تأليب الناس
على جبر حتى قتل ، وهو القائل يخاطب أمرا القيس بعد مقتل أبيه :

إذا الخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحينما

أزعت أهلك قد قتلنا ميراثنا كذبا ومينا

هلا على سيجر ابن أم قطام تبكى لاعلينا

وأياته التي قالها في تحريض بني أسد على حجر :

يا عين ما فابكى بني أسد لهم أهل الندامة

أهل القباب الحر والنعم السموئل والمدامة

مهلا أبيت اللعن ، مهلا إن فيما قلت آمة

في كل واد بين يشرب والقصور إلى الجاه

تطرب عان أو صياح محرق ورفاء هامه

أنت المليك عليهم وهم المبيد إلى القيامة

(١١) الأبيات : أنظر ترجمة عبيد بن الأفاقي والشر والشراء لابن قتيبة .

لأنكاد سخرية وتهكم بقوم تبلغ ما بلغت سخريته فيها بقومه ، حتى لقد أحفظهم على حجر حفيظة لم تملمهم في الثورة عليه وقتله . يقول ابن قتيبة « فركبت بنو أسد كل صعب وذلول ، فما أشرق الضحى حتى انتهوا إلى سحجر ، فوجدوه نائما فذبحوه » (١) .

وقد أخذ بعض علماء الشعر القدامى هذه الآيات على ظاهرها فعدوها مدحا لجبر واعتذاراً إليه ، واستغافاً له من الشاعر عن قومه . وليست كذلك ، وإنما التهمت عليهم السخرية بالمدح والاعتذار ، على حين لم تلتبس معانيها على بني أسد من قبل .

وغير أولئك إليهم كانوا يكتفون أصحاب هذا التيار الكبير في الشعر الجاهلي . أما أصحاب التيار الثاني فله :
الشعبيون أو الصعاليك .

أصحاب الشعر الشعبي أو الصعاليك

أصحاب هذا الشعر كانوا يعرفون عند الناس وعند أنفسهم بالصعاليك . ولم يكن هذا الاسم عندهم معيياً ، وإنما كان صفة تطلق ببطيئة من الناس تأخذ نفسها بالسوء على غير ما اعتادت طبقات الناس من سادة ومسيودين فهم يمثلون البقية الباقية من نزعة تجديدية اجتماعية كانت قد استفاضت قبل ذلك في الجزيرة حتى غدت مذهبا سياسيا ينجح إليه الجماعات المحكومة ممن قد غلثها قيود الفقر والتأخر (٢)

فقد انتهت الأوضاع الاجتماعية ، والفروق الواسعة بين الطبقات في الجزيرة العربية قبل الاسلام إلى ثورة الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ، وكانت هذه الثورة استجابة لاحساس طبيعي ، واضح السات ، واضح المطالب ،

(١) الشعر والشعراء : ترجمة أسرى التيس .

(٢) ارجع في هذا إلى بحثين نشرتهما مجلة الكاتب عدد يونيو سنة ١٩٥٥ م ومارس سنة ١٩٥٦ م عن « طبقات الناس والشعر في الجاهلية » .

فلم يلبث لذلك أن أخذ شكل المذهب السياسي ، وساعده على الانتشار أن الحياة في شبه الجزيرة بطبعها كانت حياة لا تنتهى الى التكلف ، والتعقد اللذين يشوبان عيش الناس في الحياة القارة المطمئنة ، حيث تقرر قواعد الحكم ونظمه ، وتثبت حتى تصبح من حياة الجماعة أشبه شئ بالدعائم القوية التى يقوم عليها بناء المجتمع ، فلا يستطيع فى ينزع التخليص منها .

على أن هذه الثورة ، على الرغم مما صادفت أول أمرها من نجاح ارتكبت بشئاً ، بعد أن مل الناس طول الصراع فى سبيل تقرير الأوضاع الجديدة التى تمخضت عنها ، ولكن بقيت طائفة تنصب نفسها حرياً على الفروق الاجتماعية الراضية ، وكانوا فى ذلك يعملون فرادى بعد أن كثفت الجماعات عن مظاهرهم باليد ، وإن ظلوا يحو طوبىهم بالإعجاب . وهؤلاء كانوا فى الأعم الأغلب من أبناء الطبقات الدنيا ، والطبقات الوسطى وفى القليل من أبناء الطبقة العليا .

فإنهم كانوا من أبناء الطبقة العليا ، كان شعريهم أريستوقراطى المظهر ، شعبي الموضوع . لا يتصل بدوافع السياسة العليا قدر ما يتصل بيوادر النفس ، ومشبهاتها من الجمال والفتنة بالوجود المجرد من تلك الزينة المصنوعة التى ترسمها حوله فى قصور الأغنياء ما عسى أن يهيبه المال والفن .

على أن شعر هؤلاء لم يبرأ من دفعة واضحة من منبت الشاعر الكريم . ومن هؤلاء امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ابن 'حجر' صاحب 'كندة' ، وهو الذى يوصف فى الجاهلية بأنه ملك الشعراء ، ويوصف فى الإسلام بأنه قاندهم إلى النار .

فقد هجر امرؤ القيس ملك أبيه ، وهجر الانتصار لطبقته ، وراح يؤازر الثورة التى انتهت بعد ذلك بمقتل أبيه ، وبزوال ملك أسرته . تحمله على ذلك سورة الشباب ، ورقة الشعراء ، والتعلق بالمثل .

وقد أدى به ذلك إلى التعرض لغضبة أبيه حتى لقد أمر أبوه بقتله تخلصاً من شره . وإشارة للنجاة بنفسه ، وبملك أجداده بما كان يعمده خيانة كبرى من ابنه .

ولكن القدر أنجى الفتى ، فظل على حاله حتى انتهت الثورة بمقتل أبيه ، فعادت به رقة الشعراء وحنين البتوة إلى طيب ثأره ، واستعادة ملكه ، وذهب في ذلك إلى حد طلب مساعدة قيصر ، حليف أبيه ، وعدو العرب الأول . وقصة امرئ القيس تتبدى وجوها في شعره ، وفي القصص الذي صيغ حوله . وهو سيد شعراء هذه الطائفة من الناحية الفنية .

« وثاني هؤلاء : عروة بن الورد العيني . « كان يلقب عروة الضعيف . . . يلعب إياهم ، ويقامه بأمرهم إذا أخفقوا في أغزواتهم ، ولم يكن لهم معاش ولا مغزى » (١)

« وكان إذا أصابت الناس بستان شديدة تركوا في دارهم المريض ، والكبير ، والضعيف . فكان عروة بن الورد يجمع أشياء هؤلاء من الناس من عشرينه في الشدة ، ثم يحفر لهم الأسراب ، ويكنف عليهم الكنف ، ويكسيهم . ومن قوى منهم . . . خرج معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقي في ذلك نصيباً . حتى إذا أخصب الناس وألبتوا ، وذهبت الشدة ألحق بكل إنسان بأهله ، وقسم له نصيباً ، ثم غلبت إن كانوا غلبوا عليه قريبا . أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى »

« ولم يكن يغير إلا على من لم يعم بما عليه من حقوق قومه ولم يكن يمس امرأة إلا نكاحاً » (٢)

« وكان يذهب في التوسية بين نفسه وبين هؤلاء الذين يفتنهم لحمايتهم مذهباً ليس بعده مذهب قطيع ، ولقد عظمته ذلك حتى ذهبت وأخذوا أصحابه حتى تجاوزوه في أثر امرأة استلبوها في غارة يريدون أن يأخذوا بتصبيهم منها » (٣)

—————

مقدمة (١) الألفاني ج ١ ص ١٨٦

(٢) الألفاني ج ٢ ص ١٨٦

(٣) نفس المكان ص ١٨٦

(٤) نفس المكان ص ١٨٦

وعروة هو القائل يعبر خصلاً له :

وإني أمرؤ عاقٍ إنائي شركة وأنت أمرؤ عاقٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سمئت وأن ترى يجسسى شحوب الحق والحق جاهد
أفرق جسماً في جسيم كثيرة وأحسو قراح للماء والماء بارد

وقد ترك عروة على قلوب الناس وعقولهم من بعده أثرًا عميقاً ، وظل
مثلاً للإشارة والمروءة حتى في الإسلام . فنسمع عبد الملك بن مروان يقول :
« ما سرتني أن أحداً ولدني في العرب إلا عروة » (١) .

وكان يقول : « من زعم أن سائماً أسمع الناس فقد ظلم عروة
ابن الورد » (٢) .

وكان يزيد بن معاوية يقول : « لو كان لعروة بن الورد ولد لأخبرت
أن أتزوج منهم » .

ولقد يصور عروة بن الورد المثل الكريم لهذه الطائفة من شعراء
الصعاليك أصحاب المثل العام ، وطلاب الخير المشترك .

ولكن أبطال هذه الطبقة من الشعراء لم يكونوا جميعاً من هذا الطراز
الرفيع منبتاً ، السامي خليقة ، الصافي نفساً .

فالكثرة التي تتألف منها هذه الطبقة من الفقراء المحرومين ، الذين
شبهوا بعد أن فترت الحساسة العامة للثورة الطبقيّة في الجزيرة ، أو بعد
أن دهمتهم منها الأيام ، وبعد أن أصبحت خيالاً ذاهباً مع الزمان الذاهب
يذكره الذاكرون في حنين إليه .

فانه وإن كانت كثرة الناس قد استكانت شيئاً إلى ما انتهت إليه
من حال قبلت الخضوع لها في تذرر صامت ، فقد كانت هناك قلة منهم

(١) الشعراء لابن قتيبة : ترجمة عروة بن الورد .

(٢) (الأغاني ج ٢ ص ١٨٤) .

قد استبقت في طبائعها أثراً من الثورة العاملة ، والحركة الذاتية التي كانت تحملها على محاولة تغيير الواقع سعيًا وراء إشباع الحاجة الفردية لا للمثل الاجتماعي .

ومثل هؤلاء إذا وجدوا في الجماعة كانوا قلة ، وكانت أعمالهم خروجاً على الأوضاع السائدة ولو على كره ، ومن هنا تكون أفعالهم خروجاً على القانون ، داخلية في نطاق الجرائم المعاقب عليها فهم شذاً خارجون على الجماعة وإن أخطوا أحياناً بهالة من البطولة ، يرسخها في أذهان الناس حينئذ إلى ما تسعى إليه هذه الجماعة ، وحجم لتحقيقه مع العجز عنه .

وكذلك كان الأمر بين أصحاب هذه الطبقة من الصعاليك من حيث صلتهم بأنهم ، وموقعهم من عرفها وشرائعها

لذلك كانت قبائلهم تتحلل من أفعالهم بانكارهم ، وعدم الارتباط بما يركبون في قوسهم ، وفي غيرهم من الناس . بل إن مهم من كانت قبيلته وأهلها يندرون ذمة لها من أن يؤخذوا بمخزئته في سائر الناس .

ومن أجل ذلك كله عاشت هذه الطائفة في صراع لا ينقطع مع الجماعة الكبرى التي يعيشون بين ظهرانيها . ولكنهم مع ذلك كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم أبطالا

ومن هذا المزيج الغريب بين البطولة والجريمة تكوّن مثلهم في الحياة ، وغير عنها شعريهم . ومن تلك الصورة الشاذة من صبور العيش الذي لا ينقطع أصحابه عن مطاردة الناس ، ولا ينقطع الناس عن مطاردتهم تألفت تلك المثل الخلقية الخالفة التي يصطبغها هذا القليل من الشعراء ، وإن بدت لنا اليوم خروجاً على النظام ، وشذوذاً في الحياة المباشرة التي يطلبها الناس أول ما يطلبون .

وشعر هذه الطائفة خاصة يمثل مجرى فريداً متميزاً عن مجرى الشعر العام بدوافعه ومثله وصورته . وينسب هذا الدافع المتولد في وراء هذا الشعر . والناشئ الأصيل على قوله كان شعراً سياسياً .

وإن تأبط شرّاً لرسم المثل لرجولة الصعلوك ، وخلقته ، وخلقته
 في أبيته المشهورة من قصيدته التي يرى فيها أخاه . وذلك إذ يقول :
 برّني الدهرُ وكان غشوماً باني جاره ما يُذلُّ
 شامسٌ في الفُرّ حتى إذا ما ذكت الشعري فبرد - وظل
 يابسُ الجنين من غير بُؤسٍ وندي الكفن شهم مُذل
 ظاعنٌ بالجزم حتى إذا ما جَلَّ - جَلَّ الجزم حيث يجل
 غيث مزن غامر حيث يُجدي وإذا يسطو - فليت أبل
 مُسبلٌ في الحى أحوى رقل وإذا ينزو - فسبع شازل
 وله طمان أزي وشرى وكلا الطمين قد ذاق كل
 يركب الهول وحيدا ولا يصحبه إلا اليائي الأذل

ذلك هو مثل الرجل ، وأيمودج البطل عند هذه الطائفة . وهو مثل
 من الرجولة بدیع . ولقد كانت حياتهم ، وموقعهم من الناس ذلك الموقع
 الذي يحوطه الرضا الصامت ، وكان ذلك الجو الشاق الرهيب الذي كانت
 تنصبه الأحداث حول الحياة في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، والنورات
 الدامية ، والحروب الأهلية ، سببا في إكبار هذا المثل والاعجاب به ، ونحوه
 إلى ما يقرب أن يكون مثلاً عاماً .

ومن الشعر الذي ترجمه نجيبه إلى الألمانية القصيدة التي انتزعت منها
 هذه الأبيات . وشر إعجابه بها تلك الفردية المتميزة فيها مع انسامها بطابع
 من الرجولة الحقّة . غير أن نجيبه خالها نفى عن صورة حياة العربي عامة ،
 وحسبها تصور حياته وتبينه الصحراوية . وظنها فرضاً لازماً على كل عربي
 لا منجاة لأحد منها .

وما كانت كذلك ، ولا كانت حياة العرب جميعاً في ذلك الزمان
 من هذا القيل . على أنه إذا كانت هذه الأبيات تكشف عن مثل عام للرجولة

فإن الأبيات الأخرى من هذه القصيدة ، التي يصور فيها تأبط شرأ طراد ،
لأعدائه لا تنطبق على الحياة العربية عامة في ذلك الزمان بقدر ما تنطبق
على حياة هذه الفئة خاصة . والأبيات التي أقصد إليها هي البائدة بقوله :

وفتر هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

ونتهى عند قوله :

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يشمعل
وعتاق الطير تندو بطلانا تتخطام فا تستقل^(١)

فهذه النفس التي تطرب لرؤيا الدماء ، ولا تهدأ في طلب النار ، والتي
تميش في طراد الناس لا تمثل خلقية عامة للعرب في عصر تأبط شرأ .
وإنما تمثل ذلك الشعور المعقد الذي نشأ في نفس هذا القبيل من الشعراء
رد فعل للحقد ومضاعفاته في حرب كانوا يشنونها انتقاماً لمثل اجتماعي
افترضوه لأنفسهم .

فإنه إذا كان تأبط شرأ هو الطالب للنار هذا الطلب فإن عوف بن
الأحوص الجاهلي أيضاً هو المتفاضى عن الضغن ، والناسى للغل ، والعاقى
عن الناس يقول :

وإني أترأك الضغينة قد بدا تراها من المولى فلا أستيرها

بحافة أن تجنى - على - وإنما بهنج كبيرات الأمور صغيرها

ولكن هذا الرجل لم يكن من نفس العنصر الذي كان منه تأبط شرأ ،
ولم يكن من دعاء النحلة التي كان يدعو إليها ، فكان يرى غير ما يراه . وإنه
لمن صميم الأريستوقراطية العربية ، فهو القائل بعد ذلك في نفس القصيدة :

إذا قيلت العوراء ولئت صمها سوى ، ولم أسأل بها : ماديرها

(١) (المحاجة ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢) .

فأذا نعلم من بنين وسادة . . . يرى من كل غير صدورها
 هم رفوكم السماء فكدم تنالونها لو أن حيا يطورها
 ملوك على أن النجاة سوقة الأياهم يؤق بها وتدورها
 وإن الأيات قسها لتكشف عن وجه من وجوه الخلاف الطبقي بين سادة
 قبيل عوف وبين عامتهم .

هذان هما التياران الزاخران في الشعر الجاهلي يختلفان منحي ، ومتنحي
 وغاية على أن هناك سجيا مشتركة بينهما ، أهمها المثالية .

المثالية في الشعر الجاهلي

من السجيا المشتركة بين الشعر الأريستوقراطي الجاهلي وبين الشعر
 الشعبي الجاهلي أنهما جميعا يتجريان في المجال ويطلبان في اللفظ وفي المعنى ،
 وفي الصورة ، فهما جميعا مثاليان .

على أن لكل منهما مثله المعنوي الخاص الذي يترعرع من ملابس حياة
 الشاعر ، ومن مشاغله الكبرى وهمومه ، حياة شاعر أريستوقراطي مثل زهير
 ابن أبي سلمى محورها كان تلك الحروب الهائلة التي شغلت أبناء قبيلته زمانا
 طويلا ، وتركت أثرها الدائم في كل بيت ، ورمت بظلالها السوداء على كل نفس .
 فلا عجب في أن يمتلي شعرة بمعان تدور حول تكملة الحرب إلى النفوس ،
 وتدور حول تصوير بشاعتها المنكرة ، ووجهها الخفيف الرهيب .

ولكنه حين يفعل ذلك ، فيعالج هذه المعاني لا يفارق مطلب الجمال ،
 ولا يفعله فهو يقدم لموضوع القصيدة دائما بالفرح ، والفرح عنده حزين
 كاسف ، ولكنه جميل : حزين كاسف ليلائم الموضوع الذي يعالجه
 من وصف الحرب وويلاتها ، ولكنه جميل لأنه يتناول فيه ذلك الشعور الخلو
 الذي يغفل إلى كل قلب فيتر كل نفس . فهو يتحدث عن ديار صاحبه ،

وبسائلها فلا تنطق ، فينتقل عنها إلى ذكرى رحيلها ، فيرى إياها في هودجها
الأحمر القاني تغيب عند منعرج الوادى ، ويتابع ركبها وهو يندرج في حمرة
الشفق ، ويفرق في الأفق مع الشمس المشرقة كما لا ينسى ، مع شدة التبايع ،
أن يشير إلى جمال الوادى ، وخضرة الربا التي تنطلق بينها مراكب صاحبته .
فتجد رجلا نابض القلب بحب الجمال ، لا يستغرقه الشعور بالحزن ،
ولا تستأثر به اللوعة فتغلبه على مطلب آخر من مطالب النفس الشاعرة .
وليس الجمال عند زهير مطلباً شعورياً خصب ولكنه كذلك مطلب عقلى
يمجده في التأمل الذي ينتهى به إلى استخلاص الحكمة الباقية من النظر في الواقع
العابر . فتجد أبحاثه في الحكمة تتلو وصفه للحرب . وهي مجتمعة في آخر
القصيد ، يضطرب الرواة في ترتيبها ، وفي جملة ما يقطع بأنها لم تكن
حيث هي الآن ، وإنما كانت موزعة بين أجزاء القصيدة ، كل حكمة
حسب مناسبتها .

والفزل والحرب والحكمة عند زهير — وأنا أقف بك عند معلقة —
كلها تنتمى بذلك الطابع الحزين ، المتعلق بالشجن امتلاء لا يخرج بالنفس
إلى الضيق به ، وإنما هو الشجن المهادى الطبيعي الإنسانى الذى يضع
الشعر فى أرفع مراتبه وأعزها على النفس الإنسانية .

وإذا كانت هذه حال الشعر عند زهير الجاد العايس فإنها كذلك عند
امرئ القيس الفزل ، المستهتر ، لا تكاد تلوح له بإدارة من جمال حتى يطير إليها
فهو طالب جمال ، وهو باحث لا يمل البحث عنه . يمجد فى الدمنة الباقية ،
ويمجده فى النسمة العابرة تحمل إليه ذكرى ما كان يضيوع من طيب صاحبتة ،
ويمجده فى جسدها ، وفى ثيابها ، وفى خطرتها ، وفى حديثها ، كما يمجد
فى جواده ، بل إنه ليجمده فى العاصفة الهادرة ، وفى البرق اللامع ، والنبت
الساقط المحتاح لكل مظهر من مظاهر الحياة .

ويمجده فى نسائم الصبح المعتلة ، غداة المطر المنهمر ، وقد اندفعت الطيور
من أوكارها سكرى بهجة الصبح ، ونشوة النجاة من عاصفة الأمس الرهيبة
ففى غناء العريد إذا اشتد سكره .

كَانَ مُكَاسِّ الْجَوَاءِ عُذِيَّةً صُبْحَنَ مُلَاقًا مِنْ رَجَبٍ مُعَانَلٍ
 بَلْ إِنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ لِيَجِدَ ذَلِكَ الْجَمَالَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ ، فَهُوَ لَا يَنْبِي
 عَنْ طَلَبِهِ ، وَلَا يَكْفِ عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهُ ، فَتَرَاهُ يَمْتَرِجُ بِوصْفِهِ رَحْلَتَهُ الرَّوْعَةَ
 إِلَى قَيْصَرٍ ، بَيْنَ أَقْوَامٍ يُودُّ كُلُّ مِنْهُمْ اقْتِنَاصَهُ فَهُوَ سَاهِرُ اللَّيْلِ ، فِي خِيَمَةِ
 عَمَادِهِ رِمَاحَ رَدْنِيَّةٍ ، وَأَوْتَادَهَا أَسَنَةُ مَازِيَةٍ ، قَدْ كَسَيْتَ بِفَضْلِ ثَوْبٍ مَمْدُودٍ
 يَسْتَدْ ظَهْرَهُ إِلَى سَيْفِهِ الْمُشْطَبِ ، وَيَمْتَدُّ إِلَى مَا وَرَاءَ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِصَرِهِ مَتَوَجِّسًا
 أَبَدًا أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ هُنَا أَوْ مِنْ هُنَاكَ عُدُوهُ ، فَيَرَى عِيُونَ الْوَحْشِ وَقَدْ اجْتَمَعَتْ
 حَوْلَ رِجَائِهِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَمَنِّعَةً فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ كَأَنَّهَا الْجَرْجُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ ،
 وَقَدْ أُعِيدَ جَوَادُهُ لِيَطِيرَ إِلَيْهِ أَنْ حَاجَّاهُ عُدُوهُ ، لَا يَجِدُ الْوَقْتَ لِيَعْمَلَ يَدَيْهِ
 بَعْدَ أَنْ طَعِمَ الشَّوَاءَ ، فَهُوَ يَمْسَحُهَا بِمَعْرِفَةِ الْجَوَادِيَةِ ،

وَقُلْنَا لَفَتَيْنِ كَرَامٍ أَلَا ائْتَلُوا ؟ فَمَا لَوْ أَعْلَمْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَبِّ
 وَأَوْتَادِهِ مَازِيَّةٍ ، وَعَمَادِهِ رَدْنِيَّةٍ فَهِيَ أَسَنَةُ قَبْضِ
 فَلْيَا بِدِخْلَانِهِ أَضْفَنَّا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ نَازِلٍ حَدِيدٍ مُشْطَبٍ
 مَسْكَاةً عِيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ رِجَائِنَا وَأَوْرَحْنَا الْجَرْجُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ
 نَمَشُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا إِذَا نَحْنُ قُنَا عَنْ شَوَاءٍ مُصْهَبِ
 تَرَى طَلِبًا لِلْجَمَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ : فِي اللَّفِظِ ، وَفِي الصُّورَةِ ، وَفِي الْمَعْنَى وَإِنْ دَارَ
 حَوْلَ الْمُخَاطَبَةِ وَالْمَوْلِ .

وَالشَّيْءُ كَذَلِكَ فِي طَلَبِ الْجَمَالِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ الْإِرِسْتَوْقِرَاطِيِّينَ
 هُوَ نَفْسُهُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ حَتَّى الصَّبَالِيكِ فَإِنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَهُ الَّذِي يَطْلِبُهُ
 مِثْلَهُ الْجَمَالُ وَالْأَخْلَاقُ ، لَا يَشْغَلُهُ عَنْهُ شَاغِلٌ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَإِنْ تَعْلَقَ
 هَذَا بِحَاجَتِهِ ، وَفَقَرِهِ . فَالْشُّغْرَى الْأَزْدَى يَبْدَأُ الْقَصِيدَةَ مِنْ قَصَائِدِهِ بِالْفَزْلِ
 الَّذِي يَتَرَسَّمُ فِيهِ الرِّوَاءُ الَّتِي يَعْتَبَرُهَا مِثْلَهُ :

فَلَقَدْ أَمَحَيْتَنِي لَا يَسْقُوطُ قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَيْتَ ، وَلَا يَذَاتُ تَلَفَّتْ
 تَبَيْتَ بُتَيْدَ النَّوْمِ تُهْدِي عُيُوقَهَا لِحَارِهَا إِذَا مَا هَدَيْتَهُ قَلَّتْ

تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ الْوَلَمِ يَدَيَّهَا إِذَا مَا يُبُوتُ بِالْمَدْمَةِ حُلَّتْ
أُمَيْسَةَ لَا يُخْزِي ثَنَاهَا حَلِيلَهَا إِذَا ذَكَرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتْ
إِذَا هُوَ أَمْسَى أَبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ مَأَبِ السَّعِيدِ لَمْ يَسَلْ كَيْفَ ظَلَّتْ

فيرسم المثل الخلقى للمرأة الأمانة لبيتها ، الوفية لزوجها فاذا فرغ منه عاد
إلى رسم جمالها الجسدى .

قَدَقَتْ وَجَلَّتْ وَاسْكُرَتْ وَأَكَلَتْ قَلْبُ جُنٍّ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
وهو يرى ذلك الجمال وإن أظله الفقر ، وباطله الحرمان ، فهو لا يغفل
شكوى فقره وفقر امرأته ، وتقديرها الضيق ذات يدها ، وتضييقها على أطفالها
لأنها لا تكاد تجد ما يسد رمقهم :

وَأُمٌّ عِيَالٍ قَدْ شَهَتْ تَقْوِيَهُمْ إِذَا أَطْمَسَهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقَلَّتْ
تَخَافُ عَلَيْنَا الْعَيْلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ وَنَحْنُ جِيَاعٌ ، أَى آلٍ تَأَلَّتْ
: وما إن بها يخل بما فى وعائها . ولكنها من خيفة الجوع أبقت

فتجد الرجل بين فقره ومثله ، موزعا يعطى كلا منهما حقه ، لا يغفل
الجمال وإن أخذ بخنقه الجوع .

ومظهر قوى جداً من مظاهر هذه المثالية فى الشعر الجاهلى يأتى بعد شعر
الحب هو وصف الطبيعة . فأنك لا تكاد تمر بشاعر من الشعراء الجاهليين
لا يستهويه حسن الدنيا من حوله ، ولا يلقته جمال الوجود المائل فى السماء
أو فى الأرض . وهذا الوصف عندهم قصير ، يلمون به اللامعة العاجلة ،
ويمرون به المرة السريعة . ولكنه مع ذلك وصف موح ، واف ، رائع .
فالشاعر العربى لا يقف عند التفاصيل ، ولا يفلسف الأمور ، وإنما يعرض
عليك الحياة عرضاً مباشراً عن طريق إحساسه بها ، معتمداً على الإشارة لتحريك
ما اخترنته بقلبك من صورها وذكرياتها ، فتجده يشر ولا يهيب ، فيكفكفك
شيئاً من الجهد فى تحصيل ما عنده ، ولكنتك إذا خرجت إلى ما أرادته وجدت

الرضى وفوق الرضى، وإني لأورد في هذه المناسبة أياتاً لعلمة بن عبدة يصف فيها الصبح، يستقبله بعد ما طال عليه الليل في رحلة شقت عليه هو وأصحابه، فهم يشرّبون إلى نور النهار يرجون الليل أن يقضى حتى إذا طلعت عليهم الزهرة : نعيم الصبح الباكر تباشرت نفوسهم، يقول لعلمة فيحدثنا في ذلك عن إبله التي غطى صدورها بالسيف ليقيها برد الصباح :

أوردتها وصدور العيس مُسَنَّةً والليل بالكوكب الدرّى منحور
تباثروا بعد أن طال الوجيف بهم صباحاً صبح لما بدت منه تباثير

فثبتت ظلائع من أولاد تمزقنا وكبره في سواد الليل مشور
والكوكب الدرّى عندهم هو الزهرة وتعرف بكوكب الصبح

هذه المتألية التي ترسم الجمال، وتطلبه هي الخاصة الكبرى للشعر العربي الجاهلي، يركب إليها الشاعر هذا الأيماز الذي هو الخاصة الثانية من خمسة أمس الشعر العربي.

ولكنها تتوقران لكل من شعر هذين التيارين الكييزين اللذين يتألف منهما مجرى الشعر الجاهلي.

نظرية الأساب في الميزان

للمؤلف عبد الوهاب محمود

مقدمة

النسب في اللغة : القرابة ، سواء أكانت من قبل الأم ، أم من قبل الأب .
ثم استعمل النسب في تطلق الوصلة بالقرابة ، فيقال بينهما نسب أى قرابة .
والعرب إنما كانت تنتسب إلى القبائل ، فلما سكنت الأرياف والمدن
استعارت من العجم والنبط الانتساب إلى البلدان ، فكان عرفاً طارئاً ، والأول
هو الأصل عندهم . قال عمر بن الخطاب « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط
السواد ، إذا سئل أحدكم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا » .

ولذا إذا اجتمع النسب إلى القبيلة والبلد ، قدم النسب إلى القبيلة
على النسب إلى البلد ، فيقال القرشي المكي (١) .

ذكر المستشرق الإنجليزي « مرجليوث » في مقدمته لكتاب الأنساب
للسمعاني : « إن مادة (نسب) الموجودة في اللغة العربية غير موجودة
في سائر اللغات السامية ، وأنه من المحتمل إذن أن تكون قد وجدت
أول ما وجدت في بلاد العرب » .

ويظهر لى أن هذه المادة (نسب) بينها وبين مادة (سبب) علاقة وصلة
وأنها من واد واحد .

جاء في اللسان : النسب القرابة ، والسبب اعتلاق قرابة .

(١) اللسان ، التاج ، المصباح ، ٢٠٢ / ٢ المقدم الفريد

وقد جاءت الكلمتان في الحديث متصاحبتين في مقصد واحد ، قال صلى الله عليه وسلم : « كل سب ونسب ينقطع إلا سبى ونسبى » . قال ابن الأثير : النسب بالولادة ، والسبب بالزواج ، وهو من السبب الذى هو الحبل الذى يوصل به إلى الماء ثم استعمل لكل ما يوصل به إلى شيء . جاء في القرآن استعمال كلمة (نسب) في ثلاثة مواضع :

١ — في سورة المؤمنون « فإذا فتخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ »

٢ — في سورة الفرقان « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا » .

٣ — في سورة الصافات « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » .
ففي الآية الأولى المراد أنه لا يفتخر حينئذ بالأنساب كما يفتخر بها في الدنيا . ويفسر المقصود بالأنساب هنا آية أخرى « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » . والمراد إذن أصل الرجل وفرعه ، فالأنساب هنا الانتساب إلى الآباء والأمهات .

وفي الآية الثانية ، وهي التي فيها قوبل النسب بالصهر ، قسمت الآية البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم ، وذوات أصهار أى إناثا يصاهر بهن ، فهي كقوله تعالى « فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » ، فمن هنا جاء قول من قال : إن النسب خاص بالآباء . والفرق بين النسب والصهر أن الصهر أقارب الزوج وأقارب الزوجة فالصهر سببه الزواج ، وأما النسب فسيبه الولادة . وأما في الآية الثالثة فالمراد بالنسب المشاركة والمشابهة ومطلق القرابة .

فبان من كل هذا :

أن لفظة النسب كانت في أول استعمالها تطلق على قرابة الآباء والأمهات ، وما يماثلها من القبائل وما يفرع منها .

ثم استعملت في مطلق القرابة ، وقد استعملها القرآن والحديث في ذلك .
ثم توسع فيها فأصبحت تشمل الانتساب الى كل شيء من بلد وحرقة
وتجارة وغير ذلك .

وهذا ليس بغريب في اللغة والاستعمال ، فان الألفاظ فيها قد تستعمل
أولاً مقيدة ، ثم تنتقل إلى الاستعمال في المطلق . أو تكون في أول أمرها
مطلقة ، ثم تنتقل إلى الاستعمال في المقيد .

وعلى هذا التطور بنيت كتب الأنساب ، فقد كانت في أول بدونها
مقصورة على النسب إلى الآباء والأمهات ، مثل كتاب النسب الكبير
لابن هشام الكلبي . وكتاب جمهرة النسب لابن حزم . فان هذين الكتابين
في أنساب أم قبائل العرب من القذافيّة والفخطانيّة ، فضلاً عن الأنساب
للمفردة لأشهر القبائل على حدة .

فلما استبحر العمران وسكن المسلمون المدن واستقرروا بها ، واحترفوا
الصناعات وبرعوا فيها ، أصبحوا ينسبون إلى مدنهم وحقولهم وصناعاتهم ،
فكانت كتب الأنساب تشمل تلك الأنساب الواسعة المتعددة ، مثل كتاب
الأنساب للشمسي . ثم لم يكن في الأنساب بمعنى سلسل الآباء ،
وإنما هو في الانتساب إلى بلد أو قبيلة أو أدب أو صناعة أو تجارة . كقوله :
(الآبار) نسبة إلى صناعة الآبراء ، (البرازم) إلى تجارة البر ، (البخاري) نسبة
إلى بخاري ، و (الدائني) نسبة إلى المدائن . ثم مثله كتاب الأنساب
لابن القيميراني المتوفى سنة (٧٠٥ هـ) .

المنتشرون وموقفهم من الأنساب

ينقسم المنتشرون في نظرهم إلى الأنساب أقساماً ثلاثة :

- ١ - قسم لم يعرض لها يبحث فلم يشكرها ولم يثبتها وإنما سردها
سردياً ويجعل العهدة في ذلك على علماء الأنساب .
- ثمة (مثل (سيل) في مقدمته ترجمته للقرآن و (إرفنج) في كتابه « حياة مجد » ،

٢ - قسم شك فيها باعتدال ، ورأى من الضروري لمن أراد أن يدرس تاريخ العرب ، ويضعهم أديهم ، أن يطلع على تلك الأنساب ، ويتابع رأى علماءها . من هذا الفريق هيوارد (Huart) في كتابه « تاريخ العرب » . ونيكلسون (Nicholson) في كتابه « التاريخ الأدبي للعرب » . و (ج . لينى دلا فيدا) في مقالة له في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة « أمية بن عبد شمس » .

٣ - وقسم ثالث يمثل (روبرتسون سميث) (Robertson Smith) في كتابه « القرابة والزواج في بلاد العرب قديماً » ، وفي كتابه « عبادة الحيوان والقبائل المنسوبة إلى الحيوانات بين العرب » ، وفي كتاب « العهد القديم » و « مرجليوث » (Margoliouth) في كتابه « حياة محمد ونشأة الإسلام » .
والذي يهتبا من هذه الأقسام هو القسم الثاني والقسم الثالث . فلنعرض آراء هذين الفريقين ثم نقف عليها بالمناقشة .

آراء الفريق الثاني :

يقول هيوارد :
« ولكن يجب معرفتها (يعني أنساب عدنان وقحطان) إذا أراد الناس أن يتبينوا الطريقة التي كان يتصورونها العرب في القرن السادس من الميلاد علاقات النسب الموجودة ، أو المظنون وجودها بين القبائل المختلفة التي كانت تفتل فوق أرض الجزيرة ، والتي كان الناس يعرفون أن أكثرها لم يقم في هذا الوقت في مسكنه الأصلي ، هذا المسكن الذي أثبتته له الإقاصيص في الأصل ، وإذا لم يمثل الناس بهذه ، فليس في مكنتهم أن يفهموا الوقائع والحروب التي بذل البدو لها أنفسهم ، والتي بعضها عبارة عن حوادث تاريخية عظيمة » .

ويقول (نيكلسون) :

« مما لا شك فيه أن هذه السلسلة من الأنساب وهمية مصنوعة إلى حد ما ، فليس هناك في العصر الجاهلي علم للأنساب أو لم تكن الأنساب قائمة

على أسس علمية ، ولذا لم يكن لدى الباحثين الأولين فيها سوى روايات قليلة مضطربة ، فضلا عن خضوع تلك الروايات لمؤثرات سياسية وذنية وغير ذلك من الأسباب والبواث (١) .

« فدراستهم للقرآن وللأسفار التاريخية من التوراة أرشدتهم إلى أن يخذلوا أيا أعلى في قائمة أنسابهم ورأس سلالته » .
ويقول (نيكلسون) أيضاً (٢) :

« إن نسب عدنان لا يزال مثار نزاع في خلفائه التي يتكون منها ، ولو أن الجميع يجمعون على أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم
ويقول أيضاً فقلا عن (تولد ك) (٣) :

« فنحن لا نستطيع أن نقبل سلسلة الأناساب التي يذكرها مبتدئة بعدنان كحقيقة تاريخية ولو أن جزءاً عظيماً منها ظل محفوظاً في الأذهان عند ظهور الاسلام لتعزيز بشهادة الشعب الجاهلي » .

ثم يقول (نيكلسون) :
« ومن ناحية أخرى فإن القول بالحداد كل قبيلة من جد معين ، هو قول متناقض مع الحقائق التي وصل إليها الباحثون المحدثون في هذا الصدد .

« ومن المحتمل أن كثيراً من هذه الأسماء التي تذكر في عمود النسب إنما هي إشارات إلى حلف محلي أو اتحاد مفاجيء وغير ذلك . مثال ذلك اسم (معد) فهو يشير على ما يظهر إلى جموع كثيرة متعددة ، أو تحالفة لقبائل مختلفة .

« وأن هذا النقد لفكرة الأناساب ، لا يحبط من قدرها ، ولا يقلل من خطرها ، من حيث أنها مظهر لعقيلة العرب العامة ، فمن هذه الوجهة

(١) نقل « نيكلسون » هذا الرأي عن تولد تيسير في كتابه « دراسات إسلامية »

ج ١ / ١٣٣ / ١ من المقدمة .
(٢) ١٨ / من المقدمة .

(٣) ص ٢٠ / مقدمة كتابه .

قد ترفع الأسطورة إلى مصاف الحقيقة المقررة . فليكن غرضنا إذن في النصول الآتية أن نعرض ما يعتقد العرب أكثر من تقدنا لهذا المعتقد أو بيان حظه من الصواب أو الخطأ .

ورأى « ج . لينى ديلانيدا » هو :

« ينبغي أن نحتاط في قبول ما يذكر عن وجود (أمية بن عبد شمس) التاريخي ، وعن تفاصيل حياته ، وما يقال عن غيره من أشخاص أسطوريين ، تنسب إليهم قبائل العرب وبطونهم . غير أن الاسراف في الشك في أمر الأخبار الماثورة ، فيه من الخطل ما في التصديق بأحكامها تصديقاً أعمى » .

أما رأى الغربي الثالث فهو :

يقول (مرجليوث) : « إن للتوراة الفضل في تنبيه أذهان العلماء عندما هبوا يبحثون ، حيث وجدوا فيها الكلام على بدء الأنساب والسلالات فأتخذوها أساساً لبحوثهم ، ونهجوا نهجها ، وإنه لفي أحوال نادرة تعتبر هذه السلالات حلقات تاريخية تربط أكثر من أبناء جيلين قبيل ظهور الاسلام .

« فنظرية علماء الأنساب التي يقولون بها وهي نسبة كل قبيلة من القبائل العربية إلى جد أول ، فالقرشيون مثلاً متناسلون من قريش ، والكلابيون من كلاب ، هذه النظرية قد تقوضت أمام الحقائق المختلفة التي أدت إليها البحوث الحديثة ، والتي لم يكن يجهلها علماء التاريخ القديم ، هذه الحقائق قد تجمعت تحت نظرية (الطوطمية) ، ونظام تعدد الأزواج للمرأة الواحدة وتولد أفكار لها ارتباط بالفراة والتناسل ، وتؤكد حياة البدو من العرب كل ذلك .

« فوحدة القبيلة من جهة النسب ، إن هي إلا نوع من التصوير لما هو في الأصل اتحاد محلي (رأى جولدتسيهر) .

« أو هو تصوير لاتحاد طوائف من النازحين الراحلين تحت زعامة مرشد واحد (رأى نولدكه) .

« أو هو تصور لرابطة وقعت اتصالاً ومصادفة برقضاء وقدراً
(رأى شرنجر) .

« فالروابط العائلية الحقيقية — إن وجدت — فقد تميزتها غلباء
الأنساب بما واده لم خيالهم حتى أصبح من العسير تمييز شذرات التاريخ
الصحيح التي امتصت في خضم الأحداث المختلفة المصنوعة . فالإنسان معروف
أنه منسوب إلى فصيلة أو عشيرة ، والعشيرة من المقول أن تكون فرعاً من قبيلة
ولكن كون هذه الحلقات تربط هذا الأنساب بمؤسس العشيرة ، وكون
هذه العشائر تتولد من القبيلة ، كل هذه أمور نظرية ، ومن النادر أن تكون
حقيقته ، فإن الأمثلة لا تعوزنا لنستدل بها على أن تلك العشائر متصلة اتصالاً
صناعياً بالقبائل ، وليس بينها أي رابطة من الروابط الطبيعية »

رأى (سميث) :

« لما يرى المشتشرق (سميث) أن بالعرب كانوا في أقدم أزمانهم ينسبون
إلى آباء من الحيوانات أو النباتات كانوا يعبدونها أو يقدسونها ، ويسمون
باسمها (الطوطمية) وكان من شأنهم في الزواج والأمومة وغيرها شأن القبائل
المتوحشة في أستراليا وأمريكا وأفريقية .

وإن المشهور من انتساب العرب إلى اسماعيل وقحطان من آباء التوراة
وتسلسل القبائل على الصورة المعروفة ، إنما هو حادث وضعه أهل الأغراض
في زمن حديث ، لا يتجاوز القرن الأول للهجرة مبنيًا على ديوان الامام
عمر بن الخطاب ، من حيث حقوق المسلمين في العطاء بالنظر إلى القبائل
وأنسابها .

ولنايد هذا إلى أي بدأ أولاً بانيات الأمومة عند العرب . فقال :
« إن العرب في الزمن القديم لم يكن عندهم عائلة رئيسها الأب ، ولا كانت
الأنساب تتصل بالآباء ، بل كان الزواج عندهم على نحو ما هو في بلاد الحبس اليوم .

ويعرف بالزواج التبنى ، وذلك أن المرأة تزوج برجلين فأكثر ، وأولادها لا ينتسبون لأحدهم ، وإنما ينتسبون إلى القبيلة ويسمونه (بطوطمها) .

فعمد (سميت) أولا إلى إيراد الأدلة على إثبات الأمومة وشيوعها عند العرب القدماء ، ولما ظن نفسه أنه أثبتها عمد إلى إثبات (الطوطمية) فليبدأ بمناقشة أدلة الأمومة .

أدلة الأمومة عند (سميت) ومناقشتها

البريل الأول — انتساب بعض القبائل أو البطون أو العشائر أو الأفراد إلى أمهاتهم :

ونحن نقول جفا إن جملة من القبائل والشعراء تسموا بأسماء أمهاتهم ، ولكن ليس حتماً أن يكون سبب تلك التسمية هو شيوع الأمومة ، بل هناك أسباب اجتماعية أخرى منها :

١. — أن العرب ينسبون الرجل إلى المرأة بشهرتها وارتقاع قدرها . مثال ذلك (خديف) فقد نسب أولاد (إلياس) إليها وهي والدتهم ، لأنها حين تركتهم مشغولة بحزنها على أبيهم ، رجمهم الناس فقالوا هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم وهم صفار أيتام ، فقد ضربت الأمثال بحزنها على (إلياس) زوجها .

ومن ذلك أيضاً (عمرو بن هند) فقد نسب إلى أمه هند ، وقد بذت ديرا يعرف بدير هند ، وهو دير مشهور في الحيرة ، وكان على صدر الديز نقوش قرأها يحيى بن خالد عند خروجه مع الرشيد إلى الحيرة فبكى حتى جرت دموعه على لحيته ، ويعرف هذا الدير بدير هند الكبير .

ومن ذلك أيضاً (أيمن بن أم أيمن) فنسب إلى أمه وهو أخو أسامة بن زيد الذي تنبأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت أمه أشهر من أبيه لشرفها بحضانتها للرسول ، وكانت مولاة له ، ف قيل له (أيمن ابن أم أيمن) .

٢٠ — من عادة العرب أن ينسبوا الرجل إلى حاضنته إعترافاً منهم بفضلها وخضوعاً لحليها ، وتذكارا لثروتها .

مثال ذلك (سعد هذيم) هو سعد بن زيد من قضاة ، حاضنته هذيم فينسب إلى حاضنته .

(وعكّل) هي كانت أمة لامرأة من حير يقال لها بنت ذى اللحية ، وتزوجها عوف بن قيس بن وائل ، فولدت له جشما وسعيدا وعلياء ، ثم ملكت الحيرية فحضنت (عكّل) ولدها ، فقلبت عليهم ، ونسبوا إليها .

٢١ — ومنها إذا كان الولد أمة أمة ، فإنه ينسب إليها ، إلا إذا دعاه أبوه ونسبه إليه كما في عترة بن شيدان .

٢٢ — مثال ذلك السليك بن السلكة ، وخفاف بن نذبة ، لأن من عادة الجاهلية أن الرجل ينسب إلى أمه ولا يدعيه ، إذا كان من أمة ، فإن أنجب اعترف به ، وإلا بقي عبداً مفتيا عن أبيه .

وقد جاء الإسلام بتغيير هذه العادة ، وجعل الولد للفراس ، ولو كانت أمه أمة ، فإنه يجب أن ينسب إلى أبيه .

٢٣ — أنهم ينسبون الولد إلى أمه حين يرتدون في نسبته عن الأب لئلا يحسب في عداد قبيلتهم كما يحدث في نسب بني ناجية ، فإن بني ناجية ينسبون أنفسهم إلى أسامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقرش تدفعهم عن هذا النسب ، ويسمونهم بني ناجية ، وهي أمهم (وهي امرأة أسامة بن لؤي بن غالب) في قصة طويلة .

٢٤ — ومنها إذا كان الولد أمة سبية من السبايا ، فهم ينسبون إليها بحزراً واحتياطاً .

مثال ذلك أن ابن الفرزة النهشلي ، والفرزة سبية من بني تغلب ، وهي أمة ويقال جدتيه ، واسمه كثير بن عبد الله بن مالك بن هيرة بشاعر مخضرم ، دعي إلى أيام الحجاج .

وأرطاه بن سهية وهو شاعر إسلامي . أمه سهية سبية من كلب ، كانت
لضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل ، فجاءت بأرطاة ،
فلذا نسب إليها .

٦ — ومنها إذا كانت قبيلة الأم أعلى كعباً ، وأعرق مجدأ من قبيلة
الأب ، فينسبون إلى أمه .

مثال ذلك عوف بن الغامدية ، وهي أمه ، من غامد من الأزد ،
وهو من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر جاهلي .

٧ — ومنها أن يكون الأب مجهولاً لأي سبب كحدث الحمل من السفاح
مما يحدث في الجاهلية وغيرها ، فيولد الولد لا يعرف أبوه ، فينسبون إلى أمه
كما وقع لزياد بن أبيه ، فقد كان يعرف بأمه (سمية) ولولا استلحاق معاوية
إياه لعرف أعقابهم بآل سمية .

وقد جوز الشافعي الاستلحاق في النسب بشروط .

والذي ساعد على تعدد حوادث الجهل بالآباء أمران

أولهما : شيوع السفاح .

ثانيهما : أنكحة العرب .

أما أن السفاح كان موجوداً في الجاهلية فيمكن أن نعرف أن النبي صلى
الله عليه وسلم قد تبرأ منه في نسبه فقال : (ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ،
ما ولدني إلا نكاح الإسلام) .

والسفاح على كثرته يكاد يكون خاصاً بالأماء ، وقبلنا تأنيه الحرائر ،
يشهد لذلك ما جاء في بيعة النساء التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الممتحنة
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَرْبُيْنَ . . .) .

فلمسا جاء ذكر الزنا قالت هند بنت عتبة متعجبة : وهل تزني الحرة ؟
قال رسول الله : والله لا تزني الحرة .

أما أنكحة العرب — فكما ذكرها البخارى — فهي أربعة :
الأول : نكاح الناس اليوم . يخطب الرجل إلى الرجل ابنته ، أو وليته
فيصدقها ثم يتزوجها .

الثانى : هو نكاح الاستبضاع ، وهو أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت
من طمئنها إرسلى إلى فلان ، فاستبضعى منه ، ويعتز لها زوجها ولا يمساها
حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه . فإذا تبين حملها من ذلك
الرجل الذى تستبضع منه أصابها زوجها إذا أحب ؛ وإلما يفعل ذلك رغبة
في نجابة الولد .

الثالث : وهو يعرف في علم الاجتماع بجمد الأزواج ، وهو أن يجتمع
الرهط دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت
ومر ليال بعد أن تضع حملها ، أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمنع
حتى يجتمعوا عندها ، فتقول لهم قد عرقتم الذى كان من أمركم ، وقد ولدت ،
فهو ابنك يا فلان ، تلحقه بمن أحببت ، فلا يستطع أن يمنع منه الرجل .

الرابع : ويعرف في علم الاجتماع بنكاح المشاركة ، وهو أن يجتمع الناس
الكثير فيدخلون على المرأة فلا تمتنع ممن جاءها ، وهن البقايا ، فإذا حملت
إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ودعوا لها الطائفة (وهم الذين يشبهون
بين الناس ، فيلحقون الولد بالشبه) فألحقوا ولدها بالذى يزون .

فلمابث محمد صلى الله عليه وسلم هدم أنكحة الجادلية ، إلا نكاح
الناس اليوم .

على أن العرب لم يكونوا بدعا في هذه الأنكحة ، فإن نكاح الاستبضاع
كان معروف عند غير العرب من الشعوب ، كما يؤخذ ذلك من كلام العالم
الأسانى غريم (Grimm) عند حديثه عن الجرمانين القدماء . وكانت هذه
العادة معروفة أيضاً عند اليونان القدماء .

ويقول أيضاً سيد أمير على في كتابه روح الاسلام (The spirit
of Islam) : « إن عادة تعدد الأزواج كانت شائعة حتى عند قبائل اليمن
التي كانت مزيجاً من اليهود والصابئة » .

وربما كان تعدد الأزواج عند عرب الجاهلية نتيجة لقلة البنات، سبب
وأدهن في ذلك العصر .

كل هذا الاضطراب في النكاح وهذه الفوضى في الزواج عند العرب
في الجاهلية ، جعل معرفة الأب أمرا شاقا مشكوكا فيه .

وليس يبعد أن يكون هذا من أُم الأسباب التي جعلت الأمومة شائعة
عند العرب ، فظهرت آثارها ، وظلت أماراتها تشاهد حتى في عصر الاسلام .

الرّيل الثاني — تأنيث أسماء القبائل :

الدليل الثاني من أدلة (سميث) هو أن العرب يقول جاءت مضر ، وسطت
قيس ، ولا يقولون جاء مضر وسطا قيس .

وتحسّن نقول ليس هذا الصحيح ، بل هو دليل خاطيء ، وأساس واه ،
فإن العرب يقولون (جاء مضر) كما يقولون (جاءت مضر) . فإن المؤنث
في اللغة العربية على ضربين حقيقي وغير حقيقي .

فالمؤنث الحقيقي هو ما كان بآزائه ذكر في الحيوان نحو امرأة وناقعة
وغير الحقيقي أمر راجع إلى اللفظ ، بأن تقرر به علامة التأنيث من غير أن يدل
على مؤنث فيه نحو بشرى وصحراء وغرفة وموعظة ، وذلك إنما يكون
من وضع الواضع واصطلاح الاستعمال .

وأسماء القبائل من هذا القبيل ، فانها مؤنثات غير حقيقية ، وحكم المؤنث
غير الحقيقي إذا أسند إليه الفعل أن يكون المتكلم بالخيار إن شاء أنت الفعل
وأن شاء ذكره ، فيكلامه فصيح وحسن .

على أن هناك أصلا عامارجع إليه في التذكير والتأنيث ، وهو الحل على المعنى ،
والتأنيث يتبع المعنى والتأويل ، والتذكير كذلك قالوا (رجل ربعة) فأنثوا
مع أن الموصوف مذكر ، وإنما أنثوا على معنى نفس ربعة . وجاء في الحديث
(مارؤى مثل هذا منذ دجت الاسلام) فأثت الفعل لأنه أراد بالاسلام الملة
(ودجا الاسلام شاع وكثر)

الربل الثالث — التعبير عن القرابة بالبطن :

يزعم (سميث) أن تسمية القبيلة بالبطن يؤيد اعتماد العرب على قرابة الأم .
ورداً لهذا الدليل تقول :

إن إطلاق لفظ البطن على فرع من فروع القبيلة تابع في الاستعمال لأصل
الصورة التي تخيلتها العرب عند إرادة التعبير عن أنسابهم . فقد رتبوها
ست طبقات .

الشعب والفصيلة ، وربما سميت القبائل مجامع ، ثم العارة والبطن والفخذ
ثم الفصيلة . وهم رتبوا ذلك بعد أن تخيلوا الانساب في صورة بنية
الإنسان وجسمه .

فجعلوا الشعب منها بمثابة أعلى الرأس ، والقبائل بمثابة قبائل الرأس وهم
القطع الشعوب بعضها إلى بعض يصل بها الشئون وهي القنوات التي في الفخف
الجريان الدمع .

وقد ذكر الجوهري أن قبائل العرب إنما سميت بقبائل الرأس .
وجعلوا العارة تلو ذلك ، والعاراة من الإنسان الصدر ، فسمى الحى
العظيم عمارة تشبيهاً بعاراة الصدر .

وجعلوا البطن تلو العارة ، لأنها الموجود البارز من البدن بعد العنق
والصدر .

وجعلوا الفخذ تلو البطن ، لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن .
وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ ، لأنها للنسب الأدنى الذى يفصل عنه الرجل ،
إذ المراد بالفصيلة الشجرة الأذنون . وأصل الفصيلة قطعة من لحم الفخذ .
فالتسمية لا تتجاوز مجرد تعبير عن الأنساب ، وتصوير لها .

الربل الرابع — اشتقاق لفظ الأمة من الأم

يقول (سميث) إن لفظ الأمة مشتق من الأم ، وفي هذا دليل
على أن الأصل في النسب الأم .

ويكفي الرد على هذا الرأي ، وبطلان هذا الاشتقاق أن ننقل ما كتبه
دائرة المعارف الإسلامية أولاً ، ثم ما جاء في المسان ثانياً .

جاء في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (أمة) .

(أمة) هي الكلمة التي وردت في القرآن للدلالة على شعب أو جماعة ،
وهي ليست مشتقة من الكلمة العربية (أم) بل هي كلمة دخيلة مأخوذة
من العبرية « أما » أو من الآرامية « أمينا » ولذلك فلا صلة بينها وبين كلمة
(أمة) التي تدل على معانٍ أخرى مثل (حين من الزمن أو الجيل) .

وجاء في اللسان في مادة (أم) بعد أن ذكر جميع معاني (أمة)
وهي الشريعة والدين والسنة والطريقة إلى آخر ما ذكر من المعاني . بعد
أن عدّد ذلك قال : « وأصل هذا الباب كله من القصد » . فالأمة هي الجماعة
التي يكون مقصدهم مقصداً واحداً ، لأنه يجمعهم أمر واحد ، من دين
أو زمان أو مكان ، وتربطهم روابط الجنس أو اللغة أو الدين .

أنبعد هذا يقال أن لفظ الأمة مشتق من الأم ؟

الربيل الخامس - الخال والعلم
(يقول سميت) أن لفظ (الخال) في اللغة العربية ، لا يراد به أخو الأم
على الخصوص بل يطلق على كل رجل من أهلها .

وكذلك لفظ (العم) وأن هذه اللفظة أصل معناها « الشعب » ، وذلك
هو مؤداها في العبرية إلى الآن . وعليه فلا تكون عند العرب عائلة خصوصية
وإنما الولد يكون ابن الجماعة أو القبيلة على ما تقتضيه الأوزمة .

ومن لا تدري من أين جاء (سميت) بهذا التجديد لمعنى (الخال) أو لمعنى
(العم) في اللغة العربية . فإن جميع المعجمات التي بين أيدينا لا تستثنى منها واحداً
وكذا جميع كتب فقه اللغة ، إنما تنص نصاً لاتأويل فيه ، على أن (الخال)
أخو الأم ، وأن (العم) أخو الأب .

ونظن أن الذي أوقع (سميت) في هذا ، هو ما جاء في اللسان في مادة
« خيل » (والخال الرجل السمع) ، ونسئ أن بعد هذا مباشرة قال (تشبيهاً
بالخال وهو السحاب المطر) .

وفي مادة « خول » أعاد اللفظ فقال : (والخال ما لم يمت فيه من الخير) ولم يذكر أنه يراد بالخال كل رجل من أهل الأم ، كما ذكر (سميث) .

وأما لفظ (الم) فبعد أن نصت المعجمات على أنه أخو الأب ، ذكرت أن (الم) الجماعة ؛ وقيل الجماعة من الخى ، والخلق الكثير) .
كل هذه المعاني أصلها العموم ، قال كُراع : رجل لم يعم الناس بمعرفه أى يجمعهم ، والم من الرجال الكافي الذى يعمهم بالخير .

والغريب من (سميث) أنه يبنى أن يراد به أخو الأم على الخصوص ، مع أن هذا هو نص للمعجمات ، وهو المعنى الذى وقفت عنده ، وقصرت تعريف الخال عليه . ولو قال (سميث) كما قال « ولكن » بأن العرب كانت تعتقد بصلة داخلية بين الخال وابن اخته ، وأن الولد يثب على أخلاق خاله ، فلذا منحوا الخؤولة اهتماما وعناية ، وجعلوا يختفرون بها ، وينصبونها هدفاً للمدح والذم ، وأن هذا الاعتقاد هو أثر خفى من بقايا تلك العصور الخالية ، حين كان الولد يتبع نسب أمه ، ولم تكن للأب أهمية تذكر ، ولم تكن تعرف له صلة رحم ظاهرة واضحة .

لو كان « سميث » قال ذلك لوافقتنا وأرتضينا رأيه ، فإنا مفتنعون بأن للخؤولة فى الحياة الاجتماعية الجاهلية أثراً لا ينكر ، وأن لها فى الأدب الجاهلى مظهراً قوياً متكرراً ، نستطيع أن نصور على ضيئه أهمية الأم وأثرها فى بناء الأسرة وكيان المجتمع .

وقد عرف الإسلام لهذا الأثر قدره ، واعترف به ورأاه ، والشواهد على ذلك جاهلية وإسلامية لا تحتاج إلى تعليق ولا توضيح ، فهى ناطقة بأثر الخال نطقاً لا يدع مجالاً للشك فى طغيان صلة الأم بقرباتها على كل صلة وقرابة .

قال صلى الله عليه وسلم (الولد يشبه خاله) رواه الترمذى عن عائشة مرفوعاً .

(١) ٤٢ الأهمية عند العرب نوبلكن ترجمة بدلى جوزى .

(٢) ١٠٨ / ١ الحضارة الإسلامية .

وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص (هذا خالي ، فليكن امرؤ خاله) .

وقال صلى الله عليه وسلم (ابن أخت القوم منهم) .

وقال حسان بن ثابت .

أبي فعلنا المعروف أن نطق الحنا وقالنا بالعرف ألا تكلمنا

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا

وقال زياد بن عبيد الله الحارثي :

.. فلو أني بليت بها شمي .. خؤولة بنو عبد المदान ..

لهان على ما ألقى ولكن .. تعالوا فانظروا بمن ابتلاني ..

ومن كلام عمرو بن الأهتم يذم الزبقان بن بدر بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم : إنه لرمب المروءة ، ضيق العطن ، أحق الولد ، لئيم الخال .

وظل عنوان الولد خاله حتى القرن الرابع الهجري .

بلغت الفتنة في يوم عاشوراء سنة (٦١٠ هـ) مبلغاً شديداً في بغداد ، فشب

القتال بين الجند المسلمين من السودان والترك ، وبين الشيعة ، وكان الجنود

يسألون من يجذونه « من خالك » فإن لم يقل خالي معاوية ، ضربه (١)

الرليل السادس — الزواج المؤقت :

هو الزواج المؤقت هو الزواج المعروف في الإسلام بزواج المتعة ،

وهو أن يعقد الرجل على المرأة عقد زواج إلى أجل مسمى ، في انقضى

الأجل بطل الزواج . .

فيرى « سميت » و « ويلكن » معه أن هذا الزواج كان شائعاً عند

ظهور الإسلام ، وهذا مما يؤيد رأيه في الأمومة ، إذ هي تقتضي إباحة

نساء القبيلة لأهل القبيلة ، بلا عقد ولا شرط .

(١) ١٠٨ / ١ الحضارة الإسلامية لآدم مقرر .

حقاً إن زواج المتعة كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام ،
فقد أشار إليه المؤرخ اللاتني (Ammianus Marcellinus) منذ قرنين قبل
الاسلام . حيث قال :

« إن العرب في الجاهلية لم تكن تعرف زواجا مستمرا ترتبط فيه المرأة
مع الرجل إلى أجل غير مسمى ، وذلك لأن العرب كانوا يفضلون النكاح
الوقتي على غيره »^(١) .

ولم يكن هذا الزواج معروفاً عند العرب فحسب ، بل كان معروفاً عند
اليهود الأقدمين^(٢) ، فإن أول ما أبيض في الإسلام كان القوم غاوين بعيدين
عن أهلهم ومواطنهم^(٣) فهذا النوع من الزواج أوجده ضرورة اجتماعية ،
وهي بعينها التي جعلت الإسلام يبيحه ثم ينسخه ثم يبيحه ثم ينسخه ويجرمه
إلى الأبد لزال تلك الضرورة .

وتلك الضرورة هي أنهم كانوا يقضون عمرهم في التجوال والانتقال ،
فلم تكن حياتهم حياة استقرار واطمئنان ، بل كانوا دائماً على سفر وارتحال
مما يستلزم معه عقد ثابت ورباط دائم .

على أن هذا النوع من الزواج لم يكن يعتبر سفاحاً ولا زواجا قانونياً .
سئل ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح ؟ قال : لا سفاح ولا نكاح
فهو نكاح إلى أجل لا ميرات فيه ، والفرقة تقع عند انقضاء الأجل
من غير طلاق .

قال القاضي عياض : « ليس في أحاديث المتعة كلها أنها كانت في الحضر
وإنما كانت في أسفارهم في الغزو ، عند ضرورتهم ، وعدم النساء ،
مع أن بلادهم حارة ، وصبرهم عنهن قليل »^(٤) .

(١) الاسلام في مفترق الطرق (Islam at the Cross Roads) لـ O'Leary .

(٢) The Spirit of Islam ٢٢٧ سيد أمير على

(٣) ١٧٩ / ٩ النووي على مسلم .

(٤) ١٧٩ / ٩ النووي على مسلم .

٠- فبان من كل هذا ، أن لا علاقة لزواج المتعة بالأمومة قديماً وحديثاً ، إذ هو ضرب من ضروب الزواج التي كانت شائعة في الجاهلية ، كضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ، فهو ليس صمورة من زواج المشاركة ، ولا زواج القوضى ، ولا هو يقتضى إباحة نساء القبيلة لأهل القبيلة ، كما فهم « سميت » .

الرّيل السابع — الواد :

يمتد « سميت » أن العرب كانت في بادئ الأمر على الزواج الخارجى (Exogamy) :

نؤدليله على ذلك ما قاله الكاتب الإنجليزي مكلينان (Mc Lennan) عن أصل هذا الزواج ، وأسباب ظهوره ، وهو أنه ناتج عن وأد العرب لبناتهم ، مما قلل من عددن ، واضطر الجماعة معه إلى أن ينكحوا امرأة واحدة . وهذا على رأيه هو أصل تعدد الأزواج ، وظهور الأمومة ، حيث أن أصل الأمومة معرفة أم الولد ، وعدم معرفة أبيه .

ثم استنتج من هذه المقدمة نتيجة ثانية ، وهي أن قلة عدد النساء في بعض القبائل ، حل رجالها على طلبهن ، أو اغتصابهن في غير قبائلهم ، وهو ما يسميه بالزواج الخارجى .

فالزواج الخارجى ، وتعدد الأزواج منشؤها في نظره واحد ، وهو وأد البنات .

فردنا على هذا الدليل هو :

أولاً — إن أصل الزواج الخارجى الذي يبنى عليه مذهبه ، ليس هو وأد البنات أو قتلهم ، بل هو القرابة والحرب من اختلاط الدم القريب إلى الدم الغريب فلم يكن مباحاً لرجال البطن الواحد أن يتزوجوا في بطنهم ، بل في غيره .

فالزواج الخارجى ضرورى في البطن الواحد فقط ، وليس في القبيلة كلها . فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة ، وهي من قبيلة قريش ،

وتزوج حفصة بنت عمر، وهي من قبيلة قريش، ولكن البطون مختلفة، لأن أبا بكر من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش).

وعمر بن الخطاب من بني عدى بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) ^(١).

قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يخلق ضاويًا، وعن أبي مليكة أن عمر قال « يا بني السائب إنكم قد أضوتم، فأنكحوا في الزائع، جمع نزيمة، وهي المرأة التي تزوج في غير عشيرتها ^(٢) » . وقد ذكر الغزالي في الأحياء ^(٣) :

« أن من المحصال التي تطلب مراعاتها في المرأة أن لا تكون من القرابة القريبة فقد روى إبراهيم الحربي في غريب الحديث أن عمر قال لآل السائب (اغتربوا لا تضووا) » .

وذلك لأن من أكبر مقاصد العرب في الزواج كثرة النسل، واعتنوا العناية كلها بقوة النسل، وصلابة عودهم، وثقاء معدنهم، فهم يفتخرون بكثرة النسل، وهكذا كل أمة حية مكافئة تفخر بقوة نسلها، وتحرص على تخير نسلها.

قال الشافعي : من نكح من قرابته الأدنى، خشيت عليه أن يأتي الولد بمحبة.

وهذا عينه سبب من أسباب تحريم الإسلام للزواج من القرابة القريبة، لأن فيها ضعف النسل، كما تزوج من الغلات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت.

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك في كتابه الحيوان ^(٤) . فقال :

« وقد تعرف القرابة التي تكون في رأى العين بين الشكين

(١) ٢ / ٨٤٧ تاريخ ابن خلدون .

(٢) ٤ / ٣ عيون الأخبار .

(٣) ٢ / ٣٨ الأحياء .

(٤) ١ / ١٥٦ الحيوان .

من الحيوان ، فلا يكون بينهما تسافد ولا تلاقح ، كالضأن والمعز ، وكالفأر والجوزان ، فليس بالعجب في البهر والجاموس أن يكون كذلك .

وقد رأينا الخلاسى^١ من الدجاج والدئكة ، وهو الذى يخلق من بين المولدات والهنديات ، وهى تحمل اللحم والشحم .

ورأينا الخلاسى من الناس ، وهو الذى يخلق بين الحبشى والبيضاء ، والعادة من هذا التركيب أن يخرج أعظم من أبويه ، وأقوى من أصليه ومثمره ورأينا البيسبرى من الناس ، وهو الذى يخلق من بين البيض والهند ، لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يحمى أحسن وأملح .

وقد أطلق الجاحظ على هذه النظرية (الخلق المركب ، أو النتاج المركب) .

هذا ولأن الزواج في داخل القبيلة كثيراً ما كان يسبب حروباً عائلية هائلة ، تمزق جسمها ، وتوهن وحدتها . وزيادة على ذلك فإن الحروب المتصلة كانت تاتى إلى القبائل بسبباً أجنبيات ، كن يساعدن على مزج الدم ، وإيجاد الزواج الخارجى^(١) .

على أن هذا لا يمنع من أن هناك في القبيلة الواحدة زواجا داخليا ، ولكن الأغلب هو الزواج الخارجى .

ثانياً — إن وأد البنات لم يقلل من عدد النساء ، فإن هناك أمراً جديراً بالاعتبار ، وأحر به أن يكون ناموساً طبيعياً ، وهو أن عدد البنات دائماً أكثر من عدد الذكور ، فإن الاحصاءات في الأمم المختلفة متضافرة على أن عدد ما يوفى سنوياً من الاطفال الذكور أكثر ، بما لا يقاس من عدد البنات ، وربما كان هذا سراً من أمرار تعدد الزوجات في الاسلام .

والمعروف من التاريخ ، والتأملات البسيطة أن الشعوب غير المتمدنة أقرب إلى هذا الناموس من غيرها ، لأنها في قتال دائم ، ونزاع مستمر .

للحصول على القوات ، وآلة العيش ، ولذا كانت وفيات الذكور بينها عظيماً جداً بالنسبة إلى عدد وفيات الإناث ، فلا غرابة إذن ، إذا زاد عدد نساء القبائل المتبدية على عدد رجالها .

ثالثاً — إن عادة الوأد لم تكن شائعة في كل قبائل العرب في الجاهلية ، بل كانت محصورة في قبائل معدودة ، أشهرها بنو أسد وتيم وكندة^(١) .

رابعاً — إذا سلمنا بأن الوأد يؤدي حتماً إلى تقليل عدد النساء في إحدى القبائل ، وهذا يؤدي إلى الزواج الخارجي ، وجب أن نسلم بأن العادة نفسها تؤدي إلى النتيجة عينها عند سائر القبائل ، وهو ما يجعل الزواج الخارجي مستحيلاً أو عسيراً على الأقل .

فظهر الآن أن لشيوخ الزواج الخارجي عند العرب أسباباً غير التي ذكرها «سميث» موافقاً (مكليتان) .

والسبب الحقيقي هو شدة كراهية العرب لزواج القرابة القريبة .

«سليمان بن خضرت عمرو بن كلثوم الوفاة» جمع بينه وأوصام ، فما قاله في وصاته لهم :

ولا تزوجوا في حبيكم ، فإنه يؤدي إلى قبيح البغض .

وفي أمثال الميداني (الزناح لا القرائب) .

خامساً — إن من غير السائق عقلاً ، أن يعبد الناس إلى وأد بناتهم ودفنهم أحياء ، ثم يضطرون إلى المشاركة في الأزواج ، وفي طاعتهم أن يخلصوا من ذلك الضيق .

سادساً — إن وأد البنات شئ عظيم يخوف العار ، وشدة الفقر والفاقة :

قال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) .

وقال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) .

فليس أمام (سميث) إلا أخذ أمرين :

إما أن يحسمك بالوأد فينتج تعدد الأزواج .

وإما أن يحسمك بتعدد الأزواج فينتج الوأد .

(١) ٢٢٨ / روح الاسلام ، سيد أمير على .

والوآء ثابت تاريخياً لا مجال لنفيه ، فلم يكن بد من نفى الرابطة بين تعدد الأزواج والوآء ، أو بعبارة أخرى بين الأمومة والوآء .
هذه هى أخطر أدلة « سميت » على شيوع الأمومة عند العرب .

رأينا فى الأمومة

إن الأمومة لم تكن قانوناً شائعاً عند جميع القبائل ، ولكن لا مانع فى رأينا من أن يكون العرب قد مروا قديماً بهذا الدور ، وكان للإأم عندهم اعتبار ومركز ممتاز لأسباب أهمها :

- ١ — صعوبة التحقق من الأبوة ، للأُنكحة التى ذكرناها .
- ٢ — ما اختصت به الأم من عاطفة الخنو التى تجعلها تعطف على أولادها وتعولهم ، ومحميهم إلى حد التضحية من أجلهم ، إجابة لعاطفة الأمومة فلذة الأم فى العطف على أولادها ، واقتياد أولادها إليها ، أعلى من مركز الأمومة ومنحها حق السيادة الأولي . والسيطرة الفطرية على العائلة .
- ٣ — إن الأم هى مصدر القبيلة ، وعليها تعتمد فى التفريخ وتكثير السواد والنسل ووطنية العربى ووطنية قبلية ، فلا غرابة إذا اتصل بالأم ، وأولادها من لدنه احتراماً وتعظيماً ، فانتسب إليها وافترخ بها .
- ٤ — على أن هذا الدور الذى يصح أن العرب قد مروا به ، إنما كان فى العصور الأولى قبل أن ينهضوا للمحافظة على أنسابهم ، وقبل أن تكون الأبوة هى صاحبة السلطان فى العائلة .

والذى يرجح نظراً هذا من مروجهم بهذا الطور الاجتماعى ، هو ما نراه من آثار باقية ، يشاهدها الباحث لمظاهر الأمومة .

فالأنساب التى بين أيدينا إذا كان هناك شك فيها فأنما يأتيتها من أسباب غير الأسباب التى ذكرها (سميت ويلكن ومكيتان) مما سنبينه عند الكلام على رأينا فى الأنساب

رأينا في الأنساب

إن الانساب أكثر الآداب تخطيطاً ووهماً ، وغلطا وارتباكاً واختلافاً ،
وهي ليست قائمة على أسس علمية .
يقول (نيكلسون)^(١) :

« ليس من شك في أن الشعور بهذا التمايز الجنسي (أى من بدو الشمال
وأهل الجنوب) هو الذى ولد بين علماء الأنساب الرأى القائل بأن العرب
في تسليمهم من جديم الأعلى سام بن نوح يتبعون خطين منفصلين ، فأهل
الشمال متجددون من عدنان المتناسل من اسماعيل . وأهل الجنوب يرجعون
في تسلسلهم إلى قحطان بن عابر » .

ونحن نقول إن الذى وجههم هذا التوجه في الاغلب هي أنساب التوراة ،
فقد كان لليهود في التوراة أنساب محكمة ، بحيث أن اليهودى كان يستطيع
أن يعرف نسبه .

فلما اتصل العرب في الاسلام باليهود ، ودخل بعض اليهود في الاسلام
وجد نوع من الاتصال الثقافي ، فلما أراد العرب المسلمون صوغ أنسابهم
جعلوها على مثال الأنساب اليهودية التي في التوراة دقة وإحكاماً .

ولم يقتصر أثر اليهود على الأنساب ، بل هم آثروا في التفسير والتاريخ
والاخبار والقصص واللغة ، ولم يقتصر أثرهم على ذلك ولا على علماء الانساب
في صدر الاسلام ، بل ظل الأثر سارياً حتى في المؤرخين المتأخرين كإبن خلدون
والمسعودى وأبى الفداء وابن كثير وغيرهم .

يقول ابن خلدون^(٢)

« واعلم أن الخلاف في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في بخارج
الحروف ، فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة » .

(١) ١٧ / مقدمة كتاب التاريخ الأدبي للعرب .

(٢) ٨ / ١ / تاريخ ابن خلدون .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية تحت مادة « عرب » .

« ويرد كتاب العرب واليهود أصل عرب الجنوب إلى قحطان بن حابر ،
وأصل عرب الشمال إلى اسماعيل » .

ويقول ابن خلدون أيضاً :

« ثم اتفق النسابون ونقله المفسرون على أن ولد نوح الذين تفرعت
الأمم منهم ثلاثة سام وحام ويافت ، وقد وقع ذكرهم في التوراة » .

فعلم النسب أى علم ترتيب آباء العرب ترتيباً جامعاً مانعاً ، ورد القبائل
إلى آباء تنسب إليهم القبيلة ، علم لا يستسيغه عقل ، ولا يسلم به منطق .
فمن ثبت لنا ثبوتاً علمياً بأن قبائل قريش لها أب واحد تناسلت منه
كل قبائل قريش .

يقول الجوهري « إن القبيلة هي بنو أب واحد » .

وقول ابن خزم في جهمته : « جميع القبائل راجعة إلى أب واحد » .
قول لا يقبل على إطلاقه .

وعلماء الانساب أنفسهم قرروا ما يقتضيه هذا : فهم يقررون :

١ — أن الأب الواحد قد يكون أباً لعدة بطون ، ثم أبو القبيلة
قد يكون له عدة أولاد ، فيحدث عند بعضهم قبيلة ، أو قبائل ، فينسب إليه
من هو منهم ، ويبقى بعضهم بلا ولد ، أو يولد له ، ولم يشهر ولده ، فينسب
إلى القبيلة الأولى .

وأمثلة ذلك نجدها في رسالة « نسب عدنان وقحطان » للبرد .

٢ — قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالة فينسب إليها .
قال صلى الله عليه وسلم : « لحة الولاء كلحمة النسب » .

وجاء في (تهذيب الاسماء واللغات) للنووي (١) :

« وينسبون الى القبيلة مولايم لقوله صلى الله عليه وسلم (موالى القوم

(١) ١٤ / ١ / تهذيب الاسماء واللغات .

من أقبصهم) وسواء كان مولى عتاقه، هو الأكثر، أو مولى حلف ومتاصرة،
أو مولى اسلام بأن أسلم على يد واحد من القبيلة .

٣ — إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى، جاز أن ينسب
إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى القبيلة التي دخل فيها، وأن ينسب
إلى القبيلتين جميعاً^(١). قال ابن عديم النسابة: ومن غسان قبائل دخلت
في (مراد) مثل غطفان وسلسان وكيدارة، فكل هؤلاء في (مراد)،
وأصلهم الأزدي، ويقال الحرث بن كعب في (مذحج) وأصلهم الأزدي،
ووداعة في همدان وأصلهم الأزدي.

٤ — ذكر النسابة قبائل ولم يرجعوها إلى أب واحد، نحو قبائل
تنوخ والمانذ بنو رعيي^(٢).

٥ — يقول ابن خلدون في مقدمته:

«النسب أمر وهمي لا حقيقة له». وتبعد إنما هو في هذه الوصلة
والإلتصام، فإذا كان ظاهراً واضعاً حمل النفوس على طبيعتها من الدعوة،
وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوم وذهبت قائده.

ويقول أيضاً:

«إن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء». وذلك أن باني الحمد
حالم بما عاناه في بنائه، وحافظ على الخلال التي هي أسباب قوته وبقائه،
وابنه من بعده مباشر لأبيه، قد سمع منه ذلك، وأخذ عنه إلا أنه مقصر
في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعاني له، ثم إذا جاء الثالث كان حقه
الافتقار والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المتقلد عن المجتهد، ثم إذا جاء
الرابع قصر عن طريقته جملة. قال صلى الله عليه وسلم (إنما الكريم

(١) ١١١ / الأنباء لابن عبد البر.

(٢) ١٠٨ و ١٠٩ / سبائك الذهب للسويدي.

ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)
اشارة إلى أنه بلغ الغاية من المجد .

« وفي التوراة ما معناه : إن الله ربك طائق غيور ، مطالب بذنوب الآباء
للبنين على التوالف وعلى الرواج . وهذا يدل على أن الأربعة الأعقاب غاية
الأنساب والحسب . »

وسئل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فمكره ذلك ، وقال :
من أين يعلم ذلك ؟ فقيل إلى اسماعيل ؟ فأذكر ذلك وقال : من يخبره به ^(١١)

ومما يدعو إلى الشك في سلسلة أنساب العرب في الجاهلية اختلافهم
واضطرابهم اختلافا لا يمكن تأويله ، ولا الجمع بينه .

وما علينا إلا أن نراجع كلام النسابين في : خزاعة وقضاعة وثقيف
وقحطان ومعد وهوازن وغير هذه القبائل .

وليس هذا الاضطراب بغريب ، فانه من غير المعقول أن ننتظر من العرب
في جاهليتهم أن يصوغوا لنا أنسابهم صياغة علمية محكمة الأساس ، فإن العلوم
لا يمكن أن تظهر إلا في بيئة جامعة ، لأسباب يجب توافرها . وأحوال العرب
في جاهليتهم ساذجة بدوية ، والعلم بيئته الحضارة .

والعلم يحتاج إلى الاستقرار والاطمئنان ، والعرب قوم رحالة ، لا يعرفون
السكون والهدوء والاستقرار .

والعلم إنما يتبع المدن ، ففيها تفتح أحكامه ، وتورق أغصانه ، ولذا إنما
أخذ العلماء يمتنون بأنسابهم العناية التامة ، بعد انتشار الاسلام وامتداد
رواق الحضارة .

فطبيعي أن تقوم أنساب العرب على الشك والاضطراب ، مادامت
وسيلة حفظها الأذهان ، وطريقة تدوينها الأفواه ، وأسلوب تلقها السماع
ومادامت قد خضعت لما خضع له الشر من مؤثرات سياسية ودينية واجتماعية .

(١١) ٢ / ١ / تاريخ ابن خلدون ١١ / ١ / الروض الأنثى .

على أن العرب لم يكونوا بدءاً في التاريخ في محافظتهم على أنسابهم في جاعليتهم
فإن العناية بحفظ الآباء والاجداد خصلة من خصال أهل البادية ، وأم البادية
وأم التاريخ القديم ، وقد نفل هذه الخصلة حتى عصور الحضارة والعصر
الحديث .

فقد كان الرومان أشد من العرب محافظة على أنسابهم ، وبقي ذلك
إلى أيام الامبراطورية ، ثم لم تسلم هذه الانساب من تعدد المؤرخين القدماء
والمحدثين (١) .

وذلك لأن القرابة في القانون الروماني حقوقاً في الوراثة والوصية ،
تختلف باختلاف درجة القرابة ، فهي أشبه شيء بمبدأ في الشريعة الإسلامية (٢) .
وللقرابة أيضاً عند الرومان أثر في موانع الزواج ، إذ يحرم الزواج
في السلسلة المتعاقبة إلى مالا نهاية ، وأما في السلسلة المتعددة كالأخوة وأولادهم
فقد كان الزواج في القديم محرماً بين الأقارب إلى الدرجة السادسة ، ثم تعدلت
هذه القاعدة في العصر الامبراطوري ، وصار بالبحریم قصراً على الحالة
التي يكون فيها أبجد الزوجين على درجة واحدة من الأصل المشترك ، كما بين
الأخ وأخته ، وبين الولد وعمته أو خالته ، وبين البنت وعمها .

ولم يكن الزواج في القدم محزماً بين الزوج وأقارب زوجته ، ثم حرم
في عصر الجمهورية بين الزوج وأصول زوجته أو فروعه ، ثم حرم كذلك
في عصر الامبراطورية بين الزوج وإخوة زوجته (٣) .

فهذه الأحكام كلها اقتضت المحافظة على الأنساب عند الرومان .

والأمة الصينية من أشد الأمم قياماً على حفظ الأنساب حتى أنهم يكتبون
أسماء الآباء والاجداد في هياكلهم ، فيعرف الانسان أصوله إلى ألف سنة
فاكثر ، وقد تناهوا في الاعتناء بهذا الأمر إلى أن قدسوا آباءهم وجدودهم ،
وعبدوهم كما يعبدون آلهتهم .

(١) ١٢٦ / ذكرى أبي العلاء للذكتور طه .

(٢) ٥٦ / القانون الروماني للملبي بدوي .

(٣) ٦٧ / القانون الروماني .

وإن الأوربيين يشهدون العناية بالإنساب ، فالكنيسة في الزواج طالما كانوا يرعونها ، ولا يزالون يرعونها حتى اليوم ، وإن كان قد خف ذلك التشدد القديم بعض الشيء ، وبذلك أن النبلاء لا يزوجون بناتهم من الطبقات التي ليست في درجتهم .

وأشد الأوربيين متعة في هذا الأمر هم نبلاء الانجليز ، وكذلك نجد للنبلاء في ألمانيا وفرنسا وغيرهما محلفين على أنسابهم ، مفتخرين بها مستظمرين على صحتها بالكتب والنوائق والشجرات التي يعتقدونها من أنفس أعلامهم وذخائرهم . ولهذا مظهر عظيم بما يعرف بالشارة (Badge) . وهو ما تمتاز به كل عائلة منهم وتحفظه من عمود طويلة ، فلا تكاد تكون أسرة منهم شهيرة بدون شعار يتجسد صورته على أفتها وحملها وفي كتبها .

وقد غلبت الأفرنج في التمسك بأنسابهم ، ورفعوها بأحقها تاريخاً ، وبعض ما يكون في العصر الحديث ذلك العقل الذي لا يفرق بين ما كان وما هو ، ولا يغفل أيضاً علماء الأنساب في مراعاة قواعدهم ، ودخول أيديهم التزلفون للوضعا عندهم المثلين كانوا يحترمون على الأشراف لتبليده أرفع التماسك أو بوصفها اختراعات حتى وقعت الشبهة في الضخيم منها ، وإنهم التماسك جميعهم بالكتب ، وفي أوروبا يمثل يشار يقولون (هو أكذب من نسبة) فليس مبادي الحكم الذي يقرطه ضعفه عندم الاعتناء بهذا الأمر بالغلة الإمتيازات التي كان يتمتع بها النبلاء ، وكانوا يديقون في الانتخاب من أجلها ، وفي الإهتمام بالأنساب من الطمأنينة العلمية ودعم الإرادة لمسا الجمة العملية^(١) .

والذي يظهر على من دراسة البواعث التي دعت العرب إلى المحافظة على أنسابهم أن الأنساب كان لها في ذهنهم صورتان ، وهما الصورة الأولى وهي التي تكاد تكون العامة والغالبة ، أن القبائل كانت كناية عن مجاميع أو كتل ، وكل كتلة متمايزة عن الكتلة الأخرى ،

(١) ١/١٨/١ ملحق الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون للأمة فكيف أرسلان .

في اعتبارات قومية ولغوية واقتصادية ، ومن ثم كنا نقرأ كثيراً في كتب اللغة والنحو أن هذا هو رأى الحجازيين ، وبازائه هذا رأى النعمانيين ، وكل كتلة من هاتين الكتلتين تتعقب الأخرى وتنف بازاها ، وتخالفا في آرائها ، وتباينها في لهجتها .

فن الأسماء التي هي صورة لمجموعات وكتل :

(قريش) فهو اسم يطلق على مجموعة من القبائل تنتهي الى النضر بن كنانة على الصحيح . فهو ليس باسم قبيلة بذاتها ^(١) .

ولذا قيل في اشتقاقها أنها من القرش وهو التجمع ^(٢) .

و (البراجم) هي خمس قبائل ، وأخوتهم أكثر منهم ، وقيل لهم البراجم لأنهم تجمّعوا كالأصابع ، فسمّوا البراجم تشبيهاً لهم ببراجم الأصابع لأن أبام قال لهم اجتمعوا ، فيكونوا كبراجم يدي . وهم عمرو ورمه وقيس وغالب وكفه بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن عمرو ^(٣) .
(والبراجم هي مناهل الأصابع إلى إذا قبض القايض كفهم) نشدت وأرتفعت على ظاهر الكف) .

و (تنوخ) هو اسم لعدة قبائل ، اجتمعوا قديماً بالبحرين ، وتجاثفوا على التآزر والتناصر ، وأقاموا هناك فسموا تنوخاً وتنوخ الإقامة .

وأما الفكرة الثانية أو الصورة الثانية للإنسياب في أذهانهم فهي نسبة القبيلة إلى أب واحد ترجع إليه وتنسل منه ، ثم اتصال الأفراد بقبائلهم ، ومنها إلى الجد الأعلى .

وهذه الصورة هي موضع الضعف ، وموطن الطعن ، وبحال الشك ، وميدان التطبيق والاختراع .

(١) ٢٠٢ / ٢ / المقدّم الفريد .

(٢) ٦٨ / الانباء لابن عبد البر ، ٩٧ / ١ / ١ بن هش .

(٣) ٧٧ / الانباء لابن عبد البر ، ٨٦٤ / السمط ، ٧ / نسب عدنان وقحطان للبرد ،

١٣٤ / الاشتقاق لابن خزيمة .

الأنساب في العصر الإسلامي

دعا إلى الاهتمام بالأنساب في العصر الإسلامي دوافع مختلفة . بعضها يتفق مع دواعي العصر الجاهلي في ضعف أحيانا وقوة أحيانا أخرى . وهي :
الكفاءة في النكاح والتهاجي والتعارف والعصبية والتفاخر .

والبعض الآخر هي دوافع جديدة ، وثبوت نجاحها الدين الجديد ، وولدها الحياة الإسلامية الجديدة وهي :

الميراث ، الخلافة ، الرق ، الشعوية ، الولي والعقيدة ، القضاء ، الزواج ومولده ، الثقة .

وأما فكرة الأنساب التي كانت شائعة في العصور الإسلامية ، والتي كانت تسمى تلك الأغراض والبواعث فهي فكرة تسلسل الأبناء من الآباء والجذود وتناسل القبائل والبطون من الشعوب .

فإن الإسلام قد جاء تحاربا للعصبية القبلية ، واستطاع فعلا أن يثبت في العرب روحا دينية قوية ، إلا أنه لم يستطع أن يستأصل جذور العصبية من نفوسهم .

فظل المسلمون يتخارزون في القتال إلى قبائل ، ولما دون عمر بن الخطاب ديوان المخرج راعى الاعتبارين الديني والقبلي معا (١) .

وأستفحلت العصبية القبلية في العصر الأموي ، ولا شك أن هذه العصبية القبلية تستدعي الاهتمام بالأنساب .

ولما جاءت الدولة العباسية ظهرت الشعوية ، وأخذ الشعوبيون يبحثون عن مثالب العرب ، ومثالب كل قبيلة ، ويريدون فيها ، فكان من ذلك كله العناية بالأنساب وتدوينها ، والتأليف فيها .

(١) ٤٢٣ / الاموال / لابي عبيد القاسم .

(٢) ٣٤٦ / ٣ ضحى الاسلام ، ١٧٦ / الاحكام السلطانية لهارودي .

وقد أهمل المسلمون في النسب جانب الأم إهمالاً شديداً ، وذهبت قلة
الاكتراث بذلك إلى حد أن جميع الخلفاء في القرنين الثالث والرابع للهجرة
كانوا أبناء أماء من الترك والروم .

على أن الاسلام من ناحية أخرى ، أوجد نوعاً من شرف الدم ، لا يزال
باقياً الى عصرنا هذا .

وذلك في قرابة النبي أو بني هاشم أو أهل بيت رسول الله أو أهل
البيت باختصار .

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله : « ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشمياً من قريش ،
واصطفاني من بني هاشم » (١)

فجعلت لهذه القرابة حقوق ، ومنع عنها ما أحل لغيرها . منع عنها الصدقات
فلا يجوز دفعها إلى ذوي القرى ، ومنع من بني هاشم وبني المطلب ، تزويجها لهم
عن أوساخ الذنوب (٢)

وجعل الاسلام لها أسهما في الفقه وفي الغنائم ، ولهذا جعل لهم عمر
بن الخطاب في ديوانه الذي دونه أعطيات :

وكان لهم قضاء مستقل بهم ، يتولاه نقيبهم الذي يعينه الخليفة (٣)

وكان في العصر العباسي الفرعان المتعاونان من أهل البيت — وهما
العباسيون الذين وصلوا إلى الرياسة ، والطالبيون الذين لم يبلغوها — يخضعون
جميعاً لنقيب واحد حتى القرن الرابع ، وفي آخر هذا القرن صار لكل فريق
منهم نقيب خاص .

ثم جاء الوقت الذي ترقبه العلويون بعد طول انتظار وتقاد صبر ، فأخذ
يجمعهم في المصعود في كل مكان ، على حين بدأ أسر العباسيين في الضعف .

(١) ١٥ / ٣٦ / النووي على مسلم .

(٢) ١٠٩ / الأحكام السلطانية لعماد الدين ، ٢٥٢ / ١ / الأحكام لابن العربي .

(٣) ٨٢ / الأحكام السلطانية .

أما أبناء الخلفاء الثلاثة الراشدين — أبى بكر وعمر وعثمان — فلم يلعبوا دوراً مهماً فى السياسة والخلافة .

أما اليوم فيجاد أبناء أبى بكر وعمر إلى جانب أبناء النبى عليه السلام هم الذين يتألف منهم الأشراف بمصر ، ونجد البكرين منهم بنوع خاص ويسمون الصديقيين يتولون منذ أوائل القرن التاسع عشر مناصب روحية ، تعود عليهم بالخير الوفير^(١) .

هذه هى أهم السلالات التى تلقب بالأشراف معتقدة أن ذلك من الدين .

الوضع فى الأنساب فى العصر الإسلامى

على الرغم من أن الأنساب فى العصر الإسلامى كانت أكثر دقة ، وأحكم وضعاً ، فإنها لم تخرج من الوضع ، ولم تصف من الخلط .

ولذا رأينا أن المحققين قالوا بالاكتفاء فى الأنساب بالأنساب القريبة ، وطرح ما بعد وأغرق فى القدم .

وقد وجد هذا الخلط على وجه الخصوص عند ما دخل الفرس فى الإسلام وأرادوا أن ينتسبوا إلى القبائل العربية .

والحق أن الوضع كان سائداً فى العصر الإسلامى سواء أكان فى الشعر أم فى الخبر أم فى النسب وما إليه . ولم ينفذ كثيراً ؟ أليس الطعن قد وجه إلى نسب الفاطميين وكان مجال أخذ ورد . وهؤلاء النسابة أنفسهم قد اتهموا بالوضع مثل المهيم بن عدي وهشام الكلبي والشرقي بن القطامي وغيرهم^(٢) .

وبعد فإن معرفة الأنساب من الأمور الضرورية لمن يريد أن يفهم تاريخ العرب وأديبهم وبعارفهم ، ولن يريد أن يدرس أحوالهم ويقف على صراخاتهم لغة ولهجة وخلقا وطبعاً وبلادة وذكاء وخسة وشرفاً وكفراً وإيماناً .

(١) ٢٥٧ إلى ٢٦٠ / تاريخ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم ماز .

(٢) ١٣١ / التهرست لابن النديم .

الفنان في مصر القديمة

فدكتور محمد أنور بشكى

كان للفنون على اختلافها أدق نصيب من جهود المصريين في كافة عصورهم القديمة ، ويشهد بهذا أن ما يعرف عنهم من تقدم في العلوم والمعارف وفي التفكير النظري لا يضارع بآية حال التقدم الملموس في فنونهم المختلفة ، كما أن ما حفظ من عمارتهم وعماليهم وصورهم ونقوشهم يفوق كثيرا ، من الناحية العددية والناحية الفنية ، ما حفظ من آثار الأمم التي عاصرتهم . ولا يقتصر الأمر على الأعمال الفنية الأصيلة نجيب ، وإنما تنجم أيضا صناعات مصر القديمة بطابع في تحليلي يميزها عن صناعات سائر الأمم ، حتى لتبرهن الآن قدرة الصانع المصري القديم على صنع الأشكال الرشيفة في بساطة ويسر ، مما يدل على أنه كان ذاهبة ممتازة في صنع قطع فنية جميلة للاستهلاك اليومي (١) . لهذا لا نقالي إذا قلنا إن الحضارة المصرية تتميز على غيرها بطابعها الفني ، وإنما في مجموعها حضارة فنية راقية ، مهما كانت أسبابها وأغراضها ، وإنما كانت تعتمد في أخص مظاهرها على الفنان ، حتى إنه كان كلما خبت شعلتها في نهاية كل شوط ، لا يلبث أن يشعلها ، فيسطع نورها من جديد ، إلى أن بلغت من ذلك آخر ما قدن لها من أشواط . والأمثلة على هذا عديدة لا يتسع المجال لذكرها تفصيلا ، كما أنها أبجل من أن تذكر إجمالا دون إيفائها حقها من الإفاضة والإشادة . ويمكن أن نشير بوجه عام إلى أننا مدينون للفنان المصري بأكثر وأهم ما نعرفه عن المصريين

J. Gôpart, Lectures on Egyptian art, Brussels 1928, p. 105 ff.

(١)

القدامى ، إذ تكشف أعماله عن مشاعرهم وأخيلتهم ، وتبوح بمقائدهم وأفكارهم على نحو لا يتجده لنا أى مصدر آخر .

لهذا فمن المهم التعرف على ما كان للفنان المصرى من مركز وشأن ، والأحاطة بطريقة تدريبه وتعليمه ، وأهم خصائصه وصفاته . وهذه كلها مسائل يجب الاعتماد فيها قبل كل شئ على الآثار المصرية نفسها ، إذ لم يترك المصريون لنا تاريخاً لأعمالهم وفنانهم كما فعل يوزنيس مثلاً للفنون الإغريقية^(١) . ومع هذا فإن الآثار المصرية لم تدرس بعد من الناحية الفنية دراسة وافية ، كما أن أرض مصر لا تزال تخفى الكثير من الآثار الجميلة ، التى إن يكشف عنها يوماً ، سوف تخلق كثيراً من الضوء على أعمال الفنان المصرى ، وتجعل كثيراً من خصائصه وسماته . ولهذا لأسبيل الآن إلى استقصاء كل ما يتعلق بالفنان المصرى القديم بالتدقيق والتفصيل ، وغاية ما يستطاع هو تتبع الخطوط الرئيسية لما كان له من شأن . وما أمتاز به من صفات .

ولاحظه كثير من الكتاب والباحثين أن الفنان المصرى كان يعمل مع مختلف الصناعات نجاراً ، خبباً ، نحاسياً ، حديدياً ، الخ ، وكان يؤلف لهم جماعة حاشدة ، كما وأن المصريين لم يكونوا يهراقون دماء كثيراً حينه ، فليس لهم على هذا لا تنظيم ولا فى شئ ، وذلك لأن الصناعات المصرية كانت كما أسلفنا غائراً بظاهرها الفنى الجميل ، وليس أدل على ما كان للفنان والصانع فى مصر القديمة من أهمية من أن الإله حاح ، الإله منيف ، الذى كان يعتبر خالق الكون والإله رب جميعاء ، كان إله الفن والصناعات معاً^(٢) ، وقد جاء عنه أنه صنع تماثيل الإلهة من المواد المختلفة كما يشتهون ، وأنه بنى لهم المساكن والمعابد^(٣) ، كما ورد عنه أيضاً أنه هو الذى خلق أعمال الفن^(٤) ، وكان كاهنه الأعلى رئيساً لجماعة

(١) فنان يوزنيس فى آسيا الصغرى فى القرن الثانى بعد الميلاد ، يؤلف كتاب كبيراً من الإفطار استقر فى روما ، حيث كتب تاريخاً للبلاد الإغريقية فى عشرة كتب ، وصف فيه بلادها وآثارها ونجارتها وأم مساكزها الفنية .
(٢) M. Stolk, Etah, Berlin, 1911, S. 13 ff.
(٣) K. Sethe, Das Denkmal memphitischer Theologie, der Schabakstein des Britischen Museums, in Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Ägyptens, Bd. 10, S. 68 f.

A. Erman, Aegypten und ägyptisches Leben im Altertum, Tuebingen (4) 1923, S. 331 f.

الفنانين والصناع^(١). علاوة على هذا كان المثال منذ الدولة الوسطى يسمي في اللغة المصرية القديمة « المحبي »^(٢) ، وفي هذا ما يشير الى مكانته وتقدير المصريين لأعماله. بوليس في هذا غرابة ، فقد كان المثال يصنع للآلهة والملوك والأمراء وكبار الموظفين وغيرهم التماثيل ، التي كان يعتقد أنها ضرورية لعبادة الآلهة ، ولما كان يرجي للبيت من خير في الآخرة .. وبما حفظ من نقوش الأسرة الأولى يتضح أن المصريين عنوا بتخليد ذكر أعم الأعمال الفنية^(٣) ، مما يدل على ما كان لها من أهمية وشأن في نظر المصريين . . . ولم يقتصر الأمر عند تخليد ذكر الأعمال الفنية لحساب ، وإنما كان المصريون يشيدون ببعض الشخصيات العظيمة من رجال الفن ، فقد تواتر عنهم أن « المحبوب » ، وزير الملك « زوسر » ، كان بأول من استخدم الحجر في البناء^(٤) ، وقد كشفت الحفائر في هرم صقارة المدرج عن قاعدة تماثيل للملك « زوسر » ، نقش عليه اسم « المحبوب » ، وألقابه^(٥) ، مما يدل على عظم شأنه في حياته ، ولما خلوه من مفرق أن المصريين إلتهموا إلى تأليهه ليراعى في الحياة والطب والأدب ، كما إلتهموا إلى تأليه « إمتحوتب بن حابو » ، كبير مهندسي الملك « إمتحوتب الثالث » ، زعموا بهذا يدل بعض مقابر الدولتين القديمة^(٦) في الحيد شفيح^(٧) على ما كان يتمتع به بعض الفنانين المصريين من ثراء وحرية كبرية ومن بعض نقوش النذرة القديمة يتضح أن مثالا ومبورا تأليا على الأقل بتخطيط مقبرة أحد الأمراء العظام ، ورسم ونقش

(١) M. Stolk, op. cit., S. 13 ; A. Erman, op. cit., S. 504.

(٢) H. Schäfer, Von ägyptischer Kunst, 3. Auflage, Leipzig 1930, S. 20.

(٣) F. Petrie, The royal tombs of the earliest dynasties, II, pl. XII, 6.

(٤) K. Sethe, Zwei bisher uebersehene Nachrichten ueber Kunstwerke aus Kupfer, in Zeitschrift fuer ägyptische Sprache und Altertumskunde, Bd. 53, 1917, S. 50 ff.

(٥) K. Sethe, Imhotep, der Asklepios der Aegypter, in Untersuchungen, Bd. 2, Heft 4, S. 21.

(٦) B. Gunn, Inscriptions from the step pyramid, in Annales du Service des Antiquités d'Egypte, t. 26, p. 191, pl. 1 ; Firth, Quibell and Lauer, The step pyramid, II. Le Caire 1936, pl. 58.

(٧) M. A. Murray, Saqqara mastabas, London 1905, p. 5, pl III.

(٨) N. de G. Davies, The tomb of two sculptors at Thebes, New York 1925.

(٩) N. de G. Davies, Two Ramesside tombs at Thebes, London 1923, p. 33 ff.

وتصوير المناظر المختلفة على جذرائها ثم قدماها هدية منها إليه^(١) ولا بد أنهما كانا في حالة تسمح لها بتقديم خدماتهما الفنية الجلية دون جزاء . وفي نصوص الأسرة الثامنة عشرة نص يفتخريه رئيس المالبين بأملأه ومقبرته الفخمة^(٢) :

ومن النفوس ما يدل أيضاً على ما كان يجده بعض الفنانين من عطف الملوك ورعايتهم . وليس من شك في أن الملكية في مصر القديمة قد ناصرت منذ عهد بداية الأسرات الفنون المختلفة وشجعت الملتازين من الفنانين فما كان له آثاره في أعمالهم . فلو لم يكن ذلك على هذا من أن الفنون في مصر كانت تزدهر وتتقدم في العهود التي يستقيم للملكية فيها القوة والسلطان ، وتخطط إبان ضعفها واستكالتها . والملوك اختاروا من الأمثلة الواضحة على ما كان للملكية في مصر من آثار قوية على الفنون المختلفة^(٣) وقد ذكر ذلك رئيس مثاليه إن « جلالة الملك علمه بنفسه »^(٤) وفي الأسرة الثامنة عشرة ذكر أحد رؤساء الحفارين عن نفسه إنه كان ممن أسرة فقيرة ومن ضحان أهل المدينة ، غير أن الملك قدر كفاءته ، فزاع من شأنه وجعله من أشرف القصر وقدمه عليهم^(٥) . وكما كان للملكية فنانوها كان لملالة « آمون » لمصنوه ومثاله ، ولكل رئيسه الخاص^(٦) . ولم يقتصر تشجيع الفنانين على الملوك بل تعداه إلى غيرهم ، فقد كان أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة يحرضون على أن يلتفتوا بمجهودهم الفنية . فكان يفتق والعائد السائدة

C. R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien II, Taf. 12, C; (١)
W. S. Smith, A history of Egyptian sculpture and painting in the Old Kingdom, London 1946, p. 352

K. Sethe, Urkunden der 18. Dynastie IV, 130 A. (٢)

F. W. von Bissing, Denkmäler zur Geschichte der Kunst Amenophis IV, (٣)

Königlich bayerische Akademie der Wissenschaften, Sitzungsberichte, Jahrg. 1911, Abhandlung 3, S. 6.

Beschreibung der ägyptischen Sammlung des niederländischen Reichsmuseums der Altertümer in Leiden, Bd. 6 (Stelen des N. R.) Taf. 1.

C. R. Lepsius, op. cit. III, 12 d; J. Lieblein, op. cit., 573, 508, 623, 669; (٤)

A. Erman, Denkmäler aus der 18. Dynastie, Gräberstadt, Sitzb. d. Berliner Akad. d. Wiss., Jahrg. 1911, S. 986-1110.

بل منهم من كان له فنانونه ، كما يتضح مثلا من لقب « رئيس منال الملكة
تي » في الأسرة الثامنة عشرة ^(١) .

ومن بعض النصوص يتضح أيضا أن كثيرا من الفنانين كانوا من
الشعب الممتازة ^(٢) . ففي بداية الأسرة الثامنة عشرة كان أحد المصورين
في معبد آمون من أسرة حاكم مدينة الكاب ؛ وفي الأسرة العشرين كان أحد
المصورين حما لأحد الحكام التوبيين ^(٣) ؛ بل منهم من كان يحمل لقب
الإمارة ^(٤) . وبما لا يخلو من مغزى أن من الأسر ما كان يوارث الألقاب
الفنية ، وفي هذا ما يدل من جهة على اعتزازها بهذه الألقاب ؛ ومن جهة أخرى
على حرصها على أن تظل فيها التقاليد الفنية يوارثها الأبناء عن الآباء . ومن أمثلة
ذلك أسرة ظلت تتوارث لقب « رئيس مصوري آمون » سبعة أجيال متتالية ^(٥) .
ومن ألقاب الفنانين في مصر القديمة في المصور المختلفة يتضح أن منهم من كان
نحاتا أو مصورا أو رساما أو مهندسا ، وأنهم كانوا على درجات مختلفة ،
فمنهم من كان يحمل لقب « رئيس النحاتين » ؛ ويبدو أن عمله لم يكن يقتصر
على التحت حسب ، وإنما كان يشغل أيضا رسم المناظر وتلوينها
أو نقشها ^(٦) . وفي الدولة الحديثة ما يشير إلى أنه قد أصبح للمصور المكانة
الأولى بين الفنانين على نحو ما أصبح عليه الأمر أيضا في بلاد الاغريق ؛ وذلك
لأن عمل المصور لا يقتضي جهدا جانيا كما يقتضيه عمل النحات ^(٧) . وفي هذا
كله ما يدل على ما كان للفنانين في مصر القديمة من مكانة وأهمية ؛ وبما
كان يزيد من شأنهم أن المصريين كانوا ينظرون إلى الأعمال الفنية نظرة تقديس
وإجلال يحدوها شعور ديني عميق . ومهما يكن من شيء فقد كان الفنان
المصري يتمتع بتقدير المجتمع أكثر مما كان يتمتع به الفنان الاغريقي
أو الروماني بوجه عام ^(٨) . وإنه ليكفيه فخرا أن الملك « تحتمس الثالث »

N. de G. Davies, The rock tombs of El Amarna III, pl. XVIII. (١)

L. Klebs, Die Reliefs und Malereien des neuen Reiches I. S. 92. (٢)

A. Erman, Aegypten und aegyptisches Leben im Altertum. S. 505. (٣)

W. Spiegelberg, Der Maler Hejr, in Zeitschrift fuer aegyptische Sprache. (٤)
und J. Altertumskunde 1918, Bd. 54, S. 78.

J. Lieblein, op cit., 553. (٥)

W. S. Smith, op cit, p. 359. (٦)

L. Klebs, op. cit, S. 93. (٧)

H. Schaefer, op. cit., S. 67. (٨)

تفسه رسم يديه أشكال بعض الأواني ، وأعطى الرسوم الى رئيس صناعه ليصنع على غرارها الأواني التي رأى إهداءها الى معبد آمون ^(١) .

ومع هذا يلاحظ أن أغلب الفنانين المصريين لم يوقعوا بأسمائهم على أعمالهم الفنية ، كما جرت بذلك عادة الفنانين الأغريق وفناني العصر الحديث ، مما دعا بعض الباحثين إلى أن يرى في ذلك ما يدل على ضعف شعور الفنان المصري بشخصيته وعدم اعتزازه بعمله الفني . على أنه إذا جاز أن يكون لتوقيع الفنان على عمله علاقة باعتزازه بشخصيته في بعض العصور ، فإنه لا يجوز أن يعتد بهذا في كل عصر وفي كل أمة دون تقدير للظروف والملايسات المختلفة . والحالات القليلة التي سجل فيها الفنان المصري اسمه أو صورته على أعماله تدل في حد ذاتها على أنه كانت محدودة رغبة قوية في تسجيل صورته أو اسمه على أعماله ، وأنه كانت تحول بينه وبين ذلك اعتبارات معينة ^(٢) . علاوة على هذا يتضح من بعض النصوص أن الفنان المصري لم يكن أقل اعتزازا بنفسه ونظرا بعمله الفني من غيره من الفنانين على اختلاف أجناسهم وعصورهم . فقد أشاد المثال والمصور « إرتيسن » من عهد الأسرة الحادية عشرة بقدرته على تمثيل الجسم في أوضاع وحرركات مختلفة ^(٣) . وذكر فنان آخر عن نفسه إنه لم يلق الإرشاد من رئيس ، وإنما كان عليه هو الذي يرشده ^(٤) ، ومعنى هذا أنه لم يكن لأحد من سلطان عليه في عمله ، وأنه كان يستوحى شعوره ووجدانه ، وهو اسمي ما يفخر به الفنان في الوقت الحاضر . على أنه إذا كانت الأعمال الفنية المصرية تمتاز بصفات عامة مشتركة لأنهم بوضوح عن شخصيات مبدعها ، فإنما يرجع هذا الى عوامل مختلفة ، ومع هذا ففي حدود

J. H. Breasted. Ancient records of Egypt II, § 545, 775.

(١)

(٢) محمد أنور شكرى ، الشخصية في الفن المصري القديم ، مجلة كاية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، العدد الثامن ، المجلد الأول ، مايو سنة ١٩٤٦ .

(٣) H. Sottas, Étude sur la stèle C 14 du Louvre, in Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptienne et assyrienne, année 36, Paris 1911, p. 153 ff.; Marcelle Baud, Le métier d'Irtisen, in Chronique d'Egypte, 1938, p. 21 ff.

(٤) W. Spiegelberg, Eine Kuenstlerinschrift des neuen Reiches, in Recueil de travaux ..., année 24, p. 185 ff.

هذه الصفات العامة تتجلى بعض التفاصيل الدقيقة المختلفة ، والعناصر الفنية المستحدثة ؛ وهي كلها ترجع بغير شك إلى شخصيات الفنانين أنفسهم ، وإن كانت قد ضاعت للأسف أسماؤهم ^(١).

وكان الفنان المصري القديم يتلقى تعليمه في المدارس والمصانع للمخعة بالمعابد . وقد حفظ في عهد الدولة القديمة لوحان من الخشب على أحدهما قوائم بأسماء كثير من الملوك والآلهة والبلدان ، وإلى جانبها صور لأشكال مختلفة من الأوز والبط والأسماك ^(٢) ، وعلى اللوح الثاني أسماء بعض البلدان ^(٣) ، وليس من شك في أن الغرض من هذين اللوحين كان إرشاد الكاتب أو المصور المبتدئ إلى قواعد رسم العلامات الصعبة وتصويرها . ومن الدولة الحديثة تحفظ عدد وافز من اللخاف ^(٤) ، عليها رسوم ونقوش المبتدئين من الرعامين والمصورين والنحاتين ، وبعضها تقليد لأعمال فنية قديمة ، وبعضها مستحدث ؛ كما حفظت كذلك مجارب عديدة مختلفة ، يتضح منها أن المبتدئين كانوا يدرسون على أهم أعمال التصوير والنقش والنحت ، فكانوا يكلفون بالنقش أو نحت الأشكال البسيطة أو بعض أجزاءها كالرأس أو الجرس أو الأعضاء ويكملوا يدرسون عليه أيضا تصوير ونقش علامات الكتابة الهيروغليفية ونحت بعض أجزاء المعابد وفي نقوش «أرتيسن» ما يشير أيضا إلى أنه كان لبعض الفنانين على الأقل خبرة كبيرة بالعمل في المواد المختلفة ، ومنها الذهب والفضة والماج والأبنوس ، أي أنهم كانوا

W. S. Smith, op. cit. p. 359.

(٢) G. A. Reisner, 'A scribe's tablet found by the Hearst expedition at Giza,' in Zeitschrift fuer aegyptische Sprache und Altertumskunde. Bd. 48, S. 113 f.

(٣) W. S. Smith, op. cit. p. 358.

M. G. Daresy, Ostraca, Catalogue du Musée des Antiquités égyptiennes, (٤) Cairo 1901; F. Petrie, The arts and crafts of ancient Egypt, 1909, p. 77; H. Schaefer, Aegyptische Zeichnungen auf Scherben, in Jahrbuch der königlich preussischen Kunstsammlungen, Berlin. 1916, Bd. 37, S. 23 ff.; N. de G. Davies, Egyptian drawings on limestone flakes, in Journal of Egyptian Archaeology, London 1917, vol. IV, p. 234 ff.; C. C. Edgar, Sculptors' studies and unfinished works, Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, Le Caire 1906, pl. XXXI; F. W. von Bissing, Denkmäler aegyptischer Sculptur, Taf. 124—125.

يدربون تديبا واسع النطاق ، وأنهم كانوا في نفس الوقت صياغا وحفارين وصقال أحجار وصناع رياش^(١).

ويتضح مما لم يتم من صور على الجدران ومن بعض الرسوم التخطيطية على البردي أن الفنان كان يستعين بخطوط وقطع أو بشباك ذات عيون مربعة على تحديد نسب الأشكال وتمثيلها وفق أبعاد دقيقة متناسقة ، تتفق وما ساد في كل عصر من مثل عليا^(٢). وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الوسيلة حالت دون ظهور الموهوبين من الفنانين لاعتمادهم الكلي عليها^(٣). ومع أنه لا جدال في أنه كان لها تأثيرها ، وأنها ساعدت على تمثيل الأشكال في نسب رفيعة ، أدت إلى احتفاظ الفن المصري بالمستوى الذي بلغه ، إلا أنه ليس لها علاقة بالقيمة الفنية للصورة أو التمثال . فما تمتاز به خطوط التمثال أو الصورة من طراوة وقوة ، وما تنبض به من حساسية وحياة ، وما يحتل في ملامح الوجه من معان مختلفة ، هو من عمل الفنان نفسه . وهذا لا تعدو هذه النقط والمخطوط والشباك أن تكون طريقة للعمل اتبعتها الفنان ليستعملها في عمله الفني بما يتفق وما يعرف عن المصريين من اتجاههم أيسر السبل وأبسط الوسائل لتحقيق أغراضهم . علاوة على هذا يبدو أن الفنان في الدولة القديمة كان لا يعتمد اعتماداً تاماً على هذه النقط والمخطوط ، وإنما كان يتحرر منها في بعض الحالات على الأقل^(٤).

ويزيد في دهشتنا وتقديرنا لأعمال الفنانين المصريين أن الطرق التي اتبعوها ، والأدوات التي استخدموها في إخراج هذه الأعمال الجليلة كانت بسيطة للغاية ، ومن هذا القبيل ما اتبعوه في صنع التماثيل وخاصة

(١) Marcelle Baud. op. cit; H. Kees, Aegypten (Kulturgeschichte des alten Orients, Abschnitt 1), Muenchen 1933, S. 165.

(٢) C. R. Lepsius, op. cit., Text I, S. 233 ff.; E. Mackay, Proportion squares on tomb walls in the Theban necropolis, in Journal of Egyptian Archaeology, London 1917, p. 74 ff.; C. Ransom Williams, the Decoration of the tombs of Per-neb, New York 1932, p. 6 ff.

(٣) W. Wolf, Individuum und Gemeinschaft in der aegyptischen Kultur 1935.

(٤) C. Ransom Williams, op. cit., p. 13.

ما كان منها من الأحجار الصلدة كالديوريت والجرانيت والكوزنيت^(١) ،
والتي لا تزال موضع إعجابنا البالغ لسبب صحتها حتى لقد ظن أن المثال المصري
استخدم في صنعها أبواب من الصلب أو من النحاس أو الشبه ، وركت فيها
قطع من الماس أو من أحجار أخرى ثمينة^(٢) . على أنه كان يدق الحجر ،
الذي يزداد صنع التمثال منه ، عداوك من الحجر ثم يحته بأحجار أخرى^(٣) .
وقد ينشر بعض أجزاءه بمنشار ذي نصل من نحاس في الدولة بالقدية ،
أو من الشبه منذ الدولة الوسطى ، أو من الحديد في العصور المتأخرة^(٤) ،
مع استخدام الرمل كبسحق كاشط ، وقد ينقرها بفتيل أنيون من النحاس^(٥) .
وبعد ذلك كان يعقل التمثال بمصاقل من حجر أملس . وفي الأحجار
الرخوة كان يستخدم منحتا من النحاس ويدق من الخشب ، أما التماثيل
الخشبية فكان ينحسها بالخشب ، ويكن يستعين على نحت التماثيل الضخمة بإقامة
جسور^(٦) من الخشب حولها^(٧) .

ثم بدأ بسط الوسائل والأدوات أيضا كانت تنقش وتصور المناظر على جدران
القبائل والمقابر فكان الرسام والمصور يتخذان أفلاما نغز الأصل على نحو
أفلام الكاتب ، وراجين من احتجام وأطوال مختلفة ، منها ما كان من الألف
بعض الخشائش ، تبقى من عديتها ، ومنها ما كان من عصى من خشب ذي ألياف ،
لعله الجريدية ، يقع من أحد طرفيه في السارم بقرنيه ، وكانا يستخدمان
كذلك لخطا يغمسانه في اللون الأخر عادة ، لخطا به الإطلاقات الخارجية
للصور والمناظر^(٨) . أما الألوان التي استخدمها المصور المصري ، والتي لا تزال
تجهزنا ، هي بقايا وجدت ، فكانت ألوانا معدنية ، وكانت تصحن ، مما يحق

G. A. Reisner, *Mycerinus*, p. 117 f.

A. Lucas, *Ancient Egyptian materials and industries*, 3rd ed., London (١٩٤٨), p. 83 f., 86 f.

Ibidem, p. 84 ff.

G. A. Reisner, *op. cit.*, p. 111, 116.

Ibidem, p. 117, 118.

C. R. Lepsius, *op. cit.*, III, 41 ; P. E. Newberry, *The life of Rekhmara*, (١٩١٤) Liverpool 1912, pl. XX.

E. Mackay, *op. cit.*, p. 74 ; Nina M. Davies, *Ancient Egyptian paintings*, (١٩٢٥) vol. III, p. XXXII, XXXIV.

من الحجر على ألواح صغيرة من الأردواز أو الحجر ، ثم يخلط بها نوع من الصمغ يزجا معاً بالماء^(١) . وإذا لاحظنا أن من الصور ما يقع في أماكن شديدة الظلام أو صعوبة المرتقى ، أدهشنا قدرة الفنان المصرى على التغلب على ما كان يعترضه من صعاب ، وبلوغه حد الكمال الفنى بوسائله البسيطة . وإنه لما يدهشنا حقاً أن التفاصيل الدقيقة فى الصور والنقوش توجد فى كثير من الأحيان فى أظلم الأماكن^(٢) .

وتنطق الأعمال الفنية بما كان للفنان المصرى من قوة ملاحظة ، وحسن مرهف ، وإحساس رقيق بالألوان ، وشعور فنى دقيق ، وقدرة فنية بارعة ، وكفاءة صناعية ممتازة ، وصبر وجلد ، كما تشهد بما طبع عليه من وضوح وجلالة ، وحسن ترتيب وتنسيق ، وشرح وشاشة ، واعتدال واتزان ، وشدة محافظة على عاداته وتقاليده ، وإشارة معانى الهدوء والوقار والجلال بما يثير إعجابنا وتقديرنا البالغ . وهذه كلها صفات ترجع إلى عوامل مختلفة ، منها ما يحصل بطبيعة بلاد مصر ، ومنها ما يتصل بطبيعة المصريين عامة ، وما تعرضوا له من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية بطوال تاريخهم القديم ، ومنها ما يحصل بشخصية الفنان نفسه :

فبصر تمتاز بقوة شخصيتها حتى إنها لتطبع كل ما يستقر فيها من نبات وحيوان وإنسان بطابع خاص ، كما أنها تمتاز بوضوح معالمها ، وجلالة مظاهرها ، واستقرار أحوالها واعتدالها . فهى أرض مسطحة تمتد على نسق واحد متساكلى ، وتحفها هضبتان مرتفعتان كأنهما جداران متساويان ، ويجرى فيها النيل من الجنوب إلى الشمال فى هدوء ووقار أغلب شهور العام ، فإذا طأضت مياهه كان ذلك فى ميعة ثابتة ، فيغدر الأرض ، ثم لا يلبث أن ينحسر عنها بعد وقت معلوم ، فيهبض السكان إلى فلاحه الأرض ، وبذد الحب ، ولا يلبث أن ينمو التبت ، فيوالونه برعايتهم حتى ينضج ويؤتى ثماره ، وهكذا دواليك . والشمس لا تكاد تشرق حتى يفيض نورها

A. Lucas, op. cit., p. 391 ff.; Nina M. Davies, op. cit., p. XXXVII ff.

Nina M. Davies, op. cit., pl. XLIII f.

على جنبات الوادى الحصبب ، فتسرى فيه نشوة الابتهاج والفرح ، وهى تعلو كبد السماء مهيبة جليلة ، لا تكاد تخفها بعض قطع من سحب فى الشتاء ، حتى تطل زاهية وضاءة الجبين . والكواكب تنتثر فى سماء الليل كأنها مصابيح لامعة ، تضى ظلام الليل البهيم . والرياح تهب رخاء من الشمال إلى الجنوب ، وتلطف من حرارة الجو فى الصيف ، فتشرح لها الصدور . والصحارى المترامية الأطراف على جانبي وادى النيل تروح النفس باستقرار مظاهرها وما توحى به من معانى الجلال والخلود والانهاية . لهذا لا غربة إذا كانت هذه البيئة الواضحة السافرة ، الرتيبة المتسقة ، الهادئة المستقرة ، البهيجة الوقورة الجليلة العظيمة ، قد أوجت فيما أوجت به إلى المصريين عامة وإلى الفتيان المصرى خاصة معانى الجلال والوقار ، والهدوء والاستقرار ، وإشار المخطوط النقية الجميلة ، والأشكال البسيطة الزشقة ، وطبيعتهم على الوضوح والنظام ، والبشر والابتهاج ، وشدة المحافظة على التقاليد والعادات .

وليس من شك فى أن المصريين قد تعودوا العمل الشاق منذ العصر الحجري الحديث أى منذ أن أخذوا يتزعجون الأرض جزءاً من الأحرار ، ويعملون على إصلاحها وإعدادها للزراعة ، حتى أصبح وادى النيل من أخصب بقاع العالم ، ومنذ أن كانت تضطرم وسائل الحياة على التعاون والتآزر فيما بينهم لحماية مواطن إقامتهم من أضرار الفيضانات العالية ، ومن اعتداءات الوحوش والهوام ، التى كان يزجر بها وادى النيل ، ومن غارات القبائل الطامعة فى خيرات ما أنتجوا بعد جهد وكد . ومنذ ذلك العهد أخذوا يكتسبون خبرة صناعية وفنية تدرجت مع ما درجوا من حضارات متعددة . وهذا يبدو أن ظروف الحياة فى مصر كانت على الأقل من العوامل التى فرضت على المصريين العمل الشاق والتعاون والتآزر مما أدى إلى قيام نظام سياسى واجتماعى ، كان يتفق وتلك الظروف ويشمى مع ما تطورت إليه .

ومن الطبع أن يكون لما أصابه المصريون من تقدم ورتقى ، وما تعرضوا له من أحداث مختلفة ، آثاره أيضاً على طبائعهم وعقائدهم ،

وتصوراتهم وعاداتهم طوال عهود ما قبل الأسرات وفي عصور الأسرات نفسها ، فهذبت الحضارة نفوسهم ، ورققت مشاعرهم بما كان يميزهم على سائر من عاصروهم من الأمم والشعوب . وفي عهد الأسرة الرابعة أدركت الحضارة المصرية غاية ازدهارها ، واستقرت الحياة في مصر على أسس مكننة ، وأدركت الملكية غاية قوتها ونفوذها بفضل قوة شخصيات الملوك ، وبلغت عقيدة المصريين في ألوهية ملوكهم ذروتها ، وبذلك سادت ذلك العصر معاني العظمة والجلال ، والقداسة والسمو ، بما لا مثيل له في أى عصر آخر . وفي الدولة الوسطى كان على الملوك والموظفين أن يكافحوا من جديد في سبيل انتشار البلاد من وهدة ما تردت فيه بعد انهيار الدولة القديمة ، مما كان يقتضى عزما وحزما وجدية ونشاطا . وفي الدولة الحديثة هب الشعب لطرد الغاصب من البلاد ، وتعبه في غربي آسيا ، وبذلك قامت الامبراطورية المصرية ، واتسعت رقعة أملاك مصر في الشمال والجنوب ، واشتد اتصالها بالأمم المجاورة ، وفاضت عليها خبراتها ، مما كان له آثاره الواضحة على المصريين ، فانتشر الرخاء بينهم ، وتوفرت لهم أسباب الحياة المادية المترفة وخاصة في عهد « امنحوتب الثالث » .

وقد كان الفنان المصري في جميع عصوره على أشد صلة بالبيئة التي عاش فيها ، وبالجمبع الذي نشأ فيه ، وبالظروف التي لا بدته ، وقد استوحى من هذا كله إلهاماته ، واستقى من معينه أفكاره وتصوراته ، واستلهم مشاعره وأحاسيسه . وإذا أردنا الأمثلة على ذلك فهناك تماثيل الملك « خفرع » من الديوريت ، الذي يمثل الملك على أجل شكل ، وأروع هيئة ، بما يقصر عن وصفه أى تعبير ، والذي بلغ في تمثيل الملكية المقدسة وجلالها وعظمتها ، على صعوبة نحت الديوريت ، ما يسمو على حد التصور الانساني في أى عصر أو بلد آخر . وتتجلى أيضا معاني السمو والعظمة والتبل فيها حفظ لنا من تماثيل الأسرة الرابعة ، وفيما يعرف بالرموس البديلة ، كما تتجلى كذلك في عمار ذلك العهد وعلى رأسها أهرامات الجيزة . وفي أعمال الفنان في عهد الأمرتين الخامسة والسادسة ، أخذ يحل محل العظمة المتسامية والاستعلاء

المترفع شعور النبطية والبهجة والرضاء ، مما يدل على ما كان لاختلاف الظروف من أثر واضح في أفكار الفنان المصرى وأحاسيسه ومثله العليا . وفي وجوه أغلب تماثيل ملوك الأسرة الثانية عشرة تترأى آثار ما عاناه الملوك من كفاح مرير ، وما بذلوه من جهد متصل ، ونشاط عظيم ، وحزم قوى في سبيل استعادة الملكية سلطانتها وتوطيد أركان المجتمع من جديد ، لهذا لا توحى هذه التماثيل بتلك العظمة المحارقة وذلك الجلال المتسامي ، اللذين يوحى بهما تمثال خفرع ، مما يدل على أنه ما كان الفنان أن ينقش من أحاسيسه وتصوراته آثار ما انتاب مركز الملكية المقدسة من أحداث ، أدلت من قداساتها ، وهبطت بها كثيرا من عليائها ، وقربت بينها وبين الشعب . على أنه إذا كان الفنان في الأسرة الرابعة قد بلغ حد الكمال في تمثيل مليكه وفق ما أوحى إليه به ظروفه ومعتقداته إذ ذاك ، فقد بلغ كذلك الفنان في الأسرة الثانية عشرة الذروة في تمثيل ملوكه طبقا لما أوحى به ظروفه الجديدة من تصورات ومثل عليا . وتنطق أيضا تماثيل الأفراد في الدولة الوسطى عن روح هذا العهد من جد وجزم ، واعتزاز ورهب ، على خلاف ما تنطق به تماثيل الأفراد في الدولة القديمة من نبل وهيبة أو بهجة وغبطة بالحياة . وفي الدولة الحديثة كان من أثر اتساع آفاق المصريين وشدة اتصالهم بالأمر المجاورة ، وانتشار الرخاء بينهم ، أن لانت خطوط الفنان المصرى ، ودفقت مشاعره ، وازدادت عنايته بتمثيل جمال ملامح الوجه ، والشعور المستعارة المتوجبة ، والحلى الكثيرة ، والملابس الشفافة ، التي تنم عن أشكال الجسم الجميلة ، وعمد بعض الفنانين إلى التعبير عن المشاعر الداخلية العميقة ، كما يضح من تمثال « امنحوتب بن حابو » في متحف القاهرة ، ومن التمثال النصفي الشهير للملكة « نفرتيتي » في متحف برلين .

ومع ما كان للفنان المصرى من قوة ملاحظة وشدة عناية بتمثيل الأشياء في صدق وإخلاص ، فإنه لم يكن يتقيد دائما بالصورة الطبيعية ليس غير ، ولا أدل على هذا من أنه في كثير من صور الأشراف ، التي تمثلهم متجهين إلى يسار الناظر ، كان يلحق بالذراع اليمنى اليد اليسرى قابضة على العصا الطويلة

في وضع رأسى ، ويلحق بالذراع اليسرى اليد اليمنى قابضة على الصولجان في وضع أفقى ، أى أنه كان بيدل اليدين كلا منهما مكان الأخرى بما يتنافى وطبيعة جسم الانسان . وكان غرضه من هذا أن تكون خطوط الصورة أوضح ما تكون وأن تقبض كل يد على إمارة الشرف التى جرت العادة بان تقبض عليها . ومن هذا القليل أيضاً حرص الفنان على تمثيل الأشراف في الأوضاع التى تتفق مع مايجب أن يكون لهم من مكانة ، ولعل من أبرز الأمثلة على هذا تمثيله الشريف في قامة منتصبه ، وهو يطمعن بحريته بممكنين مثلثا في مساحة من الماء ، تبرز فوق مستوى النهر أو القناة ، بما يتنافى وطبائع الأشياء . ومن ذلك أيضاً عدم مراعاته النسب الطبيعية بين مفردات الصورة الواحدة ، إذ كان يمثل الأشخاص الرئيسيين في حجم فوق كثيراً حجم غيرهم ، كناية عن علو شأنهم . ولعل من هذا القليل أيضاً إثارة الفنان المصرى الألوان الزاهية البهجة على الألوان الطبيعية بما كان يناسب ظلام الأماكن في أغلب الأحيان ^(١) . ومن أمثلة ذلك تلوين الصقور أحياناً بلون أخضر زاه ، والرخم باللونين الأزرق والأحمر . ويتصل بهذا كذلك تلوين أجسام الرجال في بعض الأحيان بلونين مختلفين لتمييز كل عن الآخر ، وجباً في تنويع الألوان ^(٢) . وبما يدل أيضاً على عدم التقيد بالصورة الطبيعية استبعاد المثال المصرى عوارض الحياة الدنيا من تمثيل الملوك والأفراد ، وتمثيلهم في أجسام مثالية ، تنبض بالقوة والشباب ، وبوجوه تفيض بهبة وإجلالا ، أو بهجة وبشراً ، أو جدلاً وحزماً ، أو زهواً وكبرياء ، بما كان يتفق وروح كل عصر . وفضلاً عن ذلك لقد ألزم المثال والمصور في تمثيل الملوك والأشراف وصورهم أوضاعاً رسمية ، لم يكونا ليعتدياها ، وإذا كنا نضيق الآن هذه الأوضاع لاطرادها ، فانه يجب ألا ننسى أن الفنان المصرى اختارها قصداً لأنها تتفق وما تمثله من صور الوفاق والجلال .

نخلص من هذا كله إلى أن الفنان المصرى إنما كان روح الحضارة المصرية وحامل لوانها ، وأنه كان له شأنه في المجتمع المصرى القديم ، وكان

Nina M. Davies, op. cit. .p. XXXVIII f.
Ibidem.

(١)
(٢)

يحظى بتشجيع الملوك وعظماء الأفراد ، وأنه كان يفخر بعمله ويعتز
بشخصيته . علاوة على هذا لقد كان بضعة من بيئته ، يعمل بوجها ،
ويسترشد بهديها ، كما كان بضعة من أهله يحس أقوى من غيره بأحاسيسهم ،
ويترجم عن شعورهم ونصوراتهم ، وعقائدهم ومثلهم العليا ، وينطق بما كان
للأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية من آثار في حياة المجتمع المصري
القديم . لهذا تبدو أعماله كأنها كتابة مصورة ، أو عبارات مجسمة ، تحمل
من المعاني والأفكار ما يفوق كثير ما تنبئ عنه مادة أعمال الفنانين في أية أمة
أخرى ، دون أن يقلل هذا شيئا مما لها من قيمة فنية كبيرة . وقد أفاد هذا كله
أعماله قوة وحيوية ، وصدقا وإصالة ، مما رقى بها إلى ذروة الفن العالية ،
وضمن لها الخلود الدائم على بساطة أدواته وأساليبه .

مئذنة مسجد ابن طولون

رأى في تكوينها المعمارى

للكنوز فربى سافعى

مئذنة مسجد ابن طولون من التحف الأثرية ذات الشهرة الخاصة في عالم الفن الإسلامى . فهى ذات الشكل الفريد الذى لا مثيل له في أى قطر آخر من الإقطار الإسلامية (لوحة ١) .

وتتكون المئذنة من جزء أسفل متعامد الجوانب يكاد يكون مربعاً يبلغ ارتفاعه أكثر من نصف الارتفاع الكلى للمئذنة . ويلتف حول أوجه الأربع من الخارج سلم فيكشوفه تتراوح عرضه بين ٢,٧٠ م و ٣,١٠ م وله سياج مدرج من الحجر وتحت كل قبة من قبابات السلم فى أى مجموعة من التتالام - تتسبب فى ارتداد الجزء العلوى من كل وجه عن الأسفل منه بمقدار عرض السلم . يعلو ذلك الجزء الأربع أجزاء استوائى يقرب ارتفاعه من ربع الارتفاع الكلى . ويلتف حوله سلم دائرى من الخارج أيضاً . وينفض من قطر الدائرة كلما صعد الى أعلا . وعرضه تسعون سنتمترا تقريبا وله سياج مدرج من الحجر . ويؤدى السلم الى قاعدة مستديرة جوسطها جوسق مضمن المسقط به أربع فتحات فى أربعة أضلاع بين كل اثنين ضلع لافتحات فيه . وبداخل الجوسق سلم حلزوى يصعد الى سطح الجوسق وبه شرفة بارزة تحملها مدايك من المقرنصات . وتحيط الشرفة بجوسق آخر أضيق من الأسفل منه وفى نهاجه العليا مدايك أخرى من المقرنصات ثم « طاقيّة » أو قبة صغيرة من ضلوع متعددة ذوات قطاع محذب من الخارج .

يصل المئذنة بالمسجد قنطرة محمولة على عقدين لها شكل حدوة الفرس (Horse-Shoe) . والقنطرة مبنية مع المئذنة وتؤلف معها جسماً واحداً .
 بين نرسو من الجهة الأخرى على حائط وأكتاف ملتصقة بحائط المسجد وتقطع شباكين من شبايك المسجد في محورها مما يدل بداهة على أن بناء القنطرة جاء متأخراً عن الجامع . هذا مع العلم بأن بناء الجامع كله كان بالآجر — أى الطوب الأحمر — بينما بنيت القنطرة والمئذنة بالحجر الجيري في مداميك منتظمة .

وبأوجه الجزء المربع أربع مجموعات من الفتحات المصمتة تتكون كل مجموعة من شباكين مسدودين لكل منها عقد من نوع حدوة الفرس . وبين كل شباكين عمود يلتقي العقدان فوقه .

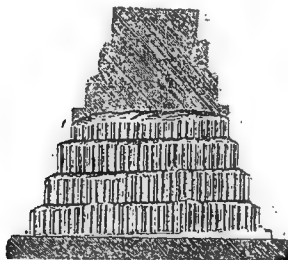
واسترعت تلك المئذنة انتباه علماء الآثار ، فتشعب البحث وكثرت النظريات حولها ، وتعددت الآراء في تاريخها . فقد اعتبر بعضهم أنها المئذنة الأصلية التي بنيت مع الجامع . بينما رأى بعض آخر — أن الجزء الأصلي فيها هو المكون من المربع والاسطوانة أى من الجزئين اللذين يحيطان على السلم الملتف حولهما من الخارج ، وأن الجويقنين العلويين قد أضيفا في وقت متأخر . ومن العلماء من نسب المئذنة كلها أو الجزء العلوى منها إلى العصر الفاطمي . وقد ظن في وقت من الاوقات ^(١) أن الجزء المربع ما هو إلا غلاف لمئذنة قديمة مستديرة تشبه المئذنة الملوية في سائرنا وأن ذلك الغلاف المربع لم يغلف البدن المستدير القديم كله بل ترك جزءاً منه هو الاسطوانة التي تعلو ذلك الغلاف المربع . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية ^(٢) بتحقيق هذه النظرية بأن نقبت في الشباكين الجنوبيين في البدن المربع نقباً أفقياً إلى عمق يكفى للكشف عن آثار جدران مستديرة داخلية فثبت أنها غير موجودة ، وأن الجزء المربع هو في مجمله كتلة موحدة مع بعضها ومع القنطرة التي تصل المئذنة بالجامع .

ويمكن القول بأن الرأي قد انتهى ^(٣) إلى أن المئذنة كلها من ضمن أعمال الإصلاح والتعمير التي قام بها لإيجين في جامع ابن طولون

في سنة ٥٦٩٦/١٢٩٦ م وأن فكرة السلم الخزوني الخارجي قد اقتبس عند إعادة البناء من بقايا المئذنة القديمة التي كانت قد بنيت في الأصل على نمط ملوحي - سيرا . أما الجزء العلوي المكون من الجوستين فهو من طراز نهايات المآذن في أوائل العصر المملوكي .

وكلها استنتاجات تتنازع بوسط وافر من المنطق السليم فقد قامت على البحث والتحليل الدقيق .

ولكن بقيت ظاهرة الجزء المربع الذي يكون أكثر من نصف المئذنة لم تحظ بعناية كافية وهي نقطة هامة تستحق التوضيح والجلالة ليكمل موضوع المئذنة من الوجهة الأثرية والمعمارية .



«شكل ١» زيقورات خورساباد
Creswell : E.M.A. Vol. II, Fig 209

فأقرب ما يقابره إلى الذهن بتلك المشابهة الكبيرة بين ذلك الجزء المربع وبين الزيقورات الآشورية في خورساباد (٧٢٢ — ٧٥٠ ق . م .) فهو أولاً مربع المسقط وثانياً له سلم من الخارج أيضاً يبدأ في الركن الجنوبي صاعداً بطول الضلع ثم يغير اتجاهه عند الوصول إلى الركن التالي ليصعد الوجه الثاني وهكذا (شكل ١) واتجاه الصعود عكس اتجاه سير عقارب الساعة وهو الحال تماماً في اتجاه صعود السلم في مئذنة جامع ابن طولون ، إلا أنه من الواضح أن العلاقة بين الزيقورات وبين مئذنة مسجد ابن طولون

بعيدة كل البعد ولا تشجع على الظن بأن مصنف الوحي قد أتى من تلك الغصور
الحقيقية. وعلينا أن نبحت عن مصادر أخرى لفكرة القاعدة المربعة أو ثقب
صلة بالمثمنة التي نحن بصدددها.

فإذا استعرضنا المآذن الإسلامية لوجدناها في الشام ومصر والغرب
الإسلامي تتميز بجزء مربع^(١) منذ العصر الأموي حتى عصر بناء مئذنة مسجد
ابن طولون وتتراوح درجة أهمية ونسب الجزء المربع باختلاف القطر.

فقرئ في الشام أن معظم المآذن تتكون من بدن مربع حتى قرب القمة.
ويبلغ ارتفاع هذا البدن أربعة أوجه ضيقة ضلع المربع، ومن أمثلة المآذن
الشامية: مئذنة المسجد الجامع في حلب (٤٨٢/١٠٨٩ - ١٠٩٠) (٥٠)
(لوحة ١/٣)، مئذنة جامع الحنظلي في بصرى (٥٢٨/١١٣٤) (٦١)
(لوحة ٣/ب)، معرة النعمان مئذنة المسجد الجامع
(٥٧٥/١١٧٩) (٧) (لوحة ٤/١)، مئذنة المسجد الجامع في قلعة حلب
(٦١٠/١٢١٣ - ١٢١٤) (٨) (لوحة ٤/ب)، مئذنة مسجد عمرو
في بصرى (٦١٨ - ١٢٢١) (٩)

أما في مصر قرئ المآذن منذ العصر الفاطمي وهي أقدم المآذن التي
ما زالت آثار معظمها باقية في مصر — تتكون من قاعدة مربعة يبلغ نصف الارتفاع
الكلّي أو أكثر منه قليلاً في بعض الأحيان. ويعلو القاعدة باقي أجزاء المئذنة
من منمن ومستدير الخ. وبقي هذا التقليد قائماً حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

وتبدأ قائمة المآذن في مصر بمئذنة جامع الحياكم (٣٩٣/١٠٠٣)
في الركنين الشمالي والغربي من المسجد. والأجزاء الفاطمية منهما هي:
في الشمالية بدن أسطوانى وضع فوق قاعدة مربعة، والغربية بدن طويل مربع
القطاع تعلوه أجزاء منمنة السقط أصغر قطرأ. وقد أحيط كتابها في نفس
الوقت تقريباً بغلاف مربع المستطبة ميل هزئى خفيف ويبلغ ارتفاعه ما ارتفاع سطح
المسجد، أجدها بظاهرها حتى الآن وهو غلاف المئذنة الغربية، أما الغلاف الشمالى
فقد اختفى وراء إضافات بدر الجمالى، الملحقة بسور القاهرة بين باب النصر

وباب الفتوح ، أما المكعبان اللذان يعلوانها وباقي أجزاء المذنتين
التي على هيئة البخرة فقد أضافها بييرس الجاشنكير في ١٣٠٣/٨٧٠٣ م .
والذي يهتما في هاتين المذنتين تقطعان :

الأولى : أن وضع المآذن في ركني واجهة المسجد فكرة سبقت في جامع
المهدية ^(١١٠) . وقد يكون الأصل فيها أبراج الأركان في المبد القديم
في دمشق الذي حول إلى المسجد الأموي بدمشق .

الثانية : أن الغلاف المربع المسقط ذا الميل الهرمي الخفيف يذكرنا بالجزء
المربع المسقط في مئذنة مسجد القيروان (١٠٩ - ١٠٩ هـ أو ٢٤٦ هـ) ^(١١١) .
الذي نرى فيه أيضاً ظاهرة الميل الهرمي الخفيف (لوحة ١٠/ب) .
وهي ظاهرة قد يكون أصلها من الشام أيضاً ، كما راها في برج دير القديس
جورج في سامه (جنوبي خوران) ^(١١٢) .

وأغلب ظننا أن هاتين الظاهرتين جاءتا إلى مصر لا من الشام مباشرة
بل عن طريق المغرب ، بدليل وجود ظواهر مغربية أخرى متعددة في مسجد
الحاكم بأمر الله .

والمئذنة التالية في التاريخ هي مئذنة مسجد الجيوشي (٤٧٢/١٠٨٥ م)
وفي الحق أن هذه المئذنة (لوحة ١/٥) وثيقة الشبه بمئذنة جامع
القيروان (لوحة ١٠/ب) من حيث نسب القاعدة المربعة ثم نسب
الأجزاء العلوية .

أما الحلقة الفاطمية التي تلتوها فهي مئذنة أبي الغضنفر (٥٥٢/١١٥٧ م)
(لوحة ٥/ب) ونلاحظ فيها أن الجزء المربع قد ازداد نحافة .

تستمر سلسلة تطور المآذن في العصر الأيوبي كالآتي : مئذنة
سيدنا الحسين (٦٣٤/١٢٣٧ م) (لوحة ١/٦) والجزء المربع هو
الذي يرجع إلى العصر الأيوبي ، والخشوات الزخرفية فيه تحتوي
على زخارف لا يشك في أصلها المغربي الأندلسي ثم تلتوها مئذنة المدرسة
المصالحية (٦٤٣/١٢٤٣ - ١٢٤٤) (لوحة ٦/ب) .

وزى الحلقات تتوالى في العصر المملوكى في مثمنة زاوية الهنود (حوالى ١٢٥٠ م) (لوحة ١/٧) ثم الجزء المربع الباقي من مثمنة فاطمة خاتون (٦٨٣/١٢٨٤) (لوحة ٧/ب) ، ومثمنة السلطان قلاوون (٦٨٤/١٢٨٥ م) ^(١٣) (لوحة ٨) ونلاحظ فيها أن الجزء المربع قد اعتلاه جزء مربع آخر أصغر منه بدلا من الثمن المألوف في الأمثلة السابقة .

ويوجد جزء مربع قديم في مثمنة مسجد البقلى (آخر القرن ١٣ م) : كما نراه أيضا في الجزء المربع الأسفل من مثمنة مدرسة الناصر محمد في النحاسين (٧٠٣/١٣٠٣) ^(١٣) (لوحة ٨) . ثم يأتي مثل من أرشق الأمثلة لهذا النموذج من المآذن هو مثمنة سيار وسينجر الجولوى (١٣٠٣/٧٠٣) (لوحة ٩/ب) . ثم مثمنة منتقر سبى (٧١٥/١٣١٥) (لوحة ٩/ب) وتتمى السلسلة بمثمنة خاتناه الأمير قوصون في القرافة القبلية (٧٣٥/١٣٣٥ - ١٣٣٦) (لوحة ١/١٠) .

ويتميز هذه السلسلة من المآذن المضربة بأن معظمها من النوع المعروف بنموذج المبخرة وهو يكون — بوجه عام — من قاعدة مربعة مسطحة لا يزيد ارتفاعها عادة على ثلاثة أمثال ضلع المربع . ثم بدن منمن تعلوه قبة مستديرة ذات ضلع مربعة تشبه غطاء المبخرة ومن ثم أطلقت تلك التسمية على النموذج كله .

وقد حاول ثيرش (Thiersch) ^(١٤) أن يستنتج الهيئة المعمارية للفتار الاسكندرانية المشهور قبل إنذاره على أساس أقوال المؤرخين التى تلخص فى أنه كان مكونا من قاعدة عالية مربعة فوقها جزء منمن يرتد عنه قليلا ثم جزء آخر مستدير . وانتقل ثيرش بعد هذا الى تدعيم نظرية ليتل ^(١٥) بقول بأن هذه الهيئة هى التى تطور منها نموذج المآذن فى العصر الاسلامى . وهى نظرية شاعت فترة بين مؤرخي الفنون .

عارض الأستاذ كريسول هذه النظرية ووصل بعد الشرح والتحليل الى القول بأن نموذج المبخرة ما هو إلا تطور محلى تم على خطوات تدريجية

في خلال فترة تزيد على قرنين من الزمن وتبدأ بمثذنة الجيوشي الذي يقول عنها الأستاذ كريبول أنها « النموذج الشامي »^(١٤).

ونحن اذ نوافقه على اعتراضه على نظرية تطور هيئة المآذن في مصر من شكل فنار الإسكندرية ، كما نوافقه على فكرة تطورها محليا ، نعود فتعرض على اقتضابه القول بأن مثذنة الجيوشي — وهي تكاد تكون حلقة البدء في سلسلة التطور — هي « النموذج الشامي » بلا شرح أو تفسير . اذ يوحى هذا القول بأن البداية جاءت من الشام مباشرة . وهذا ما لم نفتنح به لأن هناك تأثيرات ومصادر وحى أخرى يجب العناية بدراستها ودراسة علاقتها بمآذن مصر . وهو ما عتينا به فيما يلي ووصلنا منه إلى ترجيح محي البداية من الغرب الاسلامي لا من المشرق .

فلو استعرضنا مآذن الغرب الاسلامي القائمة حتى الآن لرأينا أقدمها هو مثذنة جامع القيروان (لوحة ١٠/ب) التي تؤرخ إما في ١٠٥ — ١٠٩ هـ / ٧٢٤ — ٧٢٧ م أو في ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ — ٨٦٣ م^(١٥) . ومن المسلم به أن هيئتها المربعة تنفق إلى حد كبير مع التقاليد الشامية في تصميم أبراج الكنائس هناك . ولكن يمكن القول أن هذا الشكل قد تأقلم في الغرب الاسلامي وتطور هناك واضطرد استعماله وأصبح النموذج الذي بنيت عليه كل المآذن تقريبا في ذلك الجانب من العالم الاسلامي نذكر منها الامثلة التالية : مثذنة : جامع قرطبة (١٧٧ — ١٨٠ / ٧٩٣ — ٧٩٦) والتي يقال أنها كانت مربعة^(١٦) ، مثذنة جامع القرويين في فاس (٣٤٥ / ٩٥٦)^(١٧) ، مثذنة جامع صفاقس (حوالى : ٣٧ / ٩٨١)^(١٨) ، مثذنة قلعة بنى حماد (٣٩٨ / ١٠٠٧)^(١٩) ، مثذنة رباط تيت (القرن ٥ هـ / ١١ م)^(٢٠) ، مثذنة جامع تمنل (٥٤٨ / ١١٥٣)^(٢١) ، مثذنة مسجد حسن في رباط (٥٩١ — ٥٩٤ / ١١٩٥ — ١١٩٨)^(٢٢) ، مثذنة جامع القصبية في مراکش (٥٩٢ / ١١٩٦)^(٢٣) ، مثذنة الجيرالدا في اشيلية (٥٩٣ / ١١٩٧)^(٢٤) (لوحة ١١ / ١) ، مثذنة الكتبية في مراکش (٥٩٣ / ١١٩٧)^(٢٥) (لوحة ١١/ب) ، مثذنتي المسجد الجامع ، ومسجد أجادير في تلمسان

(١٢٣٦ — ١٢٨٣ م) ^(١٦٦) ، مثذنه مسجد سيدي الحسن في تلمسان
(١٢٩٦ / ٦٩٦) ^(١٦٧) .

تستمر هذه السلسلة متصلة الحلقات حتى العصر العثماني لانتخلها — بوجه عام — هيئات شاذة عن النوع المربع إلا القليل . أو بمعنى آخر أصبح ذلك النوع من أشكال المآذن هو السائد في الغرب الإسلامي . ومن المشاهد أن معظم هذه المآذن يشترك في ميزة عامة هي أن ارتفاع القاعدة يبلغ حوالي ثلاثة أمثال ضلعها وهي النسبة الغالبة في مآذن مصر ابتداء من مثذنة الجيوشي .

ولقد يبدو بعض الغرابة في ترجيحنا لتأثر مآذن مصر بالنموذج الإسلامي في الغرب الإسلامي على الرغم من تسليمنا بأن ذلك النموذج الغربي قد تطور من فكرة الأبراج المربعة السابقة للإسلام في الشام والتي كان من المنتظر أن تكون المصدر المباشر الذي استقى منه المعاريون المصريون القواعد المربعة لمآذنه .

ولكن هناك بعض ملاحظات هامة تساعد على تفسير تلك الغرابة التي أشرنا إليها . فمن هذه الملاحظات أن المآذن ذات القواعد المربعة قد بدأت أول حلقاتها في مصر في العصر الفاطمي ، كما نلاحظ أنه العصر الذي أخذت فيه ظواهر فنية متعددة كان أصل موطنها في الشرق الأوسط وانتشرت في الغرب الإسلامي ثم بدأت تظهر في مصر منذ أيام المعز لدين الله مما يشجع على الظن بأنها وفدت إلى مصر مع الفتح الفاطمي عن طريق بلاد المغرب . ونذكر من تلك الظواهر بعض الأمثلة الآتية :

١ — الخنيات الحاملة للقباب (Squinches) : فقد بدأ ظهورها في الإسلام في سامرا في العصر العباسي ثم كان أول ظهورها في مصر في العصر الفاطمي في الجامع الأزهر وجامع الحاكم والسبع بنات الخ ... أما الحلقات التي تصل بين العراق ومصر فهي موجودة في المغرب في جامع سوسة (٢٣٦ / ٨٥٠ — ٨٥١) والخنيات في هذا المسجد مستترة وراء سقف يغطيها ويترك الكواويل الحاملة لأعمدها واضحة للعيان ^(١٦٨) . ثم في جامع القيروان (٢٤٨ / ٨٦٢ — ٨٦٣) ^(١٦٩) وفي جامع تونس (٢٥٠ / ٨٥٤) ^(١٧٠) .

٢ — المجاز القاطع (Transept) وكان أول ظهوره في الاسلام في المسجد الأموي بدمشق (٨٨ — ٧٠٧/٩٦ — ٧١٥) (٣٦). واستعمل مرة أخرى في العصر الأموي في مسجد قصر الخير وغيره. وبدأ ظهوره في مصر في الجامع الأزهر ثم جامع الحاكم وفي مسجد الظاهر ببغداد. أما في حلقة الوصل فتراها في مسجد القيروان (٢٤٨/٨٦٢ — ٨٦٣) (٣٧) وفي جامع تونس (٣٨).

٣ — الحنيات المسطحة (Flat Niches) التي تغطيها طواق مقوسة. بدأ استعمالها في الاسلام في الأحيضر (حوالي ١٥٩/٧٧٦) (٣٩). وظهرت في مصر في جامع الحاكم في الجوانب الخارجية للدخول الأوسط البارز عن الواجهة (٤٠). وتصل بين الأمثلة العباسية في العراق والأمثلة المصرية في العصر الفاطمي الحلقات الموجودة في القيروان في داخل وخارج قاعدة قبة المسجد الجامع (٢٤٨/٨٦٢ — ٨٦٣) (٤١).

٤ — العقد المستدير ذو شكل حدوة الفرس (Horse-Shoe). ومن المعروف أن أصل موطنه هو الشرق الأوسط وانتقل إلى الغرب الإسلامي وأصبح من المميزات الرئيسية لفنون تلك البلاد. وقد ظهر في مصر في أوائل العصر المملوكي كما سترى فيما بعد (ص ١٧٦).

أضف إلى ذلك كله أن ظواهر معمارية عديدة أخرى ذات طابع مغربي أندلسي صرخ قد بدأ ظهورها بشكل واضح في عمار مصر منذ الفتح الفاطمي وتوات موجات التأثيرات الفنية الآتية من الغرب الإسلامي إلى مصر من ذلك الحين حتى أواخر العصر المملوكي وكانت الأمواج تتراوح بين الضعف والقوة. فيترسب من كل منها ما يترسب من التأثيرات والظواهر فيضيج بعضها ويتطور البعض الآخر محلياً محتفظاً ببعض مميزاته الأصلية فترات تتراوح بين الطول والنصر تبعاً للظروف والعوامل المحلية الفنية وقد تلحق الواحدة منها موجة جديدة قبل تحلل السابقة وهكذا.

وأول تلك الموجات جاءت بداهة مع الفتح الفاطمي. فترى تأثيراتها في الجامع الأزهر ومسجد الحاكم. وبقيت آثاراً ورواسب منها فترة

من الزمن . قد يكون بعضها آثاراً وراسب من موجات ضعيفة أخرى . إلى أن جاءت الموجة القوية التالية حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى فظهرت آثارها جلياً فى جامع الصالح طلائع . ولحقها أخرى أكثر قوة فى بداية القرن ١٣ م . أنتجت لنا زخارف مغربية أندلسية لا شك فيها تراها محفورة فى الجص فى ثلاث عمارت من العصر الأيوبى هى : قبة الامام الشافعى (١٢١١/٦٠٨) المدرسة الكاملية (١٢٢٢/١٢٢٥) ، الجزء المربع للمئذنة فوق الباب الأخضر بجوار سيدنا الحسين (١٢٣٧/٦٣٤) .

جاءت موجة قوية أخرى فى بداية العصر المملوكى فظهرت آثارها فى مدفن مصطفى باشا (٦٦٦ - ٦٧٢/١٢٦٧ - ١٢٧٣) . وفى مدفن السلطان قلاوون (٦٨٣ - ٦٨٤/١٢٨٤ - ١٢٨٥) . حتى إذا وصلنا إلى أعمال لاجين فى مسجد ابن طولون (٦٩٦/١٢٩٦) رأينا بينها عدة ظواهر من أصل مغربى أندلسى أغلبها نرى لم يطرُق إليه أى تطور مما ثبت بحجى موجة جديدة من تلك البلاد . والظواهر هى :

الظاهرة الأولى : العقد المستدير ذو شكل حدوة الفرس . وهو مستعمل فى عقدى القنطرة التى تصل للمئذنة بالمسجد ثم فى عقد باب الدخول إلى سلم المئذنة ثم فى جميع عقود الشبايك التوائم المصمتة فى أوجه الجزء المربع من المئذنة . (لوحات ١ ، ٢) .

وأول مثل ذى تاريخ ثابت من هذا النوع من العقود فى الشرق الأوسط يوجد فى معبدانية مار يعقوب فى زيب (نصيبين) ويؤرخ فى سنة ٣٥٩ ميلادية كما توجد من هذا العقد أمثلة عديدة فى الشام قبل الاسلام .

وأول استعماله فى العمارة الاسلامية كان فى المسجد الأموى بدمشق ثم بطل استعماله فى الشام بعد ذلك وانتقل إلى بلاد المغرب والأندلس حيث استوطن تلك البلاد وأصبح من أعم الظواهر المعيارية المميزة لقونها^(٣٧) وأمثلة هناك عديدة لا تحصى ولا حاجة بنا لسردها .

أما أول ظهور هذا النوع فى مصر فقد كان فى مدفن السلطان قلاوون (٦٨٣ - ٦٨٤/١٢٨٤ - ١٢٨٥) . إلا أن استعماله فى هذا المدفن لم يكن فى توسع كبير كما هو فى مئذنة مسجد ابن طولون .

الظاهرة الثانية : الشبايك التوائم (لوحات ٢٠٩) وهي من الظواهر ذات الأصل الغربي الاسلامي . فقد ظهرت هناك منذ العصور الأولى للإسلام فزارها مثلاً في طليطله في جامع باب مردم (٣٧٠ — ٩٨)^(٢٨) . وزارها في اشبيلية في برج الجير الدا (١١٩٧/٥٩٣) (لوحة ١١/١) .

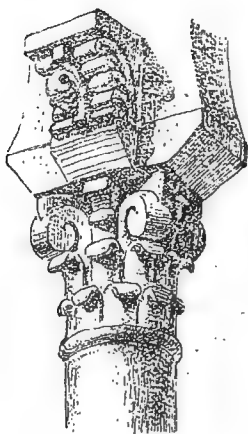
وقد ظهرت في مصر في مدفن فاطمة خاتون (٦٨٢ — ١٢٨٣/٦٨٣ — ١٢٨٤) ثم في مدرسة ومدفن قلاوون ومثنته ولكن زيد عليها طاقة مستديرة لتعول كل شباكين في واجهة المدفن والمدرسة . هذا ونلاحظ أن عقود الشبايك التوائم ليست من نوع حدود الفرس إلا في القاعدة المثمنة للقبه . أما في مثنته مسجد ابن طولون فهي على الهيئة الأصلية التي توجد عليها في الغرب الاسلامي ولم يدخلها التصرف الذي رأيناه وهو إضافة الطاقة المستديرة في مدفن فاطمة خاتون ومجموعة قلاوون . ثم يرى هذا النموذج في مثنته سلاور وسنجر الجولي (١٣٠٣/٧٠٣)^(٢٩) .

ومثنته مسجد ابن طولون يمكن اعتبارها الأثر الوحيد في مصر الذي توجد به هذه الظاهرة محتفظة بميزاتها النقية التي كانت عليها في موطنها الأصلي في الغرب الاسلامي .

الظاهرة الثالثة : الكواويل المقصصة (Modillons à Copeaux) ، وكل منها يتكون محيطه الخارجي من قوس من ربع دائرة مقعر ومنفصص إلى فصوص محدبة متعددة يقسمها شريط أوسط إلى قسمين . وهي ظاهرة انفردت بها بلاد الغرب الاسلامي^(٣٠) فزرى منها أمثلة قديمة في جامع قرطبة (الشكلان ٣٠٢) في الجزء الذي ينسب للحكم (٣٥٠ — ٣٥٥/٩٦١ — ٩٦٦) .

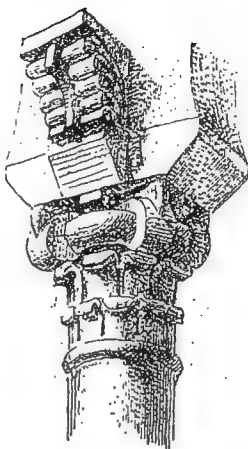
وهذه الكواويل توجد تحت طرقي القيو في سقف القنطرة التي تصل المئذنة بمسجد ابن طولون (لوحة ١٢) .

ريهنا أن نشير إلى أن هذا النوع من الكواويل لم يظهر في أي أثر آخر في مصر غير جامع ابن طولون .



(شكل ٣)
كابول مفصص — مسجد قرطبة

Marcenais: Manuel I, Fig. 144



(شكل ٢)
كابول مفصص — مسجد قرطبة

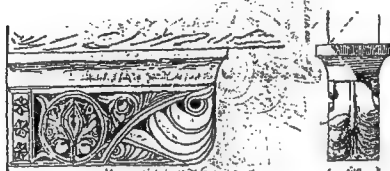
Marcenais: Manuel I, Fig. 145

الظاهره الرابعه: الكواويل الخشبية التي تشبه شكل مقدم السفينة (لوحة ١٣) ^(١١) وتوجد في جامع ابن طولون تحت سقف حجرة توجد خلف محراب المسجد.

وقد لاحظ مارسيه أن فيها شها كبيراً بكواويل في كنيسة القديسة ماريا البيضاء في طليطلة (حوالي ٦٠٠ هـ / ١٢٠٠) (شكل ٤) وكان من رأي مارسيه ^(١٢) أن تلك المدينة هي مصدر كواويل جامع ابن طولون ولكن الأستاذ نوريس بالباس ^(١٣) عارضه في تخصيص تلك المدينة بالذات وذلك النوع من الكواويل منتشر في مدن أسبانية كثيرة منذ منتصف القرن ٥ هـ / ١١ م وتبع في مقاله نشأته وتطوراته في إسبانيا.

والواقع أن ابتكار الحلقات الأولى من هذا النوع من الكوابيل يرجع إلى غصور متقدمة في تلك البلاد نرى منها أمثلة في جامع القيروان (أشكال ٦٠٥) وتعود إلى منتصف القرن ١٠ / ١١ م ، وفي جامع تلمسان وتورخ في ١١٣٥ م (١٣١) .

ومهما يكن من الأمر فإنه لا جدال في أن هذا النوع من الكوابيل قد أتى مباشرة إلى جامع ابن طولون من الغرب الاسلامي وهو على هيئته الأصلية بلا تحوير أو تحريف .



فبما أن هذا النوع من الكوابيل قد أتى مباشرة إلى جامع ابن طولون من الغرب الاسلامي وهو على هيئته الأصلية بلا تحوير أو تحريف . (شكل ٤) طليطة : كنيشة ماريا الينفناء تيمانية سيمانة .

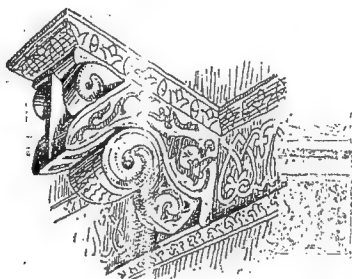
Marcais : Manuel, II Fig. 173

وهذه الظاهرة هي أيضاً من الظواهر التي لم تظهر في أي أثر آخر في مصر غير مثدنة جامع ابن طولون .

الخلاصة : لا شك إذن في أن بناء مثدنة جامع ابن طولون أو إعادة بناءها بمعنى أوضح قد حدث في وقت وفدت فيه موجة فنية قوية من الغرب والأندلس محملة بتأثيرات عديدة خلقت تلك الظواهر التي رأيناها فيما سبق ومنها ثلاث تكون أجزاء عضوية من المثدنة نفسها .

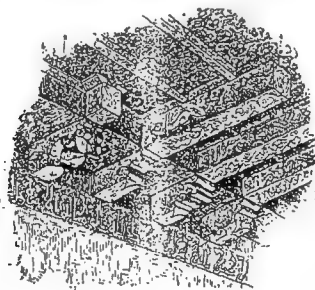
وأغلب ظننا أن تلك الموجة القوية الوافدة من الغرب الاسلامي كان لها الفضل الأكبر في الإيحاء بذلك القاعدة الضخمة المربعة للمثدنة مسجد

ابن طولون ، وبالرغم من أننا قد رأينا في سبق أن مآذن مصر منذ العصر
الفاطمي قد أثرت بنموذج المآذن في العرب الاسلامي . الا أن هذا التأثير
قد ازداد قوة في مئذنة مسجد ابن طولون أو تجدد بمعنى آخر مع مجيء تلك
الموجة الفنية القوية التي أشرفنا عليها .



(شكل ٥) : مسجد الفيوان : كابول خشت تحت السقف
Marcais: Manual-I, Fig. 68

هذا وقد اشترك مع ذلك الأيحاء الغريزي الإبنسلي قاتل مرتسب
من تقاليد عراقية قديمة هو فكرة السلم الخارجين الذي كان موجودا



(شكل ٦) مسجد القيروان : سكوائل خشب تحت السقف
 Marçais, *Manuel* I Fig. 71

في بقايا المئذنة التي كان قد أنشأها ابن طولون مع مسجده . وأغلب الظن أن تلك البقايا كانت قائمة في وقت البدء في بناء المئذنة الجديدة التي حلت محلها . ولا نستبعد والحدال هذا أن المعاري التي ظم بإعادة بناء مئذنة جامع ابن طولون إما أنه كان مغربيا أو اندلييا أو كان مصريا أشرك معه صنعا من تلك البلاد استعان بهم وترك لهم حرية كبيرة في التصرف في البناء فامتزجت التقاليد الغربية الاسلامية مع رواسب التقاليد العراقية الاسلامية القديمة في مصر . وأنتجت لنا ذلك الشكل الفريد الذي يتكون منه أكثر من ثلاثة أرباع مئذنة مسجد ابن طولون .

وكان للتقاليد المحلية القائمة في وقت تجديد البناء فضل اتمام الأجزاء العليا من المئذنة وهي الجوسق المثلث العلوي . فهو حلقة من سلسلة تطور محلي لنهايت المساذن ذوات المباخر والتي رأيناها تبدأ بمئذنة الفضنفر أسد الفاضلي (جوالى ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) وتنتهى بمئذنة قوصون (٧٣٥ / ١٣٣٥ — ١٣٣٦) .

الحوائش

- (١) Creswell: E.M.A. vol. II, pp. 354 ff.
- (٢) محمود عكوش: الجامع الطولوني من ٧٩ — ٨٥
- (٣) Creswell: *op. cit.* pp. 352 ff.
- (٤) Creswell: The Evolution of the Minaret, with Special Reference to Egypt (Extract from the Burlington Magazine vol. XLVII).
- (٥) Dussand, etc.: La Syrie. Pl. 37, D/I المرجع السابق من ٧، لوحة D/I
- (٦) المرجع السابق من ٧، لوحة E/I
- (٧) المرجع السابق من ٧، لوحة F/I
- (٨) المرجع السابق من ٧، لوحة G/I
- (٩) المرجع السابق من ٧، لوحة H/I
- (١٠) Creswell: The Muslim Architecture of Egypt, vol. I, Fig. I, p. 5.
- (١١) Creswell: E.M.A. vol. I, Fig. 399, Pl. 53 d.
- (١٢) المرجع السابق شكل ٤٠٦
- (١٣) الجزء العلوي من هذه المئذنة أحدث في التاريخ من الأخرى.
- (١٤) كريسوك: تطور المئذنة من ٨ — ٩
- (١٥) كريسوك: المرجع السابق من ١١
- (١٦) كريسوك: المرجع السابق جدول المآذن.
- (١٧) Marcals: Manuel, I. pp. 309-312, Figs. 198-9.
- (١٨) المرجع السابق من ١١٣ — ١١٤، شكل ٩١
- (١٩) المرجع السابق شكل ٩٠
- (٢٠) Terrasse: L'Art Hisp. Mauresque, Pl. XLVIII.
- (٢١) المرجع السابق لوحة ٤٩
- (٢٢) مارسيه ج ١ شكل ٢٢٨، تراس المرجع السابق لوحات ٦٠ و ٧٨
- (٢٣) مارسيه ج ١ شكل ٢٣٠
- (٢٤) تراس: المرجع المذكور لوحة ٧٢
- (٢٥) مارسيه ج ١ أشكال ٢٢٤، ٢٢٧، تراس: لوحات ٥١، ٥١
- (٢٦) مارسيه ج ٢ من ١٨١ — ١٨٢، شكل ٣٤٣
- (٢٧) مارسيه ج ٢ من ٨٣
- (٢٨) كريسوك ج ٢ لوحة ٦١ ب
- (٢٩) المرجع السابق لوحة ٨٤

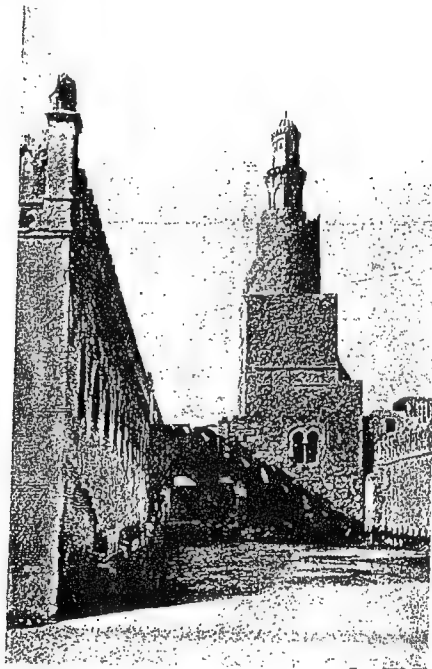
- (٣٠) المرجع السابق لوحة ٩٢ ب
 (٣١) كريستول ج ١ شكل ٥٧
 (٣٢) كريستول ج ٢ شكل ١٨٠
 (٣٣) كريستول ج ٣ شكل ٢١٣
 (٣٤) كريستول ج ٢ لوحات ١٢ — ١٤
 (٣٥) Frey : Die Ornamente der Hukim . . . Taf. XIX
 (٣٦) كريستول ج ٢ لوحة ٨٤ ب
 (٣٧) كريستول ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٩
 (٣٨) مارسيه ج ١ شكل ١٣٢
 (٣٩) Hautecoeur & Wiet : Mosquées, Pl. 92
 (٤٠) Marçais : Les échanges artistiques entre l'Egypte et les pays musulmans occidentaux. (Hesperis, XIX (1934), pp. 95-106, 9 Figs).
 (٤١) المرجع السابق ص ١٠٣
 (٤٢) Torres Balbas : Intercambios artísticos entre Egipto Y el Occidente Musulman. (Al Andalus, vol. III, pp. 411-421, Figs. & Pls.).
 (٤٣) Marçais : Manuel, I, Fig. 172

المراجع

عمود عكوش : الجامع الطولوني القاهرة سنة ١٩٢٧.

- BRIGGES (M.): *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine*.
Oxford, 1924.
- CRESWELL (K.A.C.): *The Evolution of the Minaret with Special Reference to Egypt* (Extract from the Burlington Magazine, vol. XLVII).
Idem. *Early Muslim Architecture*, 2 vols. Oxford 1932 and 1940.
Idem. *The Muslim Architecture in Egypt*, Vol: I Ikshidids and Fātimids.
Oxford, 1951.
- DUSSAUD (R.), DESCHAMPS (P.), SEYRIG (H.): *La Syrie antique et Médiévale illustrée*. Paris, 1931.
- FLURY (S.): *Die Ornamente der Hakim-und Ashar Moschee*. Heidelberg, 1912.
- HAUTECEUR (L.)—WIET (G): *Les Mosquées du Caire*, 2 vols. Paris 1932.
- MARCAIS (G.): *Manuel d'Art Musulman*, 2 vols. Paris, 1926/7.
- Idem: *Les échanges artistiques entre l'Égypte et les Pays musulmans occidentaux*. (Hesperis: XIX, pp. 95-106, 9 Figs.).
- RICARD (P.): *Pour Comprendre L'Art Musulman dans l'Afrique du nord et en Espagne*, Paris, 1914.
- TERRASSE (E.): *L'Art Hispano-Mauresque*, Paris, 1932.
- TORRES BALBAS: *Intercambios artísticos entre Egipto y el Occidente Musulman*. (Al Andalus, vol III, pp. 411-21, Figs. and Pls. 1935).

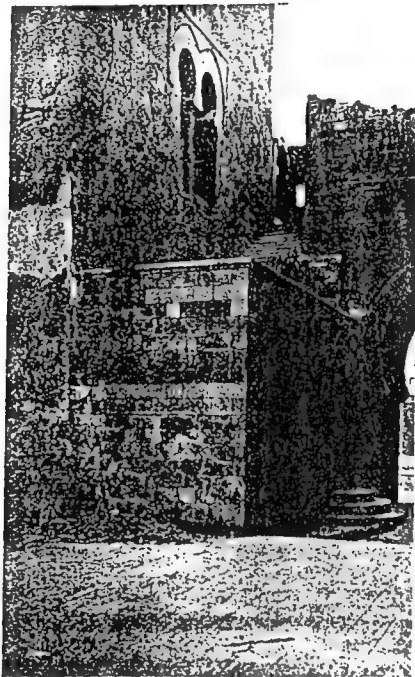
[لوحة رقم ١]



[عن كريسويل]

مئذنة مسجد ابن طولون

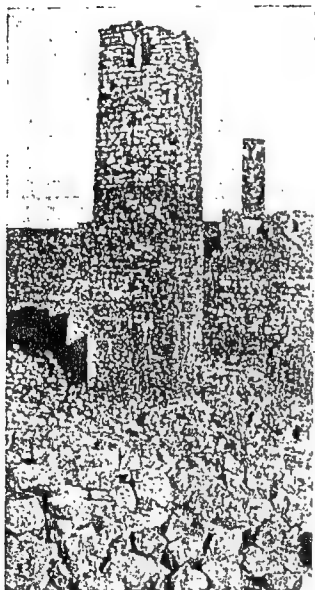
[لوحة رقم ٢]



[تصوير فريد شافى]

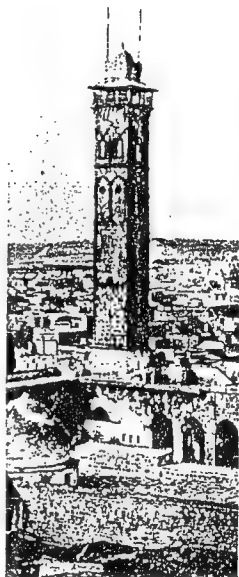
مئذنة مسجد ابن طراون
الفتطرة والمدخل والجزء الأسفل من القاعدة

[لوحة رقم ٣]



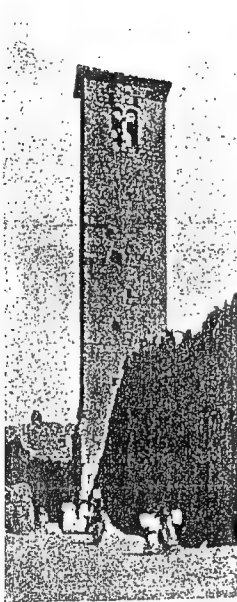
[عن كريدول]

(ب) مئذنة مسجد الخضر في بصرى



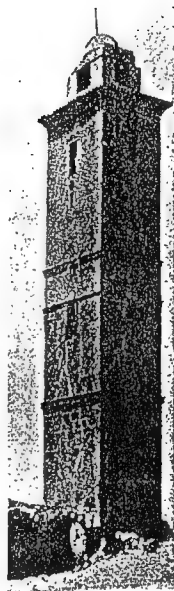
[عن دوسر]

(ا) مئذنة المسجد الجامع في حلب



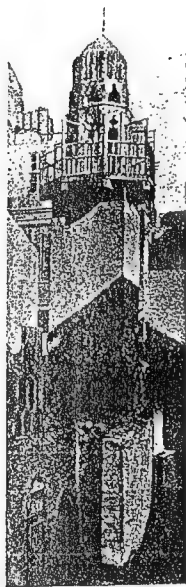
[عن برونو ودومازنسكى]

(ب) مثذنة مسجد عمرو
في بصرى



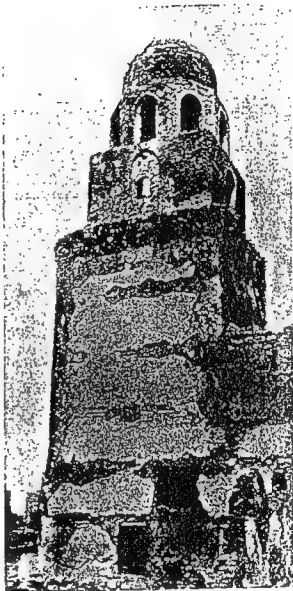
[عن كريول]

(ا) مثذنة المسجد الجامع
في معرة النعمان



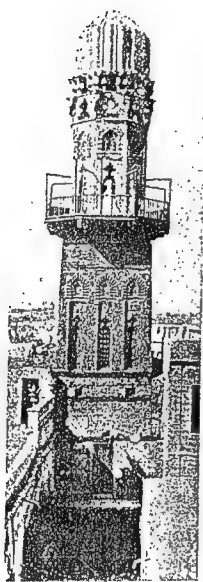
[عن كزبول]

(ب) مئذنة أبي الفضل



[عن هوتكوردنيت]

(ا) مئذنة مسجد الجيوشي



[عن كرسول]

(ب) مئذنة المدرسة الصالحية



[تصوير فريد شافعي]

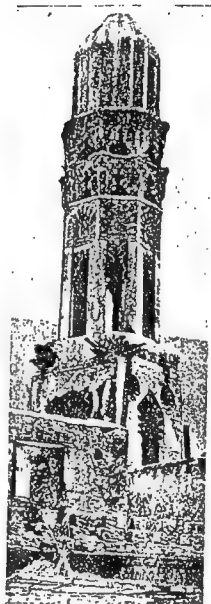
(أ) مئذنة سيدنا الحسين

[لوحة رقم ٧]



[عن كريسول]

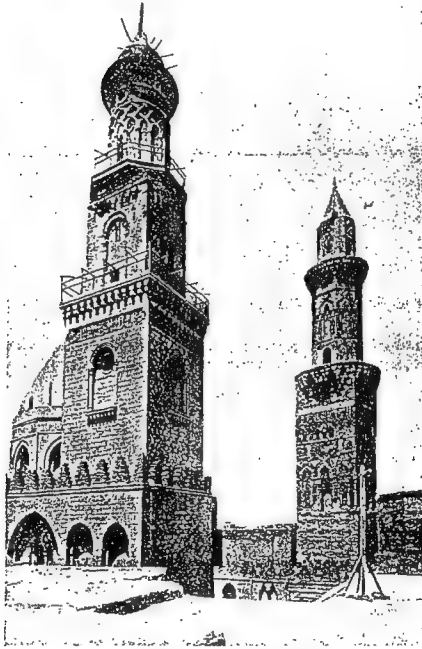
(ب) مئذنة مدفن فاطمة خاتون



[عن هوتكوردونيت]

(١) مئذنة زاوية الهنود

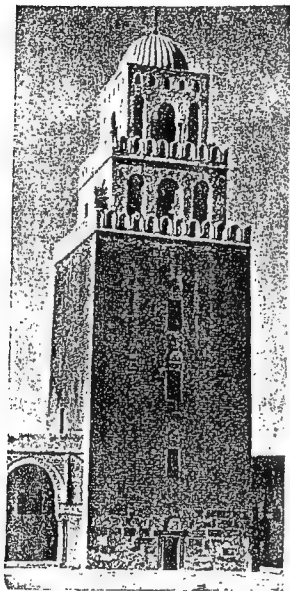
[لوحة رقم ٨]



[عن هونكووويت]

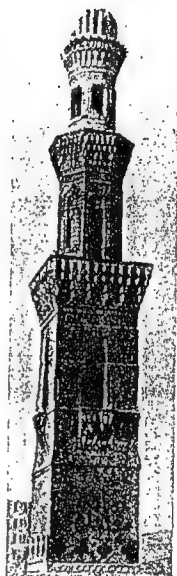
مئذنتا مدرسة الناصر محمد ومدفن المنصور فلاوون

[لوحة رقم ١٠]



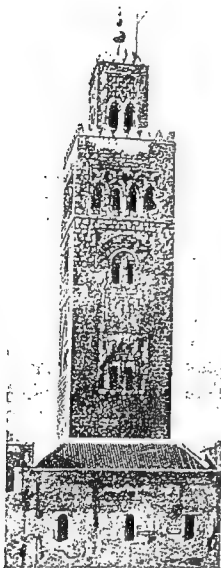
[عن كريسول]

(ب) منڈنة جامع الفيروان



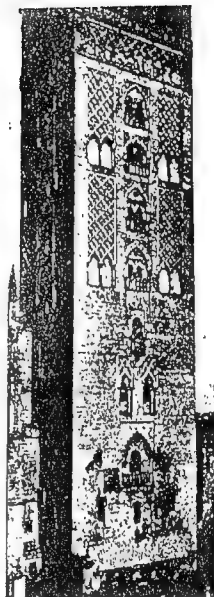
[عن كريسول]

(ا) منڈنة قوصون



[عن ترانس]

(ب) مئذنة الكتبة في مراكش



[عن ماريه]

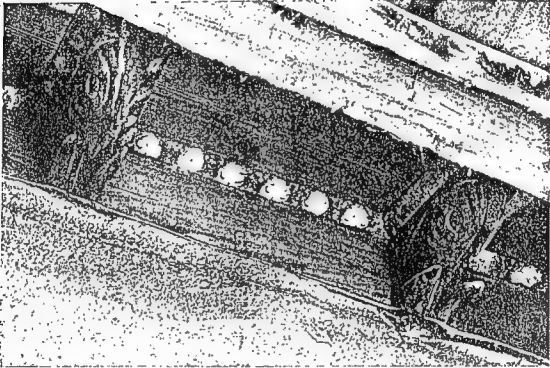
(١) مئذنة الجيرالدا



[تصوير فريد شافى]

مئذنة مسجد ابن طولون : السكوا بيل المفصصة فى باطن الفنطرة

[لوحة رقم ١٣]



[تصوير فريد شافني]

مسجد ابن طولون : الكوابيل الخشبية في الحجرة خلف المحراب

Fouad I University Press
491-1951-550 ex.

Printed in the reign of H.M. King FAROUK
of Egypt and Sudan, at the Fouad I University
Press on June, 1952.

M. ZAKI KHALIL
Director

Herkulanum, et qui sont, pour la plupart, en rapport avec le culte d'Isis. Ce sont des situles, des statues de prêtresses d'Isis, une fresque figurant une cérémonie au temple d'Isis à Pompéi, des scènes nilotiques en fresque ou mosaïque, ou sur la panse d'un vase, des fresques représentant le port d'Alexandrie. La présentation des monuments est extrêmement soignée.

Les salles de la collection sont disposées de façon à permettre de suivre l'évolution de l'art égyptien, depuis les origines jusqu'à l'époque romaine. Les salles sont divisées en sections, et les monuments sont groupés par périodes. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés.

Les salles de la collection sont disposées de façon à permettre de suivre l'évolution de l'art égyptien, depuis les origines jusqu'à l'époque romaine. Les salles sont divisées en sections, et les monuments sont groupés par périodes. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés.

Les salles de la collection sont disposées de façon à permettre de suivre l'évolution de l'art égyptien, depuis les origines jusqu'à l'époque romaine. Les salles sont divisées en sections, et les monuments sont groupés par périodes. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très lumineuses, et les monuments sont bien exposés. Les salles sont très spacieuses, et les monuments sont bien exposés.

talus d'un massif en tronc de pyramide rappelle les principes muséographiques adoptés et développés avec tant de succès au Musée du Louvre.

Les légendes écrites à l'encre sur des étiquettes de carton sont plutôt vagues, quelquefois même erronées (ka au lieu de ba). Toutes les pièces sont abritées sous verre et le musée est bien entretenu.

Musée de Florence.

Le Musée égyptien de Florence, accolé au Musée étrusque, n'est ouvert au public que la matinée du Lundi, horaire extraordinaire s'il en fut et qui n'est pas fait pour encourager les touristes à visiter les collections. Celles-ci sont d'ailleurs très disparates et se font remarquer par quelques bustes, un char de guerre partiellement restauré, des stèles, shawabti et instruments de travail. Les objets sont exposés sous verre, dans des vitrines qui gagneraient à être débarrassées de l'épaisse couche de poussière qui les couvre.

Musée du Vatican.

Les collections égyptiennes du Vatican sont caractérisées par leur richesse en objets de basse époque. On peut toutefois mentionner le buste d'un personnage, une statue naophore à figuration du sanctuaire de Neith, la statue du Nil aux seize coudées, une scène nilotique sculptée. L'éclairage laisse souvent à désirer. L'agencement des objets de petit format ne semble pas, quelquefois, être soumis à une loi quelconque, sinon au principe d'harmonie. L'établissement d'une statue au-dessus d'un socle tournant est un dispositif pratique qui facilite l'étude par tous les éclairages, d'un monument de format moyen.

Musée de Naples.

Le Musée de Naples n'a pas isolé des collections égyptiennes. On y rencontre cependant un certain nombre de pièces de basse époque, ordinairement romaine, extraites des fouilles de Pompéi,

placés dans un meuble à tiroirs, plus à la portée des spécialistes qui voudraient en tenter l'étude et hors de vue des profanes qui ne pourraient, en aucun cas se réjouir d'un tas de fragments sculptés pleins de poussière ? Les salles secondaires contenant le mobilier funéraire trouvé intact ne sont pas plus réussies. Les objets y sont empilés les uns au-dessus des autres, sans la précaution élémentaire d'être mis sous verre. La plupart sont pourtant des pièces uniques, en excellent état de conservation⁽¹⁾. On pourrait allonger cette liste peu réjouissante.

Il faut cependant mentionner la reconstitution hypothétique en bois de "la façade d'entrée du palais", occupant la paroi du fond d'une salle, ainsi que des maquettes et dessins d'une tombe thébaine, éléments excellents pour l'éducation des profanes autant que des spécialistes.

Tel est l'état de la collection égyptienne du Musée de Turin, état lamentable certes et qui ne pourrait être justifié par la pénurie de fonds dont se plaignent les personnes en charge.

Musée de Bologne.

La section égyptienne du Musée de Bologne est relativement restreinte, tenant tout entière dans trois salles. L'éclairage se fait par de larges fenêtres et les parois sont décorées à la peinture à l'huile, dans le style égyptien. Le même système d'adaptation du décor pariétal à la collection se retrouve dans les autres sections du musée, étrusque ou romaine. Les pièces remarquables sont sans doute les beaux bas-reliefs réalistes provenant de la tombe memphite de Horemheb, dont d'autres fragments se trouvaient à Berlin et à Brooklyn. Des stèles et sarcophages du Nouvel Empire forment le gros de la collection, ainsi qu'un ensemble imposant d'amulettes. La méthode d'exposer celles-ci sur les

(1) *Ibid.* p. 64-66.

rapport qui existe entre les deux (fig. 10). Que l'on me permette encore d'attirer l'attention sur un manque bien plus grave, à mon avis : dans une salle on a exposé des fragments de peintures sur stuc provenant de tombes à Qâou (1905-6), noyés sur un fond

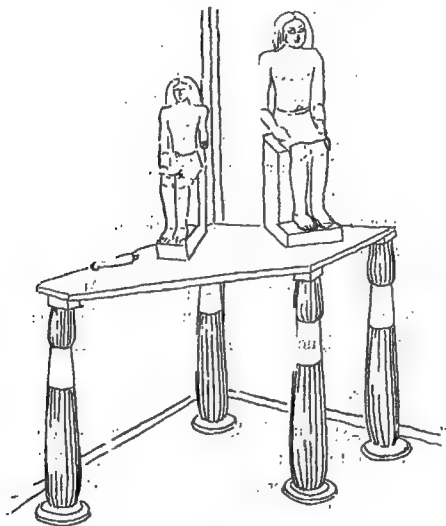


FIG. 10

de sable ou même des éclats de sculptures pêle-mêle sous forme de tas. Le but de cette exposition n'est, ici aussi, pas clair. Le guide, toujours laconique, parle de "fragments de sculpture très fine, peinte, qui recouvrait les parois" (1). Pourquoi n'en a-t-on pas essayé une reconstitution, ou tout au moins, ne les a-t-on pas

(1) G. Farina : Il R. Museo di Antichità di Torino, p. 13.

forme irrégulière, portée sur quatre soutiens en bois affectant la forme de colonnettes fasciculées lotiformes, et sur laquelle sont disposées deux statuettes en bois de personnages assis. Le bras de l'une des statuettes, qui est une pièce rapportée à tenon, est placé à proximité sans qu'aucune indication vienne suggérer le

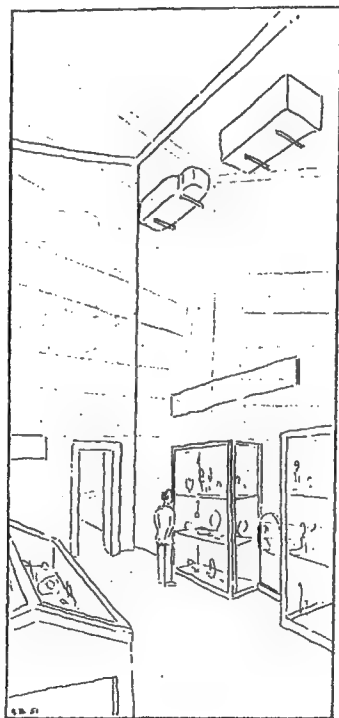


FIG. 9

sur des consoles en fer saillant à cinq ou six mètres de haut (fig. 9). Le but de semblable exhibition de fonds de cuves à distance ne m'est pas particulièrement clair. Ce manque de méthode, voire même de goût, se retrouve dans les vitrines des petits objets. Certain coin de vitrine est occupé par une étagère en verre de

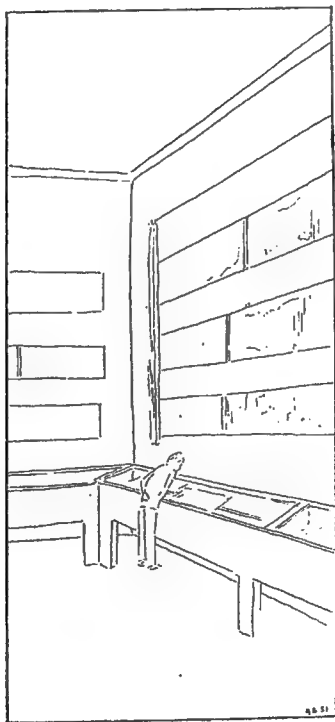


FIG. 8

Cette richesse se fait remarquer surtout par les papyrus (le fameux papyrus des Rois ⁽¹⁾, le papyrus satirique, le papyrus du plan des mines d'or, le papyrus des violations des tombes royales), les monuments de la première période intermédiaire (Fouilles à Gebelein) et de la XII^{ème} dynastie, le plan sur papyrus de la tombe de Ramsès IV, le mobilier funéraire de Hay (XVIII^{ème} dynastie). On devrait citer aussi la magnifique statue du roi Ramsès II et d'autres monuments uniques, de petit format : statuettes et ostraca figurés (danseuse, pharaon ligotant un prisonnier), naos à portique à colonnes (XIX^{ème} dynastie).

Le mode de présentation des collections ne correspond malheureusement pas à leur richesse ou à leur importance. Déjà le guide du Musée n'est qu'un carnet indiquant succinctement le contenu des huit salles. Ce qui frappe péniblement c'est qu'aucune de ces pièces uniques n'est mise en valeur. On n'a eu recours à aucune des méthodes de la muséographie moderne et certaines salles tiennent plus de la boutique d'un antiquaire que d'un musée. Les grands monuments eux-mêmes, tels que la statue de Ramsès II, n'ont pu trouver une place adéquate, puisqu'on les a rangés, sans discrimination aucune, le long de la paroi d'une salle. Il en est de même pour les pièces de dimensions réduites, mais tout aussi importantes. Les papyrus sont exposés au soleil, tamisé il est vrai par un rideau, qui n'en empêche pas moins la détérioration rapide. Certaine paroi de cette salle de papyri en est couverte jusqu'à sa partie supérieure, à cinq ou six mètres (fig. 8) de sorte qu'on est en droit de se demander si ces pièces sont exposées ou plutôt soustraites à l'étude du spécialiste et à l'admiration du profane. Le point de vue décoratif, que d'aucuns pourraient prétexter comme justifiant telle méthode d'exposition, ne vaut plus pour des cuves de sarcophages perchées

(1) G. Farina: *Il Papiro dei Re restaurato*.

Cet effort de mettre en valeur les objets eux-mêmes, tout en assurant au visiteur le maximum de possibilités d'études et à la collection un sentiment d'harmonie et de goût, s'est vu couronné de succès. Il n'est pas en effet arbitraire d'assurer que le Louvre abrite la collection égyptienne la plus riche et surtout la mieux présentée de France et d'Italie.

Musée de Cluny ⁽¹⁾.

Parmi les collections extrêmement variées du Musée du Moyen Âge et de la Renaissance de Cluny il faut mentionner un ensemble de tissus coptes provenant vraisemblablement du fonds trouvé par Gayet. Les étoffes, de petit format et dont certaines remontent à la première époque, à forte influence hellénistique, sont extrêmement importantes pour l'étude de l'art copte. Chaque fragment est placé entre deux verres et la collection est classée dans des tiroirs accessibles au public, ce qui est une aide pour l'étudiant et qui élimine les risques de décoloration des tissus par une exposition continue à la lumière du jour.

Musée de Nîmes.

Dans la Maison Carrée à Nîmes une collection d'objets romains contient certaines pièces égyptiennes de basse époque : bronzes de divinités, monnaies.

Musée de Turin.

La section égyptienne du Musée de Turin contient l'ensemble le plus riche de monuments égyptiens en Italie. Il provient principalement du fonds Drovetti, acquis en 1824, des collections de l'Université et des objets ramenés au jour au cours des fouilles que Schiaparelli dirigea pendant dix-huit ans dans la Vallée ⁽²⁾.

(1) P. Verlet-E. Salet : Musée de Cluny, Guide sommaire, Paris, Editions des Musées Nationaux, 1949.

(2) G. Farina : Il R. Museo di Antichità di Torino. Sezione Egizia. Seconda Edizione, 1938, p. 8.

d'objets consistent en niches, faces inclinées et plateformes ou gradins entre ces faces. Ce type convient pour la présentation de petits objets en bronze, verre ou ivoire.

Ce système, basé sur des principes muséographiques bien entendus, a pour résultat une présentation adéquate et agréable où tous les objets sont visibles, bien éclairés, rehaussés par le fond neutre des massifs. L'importance de certaines pièces est accusée par leur position proéminente au sommet d'un massif, au centre d'une niche. Les supports de goût douteux en fil de fer, les étagères nuisant à la bonne visibilité ont donc disparu.

D'autres détails contribuent à la netteté de la présentation : les objets dont les deux faces ou côtés, tels que les instruments de toilette, doivent être soumis à l'étude, sont placés, sur, ou devant, un miroir ; les vases et



instruments présentés verticalement sont calés au bas par trois ou quatre petits dés prismatiques en cristal poli, dont l'aspect discret ne nuit point à l'observation (fig. 7). Le grand problème des légendes accompagnant les objets présentés, légendes qui sont d'ordinaire

Fig. 7

bien négligées, sinon tout à fait oubliées, a été traité avec la compétence et le goût que l'on a pu remarquer au cours de cette description. On a utilisé, pour les gros monuments, des plaquettes en bois peintes en beige et inscrites de légendes en vert bouteille. Pour les petits objets des vitrines de petites plaquettes en cristal dépoli avec des légendes en vert sont placées à plat sur les faces ou plateformes des massifs, de sorte qu'elles ne déparent pas la présentation et ne nuisent pas à la visibilité.

L'éclairage électrique permet la visite nocturne des collections à de nombreuses catégories de personnes qui ne pourraient autrement y avoir accès.

5. La pyramide composée de deux massifs du type 4, dont celui du haut est plus petit. Entre ces deux pyramides étagées court une plateforme (fig. 6).

Ces deux derniers types conviennent à la présentation de la bijouterie et des petits objets précieux.

6. La pyramide à degrés, sur plan quadrilatère. Chacune des faces comporte en son centre une niche. Les surfaces pouvant être employées pour la fixation

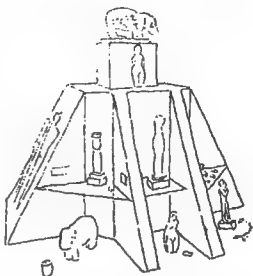


FIG. 5

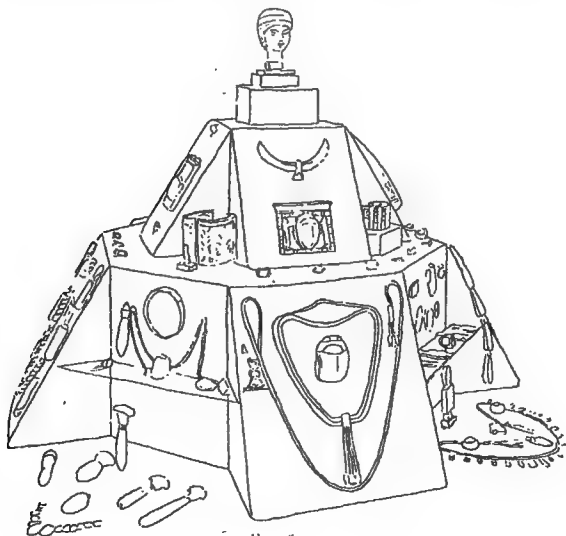


FIG. 6

2. Le massif en forme de tour de pylône, à deux larges faces rectangulaires inclinées, creusées de niches disposées

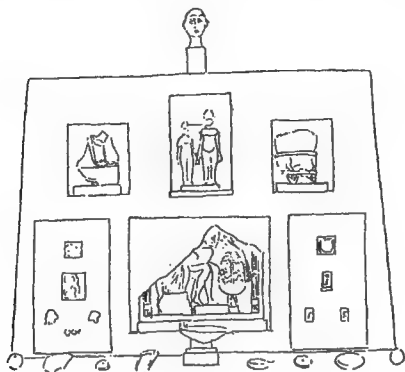


FIG. 3

symétriquement suivant un axe central et contenant des objets amarniens (fig. 3).

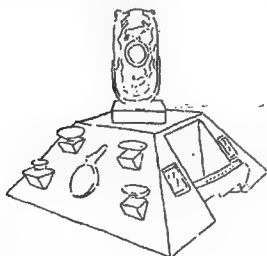


FIG. 4

3. La pyramide tronquée dont deux faces opposées sont creusées d'un renforcement prismatique à côtés verticaux, présente à son sommet une palette et sur ses faces d'autres objets archaïques (fig. 4).

4. La pyramide tronquée à base octogonale, comportant quatre grands côtés à faces inclinées ou à niches et quatre petits côtés aménagés en renforcements où sont fixées des étranges en verre (fig. 5).

On pourra ainsi facilement étudier les différents types de statues de Bastet, de Bès, les palettes, dans des vitrines spéciales. Un troisième principe a régi l'aménagement des vitrines, au cas où l'on ne pouvait procéder à un groupement d'origine ou de genre : celui du groupement suivant l'harmonie des formes ou des couleurs ⁽¹⁾.

A ces principes régissant le groupement des objets on a allié des moyens adéquats de présentation. Tous les fonds, armoires ou socles, sur lesquels sont disposés les objets sont gainés d'une étoffe à trame assez grosse, de teinte crème. On a préféré l'emploi de socles surélevés, de forme géométrique, pouvant recevoir un grand nombre de petits objets, aux étagères en verre, d'un goût douteux et d'une efficacité aléatoire, entravant la visibilité des objets d'une même vitrine. Cette utilisation de socles de forme géométrique différente s'adaptant aux besoins de chaque armoire, est sans doute, l'une des réussites les plus attrayantes de la Conservation du Louvre. Pour les armoires adossées aux parois un aménagement employant des socles et contre-socles, étagérant les objets à différentes hauteurs, a été adopté. Pour les vitrines des massifs de formes différentes servent à mettre en valeur des objets de dimensions quelquefois minuscules. Six types de massifs ou socles peuvent être différenciés, se rattachant tous à des formes géométriques rappelant les types architecturaux égyptiens ⁽²⁾ :

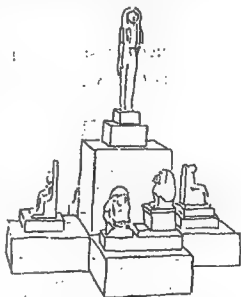


FIG. 2

1. Le socle cubique, haut, destiné à une seule pièce importante, statuette ou autre, dont chaque côté est bordé d'une contre-socle bas portant une pièce d'importance secondaire (fig. 2).

⁽¹⁾ *Ibid.*

⁽²⁾ *Ibid.* p. 35-36.

centrale concentre ainsi l'attention du visiteur, qui n'est pas sollicité par un nombre embarrassant d'autres objets. On a tiré un excellent parti des embrasures de fenêtres, sources de lumière pendant le jour. Les trois côtés de chaque embrasure sont occupés par des objets, statues ou stèles, placés isolément dans des niches aménagées en vitrines dans les pieds-droits. L'éclairage latéral, qui tombe des hautes baies, est un excellent facteur pour la mise en valeur des objets (fig. 1, *a*). Ceci ne dispense pas cependant de l'installation d'un éclairage artificiel avec boutons indicateurs pour chaque vitrine. Un usage aussi ingénieux qu'agréable de l'éclairage artificiel se retrouve dans les projecteurs. Le sarcophage aux parois sculptées de scènes et de textes pourra être placé dans un district sombre : grâce à la lumière rasante des projecteurs installés au-dessus des côtés externes ou à l'intérieur du couvercle les détails de la paroi apparaîtront bien plus clairement qu'à un éclairage normal (fig. 1, *b*).

Outre l'ordre chronologique qui a présidé à l'arrangement de la plupart des salles on a aussi aménagé des groupes d'objets selon leur lieu d'origine. C'est ainsi que l'on trouve une salle du Sérapeum (Salle XII) ⁽¹⁾ au rez-de-chaussée, contenant des objets trouvés par Mariette au cours de ses fouilles au Sérapeum de Saqqara. On pourra aussi observer le même principe d'origine commune pour des collections plus réduites provenant d'une nécropole ou même d'une tombe intacte. Une vitrine de la deuxième salle contient des objets de la tombe du chancelier Nakht (Fouilles Chassinat à Assiout) et une autre vitrine, dans la troisième salle, ceux d'une nécropole de la XVIII^{ème} dynastie à Deir el Médineh (Fouilles B. Bruyère) ⁽²⁾.

Dans l'aménagement des vitrines on a suivi, outre la classification par groupes d'origines communes, l'unité de genre : statues de pierre, statues de bois, vases, bronzes, ivoires, amulettes.

⁽¹⁾ *Ibid.* p. 25-26.

⁽²⁾ Jacques Vandier : Nouvelle présentation des Collections égyptiennes, *Museum, A quarterly Review*, published by Unesco, p. 34.

sombre et éclairée au moyen d'un projecteur (fig. 1, c), rend une impression de mystère bien proche, sans doute, de celle qu'elle devait donner alors qu'elle était encore dans son sombre naos, quelques 2000 ans auparavant. Ce souci de présenter le monument dans une atmosphère rappelant celle qui l'entourait en son

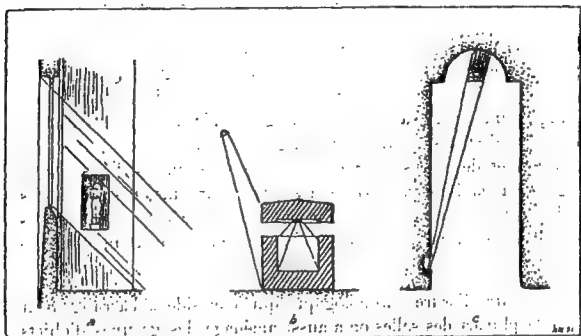


Fig. 1

lieu d'origine se manifeste aussi dans l'aménagement du Zodiaque de Dendera, au plafond de la crypte, tel qu'il était au plafond de la chapelle d'Osiris, sur le toit du temple de Dendera⁽¹⁾.

L'aménagement des salles suit un ordre chronologique, tant au rez-de-chaussée qu'au premier étage. Les gros monuments, statues, chapelle de mastaba, fausses-portes, colonnes, ont été érigées dans les salles du bas. On remarque une recherche de la mise en valeur de chaque objet par son isolement sur un fond nu de mur ou au milieu d'une salle. Le scribe accroupi, installé au centre de la deuxième salle de l'Ancien Enniré, n'est accompagné que de deux statues, d'une fausse-porte en bois et de vitrines contenant de la vaisselle en pierre de l'époque⁽²⁾. La pièce

(¹) *Ibid.* p. 5.

(²) *Ibid.* p. 10, pl. III.

de l'Europe continentale, tant par sa valeur intrinsèque que par la méthode employée pour la présenter au visiteur. Ce n'est pas par le nombre des pièces que la collection s'impose à l'attention, mais plutôt par un choix expressif, illustrant clairement l'art égyptien. En plus des pièces universellement connues, telles que le scribe ou la stèle du Roi Serpent, le Louvre possède, sans doute, la collection la plus riche de bronzes et de bois. Petites ou grandes, toutes les pièces sont exposées suivant les règles bien comprises de la muséographie, jointes à un goût parfait. Le nouvel aménagement semble avoir été initié par Charles Boreux et le rez-de-chaussée ouvert au public dès 1937. Mais c'est à Jacques Vandier, l'actuel conservateur du Département, que sont dus la présentation des salles du premier étage et le remaniement définitif du Département. Un petit guide est venu compléter utilement l'œuvre de présentation (1).

L'une des caractéristiques les plus importantes de cette présentation est son adaptation aux salles qui abritent la collection. Tous les éléments architecturaux de ces salles ont été utilisés pour mettre en valeur les pièces présentées. C'est ainsi que les statues en pierre sont adossées aux pilastres, que les scènes en bas-relief encadrées d'une moulure en bois forment le centre du panneau d'une baie aveugle. Dans les alcôves, chambres latérales ou niches spécialement aménagées, on a pu, grâce à un éclairage spécialement adapté à chaque cas, placer les statues dans une atmosphère appropriée. Un grand sphinx en granit rose (2) est installé dans une pièce voûtée en contrebas du sol de la crypte et un éclairage latéral met en valeur les proportions harmonieuses et rehausse l'impression de puissance de cet animal symbolique. Une statue d'Osiris en bois (3), placée au fond d'une niche profonde et

(1) Jacques Vandier : Le Département des Antiquités égyptiennes, Musée du Louvre. Guide sommaire, Editions des Musées Nationaux, 1948, 100 p., 16 pl.

(2) *Ibid.* p. 5. pl. 1.

(3) *Ibid.* p. 22.

COLLECTIONS EGYPTIENNES EN FRANCE ET EN ITALIE ET MUSEOGRAPHIE

PAR

Dr. ALEXANDRE BADAWY

Les musées d'Europe contiennent des collections égyptiennes qui, quoique plus réduites que celles du Musée du Caire, n'en sont pas moins intéressantes. Certains monuments, qui y sont exposés sont même uniques et il est indispensable, pour l'égyptologie d'en faire l'étude. C'est au cours d'un voyage d'études, qui me fut octroyé par la Faculté des Lettres de l'Université Fouad I, que je pus procéder à la visite des collections égyptiennes du Louvre, des musées de Cluny, Nîmes, Turin, Bologne, Florence, Vatican, Naples (1). Comme il ressort de ce petit rapport il est certain que le Louvre s'impose présentement comme modèle pour la présentation, ayant appliqué des principes de muséographie mis au point par d'éminents spécialistes. Les collections égyptiennes dans certains musées d'Italie donnent une impression d'abandon et de misère imputable, sans aucun doute, à la carence des autorités responsables.

Musée du Louvre.

Le Département des Antiquités Égyptiennes au Musée du Louvre contient, sans contredit, la plus intéressante des collections

(1) C'est au cours de ce voyage (3 juillet-3 octobre 1950) que j'ai pu, lors de mon séjour à Paris, présenter au Congrès des Etudes historiques ma communication : "La première architecture en Egypte", publiée dans les Annales du Service des Antiquités de l'Égypte, T. LI, p. 1-28. La seconde communication, n'ayant pas été inscrite au programme, n'a pu être lue et a comme titre : "Les premiers établissements chrétiens dans les tombes égyptiennes". J'ai pu visiter et étudier les monuments romains à Nîmes, Rome, Herculaneum, Pompéi.

d'ailleurs, à la prière du poète, honoreront ses noces et favoriseront son union.

Voilà comment Théorite conçoit Hélène ! Elle est, à ses yeux, une femme sans tache contre laquelle il ne profère aucune injure. Il en donne un portrait original, sans imiter aveuglément ses devanciers et sans tenir compte de jugement de ses contemporains sur la Tyndaride. Son Hélène est aussi belle qu'Aphrodite, aussi chaste qu'Artémis et Athéné qu'elle chante.

Lacédémoniennes, n'est à l'abri du reproche, si on la compare à la fille de Zeus" (1). Celle-ci, en effet, grâce à sa beauté incomparable est 'la parure de Sparte' (2). Le poète signale, ensuite, les autres qualités de la nouvelle mariée (3). Elle l'emporte sur toutes les femmes en filant la laine (4) et elle est d'une habileté remarquable à faire résonner la lyre (5). Ce talent de musicienne, Théocrite est le seul à le mentionner. Hélène est, ainsi, pour lui, l'épouse parfaite et la mère idéale qui met au monde une progéniture aussi belle (6) qu'elle. Comment cette beauté rare n'exciterait-elle pas la rivalité parmi des princes innombrables ? (7) N'est-elle pas digne de l'admiration des Dieux ? Certes ; ceux-ci,

(1) Théoc ; XVIII ; 20-25.

(2) Théoc ; XVIII ; 31.

(3) Que signifie cette expression—"nouvelle mariée"—14 ? A mon avis, elle veut dire qu'Hélène se marie pour la première fois ; ainsi elle n'a pas été enlevée par Thésée. Ce qui ne prouve pas que Théocrite ignorait cette histoire mais il la passe sous silence pour présenter l'épouse de Ménélas sous un jour favorable. Sans doute, le poète donne-t-il les détails du vers 3 (installer le jeune ménage dans un appartement neuf, etc...) pour accentuer cette idée. En effet, le mariage d'une vierge est, en Orient, célébré avec plus d'éclat et de gaieté que celui d'une femme deux fois mariée. Cf. Théoc ; Idy ; XII, 5.

(4) Homère ; Ody ; IV, 131 ; II ; VI, 127 et suiv.

(5) Théoc ; XVIII ; 35.

(6) Théoc ; Idy XVIII ; 50 ; Cf. Homère ; Ody ; IV, 14 ; "Elle avait mis au monde l'enfant charmante, qui avait la beauté d'Aphrodite". Chez Lucien, Dial. Des Dieux ; XX ; 13 ; c'est Hélène qui est semblable à Aphrodite. Voir, à ce propos, l'article de M. Chapouthier, dans Rev. Etuds. Anc. T. 42. 1940 (Mélanges Radet) — "Hélène sœur d'Aphrodite" pp. 59-63. L'auteur accumule les preuves de l'affinité entre les deux déesses. Cf. Grégoire (H) ; L'étymologie du nom d'Hélène, dans Bulletin de la classe des Lettres et des Sciences Morales et Politiques, T. 32 ; 1946 ; p. 255-256. Voir, aussi L'inscription incisée sur une minuscule coupelle d'or au Musée Égyptien au Caire, reproduite et commentée par M. Perdrizet dans les Annales du Service des Antiquités d'Égypte ; T. 36 ; 1936 p. 5-10.

(7) Les princes représentent, chez Théocrite, les prétendants ; Cf. Isoc ; Eloge d'Hélène ; 39 ; il les appelle θῆβαιες εἰ τότε βασιλεύοντες καὶ ἐυναστεύοντες.

réussit à donner une variante qui est tout à l'honneur d'Hélène. Sans prononcer un seul mot sur son enlèvement, ou sur ses autres aventures, il cherche seulement à la peindre comme une femme parfaite et une épouse idéale. Dans l'Iliade et dans l'Odyssée, comme nous l'avons noté, Hélène est présentée sous un jour favorable; pourtant Homère nous laisse deviner une certaine réticence. Quand l'héroïne se prodigue à elle-même des reproches, quand, se souvenant de son noir passé, elle s'accuse sévèrement, cela nous porte à croire que le poète, doutant de l'innocence de cette femme, n'arrive pas tout à fait à l'absoudre malgré ses bonnes intentions et son habileté artistique. Gorgias⁽¹⁾, lui non plus, ne tait pas les honteuses aventures d'Hélène; il reconnaît, avec les accusateurs, les fautes de la Tyndaride, seulement il s'applique à la défendre, et toute sa thèse repose sur cet argument: la fille de Zeus fut une victime du destin; elle n'est pas coupable parce qu'irresponsable. Néanmoins quand le sophiste fait mention de ses crimes, leur rappel laisse dans l'esprit du lecteur une impression fâcheuse. De même, l'éloge d'Isocrate n'est pas très heureux. Bien que le rhéteur la mette au rang des dieux, il ne peut passer sous silence les erreurs qui entachent la vie d'Hélène.

Théocrite, au contraire, ne lui reproche rien et son poème tout entier est une glorification de la fille de Leda. A l'occasion de son mariage avec le jeune Atride, il la comble de louanges. Il commence par signaler sa filiation divine dont Ménélas est fier—Ζαυός⁽²⁾ τοι θυγάτηρ ὑπὸ τῶν μίαν ἴκετο χλαῖναν—XVII. 19. Puis, vient la description de sa beauté si merveilleuse qu'elle éclipsé toutes les autres femmes: "Parmi toutes les Achéennes, il n'est pas une autre pareille à Hélène, aucune des splendides

(1) Gorgias; Eloge d'Hélène; 20.

(2) Parfois le poète l'appelle aussi 'La Tyndaride'; la fille de Tyndare, son père putatif; Idy; XVIII. 5; XXII, 216. Quant à sa mère, le poète ne la nomme jamais. N'est-ce pas pour s'éloigner des versions confuses sur ce point?

de Stésichore. Aussi est-il possible que Théocrite, en écrivant ces vers, ait seulement voulu déployer son érudition ; et s'il insiste sur les honneurs rendus à la Tyndaride, c'est que la jeune épouse de Ménélas⁽¹⁾ n'est pas une femme quelconque. Le poète n'oublie pas qu'il chante une déesse mais, selon son habitude, il s'efforce de se maintenir le plus possible dans le domaine de la vraisemblance. Il s'attache trop aux personnages simplement 'humains' pour s'égarer dans l'histoire obscure des origines rituelles. Si l'on compare, en effet, son épithalame au discours d'Isocrate sur Hélène (de qui il s'inspire peut-être), on constate facilement la différence énorme entre la conception des deux écrivains : l'un idéalise Hélène comme épouse, l'autre la divinise. Ainsi rien ne nous autorise à accepter la thèse de Kaibel et à affirmer que le souci dominant de Théocrite dans cette idylle était de révéler les origines du culte spartiate d'Hélène Platanitis. Une telle constatation serait injustifiée, car l'aitiologie ne fut pas une manie de notre poète, comme elle fut celle de beaucoup de ses contemporains⁽²⁾.

A notre avis, il prend plaisir tout simplement à composer un chant, plein de grâce et de fraîcheur en l'honneur d'une jeune mariée qu'il s'efforce de rendre aussi attachant que possible. Il laisse donc de côté tous les autres épisodes de la vie d'Hélène comme s'il les ignorait et choisit intentionnellement le jour de ses noces pour la parer de toutes les qualités et de tous les attraits. Rien, d'ailleurs, ne nous offre, sur ce point, une preuve plus solide que l'analyse de la légende d'Hélène présentée par lui dans l'idylle XVIII.

Bien que la fable ait été maintes fois traitée auparavant, Théocrite la présente d'une façon toute nouvelle. Il s'inspire des traditions anciennes mais il ne les suit pas servilement. Il

(1) Remarquons que Ménélas n'est point le guerrier farouche d'Homère mais un mari délicat digne d'une pareille femme. Il ne pense qu'au plaisir et au repos. v. v. 10 et suiv.

(2) Legrand ; *La Poésie Alexandrine* ; Paris, 1924 ; p. 57.

Mais c'est dans la construction du premier vers que Kaibel croit trouver la preuve la plus solide à l'appui de sa thèse. Le (ara) de ce vers, pour lui, se rattache nécessairement à quelque chose de sous-entendu, ce quelque chose, il le restitue ainsi "Ich will euch erzählen, warum alljährlich spartanische Mädchen ander heiligen Platae einen Kranz weihen ein Opfer darbringen. A Sparte donc...". Ainsi il conclut que l'ensemble du poème fut composé pour révéler des détails aitiologiques.

Cette thèse n'est pas, pourtant, irréfutable⁽¹⁾. Tout d'abord, la supposition concernant (āra) n'est pas plausible. Nous savons, en effet, que les Alexandrins ne craignaient pas de donner à leurs œuvres une apparence fragmentaire⁽²⁾. Plusieurs de leurs poèmes montrent, en outre, qu'ils sont composés à la suite d'une conversation de l'auteur avec un ami ou qu'ils se rapportent à un événement précédent⁽³⁾. "Donc (āra)—Eh bien oui—signifie tout au plus que l'épithalame fait suite à une demande auparavant adressée à Théocrite pour qu'il traite ce sujet"⁽⁴⁾. Signalons encore qu'aucun des poèmes de Théocrite ne témoigne de préoccupations aitiologiques. En effet, en traitant les mythes d'Hylas⁽⁵⁾, Des Dioscures⁽⁶⁾ et d'Héraclès⁽⁷⁾, le poète ne dit pas un seul mot de leur culte et ne fait qu'une rapide allusion à leur divinisation. Quant aux détails des vers (43-48) les seuls vers qui, à la rigueur, dénotent quelque intention aitiologique—ils sont, peut être, les traces des lectures érudites que le poète a faites dans un ouvrage spécial sur les antiquités de Sparte, comme celui de Sosibios⁽⁸⁾ ; ou bien il les puise, probablement, dans l'Hélène

(1) Voir Legrand ; Etude sur Théocrite ; p. 80 ; Becker ; Helena, Ihr. Wesen... p. 101.

(2) Legrand ; Buc. Grecs ; T. I ; p. 158.

(3) Les idylles XI, XIII sont présentées comme faisant suite à une conversation que Théocrite aurait eu avec son ami Nikias.

(4) Edmonds ; The Greek Bucolic Poets ; p. 223.

(5) Idy ; XI.

(6) Idy ; XXII.

(7) Idy ; XXIV.

(8) Legrand ; Buc. Grecs ; T. I. p. 158.

d'Hélène et pour en expliquer les origines. Pour confirmer sa thèse, il donne les arguments suivants. Quand le poète choisit Sparte, contrairement à la tradition commune ⁽¹⁾, pour y installer Ménélas auprès de son beau-père, il se prépare à son sujet essentiel. Il n'omet aucun détail, pour donner au lecteur cette impression qu'Hélène est liée à jamais à Sparte : quand il dit par exemple que la femme du jeune Atride et ses compagnes se baignent dans les ondes de l'Eurotas ⁽²⁾ et qu'elle chante Artémis et Athénée, comme deux divinités lacédémoniennes ⁽³⁾. En outre, quand les jeunes filles célèbrent, avec tant de vénération, l'hymen de leur compagne, le critique prétend qu'elles inaugurent un culte qui sera, plus tard, instauré en l'honneur d'Hélène, divinité spartiate. Il est vrai que la jeune épouse est l'objet d'une attention et d'un respect exceptionnels : " Les premières, chantent les jeunes filles, avec le lotos qui pousse tout près de terre, nous, quatre fois soixante ⁽⁴⁾ vierges, tresserons en ton honneur une couronne, et nous l'irons suspendre à un platane ombreux... Et une inscription sera gravée sur l'écorce pour être lue du passant, à la mode doricienne ⁽⁵⁾ : Honore-moi, je suis l'arbre d'Hélène ".

(¹) La tradition courante plaçait les noces d'Hélène à Amyclée. Théocrite suit une autre version; Cf. Isocrate; *Eloge d'Hélène*; 39.

(²) Théoc; XVIII, 23.

(³) Kaibel; *Hermes*; T. 27; p. 253; pense qu'Hélène, chez Théocrite, chante Artémis Orthosia et Athéné Chalkioikos, divinités spartiates. Pourtant, il n'y a rien dans le poème qui confirme cette idée. Il est possible que le poète les honore simplement comme déesses vierges. Voir, Legrand; *Etude sur Théocrite*; p. 48, note 3.

(⁴) Ce nombre, selon Kuiper (M), cité par Legrand; *Buc. Grecs*; T. I. p. 161 note 3, contiendrait des références précises à l'organisation de la jeunesse féminine lacédémonienne. D'autres détails témoignent, en effet, de la précision—v. v. 7-8—où le poète, avec intention, note cette façon de danser propre aux Spartiates qui "écartent les jambes pour faire de grands pas".

(⁵) Que faut-il entendre par ce mot, "à la mode doricienne"? C'est l'invitation à rendre un culte à cet arbre, l'élévation de cet arbre à la dignité d'objet sacré; Cholmeley; *Theocritus*; p. 325.

poèmes⁽¹⁾, mais lui consacre aussi une de ses plus charmantes⁽²⁾ idylles intitulée, *Epithalame d'Hélène*.

Ce petit poème a déjà été l'objet de multiples discussions. Au point de vue littéraire, quelques érudits⁽³⁾ trouvent qu'il a été inspiré de l'Hélène de Stésichore et des épithalames de Sapho ; d'autres⁽⁴⁾ croient, peut-être à tort, qu'il est rempli de comparaisons empruntées au 'Cantique des Cantiques'. Mais comme d'une part, il nous est difficile, faute de documents, de contrôler ces allégations et comme, d'autre part, nous n'avons pas à aborder ce problème dans un article sur la mythologie, il nous suffit d'étudier la légende telle que la présente Théocrite dans l'œuvre qu'il nous a laissée.

L'épithalame a soulevé aussi un autre débat qui reste ouvert et sur lequel on n'a pas encore fait la lumière. Il a été question de savoir si Théocrite n'avait eu qu'une seule préoccupation : révéler les origines du culte d'Hélène Platanitis⁽⁵⁾ ou bien s'il avait écrit son poème simplement pour chanter la fille de Lédä, comme l'épouse parfaite de Ménélas (en ce cas là le développement aitiologique des vers 43-48 n'est qu'un épisode dans la pièce).

M. Kaibel⁽⁶⁾ soutient la première thèse. Cette pièce, dit-il, a été écrite pour commémorer l'institution à Sparte du culte

(1) Théoc. Idy. XV : 110—Hélène est considérée comme le symbole de la beauté.

(2) Becker ; Helena ; Ihr Wesen und Ihre Wandlungen p. 100. "Besitzen wir ein reizvolles gedichten; ein Idyll des Syrakusaners Theokrit, mit dem Titel—'Ελένης ἐπιθαλάμιος—Idy. XVIII.

(3) Sch. Theoc. Idy. XVIII ; Argument ; Cf. Kaibel ; Hermes ; 1892. T. 27 ; p. 258-259.

(4) Cette thèse paraît absurde ; elle ne fut jamais soutenue sauf dans l'ouvrage bien vieux de M. S hoell : Histoire de la littérature grecque profane, Paris, 1824 ; T. III, p. 146 et suiv.

(5) Pausan. III. 19.10—il y avait à Rhodes un ἱερὸν Ἑλένης Δευδρίτιδος, cf. Paus. III. 15.3. Il y avait à Sparte un hiéron d'Hélène auprès d'un bosquet d'arbres appelé Platanistna.

(6) Kaibel ; Hermes ; 1892 ; T. 27 ; p. 255.

II. — HÉLÈNE, DANS L'ŒUVRE DE THÉOCRITE

Avant d'étudier l'Hélène de Théocrite, nous estimons utile de montrer comment les Alexandrins ont conçu la fable de l'Argienne⁽¹⁾. D'après ce qui nous reste de leurs œuvres, nous pouvons constater qu'à l'époque hellénistique, comme à la période classique, les poètes furent divisés au sujet d'Hélène : les uns la diffamèrent, les autres la portèrent au pinacle.

Lycophron, dans *Alexandra*, reprend à plusieurs⁽²⁾ reprises le thème de son rapt par Pâris, pour l'avilir toujours. Il l'appelle la chienne de Pephané⁽³⁾ et la méprise profondément. Pour lui, elle est une femme légeré⁽⁴⁾ et voluptueuse à qui il reproche ses unions successives⁽⁵⁾. Le poète aussi bien que son collègue, Callimaque, la considère comme responsable de la guerre de Troie⁽⁶⁾. Aux yeux d'autres Alexandrins⁽⁷⁾, la fille de Zeus reste, cependant, l'idéal de la beauté ; ils la chantent, mais, à vrai dire, dans des passages très courts. Parmi ceux dont les poèmes nous sont parvenus intacts, Théocrite est le seul qui, non seulement, vante Hélène et admire sa beauté, dans plusieurs

(1) Epithète employée par Homère ; *Ody* ; XXIII. 218 ; et Lycoph ; *Alexand* ; 850 ; pourtant Hélène était de Sparte non d'Argos mais Hésychius explique *Argia* par *Peloponnesia*.

(2) Lycoph ; *Alexand* : son enlèvement par Pâris ; 86 et suiv ; Protée, à son tour, l'enlève à Pâris ; 110 et suiv. Le crime de Pâris appelle les Grecs à la vengeance ; 180 et suiv.

(3) Pephané est un cap de Laconie où s'embarquent Hélène et son ravisseur ; v. 87 ; Cf. *Alexand* ; 104-105. Chez Euripide, le vieux Pélée l'appelle "une chienne traîtresse", *Androm.* 627.

(4) Eschyle ; Agamem ; 799-802 ; traite Hélène d'immodique ; elle est née, en effet, dit-il, pour perdre les vaisseaux, des hommes et les villes ; 685 et suiv.

(5) Lycoph ; *Alexand* ; 146 *Pentagamba* ; Cf. 104-105. Les cinq maris sont : Thésée ; Ménélas ; Pâris ; Dôiphobe et Achille. Eschyle ; Agamem ; 62 ; Hélène est appelée *poluânôr*.

(6) Lycoph ; *Alexand* ; 180 et suiv ; Callim ; *Hym* ; III. 232 ; Esch ; Agamem ; 1454-56.

(7) Moschos ; III. 78 ; *χὼ μὲν* (Homère) *τυνδαρείοι καλὸν αἶσα θύγατρα*, Cf. Bion ; II. 10 ; Idy ; XXVII. 1.

discours, il insiste sur sa race divine. " Elle est la seule femme dont Zeus consentit à être appelé le père (16) ; il la dota d'une beauté digne d'attirer tous les regards à la ronde et capable de susciter de grandes rivalités " (1). Une telle beauté méritait, selon Isocrate, d'être divinisée. Sa puissance, dit-il, fut égale à celle des dieux (2). Elle commença par introduire au rang des divinités ses frères et ensuite son mari à cause des souffrances qu'elle-même lui avait infligées (3). Son pouvoir s'étendait encore plus loin puisqu'il lui fut possible de châtier Stésichore (4) qui l'avait offensée. Aussi comme elle était capable de punir et de pardonner, fallait-il l'apaiser et l'honorer par des offrandes, des sacrifices et par les supplications habituelles (5). Cette femme merveilleuse ne subit donc pas la destinée des mortelles. La vieillesse ne peut la flétrir, le temps n'ose point l'attaquer. Elle remonte au ciel auprès de son père auguste, et devient ainsi l'objet d'un culte fervent (6).

(1) Elle était d'une beauté rare ; Thésée l'enleva même avant qu'elle fût nubile. Voir Plut. Vies ; Thésée, 31 où il nous donne les diverses variantes sur cet enlèvement. Selon Diodore, elle avait, alors, dix ans ; IV. 63 ; ou 7 ans selon Hellanikos, frag. 74 ; ou 12 ans selon Apollod. L. 23. Quant à ses prétendants, ils sont 29 selon Apollod. III, 10.8 ; 38 selon Hygin ; fable 81 ; innombrables (mille) selon Ovide ; Héroïdes ; Hélène à Paris, 105 et suiv. Euripide ; Hélène, 99 ; nomme Achille parmi ces prétendants ; Cf. Lycoph. Alexand. 172. Il s'agit d'Achille comme cinquième mari d'Hélène.

(2) Isocrate ; Eloge d'Hélène ; 61-64 ; Cf. Hérodote ; VI ; 61.

(3) Isocrate ; Eloge d'Hélène ; 63.

(4) Isocrate ; Eloge d'Hélène ; 64 ; Cf. Ibid ; 65 ; elle apparaît à Homère en lui demandant de composer un poème sur la campagne de Troie.

(5) Isocrate ; Eloge d'Hélène ; 66.

(6) A Sparte nous voyons son culte nettement constitué. Il y avait dans la ville un hiéron consacré à Hélène, près du tombeau d'Alcman ; Paus. III 15.3. A Therapnae on l'adorait dans un temple où son tombeau se trouvait à côté du tombeau de Ménélas ; Paus. III. 19.9. Pindare y place aussi les tombeaux des Dioscures ; Pyth ; XI. 95 ; Cf. Isoc. : Eloge d'Hélène ; 63. Pour son culte dans le monde entier ; voir Chapouthier ; Les Dios. au Ser. d'une déesse ; p.p. 144 ; 147 ; 148.

Voilà la légende telle qu'Euripide la conçoit dans sa tragédie (Hélène). L'héroïne n'y est pas seulement ⁽¹⁾ réhabilitée mais, à la fin de la pièce, elle est aussi admise au partage des honneurs divins ⁽²⁾. Le poète dans cette Palinodie ⁽³⁾, pour ainsi dire, répare son erreur de ne pas avoir ménagé Hélène dans les Troyennes ⁽⁴⁾ et l'Oreste ⁽⁵⁾.

La poésie n'est pas seule à absoudre l'épouse de Ménélas ; mais celle-ci trouve même en deux rhéteurs, Gorgias et Isocrate, de fervents défenseurs.

Le premier ⁽⁶⁾ déploie tout son talent d'avocat pour l'acquitter. A toutes les attaques dont Hélène a pu être l'objet, il répond qu'elle est innocente. Le second, dans son éloge d'Hélène la glorifie et l'élève même au rang des Dieux. Dès le début de son

(1) Euripide ; Hélène ; 1506-1511 : la lave de la honte d'un lit barbare.

(2) Euripide ; Hélène ; 1666 et suiv.

(3) Notons le rapport entre cette version et le passage de l'Odyssée ; IV. 85. Hélène et Ménélas à leur retour de Troie, jetés par une tempête sur la terre d'Egypte, y séjournent un certain temps. Selon Hérodote ; II. 112 et suiv ; Hélène reste avec Paris seulement pendant la traversée ; une tempête la jette en Egypte, où elle est retenue par Protée et où Ménélas la retrouve après la prise de Troie. On retrouve cette histoire dans l'Oreste ; 1611 et suiv ; Lycoph. Alex. 142 et suiv.

(4) Dans cette pièce, le poète rabaisse l'héroïne au rang d'une adultère vulgaire, craignant fort la colère de son mari qui, du reste, la traite assez durement (v. 1040) et s'efforçant de se disculper avec une odieuse impudence (915). Sénèque, dans son imitation d'Euripide (Les Troyennes) donne à Hélène à peu près le même caractère que lui avait donné le poète grec, mais en l'outrant au delà de toutes limites. Remarquons, à ce propos, qu'en général le nom d'Hélène ne reveillait guère chez les Latins que des idées de libertinage ; Cf. Horace ; Satires ; I. 3. 107 ; Ovide, Ars. Amat. II. 359 ; III. 255.

(5) Euripide l'insulte d'abord lorsqu'elle rentre de nuit dans Argos mais bientôt le charme d'Hélène arrache un cri d'envie à Electre ; 126 et suiv. Cf. ; Lucien ; Hist. Verit. ; II 26 ; lui aussi ravalait la Tyndaride quand il parle de sa fuite avec un certain Cinyre. Ménélas les poursuit et leur fait subir un châtiment infamant.

(6) Gorgias, Eloge d'Hélène ; Voir Chapouthier ; Les Dioscures au Service d'une déesse ; p. 135.

avancée" (1) ; il n'a pas laissé à ses successeurs d'autre alternative que de s'inspirer de lui et l'imiter ou de faire moins bien en voulant faire autrement. Les uns suivirent sa tradition et comblèrent Hélène de louanges ; les autres, en s'en écartant, s'égarèrent dans des fictions sans agrément. C'est ce qui est arrivé à Stésichore.

Un jour le poète d'Himère, dans les premiers vers d'un chant, lança quelques paroles impies contre Hélène ; il fut frappé de cécité, puis, lorsqu'il eut connu la cause de son malheur et qu'il eut composé ce que l'on appelle la *Palinodie*, il recouvra la vue. Cette fable (2) fut, sans doute, un ingénieux avertissement donné aux poètes de ne pas flétrir dans leurs vers la gracieuse création d'Homère. Ainsi la mémoire d'Hélène devient une chose sainte ; il est défendu d'y toucher. Même si l'on ne suit pas la tradition épique, les innovations apportées ne doivent pas diffamer la fille de Zeus. Aussi trouvons-nous une nouvelle version (3) qui absout entièrement Hélène. Selon cette variante (4), le fantôme d'Hélène seul avait suivi Paris à l'intérieur des murs de Troie tandis que la véritable épouse, cachée en Egypte, attendait l'arrêt du destin. Pendant toute la guerre, elle vécut chaste et pure, confiée à la protection du sage Protée. Après la mort de celui-ci, elle fait tout pour se soustraire aux instances du jeune prince, Théoclymène, qui veut l'épouser ; et reste jusqu'au bout digne de Ménélas. Ce dernier, à son retour de la guerre, aborde en Egypte, y retrouve Hélène et celle-ci, pour s'échapper avec lui, imagine un artifice qui réussit à merveille.

(1) Chassang ; *Le Spiritualisme et l'Idéal dans l'art et dans la poésie des Grecs* ; Paris 1868 ; p. 157.

(2) Isocrate : *Eloge d'Hélène* ; 61 ; (cf. Platon ; *Phèdre*, 243 a. Voici le fragment connu de cette *Palinodie*, cité d'après Platon :

οὐκ ἔστι τέτυκτος λόγος οὗτος / οὐδ' ἔβας ἐν νηυσὶν εὐσετέλοισι οὐδ' ἔειο Πάργαμα Ταιοίαις.

(3) Il s'agit de *La nouvelle Hélène* d'Euripide, ainsi appelée par Aristophane. Dans cette pièce, Euripide ce misogynne, qui partout ailleurs s'est acharné contre Hélène, Androm ; 103 ; Hécube ; 264 ; Elect, 479 ; Oreste, 518, — réhabilite le personnage de la légende homérique.

(4) Eurip. ; *Hélène* ; 16-65.

et touchante sa plainte ! "Jamais de toi, je n'ai entendu un mot méchant ou amer ; et si quelque autre personne dans le palais, me blâmait, ...toi parlant en sens contraire, tu la retenais, par ta douce sagesse et tes douces paroles. C'est pourquoi je pleure sur toi" (1). Comme toute grande âme, elle reste sincère et reconnaissante, même dans le malheur et dans l'affliction.

Dans l'Odyssée, Hélène est présentée sous un jour aussi favorable et sa situation est même enviable (2). Nous la voyons revenue au foyer de son premier époux, honorée et respectée, à l'égal de la plus chaste épouse (3). Lorsqu'elle descend à l'arrivée de Télémaque, tous les regards se tournent vers elle. Adrasté lui avance une chaise bien ouvragée ; Phylô lui présente une corbeille d'argent remplie de fils merveilleux et place entre ses mains une quenouille chargée de laine violette, symbole de l'épouse honnête et laborieuse au foyer grec (4). La vertueuse Pénélope même défend Hélène car "assurément, dit-elle, c'est un dieu qui lui inspira l'infâme désir ; mais son cœur n'avait pas le premier conçu l'idée de la faute funeste" (5).

Pour Homère, Hélène est donc une femme fidèle, innocente (6) qui "souhaitait toujours revenir en sa maison et qui regrettait l'aveuglement dont Aphrodite l'avait frappée quand elle l'avait conduite à Troie, loin de sa patrie, laissant derrière elle sa fille, sa chambre et son époux" (7). En traçant ainsi cette figure divine, "le poète a surpassé pour la grâce et le charme bien des écrivains d'époques plus récentes et de civilisation plus

(1) Il. XXIV ; 767 et suiv.

(2) Il faut faire exception des mots durs que le porcher Eumée prononce contre elle ; Ody. XIV 68-69.

(3) On la compare à Artémis même ; Ody. IV. 122. ἤλαθεν, Ἀρτέμιδι χρυσηλακάτῳ εἰκυῖα.

(4) Théoc, Idyl. XXVIII ; 14.

(5) Ody. XXIII ; 222-223.

(6) Becker ; Helena, ihr Wesen und ihre Wandlungen... Leipzig, 1939 ; p. 28.

(7) Il. III ; 171 et suiv.

pense à sa destinée passée, elle a horreur de la passion funeste qui l'a jetée sur une terre étrangère⁽¹⁾. Elle reconnaît sa faiblesse devant les aveugles enivrements de l'amour⁽²⁾ ; elle s'en accuse sévèrement et se prodigue à chaque instant maintes injures⁽³⁾. Elle a honte d'elle-même pour avoir répandu l'infamie sur ses frères, Castor et Pollux. Ne les voyant pas parini les guerriers grecs, elle s'écrie du haut des tours ; "Ils n'osent paraître dans la mêlée, retenus par l'honte dont s'est couverte leur sœur"⁽⁴⁾. Cependant Ménélas, son premier mari, ne fait aucune allusion qui porte à croire qu'il se considère comme offensé par elle. C'est Pâris seul qui est coupable, à ses yeux ; Pâris qui a violé l'hospitalité, qui a ravi son épouse⁽⁵⁾. Les Troyens, dont elle ravage les foyers et dont elle décime la jeunesse, eux aussi, l'entourent de respect et d'admiration ; "Viens ici, ma fille", lui dit Priam, "assieds-toi... Pour moi, ce n'est pas toi qui es coupable, mais les dieux, qui ont excité contre moi cette déplorable guerre achéenne"⁽⁶⁾. Et les vieillards de Troie, assis aux portes Scées, se lèvent devant elle et murmurent à voix basse⁽⁷⁾ :

Οὐ νέμεσις Τρώας καὶ ἑοκνήμιδας Ἀχαιοὺς
Τοιγὰρ ἄμφι γυναικὶ πολὺν χρόνον ἄλγεα πάσχειν.

Encore une fois, au dernier chant de l'Iliade, Hélène reparaît, gémissant et se lamentant sur le cadavre d'Hector—quelle est douce

(1) Homère ; Il. III. 171 et suiv ; 189 et suiv.

(2) Homère ; Ody ; IV ; 262 ; Il ; III. 172.

(3) Homère ; Ody ; IV ; 145.

(4) Homère ; Il ; III. 239 et suiv ; Cf. Eurip. Hélène ; 142.

(5) Homère ; Il ; III. 29 ; 351-354. Cf. ; Il. XIII, 626 où il s'agit du rapt d'Hélène et du vol d'une partie du trésor des Atrides ; Cf. Eschyl. Agamem. 531-535 ; Eurip. Hélène ; 691. Ménélas parle ainsi : "ὦ πᾶν κατ'ἄκρας δῶμ' ἔμῳ πρὸς Πάρις, / τόδε καὶ σὲ διώλεσε μυριάδας τε χαλκῆσιν Δαναῶν."

(6) Il. III. 162 et suiv ; Eurip. Hélène ; 1660-1661. Voir, Krappe ; (A.H.) ; Mythologie Universelle ; p. 296. L'auteur pense que la guerre de Troie était une guerre commerciale et capitaliste qui n'avait rien à faire avec l'enlèvement d'Hélène.

(7) Il. III. 156 et suiv.

ABSOLUTIO HELENÆ

PAR

Dr. KHAFAGA (M.S.)

"..... Φήμας δ' ἡ τάλαινα Τυνδαρις
ἄλλως κακὰς ἤκουσεν οὐδὲν αἰτία"

Euripide ; Hel ; 614- 615.

I

D'après les œuvres grecques qui nous sont parvenues, nous savons que les auteurs diffèrent entre eux en ce qui concerne Hélène. Les uns la représentent comme le type de la perversité morale, et la couvrent d'opprobres ; les autres la mettent au dessus de toutes les femmes de tous les temps et chantent sa fidélité et sa noblesse. Quant à nous, nous consacrerons notre article seulement à la fille du Cygne qui, dès sa naissance et jusqu'à son apo théose, reste pure et chaste.

Dans les poèmes homériques, Hélène est noble, sérieuse et imposante ; le poète l'entoure souvent de respect. Ni dans l'Iliade, ni dans l'Odyssée, Homère ne s'explique nulle part sur la manière dont a eu lieu son enlèvement par Pâris (1) ; ce qui est déjà favorable à Hélène. Car l'imagination reste libre de se représenter le rapt à son gré. D'autre part, le poète personnellement ne prononce pas un mot pour blâmer Hélène. C'est elle qui se fait à elle-même beaucoup de reprochés (2). Quand elle

(1) La fuite d'Hélène avec Pâris est ordinairement représentée chez les poètes comme une infidélité volontaire d'Hélène. Cf. Eschy ; Agamem ; 803-804 ; Eurip ; Troys ; 1036 et suiv ; Lycoph ; Alexand ; 88 et suiv. D'après d'autres traditions locales, Hélène avait été poursuivie par Pâris et enlevée par lui pendant qu'elle chassait sur le mont Parthénios. Voir Decharme (P.), Mythologie de la Grèce Antique, p. 613.

(2) Elle se donne à elle-même le nom de κύν, κυνῶπις ; Il. II 180 ; Ody. IV, 145. Cf. Lycoph ; Alexand ; 859 "La chienne d'Argos"

A was correct and that *B* would have to hand over his land for cultivation by *A* for another two crops.

Example 3:

There has been a dispute about the boundary on the land between two individuals. As it was an attempt by one of the parties to illegitimately acquire more land than his share, it was easy to show the accused party that they had no right and that the boundary was really visible on the ground.

The question then arose over some young date trees which had been planted on or near the boundary. The Sheikh who happened to have been a Sahib Al Ada and who resigned this office on being appointed Sheikh, announced the law and this was accepted without dispute by both parties.

The law was that no one without leave of the other party may plant date trees within seven diraa⁽¹⁾ of the common boundary and if one party planted on the boundary then the other can retaliate by doing the same, shatl for shatl⁽²⁾.

The reason is perfectly sound, as of course eventually when the shatl grows into a clump of trees, it will shade a considerable portion of the ground owned by the other party and also benefit by the watering given to the ground by the other party.

(1) A diraa is equal to 58 cms.

(2) A shatl is here an offshoot of a palm tree.

customs involved, *e.g.* the weaker party's contribution to the actual wheel, the bulis, labour, etc., apart from the weaker party's known share in the land. The value involved would probably be beyond the jurisdiction of the village court.

If one having obtained the amount of damage as outlined above gives a decision for that amount, there is no legal support for one's action should execution be necessary (unless the cumbersome method of treating it as a civil suit is adopted which entails collection of fees, registration of the suit, etc.).

Example 2.

It is common, in the Northern Province of the Egyptian Sudan, that the holding in the land is so small that it is insufficient for the support of its owner, therefore two or more people similarly situated band together and agree that only one of them should cultivate all their land for one or for a series of crops.

In the present instance "A" owned three times as much as B, but B cultivated A's land for a period longer than that originally agreed at between them.

A came to the District Commissioner claiming possession and compensation for his land. The District Commissioner referred them to the Sahib Al Ada whose decision was that if B had in fact done so then A was entitled to cultivate B's land for three times as long as B had cultivated A's land over and above the agreement, or alternatively B was to pay 90 piastres as compensation.

An excellent and clear decree but unfortunately the decision did not state that B had in fact done as A alleged, so, of course, the matter cropped up again in a few months. After A had one crop off B's land, A claimed the 90 piastres and alleged that B was no longer going to allow him to cultivate B's land in accordance with the decision of the Sahib Al Ada.

Unfortunately for B the decision of the Sahib Al Ada was sent to the Omda to report on it and the answer came back that

decides the proportion due to each; but frequently the former has to be called in to decide the actual plot or tree allotted to each individual.

Land thickly planted with date trees being less valuable than more open land and the heir to many date trees usually tries to wrangle to get land elsewhere than at the foot of his date trees.

A few examples of recent decisions given by the Sahib Al Ada may be of interest as instances of native custom and the fairness of the law.

Example 1.

It sometimes happens that the party who is working one water-wheel only is formed up of different partnerships, one being much stronger numerically than the others.

The stronger party decides to take the wheel to another Sakia where they have land and the weaker party has not. This, of course, means that the weaker party loses his means of livelihood, as he has neither sufficient cattle nor the means to purchase a wheel with which to carry out the agricultural work on his own land.

He went to the District Commissioner, but he referred him to the Sahib Al Ada whose decision was that the stronger party could not break away suddenly without due notice to the weaker⁽¹⁾ and that the stronger party should be forced to continue working with the weaker party.

But in this case, there is no body who would ever force the stronger party or persuade him to carry out the decision, unless the weaker party raises a civil suit for damages should the stronger party disregard the judgment of the Sahib Al Ada.

The damage undoubtedly exists and the only question for determination is the amount of damage. This amount would, of course, have to be fixed by a native board, one of the members of which would be the Sahib Al Ada, as there would be native

(1) The period fixed was a year.

ground and his direct contact with government officials is slight, but once an affair comes within his jurisdiction, the only thing which could reverse his decision would be for one of the parties to prove by means of another "Sahib Al Ada" that the decision was bad law.

In Dongola his work is always entirely confined to the customs connected with the cultivated land and date trees. These vary slightly in different localities and so one must be prepared to find a slight difference in detail though the basic principles are the same. I have not heard of any instance of the Ada being consulted over personal relations and seeing that the Mohammedan Court is always within easy reach it is not likely to be invoked in these cases.

The official contact with "Sahib Al Ada" comes of course from a dispute, usually over the working arrangements of the Sakia and the cultivation of the land.

Since the cultivation of Sakias has gone on for thousands of years, there is really no "new" complaint possible and there is bound to be some custom which fits the situation.

The decisions of the "Sahib Al Ada" are generally far better expressed than any opinion or report given by an Omda or Sheikh, though the clerk of the former—if the Sahib Al Ada himself is illiterate—is no better educated than the latter's. The Sahib Al Ada more than once has given a decision shown up as follows: "If the facts are *A*, *B*, and *C*, then the decision is *D*".

In Dongola Province the register of ownership only indicates what fraction of the whole land each individual owns, the people themselves being left to decide who owns what is on the ground and where. The "Sahib Al Ada" is frequently required to settle this. The Samad of the Sakia normally settles what crops are grown and where, the appeal against his decision being to the Sahib Al Ada.

The Sahib Al Ada is also in great demand when the division of an estate is being made among the heirs. The "Kadi" or judge

SOME OLD CUSTOMS IN THE NORTHERN PROVINCE OF THE EGYPTIAN SUDAN (SAHIB AL ADA)

BY

M. MITWALLY

In the isolated areas of the world, the present-day communities lead a sort of conservative life in which they retain much of their old customs and usages. In the Northern Province of the Egyptian Sudan which is one of the most isolated places in the Nile Valley, the Nubians in general and the Danagla in particular still lead a life quite similar to that of the Middle Ages, notwithstanding the fact that Dongola is now connected with Khartoum with telegraph and telephone and that there is a weekly service of Nile boats and railway trains linking it with Khartoum.

One of the main features of this primitive life is that disputes which arise amongst the people are generally settled by local men according to "Ada" or local customs.

The "Sahib Al-Ada" is a prominent figure in this community and to him are still referred all cases that have to be judged according to "Ada".

"The Sahib Al Ada" is elected or appointed by the people of the village. Sometimes he may be elected for two or more adjacent villages.

The qualifications are integrity and thorough knowledge of the local customs or "Ada". His remuneration is "Nil" and his executive authority is public opinion.

Sahib Al Ada is by far the most important person in the Dongola village community. He remains much in the back-

The impression that the Old Attic Comedy was originally a comedy of manners and that the political comedy of Aristophanes and Eupolis was only a divergence from the normal trend is demonstrated by the nature of the old comedy itself after the defeat of 404 B.C. which bent the Athenian comedians' steps towards the natural and beaten track of the art. The divergence began with Aristophanes himself in the *Ecclesiazusae*. It was clear in the *Plutus*, *Caculus* and the *Aiolosikon* as Platonius testifies⁽¹⁾.

Körte⁽²⁾ is of the opinion that Platonius was wrong because Cratinus' fragments 144 K. and 145 K. convince him by their metre that they came from choric songs. As for fragment 144 K. he tends to believe that it came from a parabasis. Fragments 144 K. and 145 K. are in anapaests. There is no compelling evidence that anapaests were always sung. Fragment 146 K. is so corrupt textually that it can not be scanned at all⁽³⁾.

Kaibel⁽⁴⁾ believes that the lack of chorus mentioned in Platonius refers to the *Aiolosikon* and the Middle Comedy only. It is evident that Platonius mentions the *Aiolosikon* and the *Odyssees* in the same breath, and we cannot make his remark refer to the one and not the other.

The Old Comedy then included, apart from the political comedy, mythological burlesque, comedy of manners, and comedy of character. These were most probably indebted to Epicharmus.

(¹) Cf. *supra* p. 77, note 5.

(²) *R. E.* XXII, col. 1652.

(³) *Frag.* 146 K.

οὐκ ἰδίᾳ τὰδ' οὐκέτιν θοι τ' ἀπὶ Χαριζένης.

is rendered by Kaibel (*op. cit.* p. 81) thus:

οὐκ ἴδι' ἄττ', ἀλλ' οὐκέτ' ὄνθ' οἷα τ' ἀπὶ Χαριζένης.

(⁴) Cf. *Hermes*, XXX, 1895, p. 75.

If we assign Aristophanes and the whole stock of the political comedy to its proper place in the history of comedy as a digression from the normal trend inspired by the peculiar and political life of Athens of the fifth century we can get a glimpse of other types of comedy contemporaneous with the political comedy, and could have been influenced by Epicharmus.

Cratinus⁽¹⁾ who lies chronologically between Epicharmus and Aristophanes was denied any excellence in plot-structure. Platonius says that he was an imitator of Archilochus⁽²⁾. But the hypothesis of his *Dionysalexandros*⁽³⁾ attests that the plot was excellently devised. Norwood says⁽⁴⁾ that "it reveals a play surpassing in structural excellence every known work of Aristophanes except the *Thesmophoriazusae*". His *Odyssees* was also mythological, a burlesque of the Cyclops episode in Homer. According to Platonius⁽⁵⁾ it had neither lyrics nor parabasis.

It seems that that statement of Platonius⁽⁶⁾ in combination with Aristotle's passage that runs "as for the plot, it comes originally from Sicily, but of Athenian writers, Crates, was the first who abandoning the lampooning form generalized the theme and plots"⁽⁷⁾ induced critics to deny Cratinus any excellence as a playwright.

Phrynichus who followed Crates wrote both comedy of manners as appears from fragment 3 K., and comedy of character as the title *Μονότροπος* testifies.

(1) c. 490—420 B. C.

(2) Cf. Platonius apud Kaibel, *op. cit.* p. 6. Κρατίνος, ὁ τῆς παλαιᾶς κωμῶδιαι ποιητής, ὅτε δὴ κατὰ τὸς Ἀρχιλόχου ζηλώσεις, αὐστηρὸς μὲν ταῖς λοιδορίαις ἐστίν. οὐ γὰρ ὥσπερ Ἀριστοφάνης ἐπιτρέχειν τὴν χάριν τοῖς σκώμασι ποιεῖ, ...

(3) *Oxyrhynchus Papyri*, IV, 69-72.

(4) *Op. cit.* p. 142.

(5) Cf. Platonius apud Kaibel, *op. cit.* p. 4. τοιοῦτος οὖν ἐστίν ὁ τῆς μέσης κωμῶδιαι τύπος, οἷός ἐστιν ὁ Αἰολοσίκων Ἀριστοφάνους καὶ οἱ Ὀδυσσεὺς Κρατίνου, καὶ πλεῖστα τῶν παλαιῶν δραμάτων οὔτε χορικά οὔτε παραβάσεις ἔχοντα

(6) Cf. *supra* note (2).

(7) Poet. 1449 b. cf. *supra* p. 73.

As regards his language, almost all the advices of Comedy are found in his fragments. We find parody ⁽¹⁾, word-play ⁽²⁾, coinage of words ⁽³⁾, diminutives ⁽⁴⁾ and significant proper names ⁽⁵⁾.

The Epicharmian Comedy might be summed up as a chorusless comedy built upon the Sicilian mime with plot and stock characters, and making use of the stock comic devices in language.

This achievement of Epicharmus would appear in its full significance, when the whole field of the Greek Old Comedy is properly mapped out, and the political comedy is relegated to its proper place, and not left to bulge in our imagination because it happened to be the only extant type of the Old Comedy.

The general tendency among modern critics to ignore other types of Comedy than the political in the old period can be best illustrated by their interpretation of the following fragment ⁽⁶⁾ of Plato the Comedian, which comes from the *Συμμαχία*:

εἴξασιν γὰρ τοῖς παιδαρτοῖς τούτοις, οἳ ἐκάστοτε γραμμὴν ἐν ταῖσιν ὁδοῖς διαγράψαντες διανειμάνενοι· δὴχ' ἑαυτοὺς ἐστᾶσ', αὐτῶν οἱ μὲν ἐκεῖθεν τῆς γραμμῆς, οἱ δ' αὖ ἐκεῖθεν εἰς δ' ἀμφοτέρων ὀστρακὸν αὐτοῖς εἰς μέσον ἐστὼς ἀνίστην, κἄν μὲν πῖπτησι τὰ λευκὰ ἐπάνω, φεύγειν ταχὺ τοὺς ἑτέρους δεῖ, τοὺς δὲ διώκειν.

The title and the word *ostrakon* in the fourth line are admittedly misleading. But although there is no evidence whatsoever that this passage or any other that belonged to this play had any political colour, the scholars Meineke ⁽⁷⁾, Bergk ⁽⁸⁾ and Kock ⁽⁹⁾ interpret it as a reference to some political event or other.

(1) Cf. frags. 123; 130 K.

(2) Cf. fr. 87 K.

(3) Cf. fr. 46 K.

(4) Cf. fr. 42 K.

(5) Cf. The names Κόλαφος and Ἀγρωστῆος.

(6) Fr. 153 K.

(7) *Frag. Com. Græc.* I. i. 155.

(8) *Rel. Com. Att.* pp. 261, 312.

(9) *Com. Att. Frag.* I. p. 641.

The titles and the fragments of his dramas show that he wrote mythological plays⁽¹⁾. These mythological plays represent only one-half of his products; the other half is taken up by character plays. We have seventeen titles that suggest character plays, e.g. Ἀγρωστήνος and Ἀρπαγαί. In his Ἑλπίς ἢ Πλοῦτος⁽²⁾ he has a full length picture of a parasite⁽³⁾. Körte conjectures that with the parasite there appeared also in Epicharmus his companion the boastful soldier⁽⁴⁾. This conjecture is quite probable, though it is not substantiated by evidence. The ἀλαζών σοφός is also found in his gallery⁽⁵⁾. And Athenaeus asserts⁽⁶⁾ that Epicharmus was the first to bring a drunkard on the stage.

As regards the structure of the plays we are not so sure. We have dialogues between three people in Ἀμύκος and Ἑλπίς ἢ Πλοῦτος, and we meet the narrator as messenger in βοῦσις and Ἥβας Γάμος, while the monologue is found in the Ὀδυσσεὺς Αὐτόμολος. It seems that music and dancing were not absent from the Epicharmian drama. Pickard-Cambridge says "Now and then the action may have been interrupted by a dance or assisted by an instrumental performance: a flute solo in the Ἥβας Γάμος, accompanying a dance by two performers, and a μέλος associated with Artemis Χιτωνέα in the Σφίγξ are well attested"⁽⁷⁾.

There is no trace of a chorus as an element in his plays. But most probably Reich was right when he insisted on the absence of the chorus from all the Dorian Comedy⁽⁸⁾.

(1) Cf. *Athen.* X. 411 a, b, where Heracles is described eating, a fragment from the βοῦσις = 21 K, and *Athen.* III. 110 b which shows that Ἥβας Γάμος was produced in a revised form under the title of Μοῦσαι. For mythological plays in Epicharmus, see Pickard-Cambridge, *op. cit.*, pp. 371-393.

(2) *Frgs.* 34 : 35 K.

(3) Cf. *Athen.* VI. 235 f--236 b, who says that this parasite is the earliest in dramatic literature.

(4) Cf. *Die Griechische Komödie*, p. 13; and *R. E.* XII. col. 1225.

(5) Cf. *Frgs.* 112, 173 K.

(6) X. 429 a.

(7) Cf. *op. cit.* p. 405.

(8) Cf. *Der Mimus*, I. pp. 503 sq.

know that his predecessors bequeathed to him the raw material of a comedy, but they were not playwrights. Aristoxenus of Selinus was a lampoonist⁽¹⁾, Aranius wrote satires⁽²⁾, and the anonymous entertainers of Megara and Syracuse concocted mimes⁽³⁾. It should be noted that Aristotle does not call them poets⁽⁴⁾. Here the anonymous writer on Comedy comes to our help. He says that "Epicharmus was the first to arrange the scattered elements of Comedy with much technique ... his composition is sententious, original and consummate"⁽⁵⁾.

Kaibel⁽⁶⁾ says that Epicharmus did not write comedies in the full sense at all. He argues from the fact that the works of Epicharmus are never called κωμῳδία, but are always called δράματα⁽⁷⁾. Cornford follows Kaibel and says that Epicharmus by adopting a plot in linking the mimes was the inventor of the literary mimes⁽⁸⁾. That Epicharmus wrote comedies is proved by the account of Aristotle who would hardly have given the title of μῦθοι to any but more or less connected and coherent structures. That his works were always called δράματα might have been an accident⁽⁹⁾. That an ingenious playwright could compose a comedy out of the raw material of mimes is quite possible. An examination of the remains of Epicharmus will decide for us whether he succeeded in that or not.

(1) Cf. Epicharmus, fr. 25 K.

οἱ τοὺς λάμβους καὶ τὸν ἄριστον τρόπον,
ὃν πρῶτος εἰσαγήσαθ' Ὀριστόδεμος.

(2) Cf. Athenaeus, *Deip.* IX, p. 370 b.

(3) Cf. G. Norwood, *Greek Comedy*, 1931, p. 110.

(4) Cf. *Poet.* 144 b. ἦδη δὲ σχήματα τῶν αὐτῆς τέχνης οἱ λεγόμενοι αὐτῆς ποιηταὶ μνημονεύονται.

(5) Cf. *Anony.* apud Kaibel, III, 5, p. 7: οὗτος πρῶτος διερριμμένην τὴν κωμῳδίαν ἀνεκτίσας πολλὰ προσφιλοτεχνήσας... τῇ δὲ ποιήσει γινωμικός καὶ εὐρετικός καὶ φιλότεχνος

(6) Cf. *R. E.* VI. 36.

(7) *Athen.* III, p. 74 sqq.; *Hesychius*, s.v. δράμα; and *Hephaestus*, p. 25, 15.

(8) Cf. F. M. Cornford, *The Origin of Attic Comedy*, ed. 2, p. 181.

(9) Cf. Pickard-Cambridge, *op. cit.*, p. 403.

Athenaeus gives us on the authority of Semus of Delos—a writer of the second century B.C. (1) the minute differences between the different genres of *deikelistae*. But it is clear as Pickard-Cambridge has pointed out (2) that he has failed to distinguish between non-choral performances and choral ones. But his failure here does not detract from the authority of his account. We know that the mime contained spoken parts and song parts. The spoken parts are termed βιολόγοι, μιμόβιοι, ἡθολόγοι and μιμολόγοι. Later grammarians would certainly find differences to distinguish them. The obvious point about these terms is that they indicate that the mimes were extremely realistic. We know nothing of the date at which these performances began (3), but their primitive nature points to an early date.

The mime had always a great popularity in the Dorian states. It reached Tarentum from Sparta, and Syracuse from Corinth, and it struck deep roots in both these centres.

These then were the types of dramatic performances that were in vogue in Sicily when Epicharmus went there. What did he do with these performances to deserve to occupy such an important place in Aristotle's account of the history of Comedy? Aristotle says: τίς δὲ πρόσωπα ἀπέδωκεν ἢ προλόγους ἢ πλήθην ὑποκριτῶν καὶ ὅσα τοιαῦτα ἡγνόηται. τὸ δὲ μῦθους ποιεῖν Ἐπίχαρμος καὶ Φόρμις. τὸ μὲν ἐξ ἀρχῆς ἐκ Σικελίας ἦλθε, τῶν δὲ Ἀθήνησιν Κράτης πρῶτος ἤρξεν ἀφέμενος τῆς λάμβικης (ιδέας καθόλου ποιεῖν λόγος καὶ μῦθους) (4).

What did he achieve as a playwright that made Aristotle ascribe to him the invention of Comedy, and rendered him so famous in Plato's time to be called the King of Comedy (5)? We

(1) Cf. Jacoby, *H. B.* II A. col. 1357-8.

(2) Cf. *op. cit.* p. 232.

(3) Cf. H. J. Rose, *A Handbook of Greek Literature*, ed. 3, 1948, p. 215.

(4) *Poet.* 1413 b.

(5) Cf. Plato, *Theaet.* 152 c. τῶν ποιητῶν οἱ ἄκροι τῆς ποιήσεως ἑκατέρας, κωμῳδίας μὲν Ἐπίχαρμος, τραγῳδίας δὲ Ὀμηρος.

says, not taken very seriously because in such matters also Sparta follows simplicity. In simple language one would imitate persons stealing fruit, or a foreign doctor talking in the manner portrayed by Alexis in *Μανδραγοριζομένη* (fr. 142 K.) Those who pursued this kind of pastime among the Laconians are called *δεικηλισται* or as one may say in other words maskers and mummers".

And he goes on to say (1) that there are many local terms for the type known as *deikelistae*. The 'people of Sicyon, for example, call them Φαλλοφόροι, others Αύτοκαβδάλοι, still others Φλύακες, so the Italians, while the majority call them Σοφισταί. But the Thebans who are in the habit of having special names of their own for most things call them 'Εθελονταί (2). Plutarch tells us that the *deikelistae* were mimes (3). Athenaeus' authority Sosibius appears to have lived about 300 B.C. (4). Athenaeus tells us elsewhere (5) that Antheas wrote comedies in this style, which he used to bring out dancing at the head of his φαλλοφόροι.

(1) *Ibid.*, 621 f: τοῦ δὲ εἰδούς τῶν Δεικηλιστῶν πολλαὶ κατὰ τόπους εἰσὶ προσηγορίαι. Σικυώνιοι μὲν γὰρ Φαλλοφόρους, αὐτοὺς καλοῦσι, ἄλλοι δὲ Αὐτοκαβδάλους, οἱ δὲ Φλύακες, ὥς Ἴταλοί, Σοφιστάς δὲ οἱ πολλοί. Θηβαῖοι δὲ καὶ τὰ πολλὰ ἰδίως ὀνομάζειν εἰωθότες τούτῳ εἰσιν.

(2) The use of the word 'Εθελονταί for mimes throws considerable light on Aristotle's use of the word (*Poet.* 1449 b. καὶ γὰρ χορὸν κωμῶδῳ ὅπερ ποτὲ ὁ ἄρχων ἔδωκεν, ἀλλ' ἐθελονταὶ ᾔσαν.). Körte, however, suggests that ἐθελοντάς in Athenaeus is a gloss upon a local Theban name which has dropped out of the text (cf. *R. E.* XI. col. 1231), but in view of the meaning of the other terms which appear to be synonymous (αὐτοκαβδάλοι = off hand, unprepared, and σοφισταί which may mean those who have a ready answer) the word ἐθελοντάς might be the word used by Athenaeus. Pickard-Cambridge (*op. cit.* p. 231, n. 3) agrees with Körte and says that "the word is by no means one peculiar to Thebes". But Athenaeus did not say a Theban word, but a term used by the Thebans.

(3) Cf. *I. Ages.* I. "ἀλλ' οὐ σὺ γ' ἔσσι Καλλιπικίδας ὁ δεικηλισταί; οὕτω δὲ Λακεδαιμόνιοι τοὺς μίμους καλοῦσι.

(4) Cf. Pickard-Cambridge, *op. cit.* p. 228.

(5) Cf. *Deip.* X. 445 a: "Ἀνθέας δὲ ὁ Λίνδιος... οἷτος δὲ καὶ κωμῶδίας ἐποίη καὶ ἄλλα πολλὰ ἐν τούτῳ τῷ τρόπῳ τῶν κωμικῶν, ἃ ἐξήρχε τοῖς μεθ' αὐτοῦ φαλλοφοροῦσιν."

another character—Tettix—in Pollux⁽¹⁾. Other characters are Μόρυχος, Μορμώ = μωρός, "Αλφίτον,⁽²⁾ Myllus, Acco and Macco⁽³⁾.

These characters or some of them⁽⁴⁾, performed between themselves a sort of drama that was so popular and vigorous that the Megarians claimed the origination of Comedy, and claimed Susarion the reputed founder of Comedy⁽⁵⁾. From Aristophanes' criticism⁽⁶⁾ this drama could be succinctly defined as a kind of mimic farce, vulgar in tone and full of buffoonery. The reference to Heracles proves that mythological and legendary burlesque was a staple ingredient in it. Another important element in it was dancing⁽⁷⁾. This is not all the dramatic activity in Sicily, for Athenaeus tells us⁽⁸⁾ that "among the Lacedaemonians there was an ancient variety of comic pastime, as Sosibius

(1) Cf. IV. 143, 7.

(2) Cf. A. Nicoll, *Alasks, Mimes and Miracles*, 1931, pp. 27 sqq. and H. Reich, *Der Mimus*, 1903, I, pp. 501 sqq.

(3) Cf. A. Dieterich, *Puleinella*, 1897, pp. 38 sqq.

(4) It is likely that we have in the list of the stock characters two or more strata of performers that could not be disentangled now.

(5) Cf. Tzetzes, π. κωμωδίας apud Kaibel, *C. G. F.* p. 27; Diomedes *Ars Grammatica*, apud Keil, *G. L.* p. 488, 26. He is claimed for Attica in the *Parian Marble* 39, ed. Jacoby, pp. 13, 105 (ἀφ' οὗ ἐν Ἀθήναις κωμωδιῶν χορὸς ἐτέθη σθηράντων πρώτων Ἰκαριέων, εὐρόντος Σουσαρίωνος, καὶ ἄθλον ἐτέθη πρῶτον ἰσχυρῶν ἐρσιχῶν καὶ οἴνου μετρητῆς), and by Clem. Alex. (*Strom.* I. 16. 79. p. 366 P.). Körte thinks that he was an invention (cf. *H. B.* XI, col 1292) and Pickard-Cambridge says (cf. *Dithyramb, Tragedy and Comedy*, 1927, p. 283) "It is very doubtful whether such a person existed at all".

(6) Cf. *Wasps* vss. 54-55 quoted above, *Clouds* vss. 537-544; *Peace*, vss. 734-750.

(7) Cf. the reference to Cordax in *Clouds* vs. 540.

(8) *Isid.* p. 620: παρὰ δὲ Λακεδαιμονίοις κωμικῆς παιδίδας ἦν τις τρόπος παλαιός, ὡς φησι Σωσίβιος, οὐκ ἄναι σπουδαῖος, ἅτε δὴ κἀν ταῦτοις τὸ λιτόν τῆς Σπάρτης μεταδωκούσης. ἐμιμεῖτο γάρ τις ἐν εὐτελεῖ τῇ λέξει κλέπτον τὰς τινὰς ὁπώραν ἢ ξένικόν λατρόν τοιοῦτὶ λέγοντα, ὡς Ἀλεξίς ἐν Μανδραγομίζομένῃ διὰ τούτων παρίστησιν. [fr. 142 K.] ἐκαλοῦντο δὲ οἱ μετιόντες τὴν τοιαύτην παρὰ τοῖς Λάκκοις Δικηλισταὶ ὡς ἂν τις σκευοποιὸς εἴπῃ καὶ μιμητὰς.

ἡμῖν γὰρ οὐκ ἔστ' οὔτε κάρυ' ἐκ φορμίδος
 δοῦλω διαρριπτοῦντε τοῖς θεωμένοις,
 οὔθ' Ἡρακλῆς τό δεῖπνον ἐξαπατῶμενος,
 οὔδ' αὖθις ἐνασελγαινόμενος Εὐριπίδης·
 οὔδ' εἰ Κλέων γ' ἔλαμψε τῆς τύχης χάριν,
 αὖθις τὸν αὐτὸν ἄνδρα μυττωτεύσομεν·
 ἀλλ' ἔστιν ἡμῖν λυγρίδιον γνῶμη ἔχον,
 ὅμῳ μὲν αὐτῶν οὐχὶ δεξιώτερον,
 κωμῳδίας δὲ φορτικῆς σοφώτερον (1).

we can get a glimpse of the nature of the Megarian drama as Aristophanes knew it. That the picture he depicts of it is true to reality in its essential points is proved by other remarks of Old Comedy playwrights (2).

The merriment of Megara then was, in Aristophanes' opinion which is shared by other playwrights, of a somewhat vulgar kind. We are also given to understand that certain stock characters were associated in the minds of the Attic writers and their audience with that vulgar merriment, for it is evident that clownish slaves and a buffoonish Hercules were well known figures in Megarian drama.

What then are these Dorian folklore characters? The first who meets us is Μαισῶν whose name is probably derived from μασᾶσθαι (3). This character is described for us together with

(1) Vss. 54-66.

(2) Cf. e.g. *Euphantides fr. 2 K.*

Μεγαρικῆς
 κωμῳδίας ᾧσιν' αὐτὸς εἰμὶ· ἥσυχνόμεν
 τὸ δράμα Μεγαρικὸν ποιεῖν.
 and *Eupolis fr. 244 K.*

τὸ σκῶμ' ἀσελγὲς καὶ Μεγαρικὸν καὶ σφόδρα
 ψυχρὸν γελᾷ γὰρ ὧς ὄρεαι παῖδια.

(3) Cf. *Athen. XIV, p. 659*. Χρύσιππος δ' ὁ φιλόσοφος τὸν μαισῶνα ἀπὸ τοῦ μασᾶσθαι οἶεται κεκλησθαι.

EPICHARMUS

HIS ACHIEVEMENT AS A FORERUNNER OF GREEK COMEDY

BY

WAHEEB KAMEL

We gather from Aristotle (¹) that Megara formed a kind of Comedy before Athens, and produced it in her democracy, that is when it drove out the tyrant Theagenes (after 581 B.C.), and that Epicharmus wrote before Chionides the first comic poet in Athens (c. 486 B.C.). Now, since Epicharmus was writing at the court of Hiero in Syracuse from 478-467 B.C. (²), it is likely that he started his dramatic career in the Dorian Megara Hyblaea, the daughter-city of Megara in Sicily, a number of years previous to his Syracusan first appearance (³). This question is of the utmost importance. Its interest lies for us in the fact that the Dorian and Sicilian comedies are linked together. What were then the common elements in the Dorian and Sicilian comedies?

If we turn to Aristophanes' *Wasps*

φέρει νυν κατέλω τοῖς θεάταις τὸν λόγον
ὀλίγ' ἄτθ' ὑπειπὼν πρῶτον αὐτοῖσιν ταδί,
μηδὲν παρ' ἡμῶν προσδοκᾶν λίαν μέγα,
μηδ' αὖ γέλωτα Μεγαρόθεν κεκλεμμένον

(¹) *Poet.* 1181a: διὸ καὶ ἀντιποιοῦνται τῆς τε τραγῳδίας καὶ τῆς κωμῳδίας οἱ Ἰωρνεῖς τῆς μὲν γὰρ κωμῳδίας οἱ Μεγαρεῖς οἱ τε ἐνταῦθα ὡς ἐπὶ τῆς παρ' αὐτοῖς δημοκρατίας γεγομένης καὶ οἱ ἐκ Σικελίας, ἐκείθεν γὰρ ἦν Ἐπίχαρμος ὁ ποιητὴς πολλῶ πρότερος ὢν Χιωνίδου καὶ Μάγνητος.

(²) Cf. *Marmor Parium*, V. 71: *Clein. Alex. Strom.* I. 353 P.

(³) Cf. A. E. Haigh. *The Attic Theatre*, ed. 3, p. 20, n. 3.

triangle équilatérale በሶስት፡ ተስተካካይ፡ ጉን፡፡ ሶስት፡ ልክ፡
ጉን፡

= ሶስት፡ ልክ፡ ጉን፡ sōst lek guon

triangle isocèle በሁለት፡ ተስተካካይ፡ ጉን፡፡ ሶስት፡ ጉን፡ በሁለት፡
ልክ፡

= ሶስት፡ ጉን፡ በሁለት፡ ልክ፡ sōst guon babulatt lek

triangle rectangle በአንድ፡ ተስተካካይ፡ ጉን፡፡ ሶስት፡ ጉን፡ በአንድ፡
ቅን፡ ማእዘን፡

= ሶስት፡ ጉን፡ በአንድ፡ ማእዘን፡ sōst guon ba'and ken
mā'ezen

triangle scalène በሶስት፡ አልገጥም፡ ባይ፡፡ ሶስት፡ ዝንፍንፍ፡ ጉን፡
= ሶስት፡ ዝንፍንፍ፡ ጉን፡ sōst zenefnef guon

trone ጉንድ፡፡ ጉርድ፡፡ ጉቶ፡፡ ጉማጅ፡፡ ጉራጅ፡
= ጉቶ፡ gūttō

tronc de cône የድፑ፡ ዋንጫ፡ ሥር፡፡ የድፍ፡ ዋንጫ፡ ጉማጅ፡፡
የድፍ፡ ዋንጫ፡ ጉራጅ፡፡ የድፍ፡ ዋንጫ፡ ግንድ፡
= የድፍ፡ ዋንጫ፡ ጉማጅ፡ iādef uāntchā gummādġ

volume ይዘት፡፡ ስፋት፡፡ አቀፋ፡፡ መጠን፡፡ ፂሎት፡
= ይዘት፡ jēzat

yard = የርድ፡ iārd (abrév. ያ፡)

sécante ከተፍ፡ ባይ፡ ; ቁራጭ፡ ; ቆራጭ፡ ; አቋራጭ፡
= ቁራጭ፡ ḳuorāṭch

secteur circulaire የክብ፡ ሻራራ፡ ; የክብ፡ ቁራጭ፡
= የክብ፡ ቁራጭ፡ jakeb ḳuorāṭch

section ክፍል፡ ; ቱርፕ፡
= ክፍል፡ kefl

segment ቆራጭ፡ ; ቀራጭ፡ ; ቀራጭ፡
= ቀራጭ፡ ḳuerāṭch

segment circulaire አካባቢ፡ ; ድርብ፡ ክብብ፡ ; የቅስት፡ ቀራጭ፡
= የቅስት፡ ቀራጭ፡ jakesset ḳuerāṭch

signe de circonférence = የክብብ፡ ፖልክት፡ jakebab melekkeṭ
(abrév. ክ፡)

solide = ጥጥር፡ ቴቴፕየር

sommet ጫፍ፡ ; ቁ፡ንጮ፡
= ጫፍ፡ ቴቅላፍ

sphère እምብልብል፡ ; ኳስማ፡ ; ድብልብል፡ ; አጽፋር፡ ;
ድብልብል፡ debelbel

suplément d'un angle የማእዘን፡ ተደራቢ፡ የማእዘን፡ ተጨማሪ፡ ;
የማእዘን፡ ጭማሪ፡ ;
= የማእዘን፡ ጭማሪ፡ jamā'ezan ṭchemmārī

surface ወልወል፡ ; ወለል፡
= ወለል፡ ሃላላ

tangente = ታካኪ፡ tākākī

trapèze በሁለት፡ ተስተካካይ፡ ዝንፍ፡ ማእዘን፡ ; ባለ፡ አራት፡ ;
ጉን፡ በሁለት፡ ተጓዳኝ፡ ;
= ባለ፡ አራት፡ ጉን፡ በሁለት፡ ተጓዳኝ፡ bāla 'arāt guon
babulatt taguādāñ

triangle መጋጠሚያ፡ ; ባለ፡ ; ሶስትዮሽ፡ ; ሶስት፡ ማእዘን፡ ; ሶስት፡
ጉን፡ ; ሶስት፡ ጠርዝ፡ ;
= ሶስት፡ ጉን፡ sōst guon

pentagone ባለ፡ አምስት፡ መጋጠሚያ፡፡ አምስት፡ ልክ፡ ጉን፡
 = አምስት፡ ልክ፡ ጉን፡ 'ammest lek guon
 périmètre ውስጠ ስፍሩ፡፡ ውስጠ፡ ልክ፡፡ ዙሪያ፡ ልክ፡፡ የወሰን፡
 ልክ፡፡ የወለል፡ ልክ፡፡ የምስል፡ ወሰን፡፡ የወለል፡ ወሰን፡
 = የወለል፡ ልክ፡ jaualal lek
 perpendiculaire ግትር፡፡ ቁም፡ ለቁም፡፡ እንጥልጥል፡፡ ተራዳ፡፡
 አቆልቋይ፡፡ ቋሚ፡
 = ቋሚ፡ kuāmī
 plan ስፍራ፡፡ ድልድል፡፡ ትክክል፡
 = ድልድል፡ deldel
 point ነጥብ፡፡ መነሻ፡፡ መድረሻ፡
 = ነጥብ፡ naṭb
 point de contact = የመነካካያ፡ ነጥብ፡ jamañakkākijā naṭb
 polygone = ብዙ፡ ጉን፡ bezū guon
 prisme ጥርብርብ፡፡ ሶስት፡ ጉን፡ ጥርብ፡፡ የተመገዘ፡፡ ፕሪስም፡
 = ፕሪስም፡ prism
 profondeur = ጥልቀት፡ telkat
 pyramide ሀረም፡፡ ድፍ፡ ዋንጫ፡ ዝንፍንፍ፡
 = ሀረም፡ haram
 quadrilatère ባለ፡ አራት፡ ጉን፡፡ ባለ፡ አራት፡ ማእዘን፡
 = ባለ፡ አራት፡ ጉን፡ bāla 'arātt guon
 rayon ስጋ፡፡ ስላቶ፡፡ የማካይ፡ ግማሽ፡
 = የማካይ፡ ግማሽ፡ jāmmakāi gemmāš
 rapporteur የደረጃ፡ መለኪያ፡፡ ሹነ፡ ባይ፡፡ የግማሽ፡ ክብ፡ መሣሪያ፡፡
 ሽውከኛ፡
 = የደረጃ፡ መለኪያ፡ jadāradgā malakijā
 rectangle ሰፋለሽ፡፡ ባለ፡ ቅን፡ ማእዘን፡፡ ቀጥ፡ ያለ፡ ጦርዝ፡
 = ባለ፡ ቅን፡ ማእዘን፡ bāla ken mā'ezan
 règle መስማሪያ፡ masmārijā
 révolution አዘግጥሞት፡፡ አገጥሞት፡፡ ዙሪያ፡
 = አዘግጥሞት፡ 'uzuqāzuār

ligne courbe ጉብጣ፡ መስመር፡፡ ጉብጣ፡ መስመር፡

= ጉብጣ፡ መስመር፡ guobāṭā masmar

ligne droite ቀጥ፡ ያለ፡ መስመር፡፡ ቀፍ፡ መስመር፡፡ ቅን፡ መስመር፡

= ቅን፡ መስመር፡ ken masmar

ligne mixte ውዝግዝግ፡ መስመር፡፡ ጉብጥብጥ፡ መስመር፡

= ጉብጥብጥ፡ መስመር፡ gubetbet masmar

ligne parallele ከላከላ፡ መስመር፡፡ አድማሳዊ፡ መስመር፡ ተጓዳኝ፡ መስመር፡

= ተጓዳኝ፡ መስመር፡ taguādān masmar

litre = ሊትር፡ litre (abrév. ሊ.)

longueur = ርዝመት፡ rezmāt

losange ጠርግ፡፡ መወርወርያ፡ መልክ፡፡ ጎይንግ፡

= ጎይንግ፡ 'āinemmä

médiane = አጋማሽ፡ 'aggāmāš

mesure መሥረሪያ፡፡ መለኪያ፡

= መሥረሪያ፡ masfarijā

mesure effective ያለ፡ ተነኪ፡ መሥረሪያ፡፡ ገዙፍ፡ መሥረሪያ፡

= ገዙፍ፡ መሥረሪያ፡ gezūf masfarijā

mesure fictive ያሌለ፡ የሐሳብ፡ መሥረሪያ፡፡ የሐሳብ፡ መሥረሪያ፡

= የሐሳብ፡ መሥረሪያ፡ jahassāb masfarijā

mètre = ሜትር፡ metre (abrév. ሜ.)

moyenne géométrique = የገደቦች ጽልድ፡ iazēuomētri deledel

niveau d'eau ማለሚያ፡፡ ወሀ፡ ልክ፡፡ የውኃ፡ ልክ፡

= የውኃ፡ ልክ፡ jāuebā lek

parallélépipède የሀለት፡ ተጓዳኝ፡ ጉኖች፡ መሠረት፡፡ የተጓዳኝ፡ ጉኖች፡ ምስል፡

= የተጓዳኝ፡ ጉኖች፡ ምስል፡ iataguādān guonnotch mesel

parallélogramme ተጓዳኝ፡ ጉኖች፡፡ በዝንፍ፡ ተስተካክይ፡ ባለ፡

አራት፡ ማእዘን፡፡ ተጓዳኝ፡ ዝንፍንፍ፡ መሳይ፡

= ተጓዳኝ፡ ጉኖች፡ iaguādān guonnotch

diagonale አገናኚ፡፡ ለላሌ፡
 = አገናኚ፡ agganānī
 diamètre አማካይ፡፡ አማካይ
 = አማካይ፡ ammakāi
 dimension ልክ፡፡ ግምት፡፡ ቅጥብ፡፡ ስፋት፡
 = ግምት፡ gemmet
 engendre ይወልዳል፡፡ ይሆናል፡፡ ይሰጣል፡
 = ይሰጣል፡ jesaṭal
 équerre ዝንፍ፡፡ መስመሪያ፡፡ ሶስት፡ ጉን፡ መለኪያ፡
 = ሶስት፡ ጉን፡ መለኪያ፡ sost guon malakīja
 fil à plomb ተምቢ፡፡ ትክክለኛነት፡ ማለግያ፡
 = ተምቢ፡ tūmbi
 flèche ተወርዋሪ፡፡ ፍላጻ፡
 = ፍላጻ፡ felāṣā
 génératrice አትራፊ፡ ሰጭ፡፡ ማለጅ፡
 = ሰጭ፡ saṭch
 gramme ግራም geram (abrév.) ፡ ለ
 hauteur ተመንቶ፡፡ ተመንቶ፡፡ ከፍታ፡፡ ከፍታ፡
 = ከፍታ፡ kūmat
 hexagone = ስድስት፡ ልክ፡ ጉን፡ 'seddest lek' guon =
 horizontal = ገድም፡ gēdem
 hypoténuse ቋግ፡ መቃን፡፡ የቅን፡ ማለዝን፡ አውታር፡
 = የቅን፡ ማለዝን፡ አውታር፡ iaken mū'ezan 'autār
 largeur ስፋት፡፡ አርብ፡፡
 = ስፋት፡ sefāt
 latéral የውስጥ፡፡ የጉን፡፡ የመካል፡፡ ወገብ፡፡ የጉድን፡
 = የጉን፡ iaguon
 ligne = መስመር፡ masmar
 ligne brisée ውልግምግም፡ መስመር፡፡ ሰባራ፡ መስመር፡፡ ገብጥብ፡
 መስመር፡፡ ቅልጥምጥም፡ መስመር፡
 = ቅልጥምጥም፡ መስመር፡ keltemtem masmar

centre መካል፡፡ አምብርት፡፡ ብሌን፡

= መካል፡ mabäl

cercle ዙርያ፡፡ መካል፡፡ ክብ፡ መሥመር፡

= ክብ፡ keb

circonférence ማፋታዊ፡፡ ክብብ፡

= ክብብ፡ kebab

circulaire ዙርያ፡፡ ጥምጥም፡፡ ክብ

= ክብ፡ keb

compas የክብ፡ መንደፊያ፡፡ የክብ፡ መሣሪያ፡፡ የክብ፡ መሳያ፡፡

ጽርክል፡

፡፡ የ፡፡ የክብ፡ መሣሪያ፡ iakeb mässärijä

complément d'un angle የማእዘን፡ መሥደ፡፡ የማእዘን፡ አመዋይ፡፡

የማእዘን፡ ሞያ፡፡

= የማእዘን፡ መሥደ፡፡ jamä'ezan mamūjā

concentrique አካባቢ፡፡ ጽርብ፡ ክብብ፡

= ጽርብ፡ ክብብ፡ derreb kebab

cône ድፍ፡ ዋንጫ፡፡ የወይረን፡ ቀንድ፡፡

= ድፍ፡ ዋንጫ፡ def üāntchā

cône tronqué ጉርድ፡ ዋንጫ፡፡ የድፍ፡ ዋንጫ፡ ጉምድ፡፡

= ጉርድ፡ ዋንጫ፡ guraḍ üāntchā

corde = አውታር፡ 'aytär

corps irrégulier ዝንፍንፍ፡ ወጠ፡ ገበ፡ አካል፡፡ ውልገምገም፡፡

አካል፡፡ ውልገድገድ፡ አካል፡፡ ዝንፍንፍ፡ አካል፡፡

= ዝንፍንፍ፡ አካል፡ zenefnef 'akäl

corps régulier ትክክል፡፡ አካል፡፡ tekekel 'akäl

coté = ጉን፡ guon

couronne = አክሊል፡ 'aklil

cube የሶስት፡ አመልካች፡፡ ሣጥን፡፡ ውስጠ፡ አቀፍ፡፡

= የሶስት፡ አመልካች፡፡ jasost amalkāch

cylindre = ክብ፡ ግምድ፡፡ keb 'āmd

II.—GÉOMÉTRIE PRATIQUE.

የጳጳሳዊት ርገ፡ መጠጫ፡ jatzuoinētri malinadgā

angle ሰላ፡ ስር፡ መጠጫ፡ ማለዝ፡ ስር፡
= ማለዝ፡ mā'ezan

angle adjacent ስም፡ ማለዝ፡ የተጠጋ፡ ማለዝ፡
= የተጠጋ፡ ማለዝ፡ jatafagūgi mā'ezan

angle aigu = ሹል፡ ማለዝ፡ šūl mā'ezan

angle droit ቅ፡ ማለዝ፡ ቀጥ፡ ማለዝ፡ ትይይ፡ ማለዝ፡
= ቅ፡ ማለዝ፡ ken mā'ezan

angle oblique ሳይ፡ ማለዝ፡ ገዳ፡ ማለዝ፡
= ሳይ፡ ማለዝ፡ sāijāf mā'ezan

angle obtus ዱልድም፡ ማለዝ፡ ዝንትር፡ ማለዝ፡ ብርገድ፡
ማለዝ፡
= ዱልድም፡ ማለዝ፡ duldum mā'ezan

apothème ተዋ፡ የዱ፡ ወገ፡ አማካይ፡
= የድ፡ ወገ፡ አማካይ፡ jādēf pāntchā 'ammākāi

arc ቀስት፡ ደጋ፡ ቀስት፡
= ቀስት፡ kesset

base መሠረት፡ ደ፡ ሥር፡

base inférieure ታች፡ መሠረት፡ masarat

base supérieure ላይ፡ መሠረት፡ ጉበን፡ ላይ፡ መሠረት፡
= ላይ፡ መሠረት፡ lūi masarat

bissectrice ከሀለት፡ ከፋይ፡ ገማሽ፡
= ገማሽ፡ gamāš

carré አራት፡ ልክ፡ ጉን፡ የሀለት፡ አመልካች፡ አራት፡ ጠርዝ፡
መረባ፡
= አራት፡ ልክ፡ ጉን፡ 'arātt lek gnon

tiers (: heure) = ሣላሊት: sālesīt (abrév. ሣላ:)
 timbre-quittance = የገባር ደረሰኝ: iageber darrasañ
 titre au porteur = ለአቅራቢ: የሚሰጥ: መዝገብ: la'aḵrābī
 iamissaṭ mazgab
 titre de rente = የወለድ: መዝገብ: iauallad mazgab
 titre mixte = መዝገብ mazgab
 titre nominatif = የባለ: ቤት: መዝገብ: iabāla bēt mazgab
 total = ድምር: demmer: =
 trait = ሰረዝ: saraz
 transfer = ማስተላለፍ: māstalālāf
 transformation des fractions ou réduction des frastions
 የስብርባሪ: አለዋወጥ: ; የስብርባሪ: አገሰባበጥ: =
 = የስብርባሪ: አለዋወጥ: iaseberbārī 'alaḡuāṭ
 unité አንድነት: ; ዋስድኖ: ; ሰረዝ: =
 = አንድነት: 'andennat
 valeur actuelle = የሁኔታ: የጋ: iābūn uāgā
 valeur nominale መጠሪያ: ዋጋ: ; የስም: ዋጋ: =
 = መጠሪያ: ዋጋ: matṭariā uāgā
 vente = ሸያጭ: šejjāṭch
 virgule ቁርጥ: ; ነጠላ: ሰረዝ: ; ገሥስ: ሰረዝ: =
 = ነጠላ: ሰረዝ: naṭalā saraz
 voie de tirage au sort = በአጣ: አወጣጥ: ba'eṭṭā 'auuātāṭ
 X (: arabe ١٠) = ፀ: tsappa
 zero ባዶ: ; ክፍት: አካይ: ; መሰረሪያ: ; አንድ: ስንኳ
 = ባዶ: badō

signe de division = የማከረል፡ ምልክት፡ jamākaffal melekket
= ከፋይ፡ kafāy

signe de la soustraction = የመቀነስ፡ ምልክት፡ jamaḵanna
melekket
= ቀናሽ፡ ḵannāš

signe de multiplication = የማብዛት፡ ምልክት፡ jamābzāt
melekket
= አብገር፡ 'abzī

(le) signe radical ($\sqrt{\quad}$) = የመሠረት፡ ምልክት፡ jamasarat
melekket

simple ቀላል፡ ; ተራ፡ ; ገር፡
= ቀላል፡ kaliāl

solution አረፋት፡ ; ፍት፡
= ፍት፡ fetḵ

somme disponible = በእጅ፡ ያለ፡ ገንዘብ፡ ba'edḡ jälla ganzab

somme versée = ተቀማጭ፡ ገንዘብ፡ taḵāmmāfḵi ganzab

sous multiple ou diviseur = ከፋይ፡ kafāy

soustraction አቀናሽ፡ ; የመቀነስ፡
= መቀነስ፡ maḵāunnas

stock = ሸቀጥ፡ šakḵaṭ

subdivision = የከፍል፡ ከፍል፡ iakefel keff

table de multiplication የማብዛት፡ ጽላት፡ ; የማብዛት፡ ሰሌዳ፡ ;

የማብዛት፡ ገበታ፡ ; የማብዛት፡ ሰንጠረዥ፡
= የማብዛት፡ ገበታ፡ jamābzāt gabatā

taux የመቶ፡ ወለድ፡ ; በየመቶው፡
= በየመቶው፡ bajjamatōu (abrév. በየ፡)

temps = ጊዜ፡ gīzē (abrév. ጊ፡)

terme ረድፍ፡ ; ወሰን፡ ; ግድድ፡
= ወሰን፡ uasan

tiers = ሲስ፡ sīsō

réduction des fractions > voir transformation des fraction
règle ደንብ; ድንጋጌ:

= ደንብ: danb
règle d'escompte የገዝዘና: የሻሻጥ: ደንብ; የግለቆጠሪያ: ደንብ;
የአስቀድሞ: መክረል: ደንብ:

= የአስቀድሞ: መክረል: ደንብ: ia'askademō makfal danb
règle de société = የግሃበር: ደንብ: iamābbar danb

règle de trois = የሥላሳ: ደንብ: iasellūs danb

règle d'intérêt = የወላድ: ደንብ: iauallad danb

reliquat ቀሪያ; ቀሪ:
= ቀሪያ: kerrētā

rente = ወለድ: uallad

rente sur l'état = የመንግሥት: ብድር: iamangest bedder

répartition proportionnelle = የመጠን: ድልድል: አደላደል:
iamatan deleddel addalādal

résoudre (un problème) = መፍታት: maftāt

résultat = ውጤታ: uettētā

reste ትርፍ; ቀሪ:
= ቀሪ: kari

retenue አለኝታ; ተላላፊ; ተራፊ:
= ተላላፊ: talālāfi

revenue ገቢ; ጥቅም; ድርሻ:
= ገቢ: gabī

seconde ክልኢት; ኪክርስ:
= ክልኢት: kāl'it (abrév. ክ:)

semaine = ሳምንት: sāmmēt (abrév. ሳ:)

signe d'addition = የመደመር: ምልክት: iamadammer
melekēt
= ጨማሪ: tchamamārī

plus grand commun diviseur = ያልቅ፡ ትልቅ፡ ያንድነት፡ ከፋይ፡
jalek tolleku jändennat kafäi (abrév. ይ፡ ት፡ ያ፡ ከ፡)

plus petit commun multiple = ያልቅ ትንሹ፡ ያንድነት፡ ብዢ፡
jalek tenneäu jändennat bezzi (abrév. ይ፡ ት፡ ያ፡ ብ፡)

plus simple በጣም፡ አጥረት፡ ያልቅ፡ ቅን፡ ማሳጠር፡
= ማሳጠር፡ māṣāṭṭar

preuve መረተኛ፡ መሰረኝ፡ ማረጋገጫ፡ መግለጫ፡
= ማረጋገጫ፡ māragāṭcha

(une) prime ሽልማት፡ ትርፍ፡ ጥቅም፡
= ጥቅም፡ tekem

problème ውግጩ፡ ፍጅ፡ አረቃት፡ ሰውር፡ ትት፡ ሐተታ፡
ተስለሎ፡
= ሰውር፡ seuer

produit > voir résultat

proportion መጠን፡ ድልድል፡ አስተያይት፡
= መጠን፡ ድልድል፡ maṭan deleddel

(la) proportion continue = የተያያዘ፡ መጠን፡ ድልድል፡
iatai äiaza maṭan deleddel

propriétés des nombres የቁጥሮች፡ አኳን፡ jakutrotch akuahuan

puissance des nombres የቁጥሮች፡ ኃይል፡ የቁጥሮች፡ መሠረት፡
= የቁጥሮች፡ መሠረት፡ jakutrotch masarat

quantité = ብዛት፡ bezāṭ

quart = ፋብ፡ አርቦ፡

ፋብ፡ rūb

quotient = ድርሻ፡ dérā

racine carrée = የሁለት፡ አመልካች፡ መሠረት፡ iahulat'amalkāteh
masarat

rapport ገንኙነት፡ ማን፡

= ገንኙነት፡ geneñūnnat

rapport inverse = ግልብጥ፡ ገንኙነት፡ gelbeṭ geneñūnnat

recette = የራስ፡ ገቢ፡ iarās gabī

nombre rangé (: horizontal) ገፍፓ:; ረፍፍ:

= ገፍፓ: gedem

nombres premiers ተወዳዳሪ:; አልከረል: ባይ: አልግመድ: ባይ:

(ነጠላ:)

= አልከረል: ባይ: 'alekaffal bāi

numérateur ክፍል: ቆጣሪ:; ቆጣሪ:; ጫፍ:

= ቆጣሪ: kotāri

numération = አቆጣጠር: 'akkoṭāṭar

numération écrite = የጽሕፈት: አቆጣጠር: jaṣehfat 'akkoṭāṭar

numération parlée = የቃል: አቆጣጠር: jakāl 'akkoṭāṭar

obligataire = ተገዳጅ: tagaddādǧ

obligation = ገደታ: geddētā

opération አሠራር:; ሥራ:

= ሥራ: serā

oral የ—ቃል:; በቃል:

= በቃል: baḳāl

pair = ጥፍድ ቴጠድ

partage proportionnel = የመጠን: ድልድል: ክፍያ: iamaṭan
deleddel keffejjā

partiel ቀሪጭ:; የ—ክፍል:

= የ—ክፍል: jā:—kefi

perpétuel = የዘወትር: iazayatr:

perte ክላራ:; ጥፋት:

= ክላራ: kesārā

plus ሲተከል:; ሲጨመር:; ይልቅ:

= ሲጨመር: siṭchammar

plus grand commun diviseur = ይልቅ: ትልቁ: የገድነት:

ክፋይ: ielek tellekū iāndennat kafūi (abrév. ይ: ት: ያ: ክ:)

plus petit commun multiple = ይልቅ: ትንሹ: የገድነት: ብዙ:

ielek tennešū iāndennat bežži (abrév. ይ: ት: ያ:)

mental በቀልብ፡ ; በአሳብ፡

= በአሳብ፡ ba'assāb

millième (: pour décimal) = ሺህኛይት፡ ሻ፲፬፤ት (: pour fraction) = ሺህኛ፡ ሻ፲፬፤

minute = ደቂቃ፡ daḳīḳā (abrév. ደ፡)

moins = ሊቀነስ፡ siḵḵannas

mois = ወር፡ ህጻ (abrév. ወ፡)

(les) moyens ሥሮች፡ ; መካከለኞች፡

= መካከለኞች፡ maḥākalanōtch

multiple ርቢ፡ ; ብዙት፡ ; ብዙ፡

= ብዙ፡ bezzī

multiplicand ብዙ፡ ; ተብዙ፡

= ብዙ፡ baḳī

multiplicateur = አብዙ፡ 'abzī

multiplication አብዛዝ፡ ; ማብዛት፡

= ማብዛት፡ mābzāt

multiplié par = ሊባዛ፡ sibazzā

(: fois) = ጊዜ፡ ሸ፲፭

nombre ቀጥር፡ ; ቁጥር፡

= ቁጥር፡ kuṭr

nombre abstrait = የ — ረቂቅ፡ ቁጥር፡ ገጽ—ገጽ kuṭr

nombre complexe ለብ፡ ሻህር፡ ቁጥር፡ ; ዝንፍን፡ ቁጥር፡ ; የጊዜ፡

አካሄድ፡

= ዝንፍን፡ ቁጥር፡ zenefnef kuṭr

nombre concret የተረጋገጠ፡ ቁጥር፡ ; ገዢ፡ ቁጥር፡

= ገዢ፡ ቁጥር፡ gezūf kuṭr

nombre en colonne (: verticale) = ወርድ፡ uerd

nombre fractionnaire = ብርባሬ፡ ቁጥር፡ seberbārī kuṭr

nombre fractionnaire ou expression fractionnaire = ለብርባሬ፡

ቁጥር፡ ገጽ seberbārī kuṭr

excès = ብልሄ፡ belčhā

xercice መልመጃ፡ ; መለመጃ፡

= መለመጃ፡ mallāməčča

exposant መሠረት፡ ; አስተዋቂ፡ ; አመልካች፡ ; ሀ፡ን፡ ባይ፡

= አመልካች፡ 'amaikāčh

expression fractionnaire > voir nombre fractionnaire

extraire ግውጣት፡ መለየት፡

= ግውጣት፡ māḣtāt

(les) extrêmes መጨረሻዎች፡ ; ጫፍች፡

= መጨረሻዎች፡ mačharrašāḣotčh

facteur ሠራ፡ ; አሠራ፡

= ሠራ፡ sarī

fraction ቅንስናሽ፡ ; ቁርጥራዊ፡ ; ከፍልፋይ፡ ; ስብርባሪ፡

= ስብርባሪ፡ seberbārī

fraction ordinaire ተራ፡ ስብርባሪ፡ ; ተርታ፡ ስብርባሪ፡

= ተራ፡ ስብርባሪ፡ tarā seberbārī

(les) frais d'exploitation = የግሥሪያ፡ ዋጋ፡ ጸመሰረዳ ህጻጃ

grandeur ልቀት፡ ; ትልቅነት፡

= ትልቅነት፡ tellekennat

hausse (: prix) = ወጣ፡ (: ዋጋ፡) ህታፍ፡ ህጻጃ

heure = ሰዓት፡ sa'āt (abrév. ሰ፡)

impair = ንጠላ፡ načalā

impôt = ግብር፡ geber

inscription de rente = የወለድ፡ አደራ፡ አጻጻፍ፡ ጸህላለል 'adarā
'aššāšāf

intérêt = ወለድ፡ ህላለል (abrév. ወ፡)

intervenir = መለወጥ፡ malaḣḣuāt

jour = ቀን፡ ጸān (abrév. ቀ፡)

dividende = የሥራ ጥቅም፡ ገሰረገሰ ገደም

divisé par = ሲከፈል፡ ሲከፈል

diviseur አካፋይ፡

= ከፋይ፡ ከፋይ

diviseur > voir sous multiple

diviseur commun = የገደም፡ ከፋይ፡ ገደም ከፋይ
(abrév. ያ፡ ክ፡)

divisibilité des nombres = የጥቅም፡ ጥቅም፡ ጥቅም
takaffāinat

division ግክፈል፡ ግክፈል፡ አካፋይ፡ አካፋይ

= ግክፈል፡ ግክፈል

dixième (: pour décimal) = አሥረኛደት፡ 'asserānāit (: pour
fraction) = አሥረኛ፡ 'asserānā

dizaine (: en classification) የሥር፡ ቤት፡ ገሰረገሰ
(: en comptant) የሥር፡ ጥቅም፡ ገሰረገሰ

échéance = ውስጥ፡ ጥቅም፡ ገሰረገሰ

égal የሰጠ፡ የሰጠ፡ ገሰረገሰ

= የሰጠ፡ ገሰረገሰ

entier ግክፈል፡ ግክፈል፡ ግክፈል

= ግክፈል፡ ግክፈል

entreprise ውል፡ ውል፡ የሚሠራ

= ውል፡ ውል

escompte አስቀድሞ፡ መክፈል፡ ገደም

= አስቀድሞ፡ መክፈል፡ ገደም

escompte en dedans = የውስጥ፡ አስቀድሞ፡ መክፈል፡ ገደም
'askaddemo makfal

escompte en dehors = የውጭ፡ አስቀድሞ፡ መክፈል፡ ገደም
'askaddemo makfal

exact ትክክል፡ ልክ፡ ገሰረገሰ

= ልክ፡ ልክ

= (: sans reste) የገሰረገሰ፡ ገሰረገሰ

conséquent = ጠሪ: tārī

conversion መለወጥ: ; መገለጠጥ:

= መለወጥ: malayuat

coupon ተራፎ፡ ; ጉርድ:

= ጉርድ: gürd

cours d'émission የለውጥ: አካሄድ: ; ያወጣጥ: ደንብ:

= ያወጣጥ: ደንብ iāutāt danb

courtage ያዋዋይ: ዋጋ: ; አበል:

= ያዋዋይ: ; ዋጋ: iauāuī uagā

courtier አዋዋይ: ; አሻጣሪ: ; ማወጣጥ:

= አዋዋይ: 'auāuāi

créancier = ባለ: ብድር: bāla bedder

débiteur ዳቤ: ክፋይ: ; ባለ: አዳ: ;

= ባለ: አዳ: bāla 'edā

décimal ምንዛር: ; ምንዛሪ: ; አሥራት: ; ያሥር: ስብርባሪ:

= ያሥር: ስብርባሪ: iasser seberbārī

déduire ማጉደል: ; ማውጣት:

ወል = ማውጣት: iāutāt

définition = ውሳኔ: uessānē

degré ደረጃ: ; ማዕረግ: ; ረድፍ: ; አርከን: ; ረገድ:

= ደረጃ: daragā

degré d'approximation በተቃረኑ: ደረጃ: bataḱārab daragā

demi = ግማሽ: gemmāš

dénominateur ክፍል: ጠሪ: ; ጠሪ: ; መቶጊያ: ; ስር:

= ጠሪ: tārī

différence = ልዩነት: leiunnat

directe = በቀጥታ: bakattetā

disposition des opérations = የሥራ: አቀማመጥ: iaserā
'akamāmat

dividende = ተከፋይ: takaffāi

à moins d'une unité = ለ—ገዳይ: la — guddāj
amortir = ማስጠፋት: māsṭaffāt
année = ዓመት: 'āmat (abréviation ዓ:)
antécédent = ቆጣሪ: koṭārī
(les) arrérages = ዘገደዎች: zagjiuotch
baisse (: prix) = ወረደ: (ዋጋ:) uarrada : uāgā
bénéfice = ትርፍ: terf
bissextile (: année) ዓመተ: ሉቃስ: የሚያስገር: ዓመት:
= ዓመተ: ሉቃስ: 'āmātē lukā-
bourse የባርሳ: ቤት: ; የዋጋ: ቤት: ልብ
= የዋጋ: ቤት: iauāgā bēt
cas = ሁኔታ: hūnētā
cash at bank = በባንክ: ያለንፍ ገንዘብ: babānk iallan gānzab
cash in hand > voir somme disponible
capital = ዋና: ገንዘብ: uānnā gānzab (abrév. ዋ:)
carré = የሁለት: አመልካች: iahulat amalkāteb
centaine (: en classification) = የመቶ: ቤት: iamato bēt
(: en comptant) = የመቶ: ቁጥር: iamato kuṭr:
centième (: pour décimal) = መቶኛይት: matoñāit
(: pour fraction) = መቶኛ: matoñā
chiffre አኃዝ: ቁጥር:
= አኃዝ: 'ahāz
circonférence = ክበብ: keḥab:
commun multiple = ያንድነት: ብዙ: iāndennat bezzī (abrév. ያ: ብ:)
compensation መቻቻል: ; ማበጻጸር: ; ርጥባን: ; ገጽጋሚ: ; ካጣ:
= ማበጻጸር: mabbaddādar
composé (: nombre) = ድርብ: derreb
compter = መቁጠር: makūṭār

arriver enfin, après le signe = au mot adopté, suivi de sa translittération.

Les termes relatifs à l'arithmétique sont groupés dans la partie I, ceux de la géométrie pratique dans la partie II, ceux de la grammaire dans la partie III, et ceux de la géographie dans la partie IV.

Ce sont les seules matières que nous ayons pu étudier au cours des réunions de l'académie.

J'espère avoir suivi une méthode pratique, amenant à l'unification des termes dans les diverses disciplines.

Il est souhaitable de voir cette méthode appliquée dans la recherche des termes techniques relatifs aux matières qui n'ont pas été abordées par l'académie.

I.—ARITHMÉTIQUE

ሐሳብ : hisāb

absolu (: valeur) የተቋረጠ : (ዋጋ) ; ፍጹም : (ዋጋ)

= የተቋረጠ : (ዋጋ) . jatakuarafa : uāgā

achat = ገዢ : gežzi

action ሥራ ; ከፋይ :

= ሥራ : serā

actionnaire ትከፋይ ; ባለሥራ :

= ባለሥራ : bālaserā

actions et obligations = ሥራዎች ፍ ; ገደታዎች : serāuotche
nā geddētāuotch

addition አደግመር ; ድመራ ; መደመር :

= መደመር : madammār

affecté የተከናወነ ; የተነከ ; የተሠራ :

= የተሠራ : jatasarrā

agents de change አሽራፊዎች ; ሸራፊዎች ; ወኪል :

= ሸራፊዎች : šarāfiuotch

DE CERTAINS TERMES TECHNIQUES EN LANGUE AMHARIQUE

PAR

MURAD KAMIL

Pour suivre les progrès rapides de l'instruction en Ethiopie, l'amharique—langue officielle de ce pays—s'est prêtée à une évolution remarquable.

La littérature s'est enrichie de modes d'expression empruntés à des langues étrangères, et variant avec les diverses cultures des écrivains.

Pour enseigner les diverses matières dans les établissements scolaires, les instructeurs éthiopiens devaient introduire pour chacune d'elles les termes techniques qui lui sont propres.

Durant la période que j'ai passée en Ethiopie (1943-1945) et dans les différents postes que j'ai eu l'honneur d'occuper au Ministère de l'Education et des Beaux-Arts, j'ai remarqué que chaque instituteur usait spontanément d'un nombre de termes inspirés par la langue étrangère qu'il avait apprise.

Dans le but d'unifier les termes techniques, j'ai constitué à Addis-Abéba une commission formant une sorte d'académie.

Des instructeurs spécialisés dans les diverses matières fournissaient, chacun à leur tour, les termes amhariques employés en classe, rangés par ordre alphabétique. Ces termes, souvent différents d'un instructeur à l'autre, faisaient l'objet d'une discussion, qui aboutissait à un choix définitif.

J'expose ci-dessous les termes en usage, en langue française, accompagnés des différents termes proposés en amharique, par

'Alī regretted what he had done. He walked among the corpses and prayed for them and said, "What a bad deed we have done! We have killed the best and most learned among us".

'Alī did not accept the judgement of the arbiters, while if the arbitration had been right he should have accepted its result and fulfilled the agreement (between him and Mu'āwiyah).

Thus he was not satisfied with those whom he accepted as arbiters nor with those who advised him against arbitration. He remained abandoned till he was killed six years after his nomination as a caliph.

The Killing of 'Alī b. Abī Ṭālib

Thus having been dismissed from authority, God decreed for him 'Abd ar-Rahmān b. Muljam al-Murādī, who stabbed 'Alī at the door of his house. About Ibn Muljam, 'Imran b. Ḥaṭṭān says:—

"O what a stroke from a pious man by which he did not mean anything except to acquire the satisfaction of God."

Whenever I think of him I think of him as the one whose merits outweigh all creation".

Remark: *The translation of the Qur'ānic verses quoted above have been taken from the translations of the Qur'ān by Muhammad 'Alī and Yūsuf 'Alī.*

fought, as unbelievers. And how can 'Amrār be considered as a rightly guided man while those who follow his example are wrong-doers? If 'Amrār's fighting against the party of Mu'āwiyah were right, then those who followed his example after his death would be right; and if it were wrong, then 'Alī and his followers must have gone astray by giving consent to this fighting.

And how was it lawful to fight Ṭalḥah and Zubayr who were better than Mu'āwiyah and to refrain from fighting Mu'āwiyah while he still adheres to the religion of Ṭalḥah and Zubayr for which they deserved to be fought with.

This is what we know of the mistakes of 'Alī, and his deviation from the right path. (F. 105 a) Ibn 'Abbās left them fully convinced by their opinions, and acknowledging that they had refuted his arguments. On his return, 'Alī took him aside and heard the arguments of the Khārijis, which he did not want to become known to his followers. He asked Ibn 'Abbās to help him in fighting the Khārijis but the latter refrained.

(F. 105 b) *The killing of the people of Nahrarān, may God have mercy on and be satisfied with them*

'Alī marched on them with the Rāfiḍah, the Kūfis, and the bad people, while they were leaving him alone and appealing to him in the name of God to leave them alone with their religion and to refrain from shedding their blood. They did not want to start war against him till he started it. On that day, 4,000 of the best companions of the Prophet were killed, among whom were seventy of the Muslims who fought in Badr and four hundred men called al-Ṣawārī, who were never missing from the company of the Prophet. Hurqūṣ b. Zuhayr (1) who was attested to be one of the people of paradise, by the Prophet, was killed.

(1) This man is highly praised by Qalhātī. Other important people who were killed in the battle are also mentioned.

punishment specified for this sin on him, and the same applies to a follower of Mu'āwiyah who joins 'Alī?

(F. 104 a) How then can it be correct to follow the religion of a people who have undertaken not to punish a sinner from among them, because he fled from the judgement of God in his case and escaped punishment by saying that he joined Mu'āwiyah?

Or how can it be correct to enter into allegiance to a man who dismissed himself from the rule of the Muslims and did not repent of this nor of the other deeds we have mentioned?

Did you not say that 'Alī fought Ṭalḥah and Zubayr in compliance with the command of the Book of God which directed the fighting of the transgressors?

And did not 'Ammār b. Yāsir and the Muslims who accompanied him fight at Ṣiffin, till they were killed practising the principle of (Amr bi 'l-Ma'rūf and Nahy 'an al-Munkar), and that of fighting the transgressors till they comply with God's command?

Did not 'Alī by accepting the arbitration consider it unlawful to fight Mu'āwiyah and his army till the arbiters gave their judgement, notwithstanding that fighting was declared lawful by God? Did 'Alī do this because Mu'āwiyah and his army repented and re-embraced Islam?

Ibn 'Abbās said that 'Alī considered it unlawful to fight them because of the pledge he had given them (F. 104 b) and not on account of their repentance and re-embracing Islam.

They said that by this, 'Alī had made fighting with them unlawful while they were in the same state for which they deserved to be fought with, in compliance with the command of God. Thus your man considers those who still adhere to the command of God (1) and the Sunnah of the Prophet, and fight those whom 'Ammār (b. Yāsir) and the Muslims with him had

(1) The Khārijīs are the group meant by this.

(Qur'ān, 6, 115). He also said, 'Judgement belongs to God alone ; He has commanded that you shall not serve aught but Him ; this is the right religion but most people do not know' (Qur'an, 12, 40). In a case on which there is no judgement in the Qur'ān or the Sunnah, judgement belongs to the just Muslims. But, in a case on which God has given judgement, man has no choice, as He said, 'And it behoves not a believing man and a believing woman that they should have any choice in their matter when God and His Prophet have decided a matter ; and whoever disobeys God and His Prophet, he surely strays a manifest straying' (Qur'ān, 33, 36). He also said, 'But no ! by your Lord ! they do not believe (in reality) until they make you a judge of that which has become a matter of disagreement among them, and then do not find any straightness in their hearts as to what you have decided and submit with entire submission' (Qur'ān, 6, 65).

Then how can one who abandoned the judgement of God and His Prophet and refused to submit to it, give judgement on a matter of the religion of God ?

(F. 103 b) Mu'āwiyah and 'Amr b. ul-'Ās refused to submit to the judgement of God and His Prophet. If they had done so, then resorted afterwards to the command of God and returned to the religion of the Muslims, it would have been our duty to accept this from them, and to renew friendship with them (تولاهم) as God has ordered us to fight the transgressors till they comply with God's command. But to appoint men to give judgement on something which has already been decided by God and to accept the judgement of men, even if it contradicted that of God, is something which we cannot allow.

O Ibn 'Abbās ! Did you not know that among the conditions between 'Alī and Mu'āwiyah, one stipulates that if one of the followers of 'Alī committed a sin then entered into allegiance to Mu'āwiyah, 'Alī would not have the right to impose the

They said, "Suppose that there is a man who committed fornication or a man who committed robbery and his theft was proved. The Imam of the Muslims wanted to impose on him the punishment specified for theft, but he refused to submit to the command of God, and, a group of the Muslims rose to defend him from having this punishment imposed on him, and thus the thief became secure among them. Is it not lawful for the Muslims to fight those people" ?

Ibn 'Abbās said, "Yes".

They continued, "Suppose that the Muslims fought them till victims fell on both sides, then they proposed to the Muslims to appoint an arbiter on their side to arbitrate with an arbiter appointed by them, and to accept whatever judgement the arbiters might arrive at, would it be lawful for the Muslims to accept this from them? And if they judged unjustly and directed the abandonment of the (ḥudūd), would it be right for the Muslims to agree to this and to consider it unlawful to fight those who abandoned the (ḥudūd) and held fast to this" ?

Ibn 'Abbās said that the Muslims are not allowed to do so.

They said; "Then, how can we arbitrate on the religion of God with someone who believes in the abandonment of the (ḥudūd), and consider it unlawful to fight the transgressing party while, fighting them is one of the (ḥudūd) of God like His commands concerning the thief and the fornicator. Man has no choice in anything about which God has given judgement. Almighty God has said, 'And judge between them by what God has revealed, and do not follow their low desires, but if they turn back, then know that God desires to afflict them on account of some of their faults; and most surely many of the people are transgressors. Is it then the judgement of (the times of) ignorance that they desire? and who is better than God to judge for a people who are sure?' (Qur'ān, 5, 49-50). God also has said, 'Shall I then seek a judge other than God? and He it is Who has revealed to you the Book which is made plain'

and besiege them and lie in wait for them in every ambush, (F. 102 a) then if they repent and keep up prayer and pay the poor-rate, leave their way free to them ; surely God is forgiving, merciful. And if one of the idolators seek protection from you, grant him protection till he hears the word of God, then make him attain his place of safety ; this is because they are a people who do not know. '(Qur'an, 9,1-6).

Thus the Barā'ah directed the breaking of every treaty with the idolators and forbade the Prophet to grant them any security, except from those who may seek protection from him so that they may hear the word of God. The Almighty also has said, 'O you who believe! The idolators are nothing but unclean, so they shall not approach the Sacred Mosque after this year', (Qur'an' 9, 28).

After God had forbidden His Prophet to conclude any agreement with the polytheists, and made such a deed unlawful in Barā'ah, no one was allowed to do so. What can your man say about this ? If he still holds the concluding of agreements with the unbelievers a permissible act, then let him take the mosque of Jerusalem for his qiblah, and follow the laws which have been abrogated.

O Ibn 'Abbās ! Do not you think now that the case⁽¹⁾ which your man has quoted as an argument against us is no more permissible ?"

Ibn 'Abbās said, " Yes ".

They continued, " Do you know that fighting the transgressing group is one of the (ḥudūd) of God which He has taught His servants, as He taught them the flogging of the fornicatress and the fornicator and cutting off the hand of the thief ? "

Ibn 'Abbās said, " Yes ".

(1) The Prophet's agreement with the unbelievers.

there is a Muslim who is married to a Jewess or a Christian woman, and some trouble arises between them, is it lawful in such case to invite the Jews and the Christians to judge according to the laws of the Muslims in which both the Jews and Christians do not believe ? ”

Im̄n ‘Abbās said, “ No ”.

They said, “ Then how could ‘Alī accept the arbitration of ‘Amr b. al-‘Ās who allowed the shedding of the blood of the Muslims, forbidden by God to be shed, and who joined our enemies ? ”

“ As regards the armistice between the Prophet and the unbelievers which you have quoted against us, the permissibility of concluding such agreement was abrogated, at a later time. In the same way, the Qiblah was Jerusalem, at first, then it was replaced by the Ka’bah. (F. 101 b). Wine was allowed at the beginning, then forbidden later (Other examples of abrogated things are given).

In the Barā’ah, God forbade the Prophet to conclude any agreement with the unbelievers. He said, ‘(This is a declaration of) immunity by God and His Prophet towards those of the idolators with whom you made an agreement. So go about in the land for four months and know that you cannot weaken God and that God will bring disgrace to the unbelievers. And an announcement from God and His Prophet to the people on the day of the greater pilgrimage that God and His Prophet are free from liability to the idolators; therefore if you repent, it will be better for you, and if you turn back, then know that you will not weaken God; and announce painful chastisement to those who disbelieve—except those of the idolators with whom you made an agreement, then they have not failed you in anything and have not backed up anyone against you, so fulfil their agreement to the end of their term: surely God loves those who are careful of their duty. So when the sacred months have passed away, then slay the idolators wherever you find them and take them captives

They said, "Is the one who kills the game while he is on pilgrimage allowed to require the arbitration of one who does not forbid such a deed" ?

Ibn 'Abbas said, "No".

They said, "How then did 'Ali accept as arbiter on a matter of religion someone who considers it lawful to shed the blood of the Muslims, an act which God has forbidden, and one who considers it unlawful to fight the transgressing group and those who entered into allegiance to the enemies of God and His Prophet ?

Even if the arbitration (in principle) were right, 'Ali had gone out of the right path by accepting as arbiters on a question of the religion of God those who believe in something else, by allowing the killing of the believers and entering into allegiance to the enemies of God and His Prophet.

As regards Abū Mūsā, was he not a doubtful man ? And did he not consider it unlawful to fight the transgressing group and discouraged the people from fighting" ?

Ibn 'Abbās said, "Yes".

They said, "How then could 'Ali appoint such a man as arbiter ? In doing this, he is like a man who accepted the judgement on the value of game killed in the Haram, from someone who permits such a deed. (F. 101 a) And did not 'Amr b. ul-'Ās consider the shedding of the blood of the believers a lawful act, and considered it unlawful to fight those who revolted against the Muslims ? Did he not join the enemies of God and the Muslims" ?

Ibn 'Abbās said, "O yes ! You have disagreed with 'Ali because of this, and you are right". They continued, "As regards the Qur'anic verse, 'And if you fear a breach between the two (the husband and the wife), then appoint a judge from his people and a judge from her people; if they both desire agreement, God will effect harmony between them', suppose that

to God, His Prophet, and the Imam of the Muslims 'Abdullāh b. Walīd ar-Rūsī. We nominated him after we had deposed you, because you deserved this from us and we had to act (against you). That is all".

The debate between the Muslims and Ibn 'Abbās

Then 'Alī b. Abī Ṭalīb sent to them 'Abdullāh b. 'Abbās who asked them to rejoin 'Alī. They said to him that 'Alī discarded his title as the Prince of the faithful, and desired the arbitration, throwing away the gown (of the caliphate) which God has bestowed on him.

(F. 100 a) In answer to this Ibn 'Abbās said to them that the Prophet discarded his title as the "Prophet of God" when concluding an agreement on the cessation of hostilities between him and the polytheists of Quraysh in the year of Ḥudaybiyah. This was after they had said to him, "If we knew that you are the Prophet of God we would not disagree with you". Ibn 'Abbās continued, "As to that which you have mentioned about the arbitration and that it is not permissible, God has said, 'O you who believe! Do not kill game while you are on pilgrimage, and whoever among you shall kill it intentionally, the compensation (for it) is the like of what he killed, from the cattle, as two just persons among you shall judge, as an offering to be brought to the Ka'bah (Qur'an, 5, 95). God also has said, 'And if you fear a breach between the two (the husband and the wife) then appoint a judge from his people and a judge from her people; if they both desire agreement God will effect harmony between them.' (Qur'an: 4, 35)".

They said, "We have listened to you and heard the message with which you have been sent and your arguments. By God, listen to our arguments and judge between us and him who has sent you".

Ibn 'Abbās said, "By God, I will".

The letter of 'Alī to the people of Nahrawān

"From the Prince of the faithful 'Alī b. Abī Ṭālib to Zayd b. Ḥiṣn⁽¹⁾, 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī and the Muslims with them: In reference to you, I praise God, the One. To begin: The two arbiters have abandoned the Book of God and judged against that which has been revealed. Thus God and His Prophet have abandoned them. I have also abandoned them. Now let us agree and return to fulfil that which you have demanded from me till God, Who is the best judge, decides between us and our enemy. Let us meet in Najrān [?] ⁽²⁾ if God wills".

They answered this letter with one at the beginning of which they mentioned 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī. It reads as follows: "In the name of God, the Compassionate, the Merciful. (F. 99 b.) From the Imam of the Muslims 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī, and from Zayd b. Ḥiṣn and the Muslims with them to 'Alī b. Abī Ṭālib, the one who deposed himself. Peace be upon him who follows the right path and keeps away from that which causes one to perish.

To begin: We praise God the One. Your letter in which you mention that the two Arbiters abandoned the Book of God and judged against that which He has revealed has reached us. We have known since the beginning of this matter, thanks to God, that it was not the right thing (to do). Your sin in allowing the arbitration (to happen) is greater than the sins of the arbiters. You have proposed to return to that which is right, and to agree with us as before. We do not reject your repentance. If you are truthful, join the Muslims in obedience

(¹) The name of this man was given before as Zayd b. Ḥuṣayn. The two variations of Ḥiṣn and Ḥuṣayn occur also in Ṭabarī: See Index under "Zayd b. Ḥuṣayn".

(²) The presence of Najrān here is strange. It may be a corruption of Nabrawān.

Qur'ān and learned men. Among them was 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī who was the first Imam whom they nominated, Ḥuqrūṣ b. Zuhayr as-Sa'dī, Zayd b. Ḥusayn at-Tū'i, Ḥamzah b. Sinān al-Azdi as-Sulamī, and a number of Muhājirūn and the Anṣār. They assembled in the house of 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī and offered the Imamate to Ḥuqrūṣ b. Zuhayr, but he declined it. They offered it to 'Abdullāh b. Wabb ar-Rāsibī after they had passed it from one to another. Ar-Rāsibī said, "Well, give it to me. By God I do not accept it for love of this world and I am not going to abandon it for fear of death".

When 'Alī learned of the settling of those people in Nahrawān, he sent someone to ask them to return to him and this was after the two arbiters had met for 49 days in Dūmat al-Jandal. When those men (the Khawārij) left him and deserted his camp, he missed them and said, "Why do I not hear the reading of the Qur'ān as I used to do before"? He was told, "The readers have left your camp".

When Mu'āwiyah learned that the people of Nahrawān had deserted 'Alī, he sent to him saying: "I heard that some of your followers disobeyed you and left your army. Things cannot get settled by us alone in the presence of a third contestant (F. 99 a) If you would like me to fight them for you, I will". 'Alī wanted to accept this proposition, but he was advised not to do so, and to march on them suddenly before the assembling of their partisans from the different districts.

The meeting of the Two Arbiters

The two arbiters met in Dūmat al-Jandal. Abū Mūsā al-Ash'ari rejected his man 'Alī and 'Amr b. al-'Āṣ confirmed the nomination of Mu'āwiyah. When 'Alī learned of this, he repented of that which he had done and wrote to the people of Nahrawān (calling them) to fight Mu'āwiyah and asking them to rejoin him.

Prince of the faithful 'Alī..." and Mu'āwiyah said to him that if he had known that he was the Prince of the faithful he would not have fought him, and demanded that 'Alī should omit this title and 'Alī agreed.

(F. 98 a) When the Muslims learned of this they said to him, "O'Alī! What induced you to deprive yourself of the name with which the Muslims have called you? Are you not the Prince of the faithful and Mu'āwiyah the Prince of the unbelievers? Repent of that which you have done." 'Alī repented.

Mu'āwiyah continued to write to 'Alī about the arbitration. 'Alī chose from among his army Abū Mūsā al-Ash'arī and Mu'āwiyah chose 'Amr b. al-'Āṣ who was the enemy of the Prophet and had composed a satire of 90 couplets about him. 'Alī accepted such a man as arbiter and left aside the judgement of the Book of God. Surely, if arbitration had been right Alī must have perished for allowing blood to be shed in the war that preceded arbitration, and Mu'āwiyah was more just than he because he was the one who took the initiative. And if arbitration had been wrong, 'Alī must have perished for entering into it. In both cases 'Alī has no escape. It was related after the Prophet that he said, "In my community, there will be two arbiters who will go astray and cause those who follow them to go astray".

*The separation of the people of Nahrawān may
God have mercy on and forgive them*

When the Muslims became certain that 'Alī was going to arbitrate and that he had reverted to this decision after repenting of it, they left him and went away taking God for their arbiter. They are the missionaries of God on earth who (F. 98 b) command that which is right and prohibit that which is wrong. Leaving 'Alī, they went to a place near Kūfah, called Mar'arā and there assembled 10,000 of the best companions of the Prophet, the leaders of the Muslims, their jurisprudents, readers of the

transport one brick at a time for the building, while 'Ammār used to carry two bricks at a time till he fainted as he was still convalescing from an illness which had befallen him.

(Other stories are related about the virtues of 'Ammār b. Yāsir, as attested by the Prophet) (').

(F. 97 a) At the time of his death 'Ammār said, "Is there anyone who would like to go to paradise before the arbitration?" "It was related to us that he reproached 'Alī and said to him", "You have made us doubtful of our religion and put us in a bad position by causing us to appoint our enemies as arbiters on our religion and our blood. Was it not better to have taken such a step before starting the war and before killing Ṭalḥah and Zubayr who asked you the same thing and you refused to consent saying that you knew that you were right and that they were wrong. If the people whom we are fighting were unbelievers and polytheists, we should not stop fighting them till they embraced Islam. If they were the people of a revealed religion we should fight them till they "paid the jizyah with willing submission and feel themselves subdued" (Qur'ān : 9,29).

If they were transgressors we should not stop fighting them "till they comply with God's command" (Qur'ān : 49,9).

Then 'Ammār went out, accompanied by the Muslims who followed him and fought Mu'āwiyah till they fell as martyrs. Twenty-five men of the Muhājirūn and the Anṣār were killed with 'Ammār.

(F. 97 b) *The two Arbiters, Abū Mūsā al-Ash'arī
and Amr b. al-'Ās*

Mu'āwiyah promised to give Egypt to 'Amr b. al-'Ās as a source of gain. Correspondence continued secretly between 'Alī and Mu'āwiyah. 'Alī wrote to Mu'āwiyah, "From the

(') Many of these traditions about 'Ammār are related in his biography in *Ṭabaqāt Ibn Sa'd*.

to fight 'Alī and to revenge the murder of 'Uthmān who, they said, was unfairly killed. 'Alī, accompanied by the Muslims, met Mu'āwiyah and his followers at Ṣiffīn and the two armies fought vigorously. A great number of men were killed and it is said that the number of the dead amounted to 70,000 and, on the night called "Laylatu 'l-Harīr" (1), 30,000 were killed. Mu'āwiyah became afraid because of the increasingly large number of fatal casualties among his followers (F. 96 a) and consulted with 'Amr, b. ul-'Āṣ who advised him to fix copies of the Qur'an to the points of lances. Mu'āwiyah wrote to 'Alī secretly saying that the Book of God was the arbiter between the party of 'Alī and his party and suggested that they should appoint two arbiters and accept whatever judgement they might give. 'Ammār b. Yāsir heard of this and said to his companions, "Go to 'Alī and reproach him for this". 'Alī told them that he was going to reject arbitration.

The murder of 'Ammār b. Yāsir

It was related to us that 'Ammār b. Yāsir said to 'Alī, "Those people will say to you, 'Between you and us is the Book of God'. Say to them, 'We have fought you because you have abandoned the Book of God'. They will say to you, 'Let us appoint two arbiters between us and let us accept whatever judgement they may give'. Say to them, 'Who can give better judgement than God for the people whose faith is assured' (Qur'an, 5, 55). If they say, 'Let us appoint an armistice period in which to negotiate peace.', say to them, 'God Almighty has said, (Fight the transgressors till they comply with the command of God) '(Qur'an, 49, 9)".

It was related to us that the Prophet said to 'Ammār b. Yāsir, "You will be killed by the unjust group. Your murderer will go to Hell". It was related to us also that during the construction of the mosque of Madīnah, each Muslim used to

(1) About Laylatu 'l-Harīr see: Tabarī, I, 3322.

of the Prophet, in her home and deceived her by saying that 'Alī seized the rule for himself without the consent of the Muslims and before consulting with them. 'Uthmān, they said to her, was unfairly killed after he had repented of his deeds. Thus, they made her change her opinion of 'Uthmān after she had been wont to attest that he became an unbeliever in the Qur'ān. They persuaded her to go with them to Iraq so that she might put the question again in the hands of the Muslims to decide what they wished. Thus they came to Baṣrah seeking worldly profit after they had witnessed (indifferently) the murder of 'Uthmān and entered into allegiance to 'Alī. They were accompanied by mischievous and ignorant people. Some of the Muslims appealed to them in the name of God (to abandon this), (f. 95 a) but they did not listen to them and killed some of the Muslims.

The battle of the Camel

When 'Alī and the Muslims with him in Madīnah heard of those deeds, they had to come out to fulfil the commands of God. Those who are not faithful to their pledge have no religion. 'Alī arrived at Kūfah accompanied by some of the Muslims, and there, they were joined by some of the inhabitants of Kūfah. The battle took place, Talḥah was killed on the field and Zubayr fled, but was killed by 'Amr b. Jurmūz. The camel of 'Ā'ishah was wounded. Victory was destined to the Muslims and 'Ā'ishah repented of her deeds. When 'Ammār b. Yāsir asked her if she fought 'Alī and his followers in fulfilment of a wish of the Prophet or was it her own opinion' (f. 95 b.) she said that it was her own opinion and that she regretted it and repented of it. Her repentance was accepted by the Muslims and she returned to her home. The people of Baṣrah agreed to obey 'Alī and thus he became fully acknowledged by all the Muslims.

The revolt of Mu'āwiyah

When 'Alī's authority became fully established Mu'āwiyah b. Abī Sufyān b. Ḥarb rose with the Syrians and called the people

follow the sunnah of the Prophet and the examples of the two Caliphs Abū Bakr and 'Umar. 'Alī refused to be nominated, at first, then accepted at last. (f. 93 a) and made a speech in which he undertook to confiscate all that 'Uthmān had taken from the common property of the Muslims, and to put right all the wrong he had done.

(f. 93 b.) The Muslims were not against the murder of 'Uthmān as is suggested by the doubtful and hesitant people among the Muslims. If they were against his murder why did not they defend him? 'Uthmān was among them and was not secretly killed; but his house was encircled for more than a month. (f. 94 a.) All the Muslims were agreed on killing him for the injustice and the innovations he had done. Abū Bakr and 'Umar were not more closely akin to the Prophet than 'Uthmān and 'Alī, but their merit was based on their piety and their adherence to the commands of God. But when 'Uthmān and 'Alī abandoned the commands of the Book of God and acted contrary to the sunnah of the Prophet, the Muslims rose against them.

If the doubters state that they refrain from condemning them because of their former deeds and their close relation to the Prophet, and if they say that 'Uthmān and 'Alī are in Paradise, while their followers are in Hell, it should be said to them that 'Uthmān and 'Alī led the people to follow them and they did so, and whoever was killed from among them met his death following the same religion as his leader. How then can 'Uthmān and 'Alī be in Paradise and their followers in Hell? If this happened according to the judgement of a man it would be an injustice. How then can it be attributed to God? Both the leaders and their followers are in Hell, and moreover, the leaders will be responsible for their own faults and the faults of their followers whom they led astray.

F. 94 b. The Revolt of Ṭalḥah, Zubayr and 'Ā'ishah

When 'Alī became established (in authority), Ṭalḥah and Zubayr revolted against him. They went to 'Ā'ishah, the wife

forward by them or whether they were fabricated later, is a question which applies equally to 'Alī's arguments, and which cannot be answered with certainty. But, as these arguments were given, although very briefly, by Abū Mikhnaf, we must assume that they represent one of the early phases of the Khārijī point of view.

2. Again, Abū Mikhnaf gives another report, related after the Khawārij, on the reason for their separation from 'Alī⁽¹⁾. This report is given with few more details by Qalhātī⁽²⁾.

3. Qalhātī mentioned at the end of his book, in a form of an "isnād", the groups of scholars at different times through whom the Ibādī doctrine was preserved from the time of 'Abdullāh b. Ibād downwards.

4. Furthermore the book seems to contain some traditions fabricated by the Khawārij to strengthen their cause. An example of these is the tradition put in the mouth of the Prophet to condemn the arbitration. In this tradition the Prophet is stated to have said, "In my community, there will be two arbiters who will go astray and cause those who follow them to go astray". I could not find this tradition anywhere else.

For these reasons, I am inclined to think that the information on the Khawārij in Qalhātī's work, is compiled from early Khārijī works. It throws a new light on their early theological and political views.

[The Caliphate of 'Alī according to al-Kashf wa 'l-Bayān of Abū Sa'īd Muḥammad b. Sa'īd al-Qalhātī Brit. Mus. Ms. Or. 2606.]

F. 92 b. The caliphate of 'Alī

The Muslims assembled in the mosque of the Prophet and elected 'Alī on condition that he would observe obedience to God,

(¹) Ibid, 3353.

(²) f. 195 b-196 a.

opinions of the Ibādī Khārijīs about the other Muslim sects. Naturally the Ibādīs are stated to be the only right sect.

As we have books on the Muslim sects, written by Sunnī and Shī'ī authors, in which the Khawārij are criticised, it is of much interest to us to have a book written on this subject by a Khārijī, to show the point of view of the Khawārij and to give their criticism of other sects.

This book contains also a great deal of information about the Ibādīs. The author, when describing the beliefs of each sect, tries to refute them if they are different from his, then gives the Ibādī opinions on the questions discussed. Besides this, he gives an Ibādī creed at the end of his work⁽¹⁾.

The date of the author of this work is not known. He was mentioned in the work entitled *Kānūs al-Sharī'ah* by Jumayyil b. Khanīs al-Sa'dī. This work was written during the reign of the Imam Sultan b. Saif b. Mālik, A.H. 1059-1079⁽²⁾. Qalhātī was referred to in this work as one of the great orthodox Imams of the past. Qalhātī might have flourished at a comparatively late period. But this does not lessen our interest in his work in general, and the account of Khārijism given in it in particular. Concerning the latter there are some reasons which convince me that the statements given in it go back to an early date.

1. Some of the important arguments against Ibn 'Abbās attributed to the first Khawārij by our author, are given in a very brief form by Abū Mikhnaf. The latter related these arguments after the Khawārij. This report is recorded in Tabarī⁽³⁾. It shows us that these arguments were known as early as the arguments against the Khawārij, attributed to 'Alī. Whether these arguments attributed to the first Khawārij were really put

(1) F. 224 a.

(2) Cat. of Arabic Mss., Brit. Mus., and Badger: History of the Imams and Seyyeds of 'Oman, pp. 78-90.

(3) Part I, 3351, 2.

In his account, Maqdisī has some inclination towards 'Alī. He wrote his book about 355 A.H.

6. Ibn al-Athīr: *al-Kāmil*. 3, 228 f. [Ibn al-Athīr was born in 555 and d. 630 A.H.].

Reports on the Khawārij, in all the published works handed down to us by Muslim historians, are numerous and contradictory. It is impossible to discuss them here. But suffice it to say that most of these reports were handed down to us by authors who were of different creeds from the Khawārij, and who were more or less hostile to them.

The contribution made to the study of Khārijism here, is the publication of an account of it, written by a Khārijī. This is the first time an account of the rise of Khārijism, written by a Khārijī author is published.

This author is Abū Sa'īd Muḥammad b. Sa'īd al-Azdī al-Qalbāṭī, who was an Ibādī Khārijī from Qalbāt in 'Omān. The book utilized here is *al-Kashf wa'l-Baṣān*, a unique Ms. preserved in the British Museum⁽¹⁾.

This is a work of two parts, one of which is historical and the other theological. In the historical part, there is a chapter on the caliphate of 'Alī which contains the account of Khārijism referred to above. This chapter is produced here in an abbreviated English Translation⁽²⁾. The abbreviation was necessary because the text is corrupt in some places and in others it contains some needless repetitions. But it is believed that all the important facts in it have been given in this translation.

In the theological part of the book, there is a study of non-Muslim religions and Muslim sects. The study of the Muslim sects is of special importance because it shows us the

(1) Or 2696. See the description of it in: *Cat. Arab. Mss., Sup.*, pp. 121-124.

(2) See below.

THE RISE OF KHĀRIJISM ACCORDING TO ABŪ SA'ĪD MUḤAMMAD B. SA'ĪD AL-AZDĪ AL-QALHĀTĪ

BY
MUḤAMMAD KAFAFI, PH.D.

The story of Khārijism has been told by many authors. In the following sources some accounts of them are to be found:

1. Naṣr b. Muzāḥim al-Minqarī: *Wāq'at Šifīn*, Cairo, 1946. [The author is a Shī'ī who died in 213 A.H. His book is a detailed account of the battle of Šifīn and the subsequent arbitration, from the point of view of the Shī'ah].

2. Abū ʿĀnifāh ad-Dīnawarī: *al-Akhbār at-Tiwāl*, ed. W. Guirgass, p. 178 f. [The author was probably born in the first decade of the 3rd cent. A.H. and d. 282 A.H.] (1).

3. Ṭabarī: *Tārīkh*, I, 3256 f. [The battle of Šifīn and the incidents which led to the arbitration. Ṭabarī was born probably at the end of 224 or the beginning of 225 A.H.] (2).

His history stops in 302 A.H.].

4. Mas'ūdī: *Murūj*, 4, 288 f. [The caliphate of 'Alī; p. 343, the battle of Šifīn; p. 283, the two arbiters and the arbitration]. Mas'ūdī was a Shī'ī. He wrote his work about 332 A.H.

5. Maqdisī: *al-Bad' wa't-Tārīkh*, 5, 208 f., the caliphate of 'Alī and the incidents which led to the rise of Khārijism.

(1) See: *Ency. of Islam*, Article "Dīnawarī".

(2) *Ibid*: Article Ṭabarī.

Zakī Muḥammad Ḥasan. Qunūz al-Fāṭimiyin. [Treasures
the Fāṭimids]. Large Svo.

Egyptian Library Press, Cairo, 1356 : 193

See pp. 187-93.

Kühnel, Ernst. Islamische Kleinkunst. Svo.

Schmidt, Berlin, 1925.

See pp. 172-4 and Abb. 139-41.

Die Sammlung türkischer und islamischer
Kunst im Tschinli Köschk. Large 4to.

de Gruyter, Berlin & Leipzig, 1938.

See Taf. 33, for lantern, with panes of rock crystal, from
the Laleli Mosque at Constantinople. Turkish, XVIIth cent.

Lamm, Carl Johan. Mittelalterliche Gläser und Steinschnitt-
arbeiten aus dem Nahen Osten. Sm. 4to., 2 vols.

Reimer/Vohsen, Berlin, 1929-30.

See Abschnitt B. Steinschnittarbeiten, hauptsächlich aus
Bergkristall, pp. 177-240 and Taf. 64-88.

Longhurst, M. H. Some Crystals of the Fatimid Period.
Burlington Magazine, XLVIII, pp. 149-55, with 2 plates.

1926.

Migeon, Gaston. Musée du Louvre. L'Orient Musulman.
2 vols., Svo. Morancé, Paris, 1922.

See II, pp. 7-8 and pls. 1-2.

Pollak and Muñoz. Pièces de choix de la Collection ...
Stroganoff à Rome. Large 4to., 2 vols. - Rome, 1911-12.

See II, p. 213 and pl. CLII-CLIII for jug with handle,
decorated with two pairs of lions affronted on either side of
a tree.

Molinier, Émile. Le Trésor de Saint-Marc à Venise. *Gazette
des Beaux-Arts*, 2e période, tome XXXV, pp. 361-78; XXXVII,
pp. 376-96, with 7 illustrations; XXXVIII, pp. 458-68, with
4 illustrations; 3e période, tome I, pp. 42-50, with 3 illustra-
tions. 1887-89

"Aiguière en cristal de roche au nom du Khalife El-Aziz-
Billah (Xe siècle)" [with inscriptions and animals]; "Vase
arabe en cristal de roche, [in the Louvre]: "Aiguière
arabe en cristal de roche (monture vénitienne en argent
doré)"; with an illustration of each, tome XXXVII,
pp. 377-83.

Christie, A. H. Two Rock-crystal Carvings of the Fatimid Period. *Ars Islamica*, IX, "Notes", pp. 166-8, with 2 illustrations on 1 plate. 1942.

In the Treasury of San Marco at Venice.

Dimand, M. S. A Handbook of Mohammedan Decorative Arts. Sm. 8vo. New York, 1930.

See pp. 185-7 (by Josef H. Breck) and figure 115.

————— A Handbook of Mohammedan Decorative Art. Second edition. New York, 1944.

See pp. 233-6 and figure 154.

Erdmann, Kurt. Islamische Bergkristallarbeiten. *Jahrb. der preussischen Kunstsammlungen*, LXI, pp. 125-46, with 26 illustrations. 1940.

New examples.

Falke, Otto von. Gotisch oder Fatimidisch? *Pantheon*, V, pp. 120-29, with 18 illustrations. 1930.

Foelkersam, Baron A. de. Le cristal de roche et son application aux Arts. (In Russian). *Staruie Ghodui*, Dec. 1915, pp. 3-14, with 13 plates and 1 illustration. 1914.

See the examples in the Hermitage Museum illustrated on the 5th and 6th plates.

Irwin, John. Textiles and the Minor Arts, in Leigh Ashton, *The Art of India and Pakistan, a commemorative catalogue of the exhibition held at The Royal Academy of Arts, London, 1947-8*, pp. 199-237. Faber and Faber, London, [1950].

See p. 232 and Plate 75 for a XVIIIth century example.

Kahle, Paul. Die Schätze der Fatimiden. *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, LXXXIX, pp. 329-62. 1935.

————— Bergkristall, Glass und Glasflüsse nach dem Steinbuch von el-Bērūnī. *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, XC, pp. 322-56. 1936.

See pp. 325-43.

Schmidt, Robert. Die Hedwigsgläser und die verwandten fatimidischen Glas- und Kristallschnittarbeiten. *Schlesiens Vorzeit in Bild und Schrift*, neue Folge, VI, pp. 53-78, with 1 plate and 29 illustrations. Breslau, 1912.

Includes illustrations of glasses of this type at Amsterdam, Asseburg, Berlin, Breslau, Coburg, Cologne, Cracow, Halberstadt, Minden, Neisse, Nuremberg, Venice, etc.

III.—ROCK CRYSTAL

Anon. "Starring" Museum Treasures: the first to be isolated. *Illustrated London News*, March 7th, 1931, p. 359, with 1 illus. 1931.

A rock crystal jug, similar to that in S. Mark's, Venice, acquired by the V. and A. Museum in 1862.

Arnold, Sir Thomas, in Sir E. Denison Ross, *The Art of Egypt through the Ages*, pp. 79-80 and plate 331.

The Studio, London, 1931.

Barbier de Montault, X. Un vase en cristal du trésor de S. Marc de Venise. *Revue de l'Art chrétien*, nouvelle série, tome VI, pp. 296-8, with 1 plate. 1888.

With Kufic inscription. The metal mounting is European.

Born, Wolfgang. Small objects of semiprecious Stone from the Mughal Period. *Ars Islamica*, VII, "Notes", pp. 101-4.

1940.

Camón Aznar, José. Las piezas de cristal de roca y arte Fāṭimī encontradas en España: Lote del Monasterio de Celanova. *Al-Andalus*, IV, pp. 396-405, lám. 2-6 and 16 figures. 1939.

From the Bishop's Palace at Orense and the Church of Ager.

Charleston, R. J. A group of Near Eastern Glasses. *Burlington Magazine*, LXXXI, pp. 212-18, with 2 plates and 5 figures. 1942.

tint and contains many bubbles. The carving is deeply cut; they bear the mark of a large course wheel, generally applied in two directions more or less at right angles to one another, and little attempt has been made to round off the edges and angles. The decoration consists of figures of lions, griffins or eagles as well as a formal leaf-like patterns; see Dillon, *Glass*, p. 115. They recall Fātimid art.

Czihak, E. von. Die Hedwigsgläser. *Zeitschrift für christliche Kunst*, III, col. 329-54, with 1 plate and 5 illustrations. 1890.

Erdmann, Kurt. An unknown Hedwig glass. *Burlington Magazine*, XCI, pp. 244-8, with 5 illustrations. 1949.

In private possession.

Essenwein, A. Ein "Hedwigsbecher" im Germanischen Museum. *Anzeiger für Kunde der deutschen Vorzeit*, neue Folge, XXIV, col. 228-33, with 4 illustrations. 1877.

Friedrich, Carl. Glaskelche und Glaspätenen. *Die Wartburg*, VI, pp. 184-9. Munich, 1879.

See pp. 187-9.

Grünhagen, Prof. Zur Geschichte der Hedwigsbecher: *Schlesiens Vorzeit in Bild und Schrift*, II, pp. 92-3. Breslau, 1871.

On a letter, dated 1614, from the Archduke Karl, Bishop of Breslau, to the Prince of Brieg, referring to a Hedwig Glass.

Kalesse, E. Das Museum schlesischer Altertümer in Breslau: *Zeitschr. für bildende Kunst*, XVIII, pp. 287-95, with 6 illustrations. 1883.

St. Hedwig's glasses, illustration p. 293.

Sauerlandt, Max. Das "Hedwigsglas" auf der Feste Coburg. *Zeitschrift für christliche Kunst*, XXV, col. 311-16, with 3 illustrations. 1912.

See p. 194 and figure 5, "Mosque lamp, Mamluk, early XIV century".

Zakī M. Ḥasan. *Al-Fann al-Islāmī fī Miṣr*. [Muslim Art in Egypt]. I. 4to.

Egyptian Library Press, Cairo, 1935.

See pp. 117-18 and pl. 37.

————— *Qunūz al-Fāṭimīyin*. [Treasures of the Fāṭimids]. Large 8vo.

Egyptian Library Press, Cairo, 1936 : 1937.

See pp. 176-86.

————— *Al-Funūn al-ʿIrānīya fī 'Aṣr al-Islāmī*. [Persian Arts in the Muslim Period]. 8vo.

Egyptian Library Press, Cairo, 1940.

See pp. 260-62 and pls. 152-4.

————— *al-Mishkāwāt al-Zugāgiya fī 'Aṣr al-Mamlūk*. [Glass Mosque-lamps from the Mamlūk Period]; *ath-Thaqāfa*, II, No. 65, pp. 31-5, with 5 illustrations 1940.

————— *Moslem Art in the Fouad I University Museum*. 8vo., 2 vols.

Fouad I University Press, Cairo, 1950.

See I, pls. 106-11.

————— *Lampes arabes. La Femme nouvelle*, décembre 1951, pp. 2, with 2 col. plates 1951.

Two fine enamelled mosque lamps from the Mosque of Sultan Ḥasan are illustrated. The author mentions the fact that a few wasters of enamelled glass have been found in the excavations of Fuṣṭāṭ and that this shows that such lamps were made in Cairo.

III.—THE SO-CALLED "HEDWIG GLASSES"

The glass of these little vessels, which vary in height from three to five inches, is generally of a yellowish-green or brownish

Wiet, Gaston. Album du Musée Arabe du Caire. 8vo.
Institut français d'Archéologie, Le Caire, 1930.

See pp. 90-99 (flacons of enamelled glass) and 93-9 (mosque
lamps of enamelled glass).

_____ Lampes en verre émaillé. *Bulletin de
l'Institut d'Égypte*, XIV, pp. 117-26, with 6 plates. 1931-2.

Includes a chronological list of 192 enamelled glass objects.

_____ L'Exposition d'Art persan à Londres.
Syria, XIII. 1932.

See p. 196 and pl. XXIV.

_____ Les Lampes d'Arghūn. *Syria*, XIV,
pp. 203-6 and pls. XXIII-XXIV. 1933.

To be read in connection with the articles of Ravaisse
and Mayer [*q.v.*]

_____ Les lampes en verre de la collection Gulben-
kian. *Annales de l'Institut d'Études orientales, Université
d'Alger*, III, pp. 19-26, with 3 plates. 1937.

The earliest was made for the mausoleum of Sayf ad-Dīn
Bekīmūr, who died in 729H. (1329), the second for a man
who died in 748H. (1347), the third for Sultan an-Nāṣir
Muḥammad, who died in 741H. (1341), and the fourth, fifth
and sixth, for Sultan al-Malik an-Nāṣir Ḥasan who died in
762H. (1361).

_____ Musée National de l'Art arabe. Guide
Sommaire. Sq. 8vo. 1939.

Ministère d'Instruction Publique, Le Caire, 1939.

See pp. 15-16 and 20, and relative text.

Wilson, H. Persian Art. *Architectural Review*, IX, pp. 176-82,
with 13 illustrations. 1901.

Two flasks are illustrated.

Winlock, H.E. The History of Glass Exhibition. *Bulletin
of the Metropolitan Museum of Art*, XXXI, pp. 192-7, with
8 illustrations. 1936.

Sommerard, E. du. Musée des Thermes et de l'Hotel de Cluny. Catalogue et description des objets d'art de l'antiquité, du moyen âge et de la renaissance exposé au Musée. Svo. pp. xxxiii and 691. Hotel de Cluny, Paris. 1883.

Verrerie arabe, pp. 376-7.

Stein. Collection Ch. Stein. Catalogue des objets d'art de haute curiosité et d'ameublement composant l'importante collection de M. Ch. Stein et dont la vente aura lieu ... à Paris ... 1886. 4to., pp. xix, 4 and 103, with 33 plates and several illustrations. Paris, 1886.

Two examples, Nos. 99 and 100, with 1 plate.

Thiébault-Sisson. Verres antiques. La collection Durighello. *Revue des Arts décoratifs*, XXII, pp. 49-54, with 1 plate and 9 illustrations. 1902.

Three examples of Muhammadan glass, p. 51.

Wallis, Henry. Arab lamps. *The Athenaeum*, Sept. 24th, pp. 412-13. 1887.

An article on Yacoub Artin Pasha's paper in the *B.I.E.*, [q.v.].

Wiegand, Theodor. Baalbek. Ergebnisse der Ausgrabungen und Untersuchungen in den Jahren 1898 bis 1905. Dritte Band. 4to. de Gruyter & Co., Berlin and Leipzig, 1925.

See F. Sarre, Die Kleinfunde—Gläser, pp. 137-9 and Abb. 72-84.

Whishaw, Bernhard, and Ellen M. Whishaw. Hispano-Arabic Art at Medina Az-zahra. *Burlington Magazine*, XLIX, pp. 270-78, with 2 plates and 2 figures. 1911.

Fragments of glass from Madinat az-Zuhra, plate II, G and H.

Wiel, Gaston. Catalogue Général du Musée Arabe du Caire. Lampes et Bouteilles en verre émaillé. 4to., pp. vii and 193. with 92 plates.

Institut français d'Archéologie, Le Caire. 1929.

One of the publications of the *Musée National de l'Art arabe*.

See III, Taf. CXIX, for pieces of a very beautiful glass, enamelled in gold and colours.

Schier, Karl H. Die arabischen Inschriften in der Königl. Gemälde-Galerie, dem Grünen Gewölbe und dem Altertums-Museum zu Dresden, erklärt. 8vo. Teubner, Leipzig, 1867.

Inscriptions on glasses in the Green Vault with translations etc., pp. 29-38, with 2 figures.

Schmoranz, Gustav. Old Oriental Gilt and Enamelled Glass Vessels, extant in Public Museums and Private Collections, reproduced in their original colouring and described. Published with the sanction and assistance of the Imperial Austrian Ministry of Education by the Imperial Handels-Museum of Vienna. English Version. 32 plates in colours, 12 in photography and 69 illustrations in the text. Royal folio, pp. [i] and 75. Vienna, and (Quaritch,) London, 1899.

Preface.—Lamps—Bottles and vessels with handles—Goblets and tumblers—Plates and basins—The technique of old Oriental enamelled glass—Chemical analysis (by F. Linke)—Description of the plates—Chronological review of dateable old-oriental gilt and enamelled glass-vessels—Statistical table.

Schroeder, Eric. The Lamp of Karim al-Din: an Arab enamelled glass of the early fourteenth century. *Bulletin of the [Boston] Museum of Fine Arts*, XXXVI, pp. 2-5, with 4 illustrations. 1938.

Probably made between 1309 and 1320.

Sobernheim, M. Arabische Gefässinschriften von der Ausstellung islamischer Kunst in Paris (1903). *Zeitschr. d. Deutschen Palaestina-Vereins*, XXVIII, pp. 176-205.

1905.

Glass mosque-lamp of Toqutīmūr, pp. 190-91, and plate VIII, b and c.

Read, Charles Hercules. The Waddesdon Bequest. Catalogue of the Works of Art bequeathed to the British Museum by Baron Ferdinand Rothschild, 1898. Sm. 4to., pp. xvi and 129, with 55 plates and 42 figures. British Museum, London, 1902.

See pp. 25-6 and Plate XIV for fine enamelled glass goblet of the XIIIth-XIVth century.

Riefstahl, R. Meyer. The Parish-Watson Collection of Mohammadan Potteries, 4to. Weyhe, New York, 1922.

See pp. 247-51, coloured plate facing p. 248 and 2 figures, for enamelled glass flagon.

Röder, Kurt. Das Mīnā im Bericht über die Schätze der Fatimiden. *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, LXXXIX, pp. 363-71. 1935.

Rouveyre, Édouard. Analyse et compréhension des Œuvres et Objets d'Art. 8vo. Rey, Paris, 1926.

Les enveloppes de lampes en verre émaillé destinées au service des mosquées, pp. 19-25; Contrefaçon des verreries musulmanes, pp. 25-7.

Sarre, F. Ein syrischer Glasbecher in Grünen Gewölbe zu Dresden. *Mitteilungen aus den Sächsischen Kunstsammlungen*, I, pp. 18-20, with 1 coloured plate. 1910.

Undated, XIIIth-XIVth century.

Sarre, Friedrich. Vergoldete und emaillierte syrische Gläser, leihgaben in der islamischen Kunstabteilung. *Ämtliche Berichte aus den Königlichen Kunstsammlungen*, XXXII, cols. 138-41, with 1 illustration (8 examples). 1911.

Die Kleinfunde von Samarra und ihre Ergebnisse für das Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts. *Der Islam*, V, pp. 180-95. 1914.

See pp. 192-94 (no illustrations).

Sarre, Friedrich, and Ernst Herzfeld. Archäologische Reise im Euphrat- und Tigris-Gebiet. In drei Bänden. Folio.

Reimer, Berlin, 1911.

The illustration shows a bottle with a feline rampant, perhaps the panther of Baybars I.

F[aul], F. V. Gifts from the Western Art Visiting Committee. *Museum of Fine Arts [Boston] Bulletin*, X, pp. 27-9, with 3 illustrations 1912.

Includes an enamelled glass globe, formerly in the Marquand Collection, with the blazon of a *Gāshankir*, or Taster.

Pier, Garrett Châtfeld. Saracenic Glass. *Orientalischs Archiv*, I, pp. 189-90, with 8 illustrations on 2 plates. 1911.

Pope, Arthur Upham An introduction to Persian Art. 8vo. Davies, London, 1930.

See pp. 191-6 and Figs. 98-100. -----

----- Persian Glass. *Apollo*, XII, pp. 391-5, with 2 coloured plates and 3 illus. 1930.

----- More about Persian Glass. *Apollo*, XIII, pp. 10-12, with 3 illustrations. 1931.

Prisse d'Avennes. L'Art arabe d'après les monuments du Kaire. Text, 4to., plates, folio. Morel, Paris, 1877.

Plates CXLIII and CXLVI (both coloured); mosque lamp and flask of enamelled glass. See pp. 208-11.

Prisse d'Avennes fils, E. La verrerie arabe. *Cosmos: Revue des Sciences*, LVII, nouvelle série, pp. 103-6, with 2 illustrations. Paris, 1907.

Ravaisse, P. Une lampe sépulcrale en verre émaillé au nom d'Arghūn en-Nāsiri, Emir mamlouk (1280-1331). De la collection J. Chappée. Avec un frontispice en couleurs et 15 planches hors texte. Large 8vo., pp. 73. Geuthner, Paris, 1931.

See Mayer's art. in the *Journ. Pal. Or Soc.*, XIII, and Wiet's art. in *Syria*, XIV.

Read, Charles Hercules. On a Saracenic Goblet of Enamelled Glass of mediæval date [in the British Museum]. *Archæologia*, LVIII, pp. 217-26, with 1 coloured plate and 7 illustrations. 1902.

Munthe, Gustaf. *Islams Konst.* 8vo.

Bonnier, Stockholm, 1929.

See pp. 240-47, with 6 illustrations.

Nesbitt, Alexander. *Catalogue of the Collection of Glass formed by Felix Slade. With Notes on the History of Glass Making, by Alexander Nesbitt, and an Appendix containing a description of other works of art presented or bequeathed by Mr. Slade to the Nation [by A. W. Franks].* Folio, pp. [viii], 1, and 184, with 40 plates (22 coloured) and many illustrations.

Printed for Private Distribution [London], 1871.

See pp. 60-65, with 4 coloured plates and 3 figures.

A Descriptive Catalogue of the Glass Vessels in the South Kensington Museum. With an introductory notice. 8vo., pp. viii, clx and 218, with 21 plates (9 coloured).

Chapman and Hall, London, 1878.

Science and Art Department of the Committee of Council on Education, South Kensington Museum.

See pp. lxi-xx and Plate VIII (XIVth century mosque lamp).

Glass. Large 8vo., pp. ix and 143, with 9 coloured plates, (in Large Paper copies only), and 26 woodcuts.

Chapman and Hall, London, [1879].

One of the *South Kensington Museum Art Handbooks.*

Fifty copies were printed on Large Paper.

Chap. IV.—"Glass in Byzantium and in countries of the East". pp. 49-62, with 1 coloured plate (XIVth century mosque lamp) and 2 illustrations.

Condensed from the previous work.

Olmer, L. J. *Rapport sur une mission scientifique en Perse. Nouvelles Archives des Missions Scientifiques*, XVI, fasc. 4. Paris, 1908.

Verrerie, pp. 61-4, with 1 figure.

Paul, F. V. *Oriental Glass. Museum of Fine Arts [Boston] Bulletin*, VIII, pp. 50-51, with 1 illustration. 1910.

Migeon, Gaston. Exposition des Arts musulmans au Musée
des Arts décoratifs. Folio. Lévy, Paris, 1903.

See plates 63-66 and 68: 5 mosque lamps, 3 long-necked
flasks, 1 jug and 1 flat-bottomed bowl with the name of
Sultan al-Muayyad.

Collection de M. Octave Homberg. *Les*
Arts, No. 36. pp. 33-48. 1904.

"Verres arabes de Syrie et d'Égypte—XIV^e et XV^e
siècles", illustrations on p. 45. Six examples shown.

Manuel d'Art musulman. II. Les arts
plastiques et industriels. 8vo. Picard, Paris, 1907.

Les verres émaillés: Origine—Verres syriens—Verres faits
pour les sultans rassoulides du Yémen—Verres mésopota-
miens—Gobelets—L'Industrie du verre en Espagne—En Perse,
XVII^e—XVIII^e siècle—Les vitraux en Égypte (kamariyas)
See pp. 241-370, with 27 illustrations.

Les Accroissements des Musées. (Musée
du Louvre). *Les Arts*, No. 97, pp. 10-18, with illustrations.
1910.

Two fine glass goblets, the gift of Mme. O. Homberg, are
illustrated on p. 10.

Musée du Louvre. L'Orient Musulman.
8vo., 2 vols. Morancé, Paris, 1922.

See II, pp. 9-12 and pl. 3-8.

Les Arts musulmans. Large sq. 8vo.
Van Oest, Paris and Bruxelles, 1926.

See pp. 35-6 and pl. LIII-LIV.

Mohamed Mostafa. Verres émaillés. *La Femme Nouvelle*
[sic], No. 2, 1 page (unnumbered), with 7 illus. (4 coloured).
Le Caire, 1947.

Montandon, Marcel. L'Art musulman à l'Exposition de
Munich 1910. *L'Art décoratif*, XXV, pp. 61-103. 1911.

One fine example illustrated.

Marçais, Georges. L'Exposition d'Art musulman d'Alger, avril 1905. Folio. Fontemoing, Alger, 1906.

Fine enamelled flask belonging to M. Rey, pl. XXII.

Martin, F.R. A History of Oriental Carpets before 1800. Atlas folio. Vienna, [1906-]1908.

Inside of a glass bowl decorated with figures, XIIIth century, Fig. 25; outside, Fig. 26.

Martinovič, N. A Glass Globe of Arghūn. *Eastern Art*, II, p. 245 and plate CXXXVI. 1930.

Arghūn Kāmīl, c. A.D. 1350.

Mayer, L.A. Une lampe armoirée d'Alep. *Revue Archéologique Syrienne*, II, pp. 85-6, with 1 illus. 1932.

Fragment of a mosque lamp found in the Citadel, probably of Arghūn al-Kāmīl, Governor of Aleppo from 750 to 755 H.

_____ Saracenic Heraldry. A Survey. Large 8vo. Clarendon Press, Oxford, 1933.

See plates XVIII, XXVIII, XXXI, XLI and XLVI.

_____ A Glass Bottle of the Atābak Zangī. *Iraq*, VI, pp. 101-2, with 3 figs. 1939.

In the British Museum.

_____ Mehmet Aga-Oglu. An important glass bottle of the fourteenth century. *Bull. Detroit Institute of Arts*, XII, pp. 25-7, with 1 illus. 1930.

With the name and blazon of a Rasūlid Sultan who reigned over the Yemén from A.D. 1297 to 1321. Once in the Spitzer Collection.

_____ Exhibition of Islamic Art, M. H. De Young Memorial Museum. Sq. 8vo. San Francisco, [1937].

See pp. 16-17 and 51-4. with 4 plates.

Migeon, Gaston. L'Exposition des Arts musulmans au Musée des Arts décoratifs. *Les Arts*, No. 16, pp. 1-34. 1903.

See pp. 17-22: six examples illustrated.

Lane, Arthur. Medieval finds at Al Mina in North Syria.
Archaeologia, LXXXVII, pp. 19-78. 1938.

See pp. 64-74 and fig. 11-13.

Lane-Poole, Stanley. The Art of the Saracens in Egypt. 8vo.

Chapman and Hall, London, 1886.

Chap. VIII.—"Glass", pp. 206-25, with 7 illustrations.
Mosque lamps, bowl, etc. See also Chap. VIII.—"Heraldry
in Glass and Metal", pp. 226-31.

Laroix, Henri. Le Vase arabe du marquis Alfieri. *Gazette
des Beaux-Arts*, 2^e période, XXXVI, pp. 488-92, with 1 full
page illustration. 1887.

Of glass, in metal mount, which was possibly added c. 1570
"par un des plus habiles orfèvres d'Augsbourg ou de
Nuremberg".

Lippmann, F. Neue Erwerbungen des Museums. *Mith.
des k.k. österr. Mus. für Kunst und Industrie*, III, pp. 147-9.
See also p. 263. 1870.

Notes on a mosque lamp from Egypt, presented by the
Archduke Rainer.

Lysons, Rev. Daniel, and Samuel Lysons. *Magna Britannia*.
Vol. IV—Cumberland. 4to. Cadell and Davies, London, 1816.

Plate XXX: "Ancient Glass Vessel called the Luck of
Eden Hall". Of Oriental enamelled glass. See Honey, W.B.

Mádl, Karel B. Altorientalische Gläser. *Kunst und Kunst-
handwerk*, I, pp. 273-80, with 6 illustrations. 1898.

An article on *Altorientalische Glasgefäße* by G. Schmoranz,
(*q.v.*)

Magne, Lucien. Décor du Verre—Gobeletterie, Mosaïque,
Vitrail. Ouvrage illustré de 139 gravures. 8vo., pp. 220.

Laurens, Paris, 1913.

One of the *L'Art appliqué aux Métiers* series.

See pp. 20-23 and figs. 9-11.

In the name of al-Malik al-Ashraf 'Umar II, who reigned from A.D. 1295 to 1296.

Lamm, Carl Johan. Islamische Gläser. *Glastechnische Berichte*, X, pp. 65-71, with 10 illus. on 1 plate. 1932.

_____ Orienten, in Seitz (Heribert), *Glaset för och nu*, pp. 44-53, with 16 plates. Stockholm, 1933.

_____ Glass from Iran in the National Museum, Stockholm. Drawings by Dora Lamm, née Upmark. Large 8vo., pp. 21 with 48 plates. Fritze, Stockholm, 1935.

_____ Islamische Gläser im Polnischen Nationalmuseum zu Warszawa. *Rocznik Orientalistyczny*, XIII, pp. 85-90 and Taf. 1-1V. 1937.

_____ Glass and Hard Stone Vessels, in Pope (A.U.), *Survey of Persian Art*, III, pp. 2592-2606, figs 858 and plates 1438-59. 1939.

0741 Contents:—The pre-Islamic periods. The Islamic period: The Islamic period.—Stone Vessels.

_____ Hannibal'ska glassamlingen. *Nationalmusei Årsbok*, Ny serie, IX, pp. 197-9, with 11 illus. 1939.

_____ Oriental Glass of Mediaeval Date found in Sweden and the early history of Lustre-Painting. 8vo., pp. 114, with 24 plates and 18 figs.

_____ Wahlström and Widstrand, Stockholm, 1941.

Kungl. Vitterhets Historie och Antikvitets Akademien Handlingar, L (1).

I.—Grave Finds from Barkarby and Birka. II.—Lustre-Painting before the Fatimid Period. III.—Lustre-Painting during the Fatimid Period. IV.—Enamelled and Gilt Glass of the 'Raqqā' 'Fustat', 'Aleppo', and 'Damascus' Groups: Finds from Ringstaholm, Hålsingborg and the Monastery of Vreta. V.—Enamelled Glass of the 'Syro-Frankish' Group: Finds from Högby (Öland), old Lödöse, Lund and the Monastery of Vreta.

Kühnel, Ernst. Islamische Kunstabteilung. Frühislamische Gläser mit aufgelegtem Dekor. *Amtliche Berichte aus den Königlichen Kunstsammlungen*, XXXV, col. 11-16, with 4 illustrations, 1913-1914.

Islamische Kleinkunst. 8vo.

Schmidt, Berlin, 1925.

See pp. 175-88 and Abb. 142-55.

Die islamische Kunst, in Springer (Anton), *Handbuch der Kunstgeschichte*, Band VI. Kröner, Leipzig, 1929.

See pp. 410, 439-40 und 466, and Abb. 410, 451 und 484.

Die Sammlung türkischer und islamischer Kunst im Tschinli Köschk. Large 4to.

de Gruyter, Berlin and Leipzig, 1938.

See Taf. 28—mosque lamp with blazon and name of Ylmalak the *Gukanzâr* (Polo-master): beginning of XIVth cent.

Lamm, Carl Johan. Das Glas von Samarra. Mit 76 Textbildern und 12 Tafeln, darunter 1 in Farbendruck. 4to., pp. vii and 130. Reimer/Vohsen, Berlin, 1928.

Die Ausgrabungen von Samarra, Band IV.

Mittelalterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten. Sm. 4to., 2 vols., pp. xi and 566, with 10 plates (6 coloured); pp. vi and 205 plates.

Reimer/Vohsen, Berlin, 1929-30.

Contents—A.—Gläser mit Ausnahme der Goldemailgläser des XII.—XV. Jahrhunderts. B.—Steinschnittarbeiten, hauptsächlich aus Bergkristall. C.—Goldemailgläser des XII.—XV. Jahrhunderts.—Auszüge aus älteren Schriften und Dokumenten—Literaturverzeichnis.

Les verres trouvés à Suse. *Syria*, XII, pp. 358-67 and pl. LXXV-LXXX. 1931.

Un verre émaillé et doré à inscription rasûlide. *Le Monde Oriental*, XXV, pp. 81-4, with 4 plates. 1931.

Édouard Lièvre's *Les Collections célèbres d'oeuvres d'art* (q.v.),
plate 68, with 2 pp. of text. Paris, 1866.

The lamp is inscribed with the titles "al-Malik al-'Adil al-Alam,
el-Mojāhid", i.e. Abū-Bakr Muḥammad, called Sanjar Ḥalabī,
who was Governor of Damascus for three months in 656 H.
(1259/60). It is, therefore, the earliest example of certain
date, of the splendid series of enamelled glass mosque lamps.

Jean, René. *Les arts de la terre. Céramique—Verrerie—
Émaillerie—Mosaïque—Vitrail. Ouvrage illustré de 198 gravures
et de 3 cartes.* 8vo., pp. 480. Laurens, Paris, 1911.

One of the *Manuels d'Histoire de l'Art* series.

Verreries musulmanes, pp. 269-75 with 4 illustrations.

Kahle, Paul. *Bergkristall, Glas und Glasflüsse nach dem
Steinbuch von el-Bērūnī. Zeitschrift der Deutschen Morgen-
ländischen Gesellschaft, XC, pp. 322-56.* 1936.

Karabacek, Josef von. *Zur orientalischen Altertumskunde.
IV.—Muhammedanische Kunst-Studien. Sitzungsber. der philos.-
hist. Classe der K. Akademie der Wissenschaften, CLXXII,
Abh. I.* 1913.

Written in connection with the *Meisterwerke Muhammed-
anischer Kunst*, I, pp. 3-5, and plate 166.

1. Reliquiar mit arabischem Kristallmond des 11. Jahrhun-
derts, pp. 5-10, with 1 plate and 1 illustration. "2. Emaillierte
Glasklampe des Mamlūken-Emirs Aslan, 13.-14. Jahrhundert",
pp. 10-14, with 1 illustration.

Köchlin, Raymond. *L'Art Musulman, à propos de l'Expo-
sition du Pavillon de Marsan. L'Art décoratif, V₂, pp. 141-9,
with 11 illustrations.* 1903.

One example illustrated, XIVth century.

Kühnel, Ernst. *Glas und Kristall, in Sarre and Martin,
Die Ausstellung von Meisterwerken Muhammedanischer Kunst
in München, 1910, II, 3 pp. and Taf. 162-76 (2 coloured).*
Bruckmann, München, 1912.

Haynes, E. Barrington. *Glass through the Ages*. 12mo., pp. 240, with 64 plates and many figs.

Penguin Books, Harmondsworth, 1948.

Pelican Books, A166.

See III²—The Later Roman Empire and Islam, pp. 36-42, and IV²—Mohammedan Glass, pp. 48-54.

Herz, Max. *La Mosquée du sultan Hassan au Caire*. Folio. Le Caire, 1899.

See pp. 10-12, with 2 illustrations of fine mosque lamps.

Deux lampes en verre émaillé de l'Émir Togbairimor (pour l'histoire du signe *Ra-Neb-Taoui* dans l'art musulman). *Bulletin de l'Institut Égyptien*, V^e série, tome 1, pp. 181-7, with 2 plates. 1908.

Hollis, Howard. Two examples of Arabic Enamelled Glass. *Bull. Cleveland Museum of Art*, XXXII, pp. 179-81, with 2 illus. 1945.

One, a sagon, with inscription in the name of Sultan an-Nāṣir Muḥammad, the other of most unusual shape.

Homberg. Collection des objets d'Art . . . composant la Collection de feu M. O. Homberg et dont la vente aura lieu à Paris, Galerie Georges Petit, du lundi 11 au samedi 16 mai 1908. Sm. 4to. Petit, Paris, 1908.

See pp. 14-17, with 1 plate.

Honey, W. B. A Syrian Glass Goblet. *Burlington Magazine*, L, pp. 289-94, with 2 plates (1 coloured). 1927.

Known as "The Luck of Edenhall". See Lysons, D.

Victoria and Albert Museum. *Glass: A Handbook for the Study of Glass Vessels of all periods and countries & a Guide to the Museum Collection*. Large 8vo. pp. xii and 169, with 72 plates. Ministry of Education, London, 1946.

See pp. 39-54 and Plates 13-15.

Jacquemart, Albert. *Lampe de mosquée en verre émaillé, travail persan du XIII^e siècle. Plat vénétien, travail arabe*. In

Godman, F. D. The Godman Collection of Oriental and Spanish Pottery and Glass. 1865-1900. Sq. folio.

Privately printed, London, 1901.

See Plate LXXII for two enamelled glass mosque lamps, and LXXIII for sprinklers, jugs, etc.

Goupil. Catalogue des objets d'art de l'Orient et de l'Occident ... composant la Collection de feu M. Albert Goupil. [Vente Hotel Drouot, Avril 1888]. 4to. Paris, 1888.

No. 33-44, with 1 plate illustrating 2 mosque lamps and a long-necked flask.

H., C. The Edward C. Moore Collection. *Bull. Metropolitan Museum of Art*, II, pp. 105-6, with 3 illustrations. 1907.

Group of 4 mosque lamps, p. 105.

Halil Edhem and Gaston Migeon. Les collections du vieux Sérail à Stamboul. *Syria*, XI, pp. 91-102. 1930.

See p. 98 and pl. XX (lamp found in tomb of Sültan Bayezid I at Brusa).

Hall, Helen B. Exhibition of Islamic Art, San Francisco, 1937. *Arts Islamica*, IV, "Notes", pp. 484-98. 1937.

See p. 497 and fig. 13.

Hallifax, C. J. Pottery and Glass Industries of the Punjab. *Journ. Ind. Art*, V, pp. 35-42, with 2 plates and pp. 43-49.

1893.

See pp. 47-9.

Hasan Muḥammad al-Hawārī. Riṣāla ... Dār al-Athār al-'Arabīya [Booklet ... Museum of Arab Art]. Sm. 8vo. al-I'timād, Cairo (n.d.).

See pp. 102-15, and fig. 9.

Hauser, Walter, and Charles K. Wilkinson. The Museum's Excavations at Nishāpūr. *Bull. Metropolitan Museum of Art*, XXXVII, pp. 83-119. 1942.

See pp. 105-6 and Figs. 33-5.

Ganz, Paul. L'Œuvre d'un amateur d'art. La Collection de Monsieur F. Engel-Gros. Catalogue raisonné. Large 8vo., 2 vols. Boissonnas, Genève: Budry, Paris, [1925?].

See pp. 52-3, 65, and pl. 39-31.

Garnier, Édouard. Collections de M. Spitzer—La Verrerie. *Gazette des Beaux-Arts*, 2^e période, tome XXIX, pp. 293-310, with 4 illustrations. 1884.

Includes some fine examples of Oriental Enamelled glass (2 illus.).

Histoire de la verrerie et de l'émaillerie. Illustration d'après les dessins de l'auteur. Gravure de Trichon. Large 8vo., pp. vii and 573, with plates and many illustrations. Mame, Tours, 1886.

See pp. 57-65, with 1 illustration.

Gaulmier, J. Note sur la fabrication du verre à Armanāz. *Bulletin d'Etudes orientales*, VI, pp. 53-9 and pl. VIII-IX. 1936.

Armenāz is on the road from Hārim to Idlib.

Gayet, Al. L'Art arabe. Sm. 8vo. Quantin, Paris, [1893].

"Les verreries", pp. 236-45, with 5 illustrations. This section of Gayet's book has been severely criticized by Schmoranz in his *Old Oriental Gilt and Enamelled Glass*, p. 9.

L'Art persan. Sm. 8vo.

Picard & Kaan, Paris, [1895].

"La Verrerie", pp. 209-21, with 13 illustrations.

Gerspach, (Édouard). L'Art de la Verrerie. 8vo., pp. 320, with 152 illustrations. Quantin, Paris, [1885].

Part of the *Bibliothèque de l'Enseignement des Beaux-Arts*. Muhammadan work, pp. 87-118, with 15 illustrations.

Gluck, Heinrich and Ernst Diez. Die Kunst des Islam. Large 8vo. Propyläen Verlag, Berlin, 1925.

See pp. 84-5 and 573-5. Abb. 1424-31 and Taf. XXXI (coloured).

Eisen, Gustavus A., and Fahim Kouchakji. *Glass: Its Origin, History, Chronology, Technic and Classification, to the sixteenth century.* Sq. 8vo., 2 vols., pp. xxv and 768 (continuous pagination), with 198 plates (10 coloured) and 284 figs.

Rudge, New York, 1927.

See: *The Arabic Period, 9th to 15th centuries A.D.*, pp. 673-33, plates VIII (coloured) and 169-172 and figs. 273-81.

Eumorfopoulos. *Catalogue of the Collection of Persian Ceramics and Islamic Glass . . . formed by the late George Eumorfopoulos.* 8vo. - London, 1940.

See pp. 26-43 with 5 plates. Very fine examples of enamelled glass.

Exposition d'Art musulman. Les Amis de l'Art, Alexandrie, mars 1925. Morancé, Paris, [1925].

See p. 11 and pl. 15: mosque lamp of enamelled glass in name of Sultan Abū Saʿīd Gaqmaq.

Fago, Vincenzo. *Arte araba. I—L'Arte araba nella Siria e in Egitto.* 4to. Roma, 1909.

See pp. 194-8 and plate I, (4 fine mosque-lamps, 2 from the Mosque of Barqūq and 2 from the Mosque of Sultan Ḥasan).

Franks, Augustus W. *Vitreous Art, in J.B. Waring, Art Treasures of the United Kingdom, I*, pp. 33, with 17 plates. Day, London, 1858.

See 3. *Oriental Glass*, pp. 5-6 and Plate I, —enamelled glass lamp with the badge of a Ḥasūlīd Sultan of the Yemen.

Franz Pascha. *Die Grab-Moschee des Sultans Kait-Bai bei Kairo.* Impl. 4to. Spemann, Berlin und Stuttgart, [1897].

Lamp from the Mosque of Sultan Ḥasan. fig. 5. Same illustration (reduced) in his *Kairo*, p. 73, and in Migon's *Le Caire*, p. 144.

Fuchs, Ludwig F. *Irakenische Glasflasche. Pantheon, XXIV*, pp. 228-9, with 2 illus. 1939.

See p. 205 and Abb. 237.

Dillon, Edward. Glass. Large 8vo., pp. xxviii and 374, with 49 plates (12 coloured). Methuen, London, [1907].

The Connoisseur's Library, Vol. XV.

Chap. IX and X: The Enamelled Glass of the Saracens, pp. 144-73, with 6 plates (5 coloured). See also the so-called Hedwig glasses, pp. 114-17, with 1 plate. Chap. XXI: "The Seventeenth and Eighteenth Century Glass of Persia, India, and China", pp. 337-55, with 4 plates (1 coloured).

Dimand, M. S.: A Handbook of Mohammedan Decorative Arts. Sm. 8vo. New York, 1930.

See pp. 185-201 (by Joseph Breck) and figs. 116-23.

Second edition. New York, 1944.

See pp. 230-48 and figs. 153-61.

A Syrian Enamelled Glass Bottle of the XIVth century. *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, XXXI, pp. 105-8, with 2 illus. 1936.

An Enamelled-Glass Bottle of the Mamluk Period. *Bull. Metropolitan Museum of Art*. New Series, III, pp. 73-7, with 5 illus. 1944-5.

Dobbs, H.R.C. The Pottery and Glass Industries of the North-West Provinces, and Oudh. *Journ. Ind. Art*, VII, pp. 1-6. 1897.

See pp. 5-6 and plates 57 and 59.

Dutuit. Collection Auguste Dutuit. Majoliques italiennes, vases siculo-arabes et persans, faïences Henri II, verrerie. 8vo.

Privately printed, Paris. 1899.

Plate LXXIX: Mosque-lamp from the Spitzer Collection. Also illustrated in *Les Arts*, No. 11, p. 23.

Champeaux, A. de. Portefeuille des Arts décoratifs. Publié sous le patronage de l'Union centrale des Arts décoratifs.

Calavas, Paris, 1888-1888.

Fine enamelled glass flask, with inscription. plate 368.
Flasks, etc., not enamelled, plates 326 and 397.

Charleston, R. J. A Group of Near Eastern Glasses. *Burlington Magazine*, LXXXI, pp. 212-18, with 2 plates and 5 figs. 1942.

Christie, A. H. Islamic Minor Arts, in Sir Thomas Arnold and A. Guillaume, *The Legacy of Islam*, pp. 108-51. 1931.
See pp. 129-32 and figs. 39-42 and 44.

Collinot, E. and A. de Beaumont. Ornaments de la Perse. Atlas folio. Canson, Paris, 1880.

Fine glass bottle in the Schefer Collection, plate 12; fine glass vessel. with details of ornamentation, plates 13 and 14.

Ornements arabes. Atlas folio. Canson, Paris, 1883.

Fine glass mosque-lamp in the Rothschild Collection, plate 4.
Details of another, plate 34. Another, in the Schefer Collection, plate 39.

Confenu, G. Les nouvelles salles d'art musulman au Musée du Louvre. *Syria*, IV, pp. 66-75. 1923.
See p. 72 and pl. XXII for mosque lamp of enamelled glass.

D'Allemagne, Henri-René. Du Khorassan au pays des Backhtiariis. 4to., 4 vols. Hachette, Paris, 1911.
See II, pp. 132-8, with 5 illustrations.

Destève, Tristan. Collection de M. Claudius Cote. *Les Arts*, No. 77, pp. 23-7, with 21 illustrations 1908.
See figs. 4 (mosque-lamp) 11 and 12, illustrating 7 examples.

Devonshire, Mrs. R. L. La céramique et la verrerie en Égypte au Moyen-âge. *La Semaine Égyptienne*, 15me févr., 1931, pp. 6-8, with 6 illus. 1931.

Diez, Ernst. Die Kunst der islamischen Völker. Sm. 4to. Akademische Verlagsgesellschaft Athenaion, Berlin-Neubabelsberg, [1915].

Museum, London. Sm. 4to., pp. 286, with 140 plates.

Phaidon Press, London, 1939.

See pp. 241-4 and illus. 9-16.

Burlington Fine Arts Club. Illustrated Catalogue of Specimens of Persian and Arab Art exhibited in 1885. Sm. folio.

London, 1885.

See Plate 18.

Burty, Philippe. *Chefs d'œuvre des Arts industriels*. 4to.

Ducrocq, Paris, [1866].

English translation: 8vo.

Chapman & Hall, London, 1869.

See pp. 265-9, with 2 illustrations (English ed., pp. 180-83).

Cain, Georges. *La Collection Dutuit au Petit Palais des Champs Elysées. Histoire de la Collection*. Folio, 2 vols.

Goupil, Paris, 1903.

Plate 72: fine mosque lamp, from the Spitzer Collection (tome III, plate 89, No. 2; Sale No. 1970). Also illustrated, in *Les Arts*, No. 11, p. 23.

Casanova, P. Catalogue des pièces de verre des époques byzantine et arabe de la Collection Fouquet. *Mémoires de la Mission Archéologique Française au Caire*, VI, pp. 337-414, with 10 plates. 1893.

—, L'Art musulman, *Revue d'Égypte*, I, pp. 489-514. 1895.

See pp. 509-510, with 2 illustrations.

Castellani, Alessandro. Catalogue des objets d'art... dont la vente aura lieu à Rome... 1884. 4to. Paris, 1884.

"Verrerie orientale"; No. 528-39 (no illustrations).

Catalogus Tentoonstelling van Islamische Kunst, 15 Mei-1927-3 Juli. Large 8vo.

Gemeente Museum's Gravenhage, [1927].

See pp. 17-18, and 29-30; with illus.

Bertaux, Émile. Quelques pièces de la Collection Claudius
Côte. Sm. 4to. Lyon, 1912.

See pl. XXII for enamelled glass lamp of the XIIIth
cent. found at Raqqa.

Boisthibault, Doublet de. Le verre de Charlemagne. *Revue
Archéologique*, XIV^e année, pp. 161-3, with 1 plate. 1857.

Of Oriental enamelled glass with Arabic inscription.

B(reck), J(oseph). A Masterpiece of Egypto-Syrian Enameled
Glass. *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, XVIII,
pp. 277-8, with 1 illus., 1923.

"A sweetmeat bowl in the form of a tall standing-cup."

Briggs, Martin S. Muhammadan Architecture in Egypt and
Palestine. 4to. Clarendon Press, Oxford, 1924.

See pp. 225-9 and figs. 237-44.

Brinckmann, Justus. Das Hamburgische Museum für Kunst
und Gewerbe. Large 8vo. Hamburg and Leipzig, 1894.

See p. 587, with 1 illustration of a Persian flask.

Bromehead, C. N. Persian Glass of the Seventeenth and
Eighteenth Centuries. *The Connoisseur*, LXXVII, "Notes",
pp. 230-32, with 3 illus. 1927.

Bucher Bruno. Die Glassammlung des K.K. Oesterreich.
Museums. Geschichtliche Uebersicht und Katalog. Mit einer
Tafel in Farbendruck und zwölf Heliogravuren. 4to., pp. ii
and 134. Gerold, Wien, 1888.

A publication of the K.K. Oesterreich. Museum für Kunst
und Industrie.

See pp. 13-14, 49-52, and Taf. I (coloured) and III.

Buckley, Wilfred. Two Glass Vessels from Persia. *Burlington
Magazine*, LXVII, pp. 66-71, with 2 plates. 1935.

————— The Art of Glass. Illustrated from
the Wilfred Buckley Collection in the Victoria and Albert

Artin Pacha, Yacoub. Une lampe armoriée de l'Émir Scheikhou. *Bulletin de l'Institut Égyptien*, IV^e série, No. 6, pp. 1-13, with 6 plates 1905.

_____ Description de quatre lampes en verre émaillé et armoriées, appartenant à M. J. Pierpont-Morgan, des États-Unis d'Amérique, et déposées au South-Kensington Museum, à Londres. *Bulletin de l'Institut Égyptien*, V^e série, I, pp. 69-92, with 6 plates. 1907.

_____ Lampe en verre émaillé portant armoire, appartenant à S.E. Boghos pacha Nubar. *Bulletin de l'Institut Égyptien*, V^e série, tome I, pp. 159-70, with 2 plates. 1907.

Anon. An Egypto-Syrian Enamelled Glass. *Rupam*, No. 21, pp. 41-2, with 1 plate. Jan. 1925.

In the Metropolitan Museum of Art, New York.

_____ An Indian Engraved Glass. *Rupam*, No. 30, p. 70, with 1 illus. April, 1927.

Possibly Mughal.

_____ Persian; and of Persian Provenance? Gems of Enamelled Glass. *Illustrated London News*, Jan. 3rd, 1931, p. 1, with 3 col. illus. 1931.

Arnold, Sir Thomas, in Sir E. Denison Ross, *The Art of Egypt through the Ages*, p. 80 and Plates 319 (coloured) and 342-6. The Studio, London, 1931.

Ashton, A.L.B. Three new glass vessels painted in lustre. *Burlington Magazine*, LX, pp. 293-4, with 1 plate. 1932.

Berchem, Max van. Notes d'archéologie arabe. Troisième article. Étude sur les cuivres damasquinés et les verres émaillés, inscriptions, marques, armoires. *Journal Asiatique*, X^e série, III, pp. 5-96, with 13 figures in the text. 1904.

Glass; pp. 44-46; 50-60; 66-68.

A BIBLIOGRAPHY OF GLASS AND ROCK CRYSTAL IN ISLAM(*)

BY

K. A. C. CRESWELL

Arrangement:

- I. GENERAL.
- II. HEDWIG GLASSES.
- III. ROCK CRYSTAL.

I. GENERAL

Ackermann, Phyllis. Guide to the Exhibition of Persian Art, 1 East 51st Street. 8vo.

The Iranian Institute, New York, 1940.

See pp. 386-9, 411-12, 484.

Aly Bahgat and Albert Gabriel. Fouilles d'al Foustât. Sm. 4to.
de Boccard, Paris, 1921.

See Pl. XXXII: "Fragments de verre émaillé.

Anon. Lampes et bouteille arabes en verre incolore décorées en or et émaux. *Revue des Arts décoratifs*, VIII, p. 384, with plate. 1887-88.

.. Acquired at the Goupil Sale by the Musée des Arts décoratifs.

Artin Pacha, Yacoub. Description de six lampes de mosquée en verre émaillé. *Bulletin de l'Institut Égyptien*, IIe série; No. 7, pp. 120-54, with 2 plates. 1887.

(*) This Bibliography forms part of a *Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam*, begun many years ago, which at the present moment runs to about 8,900 items, under AUTHORS, and about 11,000 under SUBJECTS. I have seen and examined every item catalogued.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
K. A. C. CRESWELL	
A Bibliography of Glass and Rock Crystal in Islam	1
MUHAMMAD KAFABI	
The Rise of Khārijism According to Abū Saʿīd Muḥammad Ibn Saʿīd Al-Azdī Al-Qalhātī	29
MURAD KAMIL	
De Certains Termes Techniques en Langue Amharique	49
WAHRED KAMEL	
Epicharmus. His Achievement as a Forerunner of Greek Comedy	69
M. MITWALLY	
Some Old Customs in the Northern Province of the Egyptian Sudan (Sahib Al Ada)	79
M. KHAFAGA	
Abtolutio Helene	85
ALEXANDRE BADAWY	
Collections Égyptiennes en France et en Italie ...	66

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIV—PART I

MAY 1952

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Foad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOAD I UNIVERSITY PRESS,
1952

مجلة كلية الآداب



المجلد الرابع عشر - الجزء الثاني

ديسمبر سنة ١٩٥٢

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزيرة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها حضرة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالجزيرة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥٢

فهرس القسم العربى

منحة .

- التائمام عبد الرحمن زكى . . . السوف وأجاءها ، رسالة بمقرب
 ابن اسحاق الكندى فى السوف العرب . ١
- الدكتور شوق ضيف . . . صناعة السمر العربى فى القرن الماضى ٢٧
- الدكتور فرىذ شافى . . . الأخشاب الزخرفة فى الطراز الأموى ٦٥
- الدكتور زكى محمد حسن . . . نقد الكتب E. Kübnel: The
 Textile Museum. Catalogue of
 Dated Tiraz Fabrics (Washington
 National Publishing Company,
 1952) ١١٣

السيوف وأجناسها

رسالة يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب

أخرجها

الفاطماس عبر الرحمن زكي

المدرس المتدب بمسجد الآثار

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل.
ابن محمد بن الأشعث بن قيس. وينسب إلى كندة. وكندة هي من بني كهلان.
وبلادهم اليمن^(١) وقد بنى الكندة مجدها في الاسلام. فمن كندة من كان
له ذكر في الفتوح والثورات ومنهم من ولي الولايات. ومنهم من تقلد القضاء^(٢).
وتاريخ ميلاد الكندي غير معروف إلا ظنا. والراجح كما جاء في تحقيق
المفغور له الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق. أن ميلاده كان في أواخر
حياة أبيه الذي توفي في زمن الرشيد. ويرجح « ده بوير »^(٣) أن الكندي
ولد في مطلع القرن التاسع الميلادي حوالي ٨٠١ م (١٨٥ هـ).

تعلم الكندي في الكوفة وانتقل إلى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلم
الفلسفة وتبحر في معرفة العلوم القديمة بأصولها. وعاش في بغداد في رضاء
في دار تحوى من الكتب ما احتاج ابننا موسى بن شاعر أن يقرءه في خزنة
سميت « الكندية » لكثرة تلك الكتب وتنافسها. وقد خدم الكندي الخو
بعلمه وعلت مكانته عند المأمون والمعتصم خلفه وابنه أحمد. وباشر لهم

(١) ابن دريد — كتب الاشتهق ص ٢١٢ عن كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق
« فيلسوف العرب » هامش ص ٧

(٢) ابن دريد — المصدر السابق ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩

(٣) دائرة المعارف الاسلامية — مادة الكندي .

مأعداً تليده ترجمة تى. كثير من كتب الحكمة . وأوضح منها الشكر
ونحن نستعجب .

وقد جعل ابن النديم ^(١) كتب الكندى سبعة عشر نوعاً :

- (١) كنه تنظيية ، (٢) كنه المنطية ، (٣) كنه الحساية ،
- (٤) كنه الكرمات ، (٥) كنه الموسيقىات ، (٦) كنه النجوميات ،
- (٧) كنه الهندسيات ، (٨) كنه الفلكيات ، (٩) كنه الطبيات ،
- (١٠) كنه الأحكاميات ، (١١) كنه الجدليات ، (١٢) كنه النفسيات ،
- (١٣) كنه السياسات ، (١٤) كنه الأخذانيات ، (١٥) كنه الأبعاديات ،
- (١٦) كنه التفدييات ، (١٧) كنه الأنواعيات ^(٢) .

وبين المؤلفات الأخيرة ذكر ابن النديم رسالتى الكندى «أنواع السيوف
والحديد» . وفيما يطرح على الجريد والسيوف حتى لا تسلم ولا تمكلى ^(٣) .

ولم يعرف أحد من ترجموا للكندى من الأقدمين لتاريخ وفاته . وذكر
الأستاذ «مسنون» أن موته كان فى عام ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) . ومنهم من جعله
نحو سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) كالأستاذ «تاليز» ^(٤) . ويقول ابن النديم
صاحب التهرست انه رأى الكندى ينسخ كتاباً بخط سنة ٢٤٩ هـ .

وتدل رسالة الكندى فى ملك العرب على أنه شهد عهد الخليفة المستعين
وشهد الفتنة التى قتل فى أعقابها المستعين آخر رمضان سنة ٢٥٢ هـ . ولذلك
يحتمل أن تكون وفاة الكندى فى أواخر سنة ٢٥٢ هـ . وهذا التاريخ
يتفق قليلا مع ما ذكره المستشرق الألمانى بروكلمان ^(٥) فى أنه مات بعد
عام ٢٥٦ هـ بقليل (٨٧٠ م) وذكر المستشرق ونتر الانجليزى أن وفاته
كانت حوالى ٨٧٥ ^(٦) .

(١) التهرست — ابن النديم م ٢٥٥ وكان ابن النديم أول من ترجم لكندى ،
راجع أيضاً محمد عبد الحميد أبو زيد — الكندى وفلسفته — القاهرة م ١٩٥٠

(٢) مدظن عبد الرازق — فيدوف الرزب م ٤٠

(٣) التهرست م ٣٦٤ — ٣٦٥

(٤) انفق وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى .

(٥) تاريخ التأليف والمؤلفين العرب م ٢٣٠ من الطبعة الثانية الألمانية .

(٦) H. J. J. Winter : Eastern Science. page. 63.

والرسالة التي نشرها الكندي . ذكر فيها صاحبها ما يريد على حرة وعذريته
تبرئاً من ضرر السيوف وقتاً أصدر انتاجها من ابن ابي مريد حتى
سيوف الفرنج . ووصف خصائص شفراتها . كل على حدة . وعرض لبعض
العوائد في ما يتعلق باعادة طبع السيوف المثلثة بواسطة التبريد التدريجي (١) .

وتعتبر هذه الرسالة بحثاً قديماً عن السيف الاسلامي وصناعته وأنواعه
لم تصل إلينا مثلها . فيما كتبه علماء المسلمين . وقد أمدت رسالة الكندي
علماء الآثار في الغرب بالمعلومات الفنية الغريبة في السيف عند العرب التي
ظلت أسرها مجهولة حتى القرن التاسع عشر . وكان في طليعة هؤلاء المستشرق
الحموي (ج) . هامر بورجستال (٢) . عند ما نشر ملخصاً لرسالة الكندي في المجلة
الآسيوية عام ١٨٥٤ ، معتدلاً على نص الرسالة التي ضمها كتاب « جمهرة
الاسلام ذات لنز ونظام » لشيزي . في مخطوطة مكتبة ليند هولند
(رقم ٢٨٧ Arab) . ونقع الرسالة في آباب السادس منه بعنوان :

« رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي إلى بعض الخلفاء في «جواهر السيوف»
وجاء بها في الورقة الأولى منها ما يأتي :

في أوصاف السيوف وأجسامها . وبك ما يجب حفظه .

وفي أياصونيا باستانبول . مخطوطة أخرى تضمها مجموعة من رسائل
الكندي وهذه تختلف مقدمتها عن مقدمة رسالة ليند . حيث جاء عنوانها هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقي إلا بالله العظيم . رسالة يعقوب
ابن اسحق الكندي الى بعض إخوانه في السيوف » . ثم بدأت مقدمتها
كالتالي :

أيده الله بذكره الحق — وحمدك من شبه لباطر وأبست عضاً بعداً
وفهماً بارعاً — يلفت بهما نهاية مراده من الخير في أكمل غاية وأحسن سر .

(١) كوني بروكمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ ص ٤٠ طبعة الحرية .
(٢) Hamer-Purcell in *Journal des Savants* Vol 1 1854 .

بهت — فبهمت انه جميع الخيرات وأسمعه في دار الخوة ودار الهات .
 ما سألت من رسم كتب في معرفة السيوف وأجناسها وطبعها ليكون عنده
 من ذلك غير تشدده به أهل المعرفة فيها — وقد بلغت في ذلك رغبة بقدر
 طاقتي — ومنه معرفتي بذلك — وبحسب ذوى النعم من أدركت من أهل
 هذه الصناعة . كان قدية إلى غير شريف الأمور . وقد رسمت ؛ أطل انه
 بناءه ؛ في كتبي هذا جميع ما سألت عنه من أمرا مع الفرائد للكشفه .

ولقد أؤد الكثيرون من مؤلفي الكتب الخوية الإسلامية من رسالة
 الكندي . من هؤلاء صاحب كتاب السؤل والأمنية في تعليم التروسية ^(١) .
 فقد كلامه عن أنواع السيوف وسماياتها . وقال ان الكندي كتبها لأُمير المؤمنين
 المعظم . واقبس عنها بعض المؤلفين بدون اشارة الى الكندي .

ونرجح أن الكندي وقد اطلع على حكم ومعارف الأقدمين . ولا سيما علوم
 اليونان والفرس والهنود أن يكون قد رجع الى ما كتبه علماء الهند عن المعادن
 والسيوف . ولا سيما كتاب باجهار الهندى في فرائد السيوف ونعمتها وصفاتها
 ورسومها وعلاماتها . فنلاحظ أن هذه الموضوعات هي التي بحثها الكندي
 بالضبط في رسالته ^(٢) .

.. وإننى شاكر ومدبر حقاً الى صديق السيد حسن كامل الصيرفي الأديب
 والشاعر والباحث المدقق إلى مساعدته القيمة في كشف مجاهل رسالة الكندي
 في مخطوطتها بليدن وأيا صوفيا . ولولا معاونته لجاءت الحواشي والتعليقات
 على غير ما يجده القارىء الكريم .

^(١) توجد في دار الكتب المصرية صورة من هذا المخطوط .

^(٢) ذكر ابن النديم كتاب باجهار بن كتب السلاح في التمهيد .

السيوف وأجناسها

رسالة بنقوب بن اسحق الكندي

أمر مولانا الامام أن أرسم أوصاف السيوف بقول يعم أجناسها — وقد رسمت في كتابي هذا جميع القراصات الكاشفة عن أسرارها والمخرجة ^(١) في علم أجناسها والقواطع والكل ^(٢) منها بقدر ما بلغه علمي وأحاط به فكري [وبالله التوفيق] ^(٣) [إعلم أن] ^(٤) الحديد الذي تطيع منه السيوف ينقسم قسمين أولين : إلى المعدني وإلى الذي ليس بمعدني . والمعدني ينقسم قسمين : إلى السابرقاني ^(٥) . وهو المذكور الصلب القابل ^(٦) للسقي بطباعه . وإلى الزماهن ^(٧) وهو المؤنث الرخو الذي ليس بتقابل للسقي بطباعه . وقد يطيع في ^(٨) كل واحد من هذا الحديد مفرداً وفيهما معاً مركبين . فجميع أنواع السيوف المعدنية ثلاثة .

(١) الأصل في نسخة ك (لندن) « المخرجة » . وفي نسخة ا (الاستانة) « المخرجة » وهو تصحيف جرت عليه النسختان . قال أن نجد فيهما كلمة منقوطة أو مبيحة التفتيط وقد أشرنا إلى بعض ذلك وأقننا بعض الآخر .

(٢) الأصل « والشكل » في نسخة ك ومن غير تنقيط في نسخة ا . ولعل السواب ما ذكرنا . فليس الشكل . بفتح الكاف الذي لا يقطع .

(٣) زيادة عن نسخة ا

(٤) زيادة عن نسخة ا

(٥) نسخة ك « السابرقاني » ونسخة ا « السابرقان » . وقد تمددت وجوه كتابتها في النسختين . فترد بالسين وسمة بالسين ثم سمة « السابرقان » وأخرى « السابرقان » بإلواء . وصحة الكلمة . كما أثبتناها عن قاموس جونسون العارسي الانجلايزي وردت فيه الكلمة على الوجوه الآتية : شابوركان ، شابورقان ، شابورق ، شابرين — شابورن ، وهو الحديد الصلب أو القوي لأذ الحام .

(٦) في المحارطين « البائل » .

(٧) الزماهن في نسخة الأستانة ونسخة ك « البرماي » . ووردت في مواضع أخرى منها « البرماي » . ولم نجد في مساجر القصة ما يهدينا إليها . ولكن وقفنا في الخمس على ما يهدينا إلى حقيقة هذه اللفظة إذ جاء في الجزء ١٢ ص ٢٧ . والذيل من الحديد الذي يسمى بالدارسية « نرم آهن » . وفي المساق والقاموس في مادة مذل : الذيل حديد يسمى بالدارسية « نرم آهن » . وفي أقرب الزاود « الذيل » : الحديد الأثني .

(٨) نسخة ا « ن » .

الشائريانية^(١) ولزماهينية^(٢) والمركبة منهما . وسنجدنا نوعا نوعا .
وثاني^(٣) على جميع^(٤) ما ينظم الحاجة إليه من^(٥) وحدها في موضع ذلك
[إن شاء الله]^(٦)

فأما الحديد الذي ليس بمدى فهو الفولاذ^(٧) ومعناه المصنعي^(٨) ويصنع
من المعدني بأن يلقى^(٩) عليه في السبك شيء^(١٠) يصفيه^(١١) ويشد رعايته
حتى يصير متيناً لدنا يقبل السبي ويظهر^(١٢) فيه فرنده^(١٣) .

وعذا^(١٤) الفولاذ ينقسم^(١٥) ثلاثة أقسام . إلى العتيق والمحدث و[إلى]^(١٦)
عتيق ولا يحدث . وقد يظبع من هذه جميعاً السيوف .

- (١) نسخة ا « الشيرانية » . وهي قريبة إلى اللفظ الحقيقية .
- (٢) نسخة ا « والزمانية » . ونسخة ك « والبرمانية » بدون نقط .
- (٣) في ا و ك « وبأى » بدون نقط .
- (٤) الزيادة عن مخطوطة ا
- (٥) مخطوطة ك « إليها »
- (٦) زيادة عن نسخة ا .
- (٧) في القاموس « التاوذ » ذكره الحديد كالفولاذ . وفي اللسان هو قماش
الحديد الذي من حبه^(٨) والفولاذ والتاوذ المذكورة من الحديد تزداد في الحديد .
وفي العرب « لجوالب » س ٢٤٧ قال أبو حاتم : قال أبو زيد : سميت من العرب
من يقول للفولاذ « قاذ » وأصل الكلمة بالفارسية « فولاد » .
- (٩) في المخطوطين « المصنعي » بالألف المدودة وصحتها ألف منقورة .
- (١٠) في ك بدون نقط وفي أ ب ألف مدودة . وهو خطأ .
- (١١) في (سي) وفي ا « شيد » وهو خطأ .
- (١٢) في ا (فصله) .
- (١٣) في ا و ك « يظهر » بدون نقط . ولعل الأصح ما أمثنا .
- (١٤) قال « أجوالبي » في العرب س ٢٤٣ (والفرد : فارسى عرب . وهو جوهر
السيف وماؤه وطرائفه . وقد سمي بالفاء والباء) . وذكر قبل ذلك في س ٦٦ ما يأتي :
(والفرد : جوهر السيف وماؤه . لفه في « الفرد » قيل أنه الحمى عرب ويمكن
أن يكون عريب ويكون من « الفرد » . والنون زائدة . لأن السيوف توصف بذلك) .
وفي شبه المين المختار س ١٦٨ (فرد السيف : جوهره . ويقال فرد) وفي القاموس
(الفرد يكسر الفاء والراء السيف وجوهره وشبه كالافرد . . . عرب) . . . نسخة
لا ويظهر فيه فردا » .

(١٥) مخطوطة ا « وهو » . وما أمثنا عن نسخة ك أصح .

(١٦) مخطوطة ا ينقسم إلى

(١٧) الزيادة عن نسخة ا

فأنواع السيوف الثلاثة : عتيق ومحدث ، ولا عتيق ولا محدث
ولم يذهب من عتقها إلى الزمان لأن عتيقاً مطلقاً ^(١) لا يقال إذا قصر به
الزمان إلا إلى ^(٢) أحد معنيين . أما أول الأشياء فقط . والآخر واحد
في كل مبتدأ صنعه ^(٣) . وأما كل واحد من الأشياء إذا أضيف إلى مادو
أحدث منه فيجب ^(٤) إذا أن يكون كل شيء عمل بعده شيء آخر مستحقاً ^(٥)
أن يسمى عتيقاً . وليس العتيق من السيوف بسيف واحد [ولا أصلها كنه
إلا واحد] ^(٦) . بل إنما يذهب من عتقها إلى الكرم كما يقال فرس عتيق
يراد به كريم . . . فما لحقته خواص الكرم فهو عتيق في أي دهر صنع ^(٧)
والطرف الأبعد من العتيق هو ضده في المعنى أعنى ماعدم خواص العتيق
[منه] ^(٨) . فذلك سمي [بضد اسمه أعنى] محدثاً ^(٩) وإن كان قد ضيع
قبل زمن عاد . وأما الآخذة ^(١٠) بعض خواص العتيق وعادت بعض خواصه
[فهي التي] ^(١١) وجدت فيها بعض خواص المحدث فسميت أيضاً
باسم متوسط بين الاثنين فقبل ليس بعتيق ولا محدث . وإن كان
متقادم الزمان أو حديثه ^(١٢) فاختار ^(١٣) الصياغة لها اسماً لا عتيقاً

(١) مخطوطة أ (لأن عتيق مطلق) .

(٢) مخطوطة أ (إلا على) .

(٣) لم تنقط كلمات هذه الجملة في أول

(٤) في أول « فيجب » بغير تنقيط وهو تصحيف .

(٥) مخطوطة أ « يستحق » باليم . ولعلها « يستحق » ليتكون سليمة من الخط
على هذه الرواية .

(٦) في ل لم يستعمل الناسخ أن ينهم الجملة فرسها هكذا « من واحد بل إنما هو »
وقد أثبتنا صحة الجملة وزادتها عن نسخة أ .

(٧) نسخة أ (طبع) .

(٨) لم ترد لفظة « منه » في أ .

(٩) الزيادة عن نسخة أ .

(١٠) مخطوطة ل « وأما الآخذة » وهو تحريف أثبتنا صحته عن أ .

(١١) الزيادة عن أ وفي ل « فوجدت » .

(١٢) مخطوطة ل « أو حديثاً » .

(١٣) مخطوطة أ « فاختار » .

ولا محدثاً^(١٠) . فذلك^(١١) وقع هذا التمييز من الخديج [في الخديج]^(١٢)
 المعمول . أعني المولود [لا]^(١٣) المعدن الذي لم يخرج بشيء غيره
 كالشابرقان والزمران^(١٤) [لأنه]^(١٥) لو كان استحق اسم العتيق بالزمان
 لكان في الشابرقان والبرمان ما [ق]^(١٦) طبع منذ زمن قديم | وما يطبع
 الآن فيسمى القديم^(١٧) [بالزمن العتيق . والمحدث بالزمان المحدث .
 ولكن لما كان الشابرقان والزمران معادن واحدة غير متغيرة^(١٨)
 بمعاصل مهته^(١٩) أدخلت على جواهرها أشياء غيرتها^(٢٠) إلى الجودة والرداءة
 لم يسم منها شيء بثة عتيقاً ولا محدثاً^(٢١) بل سمي بأسمائها إما شابرقان
 وأما زمران .

والعتيق^(٢٢) ينقسم ثلاثة أقسام : أولها وأجودها الثاني^(٢٣) ثم تانها القلبي^(٢٤)

(١١) مخطوطة ا « لها اسم لا عتيق ولا محدث » .

(١٢) مخطوطة ا « ولذلك » .

(١٣) الزيادة عن نسخة ا .

(١٤) الزيادة عن نسخة ا .

(١٥) في ا « والزمران » ومخطوطة بيد « البرمان »

(١٦) زيادة عن نسخة ا .

(١٧) زيادة عن نسخة ا .

(١٨) زيادة عن نسخة ا « وفيها » .. القديم بالزمن العتيق والمحدث بالزمان محدث » .

(١٩) هذه الكلمة غير واضحة في أول . ولعل ما أتينا هو الصحيح .

(٢٠) هكذا في أول كتابنا غامضتان .

(٢١) في ل « سأعبرها » وفي ا « أساعبرتها » والصحيح ما ذكرنا .

(٢٢) في ا عتيق ولا حديث .

(٢٣) في ا « فالعتيق » .

(٢٤) في ل « النيان » والبيان منسوب إلى النيان .

(٢٥) في (نهاية الأدب في فنون الأدب) قنويري ج ٦ ص ٢٠٥ عند السكبر
 على السيف . (قس : منسوب إلى قلعة موضع بأبادية . وفي العرب قنويري من ١٢٦
) (قبله ورس قلمي بفتح اللام والاسكان قيل — وهو قرسي وأصله « كوي » .
 وفي شفاء الغليل لمختص ص ١٧٨) (قلمي بفتح اللام وتكون قنويري معرب كوي فله
 أبو منصور . وفي الصحيح : القلمي اسم معدن ينسب إليه الرصاص الجيد وضبطه بكون
 القلمي . وفي المعجم قلعة هي اسم معدن الرصاص القلمي والسيف (القلمي لأنه في قلعة
 حصينة وقيل وهو جبل) . وفي المحقق « ابن دويد » : قلمي منسوب إلى حديد أو معدن =

ثم نالها الهندي وهو المسمى الفارقون^(١١) وأما^(١٢) التي ليست بعقيقة ولا محدبة فتقسم قسمين أحدهما المسمى عند العمياقة^(١٣) غير مولد .
وعى سيوف تطبع باثنين من الحديد السرنديبي والسلاني^(١٤) فيقال غير مولد السلاني وغير مولد السرنديبي . وتسمى المعتوقة لأنها من السرنديبي والسلانية الصغار أعني الدقائق القنود . فتعنى عرضها أعني تعرض ويحكى بها الهماي^(١٥) فتسمى معتوقة . وقد تسمى هذه المعتوقة الأولى من الفارقون لأنها أول السيوف في الترتيب مرتبة على العتيق على وجه لان عنصرها عتيق وعى أول ما يحكى^(١٦) به الهماي من السيوف .

والقسم الآخر المسمى غير عتيق وعى السلانية [والسرنديبية والبيض والسلانية]^(١٧) : منها البهانج^(١٨) وعى سيوف عراض يكون السيف منها

= وفي القمان لا وفنة و الفقية كلها مواضع . وسيف تسمى مفدوب إليه بعتقة . وفي الحديث . وسيف تبة . قال ابن الأثير : منسوبة إلى الفقة بفتح الف واللام . وهي موضع ببادية تنجب إليه السيوف . قال الرازي : يحارف بالفاء والألف ميزك بالفتحة الباء وقتة يأتوت في « معجم البلدان » الفقة بالتحريك مرج الفقة . . . قال العمري : لا موضع ببادية وإليه نسب السيوف . ثم قال « الفقة بالفتح ثم السكون اسم معدن يلبس إليه الرصاص الخيد . قيل هو جبل بالشم . قال مسمر بن مهمل الشاعر في خبر رحته في الصين . . . ثم رجعت من الصين إلى « مكة » وهي أولى بلاد الهند من جهة الصين وإليها انتهى الراكب ثم لا تنجوزها . وفيها فقة عظيمة فيها معدن الرصاص القمي لا يكون إلا في قسبتها . وفي هذه الفقة تقرب السيوف الفقية . وهي أخفدية المشقة . . . فقامت في الدنيا معدن الرصاص القمي إلا في هذه الفقة . وبين سنداب مدينة الصين ثمانية فرسخ وحواليها مدن وبساتين واسعة . وفيها قبر الزبير بن العوجاء . لا يحجب الرصاص القمي من سرنديب جزيرة في بحر الهند .
(١١) لم نجد فيما رجعت إليه من النسخ ما يفسر هذه الكلمة . وفي القنودوس « القرن » : سيف بن الجبر بن عمرو الكندي .

في ت د وانما .

(١٢) « عتيقة » جمع عتيق وهو شدة سيف وجزوه .

(١٣) « عتيقة » : « عتيق » و « سرنديبي » .

(١٤) « عتيقة » : « عتيق » .

(١٥) « عتيقة » : « عتيق » .

(١٦) « عتيقة » : « عتيق » .

(١٧) « عتيقة » : « عتيق » .

(١٨) « عتيقة » : « عتيق » . لم نجد في هذه النسخ ما يفسر هذه الكلمة . والموجود في المعجم « عتيق » سيف زهير بن جنياب .

عرضه أربع أضع وأكثر فرند ^(١) ضيق كير جدا . ومنها رنوت ^(٢)
 وهي في عرض أربع أضع وأقل من ذلك ومنها ^(٣) خضر وهي سيرت
 دقيق لفرند ^(٤) قد اضممت ^(٥) حكي فرند ^(٦) ولند غقيق يخرج بعضه شبه فرند
 اجنبي وبعضه شبه فرند لغص . فتشبه نقيصة كى واحد منها الى شبيه
 من ^(٧) معتق ويندوب ^(٨) احاد ^(٩) شبيه ^(١٠) ومنه مبطع بيمان ^(١١) .

ولسردنية تنقسم أربعة أقسام : منها نقي تنبع بسرديب ^(١٢) . ومنها
 الخراسانية وهو ما حن من سرديب وعم حنيد بخراسان ^(١٣) . ومنها
 المنصورية وهو ما حن حنيد من سرديب وضع بالمنصورة ^(١٤) . ومنها
 الفارسية . وهو ما حن حنيد من سرديب وضع بفارس وتسمى
 الخروانية ^(١٥) . والخروانية تنقسم قسمين : منها ذوات تمايلين وشجر
 وغير ذلك من الصور . ومنها السواذج ^(١٦) .

والبيض تنقسم قسمين : منها الكوفية طبعت بالكوفة في أول زمن
 الكوفة ^(١٧) . وهي نسبة الزيدية طبعها رجل يقاتل يزيد ^(١٨) [فلبت اليه] ^(١٩) .
 ومنها الفارسية .

(١) نسخة « د » وفي فرند .

(٢) لم نجد « نيف » ولا « امة موس » (ازسرب) . « تيب ينبي في الفرية » . وسب
 رسول الله (صم) . أو هو من السيوف السبعة التي أهدتها بنيس نسيان عليه السلام .

(٣) نسخة « د » ومن « والتصويب عن نسخة ١٠١ » .

(٤) نسخة « د » (الفرند) .

(٥) في « د » فند « وفي « د » فني « ونحن الصواب ما أثبتناه .

(٦) زيادة أثبتناه عن نسخة ١٠١ .

(٧) تينان يناب آبه سينان أو سمن وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر في خراسان .

(٨) سرديب جزيرة بأفغ الهند تعرف أيضا بيلال .

(٩) خراسان .

(١٠) المنصورة مدينة بالسند . اخر الحاشية ١٤ ص ٢٩ .

(١١) خروانية نسبة إلى خرو — أصل الفارسي ثم قد كثرى .

(١٢) السواذج — جمع ساذج . وفي « امة موس » : الساذج مررب ساذج .

(١٣) زودة في نسخة ١٠١ .

(١٤) زيادة في نسخة ١٠١ .

وأما الولد فينقسم خمسة أقسام : منها الخراسانية وهي ^(١) ما عمل حديد ، وطبع بخراسان ، ومنها البصرية وهي ما عمل حديد ، وطبع بالبصرة ^(٢) . ومنها المدمشية وهو ما عمل حديد ، وطبع بدمشق قديما ، ومنها المصرية وهي ما طبع بمصر . وقد يطبع في مواضع غير هذه [كالبغدادية والكوفية] ^(٣) . وغير ذلك من المواضع القليلة ولا تنسب اليها [ثلثتها] ^(٤) .

وهذه ^(٥) جميع أصناف السيوف المذكورة من الحديد المعمول أعني الفولاذ : فأما الحديد المعدني فإن منه كما ذكرنا : الشاربان وهو المسمى بالذكر من الحديد ، الزمان وهو المسمى [الأثني] ^(٦) . وقد يطبع من الذكر سيوف ^(٧) ، وهي سيوف يابسة تنكسر سريعا إذا لقيت ^(٨) الكرائه وتسرع في التحم إلا أنها لا يستوى سقمها لأن الذكر من الحديد تكون فيه عروق ^(٩) لينة زمان فتقع ^(١٠) في شغورها ^(١١) كثيرا فلا تقبل هذه العروق السلي ^(١٢) .

(١) نسخة « وهو » :

(٢) هكذا في أول .

وليس الأصح نسبها إلى بصرى . فأن الجوانيق في المغرب س ٩ هـ — موضع بالشام وقد نكثت به العرب وأحب دخيلا . ونسبوا إليه السيوف . فقرأ : سيف بصرى . وقال الحصين بن الحزم :

مدح بصرى أخلصتها قيونها ومطردها من نسج داود محك

وقد أنشورى في نهاية الأرب عند السلام على السيف « بصرى » : مندوب بصرى وأورد البيت السابق .

(٣) زيادة في نسخة ١ .

(٤) أثبت نص نسخة ١ مع زيادة كلمة « نكتب » . وذلك بعد الزيادة السابقة التي أوردناها وكان نصي في « الثقلين فلا ينسب إليها » .

(٥) نسخة « هذه » .

(٦) زيادة أثبتناها من نسخة الاستوخمي من ت .

(٧) نسخة « سيوفا » وهو خطأ .

(٨) في أول « تحيد » بفتح نقط .

(٩) نسخة « عروفا » وهو خطأ .

(١٠) نسخة « فتقع » .

(١١) نسخة « شاموم » ونسخة « سامارما » وكذا تصحيف .

(١٢) نسخة « تسمى » ونسخة « تسمى » وهو تصحيف .

فتبر^(١) عند ضرب . ولما قين منه سقى فتبر^(٢) غروم^(٣) إذا لثيت
تكرأة أو تكسر^(٤) . ليس بكأ أحد أن يضع منه إلا جاهل بها أو ضرورة
في موضع لا يمكن فيه غير الحديد ذكر . وهذه سيوف لا فنة^(٥) لها
في طرح ولا غيره وحديد^(٦) كنه^(٧) لون واحد . وهي جاية^(٨) .
لا تنقى^(٩) ولا تهتر ولا صفاء حديد^(١٠) ولا ماء . شديدة السن مخضفة تشقار^(١١) ;
مواضع خشنة ومواضع نيفة .

وقد تطبع من الزمان سيوف يصنعها الروم ونسراة^(١٢) : ولما المركبة
من شاربقان وزمان . فتقسم قسمين : منها الفرنجية ومنها السليمانية .
وخواص الثعيق التي يغسله من باقى [الحديد]^(١٣) هي الاكثر^(١٤) والناقة^(١٥)
والنداءة . ما يجعل عليه [ق]^(١٦) للتي وشدة الصقاة وصفاء الكسير^(١٧) .
وميلها إلى البياض وحمرة حذا وتربها^(١٨) كجها^(١٩) النحاس وتوبة
وحموده الثريد^(٢٠) وتعدده واستواء الثريد^(٢١) في كل السيف لا يكون

(١) في اول « فبحر » .

(٢) وردت في اول « بغير نقط » .

(٣) في ل « غروم » والغروب جمع الغروب : وهو حد السيف ؟

(٤) في ل « وانكر » .

(٥) في ل « فانه سمد » وهو تحريف .

(٦) في ل « كها » .

(٧) في ل « حاية » وفي ا « حاية » وكذا تصحيف . ولعل الصواب ما أثبتنا .
في التاموس . جاجسوا : منب .

(٨) في ا و ل « لا تنقى » . وقد وردت بغير نقط في ا .

(٩) في ا و ل « السراة » وقد وردت في موضع آخر سمد فها بعد « بفتح » اخراة «
والسراة م الخواارج .

(١٠) الزيادة من نسخة ا .

(١١) وردت هذه الكلمة بدون تنقيط في ا و ل ولعل صحت ما أثبت .

(١٢) زيادة في نسخة ا .

(١٣) في نسخة ل « الكسير » .

(١٤) الحاء الطين . والشوبان ما يتساقط من النحاس والحديد عند الطرق .

(١٥) في ل « كجها النحاس » وهو تحريف وتصحيف .

(١٦) و (١٧) مخطوطة ا لا فنة .

بعضه دقة طوالاً^(١١) وبعضه طوالاً غلاباً^(١٢) [وبعضه قصاراً غلاباً]^(١٣) .
وبعضه قصاراً دقة^(١٤) بنى متساوياً^(١٥) في قدر قريب من التساوي .
وفيها عند صغار كالثلث^(١٦) كمقد فوند الخشب^(١٧) وسأبين عنه^(١٨) مواضعها
التي رتبها فيها أصلح وأبين . وكذلك ارسم جميع معاني هذا الكتاب
رسماً يكون أوضح وأسهل في فهمه وإن خرج ذلك عن^(١٩) نظمها
على ترتيب التسمية التي قدمت .

فأما خواص باقي^(٢٠) أنواعها فسأذكرها^(٢١) عند ذكرها وخواص
كل واحد من أنواع العتيق (أيضاً)^(٢٢) . فأما النواطع منها من غير جهة
جوارحها بنى بأشكالها^(٢٣) (فهي)^(٢٤) قصارها^(٢٥) إذا جاءت متونها واستوت^(٢٦)
سطوحها ونحونها^(٢٧) . (ولم يكن فيها موضع داخل وموضع خارج)^(٢٨) .

-
- (١) في المخطوطين « دقال طوال » وهو خطأ .
 - (٢) في المخطوطين « طوال غلاب » وهو خطأ . كذلك جرى في بقى الجمل .
 - (٣) زيادة أثبتناها من مخطوطة ارند وردت فيها « قصار غلاب »
 - (٤) في أول « قصار دقات » .
 - (٥) مخطوطة ل « متساو » ومخطوطة ا « مستوي » .
 - (٦) في أول « كالثلث » بالعين وهو تصحيف .
 - (٧) في ل « الحشب » وفي مخطوطة ا بنير نقط ولعل الصواب ما أثبتنا والخشب
هو الصقل وهو من أسماء الأضداد . كما ذكر التويري في « نهاية الأرب في فنون
الأدب » ج ٦ ص ٣٠٣ وفي القاموس « الحشب » . « البف الطبع والصقل » .
و « الحشب » الذي لم يطبع ولم يسقل .
 - (٨) هذه الكلمة غير واضحة في الأصلين . ولعل صوابها « محته » أي فيها بلى .
 - (٩) مخطوطة ا « وإن خرج ذلك من » .
 - (١٠) مخطوطة ل « ذكر » .
 - (١١) مخطوطة ا « فسأذكرها » .
 - (١٢) زيادة من مخطوطة ا .
 - (١٣) زيادة من مخطوطة ا .
 - (١٤) مخطوطة ل ومعادرها والتصويب عن مخطوطة ا
 - (١٥) مخطوطة ل « واستوت » .
 - (١٦) بنير نقط في أول .
 - (١٧) الزيادة أثبتناها عن مخطوطة ا .

وفي كل منها موضع أتخذ من نظيره . وغلظت شفاؤها^(١) ما خلا نفس الحند .
فإنه ينبغي أن يكون الحند قدر شعرة من كل جانب . فهذه أقطع السيوف
المكرأه . فأما أقطعها للنياب واللمح فما استجعت فيه هذه الصناعات جميعا
ما خلا غلظ الشفرة فإن أرقها شفاها أقطعها^(٢) للحم والنياب وليست بالمحمودة
مارقت شفاوها^(٣) . واعتدال السقي عون على التقطع فإن سقيه إن اشتد انبرت
شفاؤه^(٤) عند الكراءه .

وأما وقد ورد كل نوع منها فسنذكرها إذا ذكرنا كل نوع منها بنحو أصبه .
فإن في ذلك عونا^(٥) على معرفة أنواعها . وإن كان قد يمكن أن يشبه
التد بالتد^(٦) . ويحكي^(٧) في غير ذلك العنصر من الحديد . ولكن عليها على حال
زيادة في المعرفة بأنواعها إذا وافق التد الحديد كان أصدق شهادة فإذا
اختلفا^(٨) فإن الحديد أصدق شهادة من التد وأولى^(٩) بأن يحكم به .
وقد تستعمل الصياغة مكان اسم الفرند اسم الحديد فيقولون إذا كان طاهر الفرند
أنه لطاهر الحديد .

فأما الأرض [أعني أرض السيف]^(١٠) فسموها أرضا^(١١) على حالها .
أعني^(١٢) الموضع من الحديد الذي لا فرنده فيه . فيقولون : أحر الأرض وأخضر
الأرض وأكدر^(١٣) الأرض . فتي وجدته في كتابي هذا أقول « أبيض »

(١) مخطوطة ل « غلظ » .

(٢) مخطوطة ل « أقطع » .

(٣) مخطوطة ل « مارقه شفاؤه » .

(٤) وردت هذه الجملة غير منقوطة كلماتها في ل ووردت كلمات منها غير منقوطة
وغير واضحة في أ وقد أوشنا ما نمش منها .

(٥) في أ « عون » وهو خطأ .

(٦) ل « نسب التد » .

(٧) مخطوطة ل « ويحكي » ومخطوطة أ « يحكا » .

(٨) مخطوطة أ « وإذا » .

(٩) مخطوطة ل « أولا » وقد صوبناه عن المخطوطة الأخرى .

(١٠) زيادة واردة في نسخة أ .

(١١) نسخة أ « أرض » وهو خطأ .

(١٢) نسخة أ « ومي » .

(١٣) نسخة أ « وكدر » .

الحديد — أصفر الحديد . أو غير ذلك من صفات الحديد أخضر^(١) أو نيسف .
فأما أعني التردد وإذا^(٢) قلت : قبل الطرح أو بعد الطرح . وأما أعني
الدواء الذي يلقي عليه أعني الدواء على الحديد ليظهر^(٣) فتريد .

وإذا قلت السيف^(٤) أحر . فأما أعني المجلي الذي لم يصرح عليه
[الدواء بعد^(٥)] فإن العباقلة تسمى هذا الدواء^(٦) الجلاء الأحمر .

وأما استعملت هذه الأسماء لك دون تفسيرها لتعرف معانيها في أمثالهم
لئلا يغيب عنك من أمرها شيء . إن شاء الله تعالى .

[فليبدأ الآن بصفة ما تريد بعون الله وتأييده^(٧)] انشائية

جَوْهَر [ح] مسطيل (أعني فتردها^(٨)) مخرج مساوي المقد . ليس
بعض العقلة أكبر من بعض أبيض الجوهر أحمر الأرض أخضر^(٩) قيل الطرح
على قدر شيء من سيلان^(١٠) اقل^(١١) صغار ذقق بيض في مثال اللوديدلو بعينه
بعضاً في لون كياض^(١٢) الفضة . والإلك^(١٣) آثار^(١٤) في السيف بيض .
مثل (حقة)^(١٥) الدواء .

(١) نسخة ل « آصرة » ونسخة ا « أخف » .

(٢) نسخة ا « وان » . نسخة ب « وان » . نسخة ج « وان » .

(٣) في المخطوطين « يظهر » « ويظهر » .

(٤) نسخة ل « والسيف » .

(٥) هذه صيغة نسخة ل . أما نسخة ا فصيغتها لم يطرح عليه دواء ؟

(٦) نسخة ا هذا الجلاء الجلاء الأحمر .

(٧) زيادة أوردها نسخة ا .

(٨) تختلف نسخة ل عن نسخة ا في أن الأولى وضعت قبل الكلام على كل نوع
من السيوف عنواناً بالخط الرقيق قبل الكلام . واثبتاً ذلك فيما سجد من أنواع
السيوف — وقد بدأت نسخة ا الكلام في هذا الموضع هكذا « السيوف الخيانية
جوهرها . . » .

(٩) الزيادة من نسخة الاستانة :

(١٠) نسخة الاستانة « أخضر الأرض » .

(١١) السيلان قائم السيف ونحوه .

(١٢) نسخة ا « ايت » ولم تظهر منهاها وقد يكون الرصاص الأسود .

(١٣) هذا نس نسخة ا . أما نسخة ليدن « في يياض الفضة » .

(١٤) أنظر الملائية رقم ١٢ وقد نشرت كتاباً .

(١٥) نسخة ل « ائاد » .

(١٦) زيادة من نسخة ا .

والنقد أربع قدود . وهي جميع قدود السيف^(١١) التي طبعت بأعين .
منها العريضة الأسفل المخروط الرأس المربع السيلان تربيعا مخروطا إلى طرف
السيلان . وأكثر ما يكون من علامات سيلانات العتيق (؟) التي طبعت
في الجاهلية ثقبان^(١٢) قد ثقباً بالسنبك^(١٣) وثقب السنبك من أحد جهتيه^(١٤) أوسع
أرجهتاء متساويتان^(١٥) ووسطه أضيق وفيه^(١٦) أربع شطب^(١٧) منها المخفور
وهو الذي شطبه شبيهة^(١٨) بالأنهار مدورة^(١٩) الحفرة وهو الذي يسمى الأبدر
بكبح ومعناه الموقع فيه الشطب المعمول بالكوزنر ومعنى الكوزنر المبرد
الدور الذي يخفر به وهو الذي على طبع الصمصامة^(٢٠) .

ومنها الذي شطبه^(٢١) ذا شكات^(٢٢) وهي شطب بزوايا مربعة من داخل
الشطب وتكون هذه الشطب متساوية في وجه السيف . وتسمى شهادت^(٢٣)
ومنها ذو ثلاث^(٢٤) شطب واحدة في الوسط واثنان^(٢٥) في الشفرتين .
وهي التي تسمى داس^(٢٦) وهذه تسمية الجاهلية .

(١١) نسخة ل « واليف » .

(٢١) في المخطوطين « ثقبين » وهو خطأ وقد وردت في نسخة ل غير منقوطة الناقف .

(٢٣) نسخة ل « بلبد » ونسخة ا « بالسنبك » والسنبك من السيف « طرف نله »
كما في العرب فحجراتي م ١٧٩ وفي المخصص لابن سيدة ج ٦ م ٢٧ السنبك طرف
حليته وكذا في المانهم .

(٢٥) نسخة ل « لجة » .

(٢٦) في الأصلين « جيت متساويتين » وهو خطأ علاوة على عدم التنقيط .

(٢٧) نسخة ا « وفيها » .

(٢٨) الشطب طرائق السيف .

(٢٩) نسخة ل « شبه » ونسخة ا « سه » .

(٣٠) ا « مدود الحفر » .

(٣١) نسخة ل « طبع الصمصام » والصمصام هو الذي لا يثني والصمصامة مثله
(نهاية الأرب ج ٦ م ٢٠٢) والصمصامة سيف عمرو بن مديكرب الشاعر .

(٣٢) نسخة ل « شطبه » اذاذا .

(٣٣) نسخة ل « ذا شكات » ونسخة ا « راسكات »

(٣٤) نسخة ا « سهار داس » .

(٣٥) في ا ل « ثلاثة » وهو خطأ .

(٣٦) نسخة في « وتنتان » .

(٣٧) نسخة ا « شهادت » .

وأشكال هذه ^(١١) على ما قد صورنا ^(١٢) وعلى هذا الشكل صورة تصحيحهم ^(١٣)
 وأكثر ما يكون منها عرض ثلاث ^(١٤) أصابع ثامة . وأقل ^(١٥) ما يكون
 منها [عرض ^(١٦)] أصبعين ونصف رشي الخفاف ^(١٧) منها القنجرية
 [التي لا يوجد ^(١٨)] منها أكثر من رطلين أو رطلين غير ربع . .

وهذه ^(١٩) الخفاف القنجرية ^(٢٠) تكون سواذج لا شطب فيها مختلفة
 في ^(٢١) الطول ما بين الثلاثة الأشار أربع ^(٢٢) أصابع الى أربعة أشرار
 وإنما ^(٢٣) أقروها على هذا الطول مخافة أن تنقص أوزانها .

فأما العراض فيكون طولها ثلاثة أشرار ونصف وتكون أوزانها ما بين
 الرطلين ونصف الى ثلاثة أرتال غير ربع . والذي فيه منها ثلاثة غير ربع

(١) نسخة « فهذه » .

(٢) نسخة « ومثنا » .

(٣) هذه الجلة والرسم الذي يليها زائدان في ك ولم يردا في أ .

(٤) في أول « ثلاثة » وهو خطأ .

(٥) نسخة ك و « أول » وهو تحريف .

(٦) زيادة في نسخة أ لم ترد في ك وقد وردت فيها الجلة « ... فيها أصبان ونصف ٢ » .

(٧) في النسخين « الخفاف » ولله تصحيف لما أثبتنا .

(٨) وردت هذه اللفظة في نسخة ك مكبذا « النورية » و « القنجرية »

وفي نسخة أ « النورية » و « القنجرية » وقد أثبتنا « القنجرية » نسبة الى مدينة

في الأندلس الطرقرية وكانت مشهورة بسيرفها الفناخرة . وهذا الرأي ينسب الى الأب

أنطاس الكرمل في رسالة خاصة بعث بها الى الدكتور زكي محمد حسن تفسيراً لما أوردته

في هامش كتابه كنوز الفاطميين ص ٥٦ .

(٩) زيادة أثبتناها .

(١٠) نسخة الأستانة « ومي »

(١١) راجع الحاشية ١٥

(١٢) أثبتنا في نسخة أ إذ أن نسخة ك تكررت فيها جلة تكون سواذج لا شطب

فيها وقد وردت في هذا الموضع ثم وردت بعد ذلك في سطر تال .

(١٣) نسخة ك « أو أربع » .

(١٤) نسخة ك « فأما » .

مضطربة القدود شديدة الا لتواء . وإنما ^(١١) ترك مضطربة تخافة أن تدخل
النار فتتفص أوزانها . وإنما أتمها بوزانها .

ولا تكاد (ان) ^(١٢) تسلم الثمانية من العروق (المتفوحة) ^(١٣) (والعروق) ^(١٤)
المتفوح هو الذي به سواد أى البوست وهو العشر ^(١٥) وقد توضع على العروق
التسائيل لتخفى ^(١٦) وتكتب عليها الأسماء ^(١٧) لتخفى آثارها . وكل كتاب (؟)
يصاب في سيف أسفل من السيلان (بأكثر) ^(١٨) من أربع أصابع مضمومة
بالعرض فهو ^(١٩) على كسر (ان) ^(٢٠) . كان خطأ دقيقة ^(٢١) . وإن كان خطأ
غليظا ^(٢٢) فهو على عرق . ومتى أصبت في سيف مثال رجل ^(٢٣) أو حيوان تاما
مذهبا ^(٢٤) فهو على شيء في السيف يسمى الكيا كن ^(٢٥) وهو فصح ويعود
من الحديد ^(٢٦) وهو في أبيضها جديد (؟) إلا أن أبيض اللثة (؟)
وهو يسمى سبوستك وهو ينكسر من ذلك الموضع وإذا زابت ^(٢٧) الحديد
انجلى سها بالصبان نقب وهو ^(٢٨) (؟) ومعناه النخالة (؟) فإنه ما من ينكسر

١. نسخة ل « واما » .
٢. زيادة في نسخة ا .
٣. زيادة في نسخة ا .
٤. زيادة في نسخة ا .
٥. في نسخة ا هكذا « الصبر » .
٦. نسخة ل « لا اسعفا » .
٧. نسخة ل « عليه الأسمى » وهي جمع صحيح أيضا .
٨. زيادة في نسخة الآستانة .
٩. نسخة ل « وهو » .
١٠. زيادة في نسخة ا .
١١. نسخة ا « خط دقيق » وهو خطأ .
١٢. نسخة ا « خط غليظ » وهو خطأ .
١٣. ورد تحريف في النسختين في هذه الجملة حيث وردت في ل هكذا
« قدس » وفي نسخة ا « اما نوحل » .
١٤. في نسخة ا « ثم مذهب » وهو خطأ .
١٥. الكيا كن ؟
١٦. عبارة غير واضحة في النسختين .
١٧. عبارة غير واضحة في النسختين .
١٨. عبارة غير واضحة في النسختين .

وحديده اذا جلوته (؟) أحر من غير دراء فنه كثير العند جد صبح أصبح
 انجانية (؟) على الجلاء الأحمر وهو ما يخاف عليه أن يضرب به في اليوم الجار
 فينكسر وهذا [الذي وضعنا] (؟) لا يصاب إلا في انجانية العتق النورية .
 ومنها ما يوجد في صورة اللسات . والماس هو العرق الذي لا يكون فيه
 فرن . ولم ين بختار ^(١١) من الصياغة سيفاً في عرقه فرن إلا الصمامة
 من العتق .

فأما المولدة [البصرية] ^(١٢) فوجود ذلك فيها [كلها وإنما يكون العرق
 فيها] ^(١٣) لأن الدراء الذي يطرح على ^(١٤) الحديد ليصير فولاذاً لا يخرج
 الحديد كله على استواء فيها مواضع نرمالين ^(١٥) لا فرن فيه . فإذا ضربت
 بمجاس (؟) بعضها على بعض فصار الفرن في داخلها خفياً ^(١٦) . ومنها ما قد
 دخل عليه الماء من البطنين فيكون شبيها بالعرق وليس بالعرق ^(١٧) . أحر
 كالسبي شبيها ^(١٨) إلى السبي في شفرة السيف ^(١٩) . وكل العروق البيض اللينة
 فهي ^(٢٠) اللسات والعروق لا تضر ^(٢١) السيف شيئاً إلا ما كان على الحد ^(٢٢)
 فانه لا يشرب الماء ولا يقطع سيفه أبداً والعروق الخفية في نوكت ^(٢٣)
 في الحديد . فأما الماس فهو ما صغر منها . وإنما يكون الماس قدر أصبعين
 أو نحو ذلك . فأما الكبير فهو عرق لا محالة . وكل عرق أو ماس يكون

(١١) وردت هذه الجملة في ل غير منقوطة ووردت بدلا منها في نسخة ١ هذه الجملة
 « ولم ير أهل البحث من الصياغة » وهي غير منقوطة في بعض كتابها .

(١٢) و (١٣) زيادة واردة في ١ :

(١٤) نسخة ل « عليه » وليس ذلك الوجه .

(١٥) في النسخين « برمالين » وقد صححناها في جميع الواضع التي ترد فيها مصعفة
 ولم نقرر إلى ذلك في بعض النسخات .

(١٦) في ١ « خفي » وهو خطأ .

(١٧) لم تنطق الكلمة في النسخين .

(١٨) نسخة ١ « شبيه » .

(١٩) في نسخة ١ « ... السبي الذي سقوه السيف » .

(٢٠) في نسخة ل « هي على » بدون تنقيط ولها « هي » .

(٢١) نسخة ٢ « والعروق لا يضر » .

(٢٢) نسخة ل « الحديد » .

(٢٣) نوكتات في غير واضحة في ١ و ل

فوق المضرب الى التمام بقدر أعين فأنه لا يضر السيف [شئاً^(١١)] والمضرب
على قدر شبر من القباب^(١٢) . وقد أمن صاحب السيف الذي فيه العروق
المساة الكسر في اليوم البارد لأنه إنما يخاف على العتق في اليوم البارد .
ومن التمانية الموصول السنان^(١٣) ومنها الموصول الصدر — وذلك إنما
يكون من الضرب^(١٤) بالسيف فيقطع^(١٥) لا لرداءة حديد — وليس^(١٦) لستى
دخل عليه من البطنين^(١٧) فإن كل موضع يشرب الماء ييس^(١٨) وإنما
يصبر على الشغرتين لييس^(١٩) القلع^(٢٠) (فإذا صار اليك سين فرأيت حديدته في
موضع السنى شديد الحرارة شيئاً يشعل النار — وأمرت بذلك على الشغرتين فوجدته
شديد التين لا يعرض^(٢١) الكف فلا تقدم به على قتال ولا حرب فأنه لا يقطع
كثيراً ولا قليلاً^(٢٢) وإن [ضربت به و^(٢٣)] أصاب موضع حديد أثبتت
شغرتيه وإن قل ذلك وافته شدة^(٢٤) السنى . فعلاجه حتى يصلح أن يوتر^(٢٥)
رماد الحما بعد أن تأتى على الرماد ساعات من النهار وتلين ناره فيدس السيف
في الرماد ويتعاهد بالنظر . فإذا صار طاووسى اللون وضع على شغرتيه
من الزيت [شئاً^(٢٦)] وترك حتى يبرد في موضع لا يصيبه الماء ولا الريح .

(١) زيادة في نسخة ا وقد وردت فيها « شئ » وهو خطأ .

(٢) القباب من السيف حده . أو طرفه المتطرف .

(٣) نسخة ا « السيلان » .

(٤) نسخة ا « لطن » .

(٥) نسخة ا « ينقطع بغير تنقيط » .

(٦) نسخة ا « ولكن » .

(٧) في المخطوطتين بغير تنقيط .

(٨) و^(٩) في المخطوطتين بغير تنقيط .

(١٠) في ا « لقطع » .

(١١) في ا « لا يسمى » بغير تنقيط .

(١٢) مخطوطة ا ول « قليل ولا كثير » .

(١٣) زيادة أثبتناها من نسخة ا .

(١٤) مخطوطة ا « وإن قل الجديد وإنما اعت في ذلك شدة » .

(١٥) مخطوطة ا « يوق به » .

(١٦) زيادة في مخطوطة ا .

فَإِنَّهُ إِذَا أَصَابَهُ الرِّيحُ ائْتَوَجَ وَبِذُرْمِنْ عَلَيْهِ الْكُسْرُ فَلَهُ بِهِ خَدَاةٌ لَمْ يَزَلْ يَنْقُصُ
وَيُزْمِنْ عَلَيْهِ الْكُسْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى (١١) .

وقد يكون مسطح بالعين منه شطب دقيق كثيرة ^(١) ومائة شطبة واحدة
وخرشته [الطبع ^(٢)] وساذج غير خريشته ^(٣) ضوها أربعة أشهر
وأكثر وأقل ^(٤) وعرضها أربع ^(٥) أصابع وأقل وأكثر ^(٦) وليس حديدتها
يماناً ^(٧) بل سلجاني وسرندي وهندي . وبعضها مستوية القدود وأغائها
وأسافلها في عرض واحد . وهذه تعد في العتيق وأوزان هذه ما بين رطلين
إلى الخمسة الأربال إلا أن الصياقة يكونون عن اسم العتيق ^(٨) فيسمونها
لامولد سلجاني سرندي ...

وليس العتيق الا القلمي والخيالي والمهندى هو الناقرون^(١٠) وأكثر ما يكون من الناقرون وزنا خمسة أرباط وهى السيوف الأول أعنى الناقرون خاصة . وجوهر الناقرون يشبه جوهر الخيالي أو القلمي فذلك الجنس يسمى به . وهى التى تسمى المعتوقة اذا عُتِمَتْ^(١١) الى القلمي أو الى الخيالي . فمن خالفنا^(١٢) أو ادعى انه يقدر على بيان فيه ثلاثة أرباط أُنَيْتَاهُ^(١٣) بسيف من هذه القبورية^(١٤) الصغار فقسناها^(١٥) الى ما جاء به فان شاككه فهو صادق وهذا غير موجود .

(۱) باذن اللہ تعالیٰ «زیادہ فی لہ لم ترد فی ا» .

(٢) وردت في أول غير منقوطة .

(٣١) وابتنائنا من مخطوطة الجاهلية زيادة كلمة «الطبع» أما مخطوطة لندن
أوردتها والمرتبطة وسواذج غير خريفة.

(د) نسخة ل « وأقلها » . وقد أشتقا نس النسخة الأخرى لأنه المحقق .

(٦) و (٧) المجلة « ومرضها أوجع أمابيم وائل وأكثرت لم نرد في نسخة الأمانة .

(٨) في الأصل «باني» وهو خطأ .

(٩) نسخة الإشاعة «الامر» .

(٨٠) الفاترون؟ لم تصل الى منها.

(١٦) في المحطرتين بنو تقي.

(۱۲) نسخة ل «خاتمه».

(١٢) في المحطرتين بقدر تقطع .

(۱۴) راجع ما آوردناه فی الخاتمة الخاصة بهذه الكلمة فيما سبق .

(١٥) نذرة لـ «ها» بشر تنقط ونذرة ا «قباسا» بشر تنقط .

وأكثر . يكون من السليمانية ^(١) الصغار القلمية الدقاق تطبع ويغير ^(٢)
قدما التي التمانية وتباع على أنها يمانية .

ومن هذه السليمانية ^(٣) ما يكبس ويعمل بالمتناش . فيبقى رسم ذلك النقش
فريداً ^(٤) ودعواتي يصادف عقده بتسمية معموله ^(٥) ويباع على أنه يمان —
وربما طبعوا القلمية في قد ^(٦) ايمانية فباعوها [بحساب] ^(٧) ايمانية لأن القلمى
إذا كان فيه ثلاثة أرتال غير ربع ساوى ^(٨) عشرة دنانير إلى خمسة ^(٩)
عشر [دينارا] ^(١٠) على قدر القدر ^(١١) والصباحية ^(١٢) وإن كان عرتاً أى فيه ^(١٣)
عروق يساوى ^(١٤) خمسة دنانير فإذا كان يمانى ^(١٥) في هذا الوزن والصباحية
يساوى ^(١٦) ما بين الخمسين دينارا ^(١٧) إلى المائة .

(١) « السليمانية » نسبة إلى سلمان .

(٢) في المخطوطتين بغير تنقيط .

(٣) نسخة السليمانية .

(٤) في المخطوطتين بغير تنقيط ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٥) هذه اللمة غير واضحة ومى هكذا في المخطوطتين . ولعل صوابها « تسمية .
معمولة » .

(٦) نسخة ن « قدر » .

(٧) زيادة من نسخة ا وكانت في نسخة ك « فباعوها ايمانية » .

(٨) نسخة ن « يساوى » ونسخة ا (ساوا) .

(٩) نسخة ا « الخمسة عشر » .

(١٠) زيادة من نسخة ا .

(١١) نسخة ن « القدر » وقد وردت غير منقوطة .

(١٢) وردت أيضاً « الصباحة » وصوابها ما أثبتنا . والصباحية الأسنه المريضة .

(١٣) نسخة ا « أونية » .

(١٤) نسخة ا « ساوى » وقد وردت بالألف .

(١٥) نسخة ن « تماماً » ولعل الصحيح ما أثبتناه من نسخة ا .

(١٦) كالخاتمة رقم ١٩

(١٧) نسخة ن دينار وهو خطأ .

وليس في السيوف^(١٢) القلعية [ماعرضه^(١٣)] أربع أصابع ولا ثلاث
تامة الا معمورة ويكون [طولها^(١٤)] ما بين الأربعة الأشرار^(١٥) الى خمسة
أشبار إلا ما قصر فعولج وقدرودها قدود مستوية . أعاليها وأسفليها
واحدة^(١٦) أدق [وهي^(١٧)] من [سيلانات^(١٨)] سيلات انجانية —
ومكاسرها ومكاسر انجان^(١٩) كالنفضة البيضاء^(٢٠) فاما المعسولة^(٢١) منها
عملا نانيا^(٢٢) من غير سبك فيوجد على كل طبع — الا أنه لا يكون منها
مشطب وهي أصغر فرندا من الثاني (وأكثر تعقيد جوهر من الثاني^(٢٣))
وأشد اختلاف عقد (ر)^(٢٤) ليست بمساوية في العظم وأشد حمرة جوهر
وأرض^(٢٥) .

ولا يوجد منها سيف بايس — وتوجد بقية الحديد^(٢٦) من القروقي
الهندية^(٢٧) .

- (١) عنوان زائد في ل
- (٢) زيادة في نسخة ا
- (٣) زيادة في نسخة ا
- (٤) زيادة في نسخة ا
- (٥) نسخة ا « أشبار » .
- (٦) نسخة الأستانة « واحد » .
- (٧) زيادة في نسخة ا
- (٨) زيادة في نسخة ا
- (٩) نسخة ا « عمانية » .
- (١٠) نسخة ا « يمانا » .
- (١١) نسخة ا « المعسولة » .
- (١٢) نسخة ا « عمل ثاني » وهو خطأ .
- (١٣) زيادة في نسخة ا
- (١٤) زيادة في نسخة ا
- (١٥) نسخة ا « جوهرها وأرمانا » .
- (١٦) في نسخة ل « الحرد » وفي نسخة ا « الحديد » .
- (١٧) زيادة في نسخة ا

والنسبة جوهرها شبه بجوهر انباني إلا أن جوهرها يغرب الى السواد
 (ومكاسرها تضرب الى السواد^(١١)) ويقع من المولدة ما جاء في خراسان
 وأجناس تدخل في القلبي والنباتي جميعا — (الهندية في قدود القلمية^(١٢))
 فإذا رأيت^(١٣) منها شيئا في قد القلبي أشد تعقدا من القلبي وأكثر تعجرا^(١٤)
 أعني بالتعجّر^(١٥) تدخل الفرندي^(١٦) بعضه في بعض فوجدته يضرب الى السواد
 ووجدت الحديد مختلفا^(١٧) في الفرندي من أوله الى آخره موضع فرندي صغار^(١٨)
 وموضع فرندي كبير ووجدت الفرندي الذي على الموضع^(١٩) الذي يتركه الصياقلة
 ولا يسقونه وهو قدر شروا أكثر مما يلي السيلان فرنديا صغارا ما يشبه بالسلم^(٢٠)
 فأعلم أنه مولد فاجل منه قطعة حمراء فانك (تري تخرج^(٢١)) الزيت من تحت
 المصقلة أسود وتري للمصقلة أثرا (فيه^(٢٢)) كثر المصقلة في الرصاص وتري
 القطعة تمسها الحمراء (التي جلوتها^(٢٣)) لا جوهر فيها وتبين آثار المصقلة فيها
 (وان^(٢٤)) خفي وتنظر الى الابنك^(٢٥) الذي وصفت لك في صدر
 هذا الكتاب وهو الذي (قلت أنه شبهه^(٢٦)) بالدود يتلو بعضه بعضا فانك
 (تصيب هذا الابنك^(٢٧)) في العتيق بيضاء نقية وتكون هذه كدة تضرب

(١١) زيادة في نسخة ا

(١٢) زيادة في نسخة ا

(٢٢) نسخة ك « زانت » ولي نسخة ا بنير تنقيط . والصحيح ما أثبتنا .

(٢٤) و (٢٥) وردت في النسختين بنير تنقيط ولها من المجددة أى المجددة
 في الخشبة ونحوها .

(٢٦) نسخة ك « الفرندي » الذي بمعنى « زيادة » « الذي » ولا موضع لها .

(٢٧) نسخة ا « مختلف » ولعل صوابها « يختلف » نسلم من الخطأ .

(٢٨) نسخة ا « آخره موضع فرندي كبير » فقط .

(٢٩) « الذي على الموضع » زائدة في نسخة ك .

(٣٠) عبارة غير واضحة في المخطوطتين .

(٣١) في نسخة ك « فانكر تخرج »

(٣٢) زيادة في نسخة ا .

(٣٣) زيادة في نسخة ا .

(٣٤) زيادة في نسخة ا .

(٣٥) كلمة غير واضحة .

(٣٦) زيادة في نسخة ا . أما نسخة ك فالنص فيها هو الذي ينسب .

(٣٧) نسخة ك « الدود الذي » .

الى السواد (وتجد) ^(١١) حذ كل سيف فيها تير يذله عليه خشت ^(١٢) لا كما عتيق
(خيئت ^(١٣)) فسه الى العتيق وهذه (الأشياء التي ^(١٤)) وصفتنا إمارات
المولدة .

وأما ^(١٥) اثمانية العتيق والثلمية العتيق فيخرج جماعها وتوبالها أحمر يشبه
النحاس ^(١٦) — واغندية يخرج جماعها وتوبالها ^(١٧) ومكسر دامل الرماد أسود
والرمت ^(١٨) يخرج من تحت مداوس المولدة أسود . فأما من تحت مداوس
الاثاني والقلعي (العتيق) ^(١٩) فوسخ قليل وكذلك الهندية (أيضا ^(٢٠)) شبيهة
بتقاء اثمانية ^(٢١) والقلعية ^(٢٢) .

السلمانية :

فأما (السيوبي ^(٢٣)) السلمانية فإن منها جنسا ^(٢٤) يسمى السلمانية الصغار
وهي سيوف لطان العروض طوان ^(٢٥) قصار للفرند ^(٢٦) فيها بعض الجمود

- (١) زيادة في نسخة ١ والنس في النسخة الأخرى « تذكر نصيبها » .
- (٢) في المخطوط « خشت » وهو صحيح في نسخة لي تبد الجمدة حيث ترد فيها
كلمة « ونجد » .
- (٣) زيادة في نسخة ١ دون تنقيط . والنس في النسخة الأخرى « فسه » بدون
هذه الزيادة .
- (٤) زيادة في نسخة ١ والنس في الأخرى « وهذه الى ما وثقت » .
- (٥) نسخة الماشنة « فأما »
- (٦) نسخة الماشنة شبيه بالنحاس .
- (٧) نسخة ١ (والهندية) يخرج جماعها وتوبالها أحمر فيه أسود والمولدة يخرج
جماعها وتوبالها خضه ومكسر دامل .
- (٨) نسخة لي (والريث) ونسخة الماشنة بدون تنقيط والصواب كما أثبت .
- (٩) الزيادة عن نسخة ١ .
- (١٠) زيادة عن نسخة ١ .
- (١١) نسخة ١ (شبيهة في ثقاء واثمانية) .
- (١٢) نسخة لي « قسيه » وهو تحريف .
- (١٣) الزيادة عن نسخة ١ : « وبذلك أن هذه النسخة لا تضع عنوان كينسعة » .
- (١٤) نسخة ١ (جنس) وهو خطأ يتكرر منه في هذه النسخة .
- (١٥) نسخة ١ (حوت) وهو خطأ .
- (١٦) نسخة ١ (لفرند » .

وشبهة بجمهورية . ثلثية خواهر الجوهر من غير طرح وفي مرسل
 حديد مسبوكة من أرض سخان إلى وراء تبر من خراسان قطعت ذلك
 وقدرها قدوة دقة ثلثية . فإذا وقع منها سيف جيد الوزن أخذته لتبابة
 الحكمة منها فادخوله الثار ثم كبسه حتى يدخل بعضه في بعض ثم يضع
 بعد أن يقصر طونه بغير شبر ليزيد في عرضه . فإن أحبوا أن يشبهوه
 بالثانية قصروه وخرطوا رأسه^(١٠٠) على شكل ما وصفنا من الثانية ثم سقوا
 نصفه لينظم جوهر^(١٠١) م^(١٠٢) في شرب الماء منه ويضرب إلى تياض بعد
 الطرح ويحصى^(١٠٣) النصف الأعلى مما يلي التراب^(١٠٤) من أجل نسي
 فإن^(١٠٥) الثانية العتيق على هذا المثال تكون في سقها إلا ما لأن حديد منها
 واسترخى^(١٠٦) من الثانية وغيرها من الشبه^(١٠٧) بها فأنهم يسقونه إلا شراً
 وأقل منه^(١٠٨) مما يلي السيلان . وإن أرادوا أن يطبعوها في قد الثلثية عملوها
 سيقوطوا^(١٠٩) (طولها)^(١١٠) أربعة أشبار غير أصبعين متساوية الطرفين ملئة
 الروس^(١١١) وهذا^(١١٢) النصف^(١١٣) من هذه السيوف الألمانية التي تلبها^(١١٤)

- (١٠١) نسخة ل « الجردية » وشبهة « بجمهورية » . وقد أتيت نس نسخة ا .
- (١٠٢) نسخة ا « ما جنى » .
- (١٠٣) هكذا في نسخة ل . وفي نسخة ا « ضوله » . والنس الذي أتيت به الصحيح .
- (١٠٤) نسخة ل « وحرصوا إذا به » ولا معنى له .
- (١٠٥) نسخة ل « جودها لم » والنصح والزيادة عن نسخة ا .
- (١٠٦) نسخة ل « ويحصى » .
- (١٠٧) التراب من السيف حده أو ضربه النطرف .
- (١٠٨) نسخة ا « لان » .
- (١٠٩) المحطوطان « واسترخى » وهو خطأ .
- (١١٠) المحطوطان « الشبه » وهو تصحيف .
- (١١١) نسخة ا « أو أن من شبر » .
- (١١٢) نسخة ا « سيف طواك » وهو خطأ .
- (١١٣) الزيادة عن نسخة ا .
- (١١٤) نسخة ل « ملئة » .
- (١١٥) نسخة ا « فهذا » .
- (١١٦) نسخة ل « النصف » .
- (١١٧) نسخة ا « تلبها »

إلى هذا الاسم من الحفار يجوز في ذين لباين إذا خواف خيمها وجو عرها
إذا جلي^(١) آخر . ولذلك نجد فرند^(٢) آخر^(٣) . خافراً^(٤) بيناً^(٥) القرنية^(٦)
منه واحدة ونصفاً في فرند القلبي وأكثر من فرند^(٧) اثني عشر قليلاً . ويرى
فرند بعد الطلي كالانوية السكورة غير متصلة بعضها في بعض في مواضع
عدة من الكبس ليس^(٨) في كتفه مختلف الوجهين لحال كبس المطارق .
ومنها السلمانية العراض وهي التي تدعى الهنك^(٩) وهو العريض^(١٠) وعرضها
ما بين ثلاث أصابع^(١١) إلى أربع أصابع وطولها أربعة أشرار . وتكون
أوزانها ما بين الثلاثة الأبطال إلى الثلاثة ونصف . ومنها الجنس الذي يسمى
الروث^(١٢) وهي قلأ^(١٣) توجد إلا وعلى سيلانها طابع مربع فيه اسم الصانع
الذي صنعه على قدر إصبعين مضمومتين في طرف السيلان . وأجودها
ما كان كتاب طابعه قد الحكم في طابع (مربع)^(١٤) .

وذكر هن أدركت من المعاينة أنهم لم يروا شيئاً عليه قد عمروا^(١٥)
بالمصورة إلا [شيئاً^(١٦)] واحداً^(١٧) . وهو مفتر^(١٨) الظهور — وبعض

(١) نسخة نـ « على » .

(٢) هذه الجملة « وقد ... آخر » أضيفت من نسخة الأمانة لاضطراب

نسخة نـ في هذا الموضع حيث وردت فيه هكذا « وجدت وده آخر » .

(٣) نسخة ا « من يكون » ومنها حين يكون .

(٤) نسخة ا « فخره » .

(٥) المخصوصة « فرند » ومن إتمام زائدة وقد وردت غير متقومة في ا

(٦) نسخة ا « لأن كبس » .

(٧) الهنك قد يكون نوعاً من السيوف .

(٨) في نسخة ا « وهو شريض » كما أتت . وفي نـ « وهينك شريض »

وقد آثرنا الأولى .

(٩) نسخة ا « بركة » وهو خطأ متكرر كثيراً .

(١٠) أنظر الحديث رقم ٢ ص ١٠

(١١) نسخة ا « أقل » وهو تحريف .

(١٢) زائدة في نسخة ا

(١٣) نسخة ا « قد عمر » واجهة غير واضحة في المخطوطين وقد أتت هكذا ووردت في نـ .

(١٤) زائدة في ا

(١٥) نسخة نـ « واحد »

(١٦) نسخة ا « مفتر »

هذه الرنوث تكون منقورة وأكثرها جرثفة^(١) وضوئها أربعة أشبار وعرضها ما بين أربع أصابع مضمومة إلى أقل من أربعة قبيل^(٢) جياذ اثنتون حسان الرءوس عراض سيلان^(٣) كيلانات^(٤) [تثنية الكبار .

وحديدتها كنها طواهر من غير طرح وان^(٥) سنى مناسيف ماء من^(٦) وصلب ثم جلى^(٧) احمر وبعى الختم الذى على السيلان بالطريقة اشتراء جميع صياقلة خراسان^(٨) والموصل واثين والجبان^(٩) . على أنه قلعي ما خلا العراقيين^(١٠) . وتكون أوزان هذه ما بين أربعة أرطال وأربعة ونصف وأقلها ثلاثة أرطال ونصف والذى يطبع^(١١) بسلان^(١٢) هي عريضة الفرند [لبست^(١٣)] بطاهرة الحديد^(١٤) أى ليست لها حرة وهي اردأها .

السرندبية^(١٥) :

(وأما السيف السرندبية فما^(١٦)) تطيع بسرنديب وخراسان^(١٧) وقد قدمنا في صدر (هذا^(١٨)) الكتاب ما يطيع بالثين . فأما ما يصنع^(١٩)

(١) جرثفة

(٢) نسخة ل « قلب » وهو خطأ .

(٣) زيادة في

(٤) نسخة ل « وأى سى » وهو تحريف وتصحيف .

(٥) نسخة ل « مامن » ونسخة ا « نامن » وصحتها « مامن » كما أثبتنا .

(٦) المخطوطان « حلى » وهو تصحيف .

(٧) المخطوطان « الجبال » وهو تصحيف . والجبان ؟

(٨) مخطوطة ل « العراقيين » — والعراق — الكوفة والبصرة .

(٩) يطبع .

(١٠) زيادة عن نسخة ل

(١١) « د » « د » ل

(١٢) عنوان أثبتت نسخة ل .

(١٣) الزيادة من نسخة ا .

(١٤) ل نسخة ا « بخراسان » .

(١٥) الزيادة من نسخة ل .

(١٦) في نسخة ا « منع » .

منها بسرديب فهو التي ^(١١) والتي انتهى لا يحس ^(١٢) عليه بالنار . وذلك
أنهم لا يحمون بفحم القصب بل بفحم الخشب الذين وبفحم الخلاف ^(١٣)
وما أشبهه فيخرج فرنده رقائقا صفرا ^(١٤) خفية ^(١٥) فإذا وقع في أيدي البغداديين
فأجبروا أن يطهروا ^(١٦) جوهره مرجوء . ومعنى مرجوء ^(١٧) . وضعوه
في رماد الحام الخارج حتى لا يبقى فيه من السقي إلا الحصن ^(١٨) ثم يجلي ^(١٩)
ويلقى عليه (الدواء) ^(٢٠) فإن خرج فرنده جيدا والأسموه الأطلس ^(٢١) .
والأطلس الذي لا يبل ^(٢٢) جوهره ولا يعرض ويكون لونه مظلما يضرب
إلى الصفرة .

ومطبع منه بخراسان فأنهم يطبعونه بفحم البلوط أو بفحم الفضا . وما
جميعا يأخذان منها الحديد أخذًا شديدًا فيكون له أظهر جوهرًا شبيها ^(٢٣)
بالبيض . وأقطع هذه الأجناس التي نسبتها إلى السرديب التي .
ومنها ما يطبع بالنصورة ^(٢٤) . وهي سيوف قصار رقائق وعرارض

(١١) في نسخة ا « فهو الذي يدعى التي » .

(٢٢) في نسخة ا « لم يجلي » .

(٢٣) في الأصلين الخلاف « وهو تصفيف » . والخلاف منه من المعنات .

(٢٤) في نسخة ا « دقة مقر » والتصحيح ما أثبتناه من نسخة د .

(٢٥) في نسخة ا « خفة » والتصحيح ما أثبتناه من د .

(٢٦) في نسخة د « يطهروا » والتصحيح ما أثبتناه من ا .

(٢٧) في نسخة ا « مرجوء » بدون تنقيط .

(٢٨) غير واضحة في النسخين . وقد تكون أما أخضر أو الخبي .

(٢٩) في النسخين « يجلي » والتصحيح ما أثبتناه .

(٣٠) الزيادة من نسخة ا .

(٣١) في نسخة د « أف » . وفي نسخة ا « الأطلس » وهو ما أثبتناه .

(٣٢) في نسخة د بدون تنقيط . وفي النسخة الأخرى « يبل » بدون لا .

(٣٣) في نسخة ا « شبة » .

(٣٤) للنصورة — معجم البلدان مدينة بالسند واسمها القديم « عينور » سميت النصورة
لأن عمر بن حفص المعروف بزار مره الهلبي شهد في أيام أبي جعفر النصور ثاني خلفاء
أبي العباس وسماه بقبه . وقت السموذي : سميت النصورة بنصور بن جمهور السكلي
عالم بن أبيه . وقت حزة : ومما يوزن اسم مدينة من مدن السند سمواها الآن النصورة .

وأكثر غرضه ثلاث تصحيح يشبه بعضهم بحسب أبيه إلا أنه لا ينجو
فرداً من الرقة " وأخران .

والمتصورى أضواها " وأجهها . وكلها تضرب إلى العفنة ما خلا
هذا المتصورى فله أضواء وأنبها فرداً وأقها صفة " .

وأرض المرندبي قبل نضج حره تضرب إلى لغوة " وبعد الطرح
أرضه حره . وفردته دقة صغر قليلاً " وقود هذه المتصورى قدود أجنبية
العلق السواذج التي لا شطب فيها .

ومنها ما كان طبع بفارس فيما مضى قد عم فيها منقوشة بتأين وضور
تسمى شاه خرم معناه (ذلك في الصيد ") مذهب بالذهب .

وكذلك صنف من السمانية " ضبعت بفارس تسمى الخبر وانية .

فأما المرندبية السواذج من التارمية فهي عرض فرداً من هذه
المرندبيات " كلها وذلك أن أهل فارس كانوا يطلقون " البيض " لأنهم
قائل سائر هذه البلدان تحمل إليهم الأركازمات " " وهي قطعة مربعة من
ربعت في الأصل ذراعاً ذراعاً " (وهي تسمى أيضاً الشبايط) " .

(١) نسخة " ثلاثة " وهو خطأ .

(٢) نسخة " الدقة " .

(٣) نسخة ل والمتصورى فله أضواها بزيادة كلمة " فله " ولا ضرورة لها .

(٤) حدث اضطراب في نسخة " في هذا الموضع غرقت بكلمات وحذف منها كثير
من الكلام أبتناه عن نسخة الائمة حيث ورد الكريم في نسخة لندن هكذا " والمتصورى
فله أضواها وأقها فرداً وأقها صفة " .

(٥) الشباطة الدرية في المحرطين .

(٦) نسخة " أجنبية " .

(٧) نسخة " المرندبية " ونسخة " المرندبيات " .

(٨) مطل الحديد : سبك فضيه . وفي نسخة " مطلون " بدون نقط .

(٩) نسخة " الألاكركات " .

(١٠) نسخة " ذراع ذراع " وهو خطأ .

(١١) هذه زيادة أبتناه عن نسخة " .

البيض^(١) :

فأما البيض فصنفان^(٢) من السيوف . صنف طبع بنارس . وصنف طبع بالكوفة في الزمان الأول . وفي^(٣) سيوف قصار أعرض ما يكون منها ثلاث أصابع إلا أن يكون قد وقع في أحدها ثقل . فأخرج الثقل فرق وطولها ثلاثة أشبار وأربع أصابع (مفتوحة أعني^(٤)) ومنزوجة (كذلك^(٥)) كلها . وسيلانها دقاق ألبها أدق قليلا وثقل . وثقب سيلانها ثقبان ثقبان^(٦) بالسبك . وردها أسفل من أسفلها (أعني بأصلها^(٧)) ما يلي^(٨) الثغاف . وردها إلى التدوير ملسته دقاق الأطراف شبهة بالأمكنة التي في القلعية غير معقدة مستو (فردها) كله . (كوفي عتيق مما طبعه زيد لصانع) .

ومنها ما فرده مشجر كله . فإن كان فيه موضع تشجير وموضع غير تشجير فهو بولند . ومنها ما ستايته ماين (١) وما كان كذلك فإن حدده المشجر . فأما ما كان وشاحين على الحد فإنه هو الذي وصفتنا في صدر الكتاب .

والبيض الكوفي أقطع من الفارسي (وفي^(٩)) وأقطع السيوف كلها . وأصبرها على الكرمة . وبين^(١٠) البيض الكوفي والفارسي إذا تساوى في الوزن ولقد في سيف ثلث اثنين . وعلامة البيض الفارسي أنه أضون من الكوفي بثلاث أصابع وأكثر . فإن أصبته قد غير لونه^(١١) فإنه إن ديلانه أطول

(١) عنوان ثبته نسخة قيس السمرية على كل نوع . وقد خست منه ومن أمثله

نسخة ١

(٢) نسخة ١ « تصفين » وهو خطأ .

(٣) نسخة ١ « وفي » .

(٤) و ١٥ « زائدة ونزوجة في نسخة ١ »

(٥) نسخة ١ « ثقبين ثقبين » وهو خطأ .

(٦) زائدة من نسخة ١

(٧) نسخة ١ « ما » وفي نسخة مع زائدة الزائدة قيس السمرية الزائدة واردة

في نسخة ١

(٨) زائدة في نسخة ١

(٩) نسخة ١ « بنارس » وهو صحيح ما ثبت من نسخة ١

(١٠) نسخة ١ « بين » وهو صحيح ما ثبت من نسخة ١

(١١) نسخة ١ « لونه » وهو صحيح ما ثبت من نسخة ١

من سيلان كوفي نعى تسمى الزبدية بصعين وانحن وأعرض^(١١) من سيلان الكوفية بكثير . وقد تكون هذه ندرسية مختلفة في الرقة^(١٢) وتعرض . وهي أعرض جوهر^(١٣) من جوهر كوفي ، إلا أن جوهر الكوفي أصلي وألور وأشباه العقيق الأول . وليس يظهر فرقه إلا بعد الصرح إلا شيئاً خفياً^(١٤) جداً وهي زرق الخبيد إذا كان غير مضروح شايها (الدرء^(١٥)) .

والأزرق هو أبيض يضرب إلى الخضرة . ونسبوه الفارسية أسافها التي تلى د سيلان^(١٦) ، أفنى من أديها . وأكثر أثمان الكوفية (منها^(١٧)) الكجار الصباح ثمانية (دنانير^(١٨)) وأفنى أثمانها ديناران^(١٩) إلا أن تكون خفيفة ألوزن جداً فتباع بدینار .

الفرنجية^(٢٠) :

(ولسيف^(٢١)) الفرنجية عراض الأساقى . دقق الزؤوس في قد انجائية العلق بشطبة واحدة عريضة في وسطها كالنهر الظاهر . وجوهرها شبيه بصفة غريب^(٢٢) الثياب^(٢٣) الطبرى (٩) وتركيب^(٢٤) خلق الدرع أبيض الوشي أحر الأرض بعد الطرح وقبل الطرح لا يظهر منها شيء (و^(٢٥)) في صدورها

(٢١) الخطة هي « التي تسمى... وأعرض » زيادة في نسخة ل ويبت في النسخة الأخرى .

(٢٢) نسخة « الدقة » .

(٢٣) نسخة « جوهر » وهو خطأ .

(٢٤) في الأصلين « إلا شيء غنى » وهو خطأ .

(٢٥) زيادة في نسخة أ .

(٢٦) زيادة في نسخة أ .

(٢٧) زيادة في نسخة أ .

(٢٨) نسخة « دينارين » وهو خطأ .

(٢٩) زيادة في نسخة ل ك في النسختين .

(٣٠) زيادة في نسخة أ .

(٣١) في النسختين « غريب » .

(٣٢) وردت في النسختين غير منقوطة والثياب الطبرية مضمومة بزر كشتها .

(٣٣) وردت غير منقوطة .

(٣٤) زيادة في نسخة أ .

أداة محذرة بشية^(١٠٠) وذهب أو صلب محذو كذلت (بشبة أو ذهب^(١٠١) .
ومنها ما في تركيبة تنب قد عمن^(١٠٢) فيه ميز ذهب أو شبه . وربما
كان ذلك لسر^(١٠٣) في اتيانية العنق^(١٠٤) مسورا أيضا بالذهب في تركيبة
أو خرفه . وبن حذبة^(١٠٥) تشبه الداسكتين^(١٠٦) مما يلي الشطبة . لا يخرج
فيه فرنه . وشعبة مقصورة عن طرف الذباب بقدر ثلاث أصابع وأخرى .
ونه شبهة بالثقب في^(١٠٧) (ثلاث أصابع لا يظهر لها فرنه . وهي أحرف^(١٠٨)
ردوساء من اتيانية .

فما (نسيون^(١٠٩)) السليانية فإن حديدتها على مثال حديد الفرنجي
إلا أنه أصغر وشيا وأجلى وأغرب صنعة . وأول السيف وآخره مشويان
ليس بمخروط . فإن دق الرأس عن الأسفل . فقليل ما . وليس فيه تشال
ولا صليب . وسيلانها تشبه سيلانات اتيانية . وكذلك سيلانات الفرنجية
(إلا أن الفرنجية^(١١٠)) أوفر سيلانات وجميع معانيها سواء .

المولدة :

وأمل (ما^(١١١)) سوى ما وصفنا فالمولدة وهي (سبون^(١١٢)) في كل طبع منها
جنس يقال له الخمر وهو ما عمل بخراسان في قد القلعية وهو معد عقد أصغارا

(١١) نسخة ل « نش » ووردت كذلك في نسخة ا ثم وردت بعد ذلك « نش »
والشبه . والشبه هو النحاس الأصفر .

(١٢) زيادة في نسخة ا .

(١٣) زيادة في نسخة ل .

(١٤) نسخة ا « قد مر » .

(١٥) نسخة ل « الأولى » وتعلمها تحريف . وقد أثبتنا ما ورد في نسخة ا

(١٦) في النسختين « حدة » .

(١٧) في النسختين « الداسكتين » .

(١٨) الزيادة من نسخة ا .

(١٩) الزيادة من نسخة ا .

(٢٠) الزيادة من نسخة ا .

(٢١) الزيادة من نسخة ا .

(٢٢) الزيادة من نسخة ا .

واحدة إلى جنب صاحبها من أوله إلى آخره بعمل بالتقاسم عملان يدان
الندوس فيستوى فترى (عقده^(١)) صفوف بعضها يتلو بعضاً يشبه القلمي
وحديد، أسود . وأعرض ما يكون منه إصبعان ونصف وليس يظهر
(جوهرها^(٢)) إلا بعد الطرح فإن ظهر منها شيء قبل الطرح رأيت^(٣)
حديداً رخواً مظلاماً بعضه يتلو بعضاً — وعلاماته^(٤) إن ثقب سيلانه^(٥)
دقاق ويطبع طبع القلمي وتبلغ أثمانها ثلاثين درهماً .

المحذرة البصرية :

ومن المحذرة البصرية ، ما يظهر حديده قبل الطرح معقد بمقدة تشبه جوهراً
لسلجاني (وقد تكون أبيضاني) جوهراً ناعم تتبين لك الرخاوة فيه (مع^(٦))
سواد وظلمة تتبينها في الشمس أضعاف ما تتبينها^(٧) في الظل حسن الشفرة
تنبؤ إليه عنها^(٨) تظهر آثار المصاقل فيها مختلفة القدود من عراض ودقاق^(٩)
وقصار وطوال لم يطبعها^(١٠) أحد من البصريين . إلا (رجل يقال له^(١١))
سليمان^(١٢) . طبعها^(١٣) سنة خمس وتسعين وقطع العمل سنة مائة وتسعة^(١٤)
(دعى بعد الطرح تذهب عقدها . ويخفى جوهرها . وإنما كانت تحمل

(١) الزيادة من نسخة ١ .

(٢) الزيادة من نسخة ١ .

(٣) بدون تنقيط في النسختين .

(٤) في نسخة ١ «علاماتها» والصحيح ما أبقناه .

(٥) في نسخة ١ «سيلانها» والصحيح ما أبقناه في نسخة ١ .

(٦) الزيادة من نسخة ١ .

(٧) في نسخة ١ «ما يتبين» .

(٨) في نسخة ١ «لأنه» .

(٩) قد تكون وقتئذ .

(١٠) نسخة ١ «لم يظهر» .

(١١) زيادة من نسخة ١ .

(١٢) في نسخة ١ «اسمى» وهو تحريف لاسم «سليمان» حيث تكتب بدون ألف .

وقد وردت بدون الألف في نسخة ١ .

(١٣) نسخة ١ «عنهما» .

(١٤) وردت هذه الجملة في نسخة ١ بالأرقام .

إلى الجبال ونباع بسور اثنيانية^(١١) . وكانت نباع بدينارين ونصف^(١٢)
ومنها ما صنع بالبصرة أيضا ما لا يزيد^(١٣) ثمنه على ستة دراهم وأربعة دراهم ،
وهي صفار السيلانات وثاق مضطربة الذود .

الدمشقية :

(والسيوف^(١٤)) الدمشقية كلها حربته (؟) وهي ما طبعت فيما مضى .
وهي قواطع جدا إذا كانت على سقايتها^(١٥) الأولى . وهي طوال خريشت^(١٦)
في قداما وصفنا من السلمانية التي تطبع بالنصورة : وحديدتها شبيه بالبيض
إلا أنه مختلف الجوهر وهي أقطع ما يكون من المولدة وأثمانها ما بين خمسة عشر
درهما إلى عشرين درهما^(١٧) .

المصرية^(١٨) :

ومنها ما يطبع بمصر مما يبرز^(١٩) بالطول طولاً فتستوي وجوهه^(٢٠) .
(ويشتهر^(٢١)) لاستواء قطعه . فأما حديدته خديد بصرى . وأثمانها عشرة
دراهم^(٢٢) . يطبع منها المخرشت^(٢٣) (والجها رداست^(٢٤)) والنها داست^(٢٥)
والتيه داست^(٢٦) والساذج وغير ذلك .

- (١) هذه الجلة زيادة في نسخة أ .
- (٢) نسخة أ وأثمانها « دينارين ونصف » وفيها خطأ .
- (٣) نسخة ل « يزاد » .
- (٤) زيادة عن نسخة أ .
- (٥) نسخة ل « سقاية » .
- (٦) لم نصل إلى تفسيرها . وخريشت فارسية نوع من السلاح .
- (٧) نسخة ل « وأثمانها من خمسة عشر » .
- (٨) زيادة في نسخة ل .
- (٩) في النسختين « سرد » بدون نقط ولعلها « يبرز » كما أثبتنا .
- (١٠) نسخة أ « وجه » .
- (١١) زيادة في نسخة أ .
- (١٢) هذه الجلة واردة في نسخة متأخرة عن هذا الومع أي في آخر هذه الفقرة .
- (١٣) خريشت نوع من السلاح .
- (١٤) لم نستطع تحقيقها .
- (١٥) لم نستطع تحقيقها . وهي فارسية معناها ذو القبض المكي .
- (١٦) لم نستطع تحقيقها .

«نيرماهن»^(١١) :

ومنها أسياف نرمان^(١٢) تقع من سيوف الشراة والروم جميعا . ومن سيوف الهند . فما كان من سيوف (الهند^(١٣)) يسمى مندلى^(١٤) ويعرف سيناها باعتبار قدمه والتوائه وأثر المبرد في شفرته . وهو في مثال طبع الفاقرون (?) وليس يظهر في النيرماهن^(١٥) كلمة قليل ولا كثير .

فما سيوف الروم والشراة فسيوف سواذج دقاق طوال مضطربة القدود . إذا نظرت إلى السيف نظرت إلى مواضع داخله ومواضع خارجه . وهي تسمى بالفارسية « كهر بلام »^(١٦) .

هذا أطال الله بقاءك فيما أمرت بإيضاحه والله أعلم^(١٧) .

(١١) في نسخة ل « البرمان » ولم ترد في نسخة أ

(١٢) في نسخة ل « نرمان » ونيرماهن هو الحديد الأبيض (Soft Iron) .

(١٣) زيادة في نسخة أ

(١٤) مندوب إلى مندك وهو بلد بالهند .

(١٥) وردت في نسخة ل « البرمان » ولم تنطق في النسخة الأخرى .

(١٦) هكذا في نسخة ل . أما في نسخة أ « ظهر بلام » .

وعلى ذكر سيوف النرمان . ذكر العلامة البيروني (الجماهير ص ٢٤٨ طبعه الهند) أن سيوف الروم والروس والصقالية تصنع من الشاربقان . وأن الروس كانوا يملكون سبهم من الشاربقان والشطب في وسطها من النرمان لتكون أثبت على القرب وأبعد عن الكسر إذ الفولاذ لا يقاوم برد شتواتهم ويشكر في القربة . ومن كلام نوعي الحديد الشاربقان والأثنى أتوا بسيوف بحجية مستظرفة .

والشطب من السيوف هو الذي فيه طرائق كالجداول مميقة فربما كانت مرتفعة وربما كانت منحدره . وهذا الاختلاف الذي ذكر لا يكون إلا إذا كان الجدول واحداً أما إذا كانت الجداول أكثر من واحد . فالمرتفع هو بين كل جدولين بالفرودة .

وذكر البيروني (كتاب الجماهير ص ٢٥٦) قال : (. . حدثني من كان بأرض الهند أن جلس إلى حداد كان يعمل السيوف فتأملها . وكان حديد نرمان . وكان يذرع عليه دراهم مدقوقة نملونه يضرب إلى الحفرة ويلقيه (بالخرق) ثم يخرجها ويغسله بالطرق ويبسده ثمز والمعل سرارا . . . قال وسأنته عما هو ؟ فنظر إلى نظير السهم . فترست من أنه درس يخرج نرمان طرقا وتفرقة كما تعمل البيشات منه في هراة بالأذابة .)

(١٧) ترد هذه الجملة جميعها في نسخة أ .

صناعة الشعر المصرى

فى القرن الماضى

بفلم الراكتر سوتى ضيف

١

من المعروف أن مصر قبيل القرن الماضى كانت تزرع تحت أنفك
من الفقر والبؤس والجبل والاستبداد ، فقد كانت ولاية عثمانى ، وحطمت
العثمانيون منذ فتحها كل ما كان فيها من بناء للعالم والفن ، حتى حصصها نفوسهم
منها إلى حاصتهم ، وحتى أعمدة الرخام نهيوها . أما الكتب العلمية والأدبية
ودواوين الشعر فلم يتركوا منها أثرا ذا قيمة فى مسجد أو مدرسة .

وبذلك خيم الظلام على مصر ، وكلما تعمقتا فى العصر العثمانى تعمقتا
فى دياج وظلمات مطبقة ، فلا اهتمام بأى مرفق من مرافق الحياة سوى ما يملأ
حجور العثمانيين بالأموال ، فكانوا يرهقون المصريين بالضرائب ، وكانوا
يضربونهم بالسياط لا تأخذهم فيهم شفقة ولا رحمة ، حتى يستزفوا
كل ثمارهم ، ويستخلصوا أنفسهم كل حصصهم ، وكان مصر بقرة حلب ،
فهم يعتصرونها ولا ينفون لأبنائها قطرة تروى ظمأ ، أو تشقى غليلا .

وطبعى أن تغد حياة المصريين أثناء هذا الحكم الظالم الفاشم ،
وأن تنطق كل المصاييح العلمية والأدبية التى كانت تتوهج فى وطنهم
قبل أن يجثم كابوس العثمانيين على صدورهم ، فقد عمّ السئول ، ولم يعد هناك
نشاط فى علم ولا فى أدب ، فالتاس مشغولون عن ذلك بالبحث عما يسدون
به رمقهم ، ويقيمون به أودهم ، وليس لهم شىء من الحرية ولا من الحياة الصحيحة ؛
ولا يشعرون بشىء من الكرامة ، فهم محتلون ، وهم عبيد الطغاة العثمانيين .

من أجل ذلك انتهت النهضة العلمية والأدبية التي كنا نسمع بها في عصور الناطقين والأيوبيين والمماليك ، وقد أبدل العثمانيون بالتمواريث العربية دراويش تركية ، فقصوا على كل أمل في ظهور كاتب أو شاعر ممتاز ، وأصبحنا نقرأ آثار القوم فلا نجد إلا أسجاعاً وأساليب ركيكة ، حشوئها الألفاظ التركية والعلمية ، و « بدائع الزهور لابن عباس » من خير الأمثلة لما صارت إليه الأساليب العربية ، إذ ملأه بالألفاظ العلمية ، من مثل « ضربهم وبهذه » و « كانت الأسفار متشعبة ومُشعبة » و « طغشوا في الحارات » و « حطوا غيظهم في العبد والقلم » و « لعبوا فيهم بالسيف » . وتاريخ الجبرتي فيه من ذلك كثير .

ولم يكن الشعر خيراً من النثر ، فقد تحول الشعراء إلى بَغَاوَات ، يتعابحون بقرطوعات وقصائد لا شعر فيها ولا فن ، إنما هي ترديد وتكرار لبعض ما سمعوه ، يتناولونه بما يسمونه تريعا ، أو تخميسا ، أو تسبيعا ، أو تشطيرا ، ويُسَبِّغون عليه ألوان البديع التي حفظوا منها أطرافا ، واستبد بهم عملان سيئان هما : التواريخ ، وهي حساب بيت أو شطر بحساب الجُمَّل ، بحيث يوافق هذا الحساب السنة التي مُدْرِج فيها المدح أو ولادة المولود أو أقيم العرس إلى غير ذلك ، والألغاز ، يُلغز الشاعر بيتين أو أكثر عن أي شيء ، ولم يتحرروا أثناء ذلك من ذكر المصطلحات العلمية ولا من ذكر الألفاظ التركبية والعلمية .

ومن العجب أن يبحث شخص في هذه الدورة من حياة المصريين عن شاعر يقرأ شعره ، فيعبر عن عاطفة أو عن شعور واضح مستقيم ، فقد تبدلت الخواطر : وضاعت أغراض الشعراء ومعانيهم ، وجالوا وصاوا فيما يسمى إخوانيات ، ولم يبق هنالك إلا الألغاز والتاريخ وكل ما يؤدي معنى ، إنما يؤدي لعبا وعبثا .

وعلى هذه الشاكلة كانت حياة الشعر في مصر مواتا أو ما يشبه الموات ، فلا جمال فيها ولا أنفة ولا خُصْبَ لسبب بسيط ، وهو أن الحياة المصرية العامة كلها كانت ميتة أو شبه ميتة . وبينما كانت تعاني مصر هذا الموت

أو قل هذا الحمود والتمود في كل أوان لنشاط تعقل والروحى كنت
أوروبا تنعم بحياة عامة نشيطة نشاطاً هائلاً في مختلف ضروب العلم والأدب ؛
فقد ترجمت منذ أوائل النهضة الآثار اللاتينية واليونانية ؛ واختلطت الأفكار
الوثنية بالأفكار المسيحية . ونشأ عن ذلك ثورة وصراع في كل شئ .
وعرفت الشعوب حقوقها ، ولم تعد تخضع لأرستقراطية المبال والنسب
والمناصب ؛ فالتاس سواء أو يجب أن يكونوا سواء في المنفعة بالحياة وفي الثروة
والنعمة ، وفي الحكم والسياسة .

وكانت الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر خير تعبير للشعوب
الأوربية عن هذه الحقوق ، وعمما صار إليه الفكر هناك من خصب ونشاط
وازدهار وإثمار ، فمن جهة تغير نظام الحكم ونشأت الجمهورية والديمقراطية ،
ومن جهة ظهر كثير من الأدباء والفلاسفة والعلماء . وحازت فرنسا إنجلترا
وطمعت في أن تستولى على مصر حتى تقطع عاها طريقها إلى الهند والشرق ؛
فأرسلت حملة بقيادة نابليون سنة ١٧٩٨ م فاصطدم الجود الشديد بالتحجر
الشديد ، وحدث صراع عنيف بين اللوتين من الحياة : اللون الخامد الراكد ،
واللون المتوقد النشط .

وبفضل هذا الصراع بدأنا نهضتنا الحديثة ، فقد كان بين أفراد الحقبة
علماء متخصصون في مختلف العلوم الطبيعية والرياضية ، وقد أجروا للمصريين
بعض التجارب العلمية في مسائل كيميائية ، فبهروهم . يقول الجبرتي أثناء
وصفه لعمل الكيمياء الذي أقاموه : « ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان
أن بعض المتقدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه
المستخرجة ، فصب منها شيئاً في كأس ، ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى ،
فعلا الماء ، وصعد منه دخان ملون ، حتى انقطع وجف ما في الكأس ، وصار
حجراً أصفر ، فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه ، ثم فعل
كذلك بمياه أخرى فجمدت حجراً أزرق وبأخرى فجمدت حجراً أحمر قوياً ،
وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ، ووضع على السندان ، وضربه
بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل ، انزعجتنا منه ، فضحكوا منا ^(١) » .

(١) تاريخ الجبرتي طبع المطبعة العاصرة الشرفية ٣ / ٣٦

ولم يهر انصريين من الحملة تجاربها الكيماوية حسب ، بل بهرهم أيضا
المكتبة التي أقموها وما أحضروا لها من كتب ، والجمعية التي شادوها
وما كانوا يطبعون فيها من منشورات وصحف دورية . ورأى عجم يلبسون زيا
مخالفا لزيهم ، ورأوا عوائدهم في الطعام والشراب وتناول الحياة^(١) ، ورأوا
معهم نساءهم الفرنسيات يشين منابطات لأذعتهن « وهن حائرات انوجوه ،
لايسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدان على مناكهن الطرنح
الكشميري والمزركشات المصبوغة ، ويركن الحياول والخيول ، مع الضحك
والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وخرافيش العامة^(٢) » .

كل ذلك رآه المصريون رأي العين ، وكان له أثر عميق في نفوسهم
وفي حياتهم . وربما كان أعمق من ذلك أن رأى وأبعد غورا أن نابليون
ابن الثورة الفرنسية اصطنع لهم ذواوين^(٣) وجالس شوري ، أقالهم فيها ،
وترك لهم حتى تقرير الضرائب وتنظيم الأمن ، فعرفوا حقما لهم كان مضمعا
في عصر العثمانيين ، وهو حق اشتراكهم في إدارة بلادهم وحكمها والاشرف
على شئونها المختلفة .

وبنت في أنفس المصريين أن ذلك حق مقدس لهم ، فلما انتهت الحملة
واستردت الدولة العثمانية ولايتها رأى المصريون أن من حقهم اختيار واليهم ،
ولم يقبلوا أن يولى العثمانيون عليهم واليا لا يعرفونه ولا يستشارون فيه ،
وأجمعوا رأيهم أن يكون محمد علي واليهم الجديد .

ودفعت مصر محمد علي إلى تحقيق بعض أمنائها ، حتى تجازي ركب
الحضارة الذي رآته مثلا في الحملة الفرنسية ، فأسس لها مطبعة لتصدير بعض
الصحف الدورية ، وكون لها جيشا يكون ردا لها ودرعا في حياتها ، وخلق
يزوده بالقانون العسكرية الحديثة ، فأنشأ المدرسة الحربية ، وجلب لها معلمين
من النمجة ، فكان لابد للمصريين أن يعرفوا اللغات الأجنبية ، وبذلك وجدت

(١) الجيزي - ٥٠ / -

(٢) الجيزي - ١٧٠ / -

(٣) الجيزي ١١ / ٣ ، ١٥ / ٣

الحاجة إلى مدرسة الآسن ، حتى يستطيع الطلاب المصريون أن يتقدموا مع هؤلاء المعلمين . وقبل ذلك أنشأ مدارس الصناعات والغلب واخذتسة ، حتى يَسُدَّ حاجة الجيش إلى الصناع والأطباء والمهندسين . وأُرسل أثناء ذلك بعثاً إلى أوروبا ، قُبِست من علوم الغرب ومعارفه ، وكان لها الفضل الأول في نهضتنا الحديثة ، وخاصة رعاية الطمطاري وعلى مبارك .

ووقفت هذه الحركة المباركة في عهد عباس الأول وسعيد ، فقد ألغى أولهما أكثر المدارس ، إذ لم تعد هناك حاجة للجيش بعد أن رُدَّت مصر على أعقابها في عهد محمد علي . وكان ذلك إيذاناً بفترة ركود في جميع نواحي الحياة .

٢

وإذا نظرنا في الشعر المصري أثناء هذه الأطوار المختلفة في الحياة المصرية وجدناه لا يزال أثناء الحملة الفرنسية وعصر محمد علي يتظم بالطريقة الأوروبية عن العصر العباسي ، فليس فيه تأثير هام بالتقاء العتلين : المصري والفرنسي . وخير شعرائه حينئذ البديع إسماعيل الخشاب والشيخ حسن العطار ، وبعد أولهما أُم الشعراء الميزين في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، ويقول الجبرتي إنه كان « فادراً عصره في المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات والمساخرات ، وقال الشعر الزائق ونثر لنثر التالفق ... » ولما رتب الفرنسيون ديواناً لقضاة المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه . فلم يزل متفيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جالك منو ، حتى ارتحنوا من الإقليم ' ' ' ' ويقول الجبرتي أيضاً : « لما وردت الفرنسيون مصر اتفق أن يعلّق (الخشاب) شبا من رؤساء كتّابهم : كان جميل لصورة ، لطيف لطيف ، عالم ببعض العلوم العربية ، مثلاً إلى اكتساب تلك الأديبة ، فصيح اللسان بالعربي ، يحفظ كثيراً من الشعر ، فتلك الخبنة من كل منهما إلا آخر ، ووقع بينهما نزاع وتخاص . فلما قال فيه :

عَلَّقْتُهُ نَزَلِيَّ شَعْرِي بِاسْمِهِ فِيهِ خَلَّتْ عِندَارِي بِلْ حَلَا شَكِي

وه في فرنسي آخر :

أدركه على زهر انكوا كعب وزهر
وأشراق خضه انهر في صفحة انهر

وليس في ديوان الخشاب ولا في تاريخ الجيرى ما يلم عن تأثيرات جديدة سوى بعض أشعار يعبر بها المصريون عن مسخطهم على الفرنسيين :
ولأنه أن أشعاراً قيلت في وصف نساءهم كما قال الخشاب في وصف غرضهم ولغزهم بهم .

ولم يخرج شيء من هذا كله بالشعر المصري عن ركوده القديم : وهذا طبيعي لأن الحركات الأدبية لا تظهر طفرة : بل تأخذ في التو والتطور والتدرج قليلاً قليلاً ، وليس من المعقول أن يثور شعراء مصريون بالعقل الفرنسي فضلاً عن الآداب الفرنسية : وهم لا يعرفون شيئاً من اللغة الفرنسية .

وديوان الخشاب أشعر شعراء عصره في حقيقته امتداد للشعر المصري في العصر العثماني : فهو في جملة صور لفظية لأنهم عن عواطف وأحاسيس عحيقة ، وقد تدرت هذه الصور بثياب غلاط من المحسنات البديعية . ولا نجد وراء هذا إلا ضروباً من التكلف لتنسيبات أو تخميسات أو تشظيرات أو تزيينات أو تقريظات ، وليس في الشعر روح ولا حياة : وإعما فيه التاريخ وحساب الجمل : فذلك منتهى المهارة وغاية البراعة .

ولم يعمّر الخشاب طويلاً في عصر محمد علي ، فقد توفي سنة ١٢٣٠ للهجرة ، وعمر الشيخ حسن العطار : إذ توفي سنة ١٢٥٠ للهجرة ، ولكنه انصرف عن الشعر ، وشعره في جملة لا يخرج عن نطاق شعر الخشاب . ونعني فنجد العلم الأوربي يغزو المصريين في عصر دارم ، فقد أنشأ محمد علي المدارس المختلفة على النمط الغربي ، غير أننا نلاحظ أن الشعر المصري لا يزال في عهوده وركوده ، لسبب واضح ، وهو أن العلم من حيث هو لا يؤثر في الشعر ، وإنما الذي يؤثر فيه الأدب . ولم تتم هذه الحلقة الأخيرة من التأثير إلا حين أخذ محمد علي بإرسال البعث من الأزهرين وغيرهم إلى فرنسا ، فاطلموا على الأدب الفرنسي ، وأخذت طائفة في مندمتها رفاة العظم طاروا يحاول أن ترجمه وتثله .

(١١) الجيرى ٢٥٦/٤

(١٢) الجيرى ٤٥/٢

ولكن هذا أيضاً لم ينعسف أيّ اعتصار، شعر نصري : فما زان
في عصر محمد علي وعباس وسعيد يصاغ على الأنماط الموروثة ولا يزال كله
تكراراً وتقليداً وانحلالاً من البدع والمصطلحات العلمية والتجديدات والاختراعات
ولتجذبات ولتجذبات والتجذبات وحجاب الجهل ، ولا يزال منحرفاً
عن التعبير الإنساني الصادق ، وليس هناك معنى قيم ولا فكرة جديدة ،
وإنما هناك أعشاب مخنقة من التعقيد تخفق روح شعر خفياً ، وتحياه قنوطاً
من لعبت والشعوذة .

وليس من شك في أن من أعم الأعياب في ذلك أن محمد علي وخليفه
عباساً وسعيداً لم يهتموا بالشعراء ولا بلغتهم العربية ، فقد كثرت التراكب في ثياب
مصرية ، بنى في ثياب تركية ، فكان الشعر كاردأ في سوقهم ، لعدم
عنايتهم به ، وعدم فهمهم للغة ، فضلاً عن تذوقه .

وكان أصحابه قسمة قليلة ، ولم يدر على الألسنة ، وعنده كثيرون هوأ
لا حاجة للنسب به ، وخاصة أن ارتقى في أعمال الدولة كان مقياسه اللسان
التركي ، بل كان اللسان العربي على ما يدور سببه ، وخاصة في عهد عباس ،
فالشيوخ المهدي يقول : « كانت اللغة العربية مضطربة في عهد عباس الأول
إلى حد أن من تكلم بها من طلبة المدارس الخيرية توضع في فيه العقوبة
حتى توضع في فم الخازن حينما يتقص : ويبقى كذلك نهاراً كادلاً ، عقوبة له
على تحريك لسانه ببلغة يقرآن لعزير أثناء فسحة » .

ولعلنا بذلك نستطيع أن نقول أنهم نادراً ما بلغوا عصر شعر نصري لتعصف
الأول من القرن التاسع عشر : بنى حتى عصر استعيل . وربما كان خير
الشعراء الذين ظهروا وتلقوا بين قراهمها : شيخ محمد شهاب الدين
وسيد علي الخروشي ، ولكن منهم ديوان مضبوط . ويذكر نوبس شيخو
أن « ولما يشوق على أنبها » : وشعره لا يلو مطلقاً على شعر الخشب .
بن لعه يلو عنه درجات .

مذكرات أدب الشيخ المهدي - قسم الخامس : ديوانه بدستور بغداد

مر ٦٧

أدب العرب في القرن التاسع عشر قريش شيخو ١١ / ١

ودريان شيخ بهب الدين في الحقيقة صورة مستمرة شعر مصري
في عصور الخطاء : فيه مذائع في أروق الأمر ودودي شصب وراشب .
وأشعر في الإخوان والشهيدان والخصان من أجواني ونغرن : وكتب أشعر
متكئة : ليس فيها صدق ولا عاطفة خبيثة : وكان شعر تحريث
هندسية : وأشعر يكتبه لا تعبيراً عن شعور : وإنما عن تحزين من هذه
التأثرين التي تعوذ لشعراء أن ينظموا فيها : وأن يفهموا براعتهم وحجائهم
في صوغها . ومن حين إلى حين تبدو صعوبة أكثرين وأنحاء خارج
عن الطاقة العادية . ففي ص ٦ من الديوان مثلاً نلتقي بقصيدة : أوقد جمرين
عبر الخلل ، فأشهب ينظم قصيدة : حروف كلماتها جميعاً مفردة . وفي ص ٣٣
نلتقي بقصيدة تقتصر بعض المصطلحات تعليمية . ومن وقت إلى آخر تظهر
الألفاظ والتخمينات والتشظيرات والتفسيرات : أما حجاب الخلل فيجتمع
جمعاً في كل مكان .

وبجانب ذلك نجد ضوابط فنية وفلكية ، وقصيدة في الأفعلى الواوابة
وأجري في الأمدال البائية : ونجد أرجوزة في عقائد التوحيد . فشاعرنا
بارع ، وهو يبرع في النظم على الطرق المألوفة وغير المألوفة : فالشعر عنده
صالح لكل شيء : وهو يسيطر عليه ، ويتخذ للتعبير عن كل موضوع ،
سواء أكان الموضوع مؤهلاً للشعر أم لم يكن ، فلهم قدرة تنظم وقدرة
صوغ الكلام على أوزان الخليل وقوافيه . ولكن موضوع هذا الصوغ
مديحاً أو 'سلامة' ، وليكن مجوفاً أو عمراً ، وليكن قاعدة من قواعد
العلوم أو مجموعة من القواعد . فذلك كله صالح لأن يكون موضوعاً لهذه
التأثرين الهندسية ، التي يراد بها قبل كل شيء إثبات مقدرة صاحبها على النظم
والنطق بما يجري على آلات العروض والقوافي . وليس من الضروري
بمد ذلك أن يحوى الشعر عاطفة صادقة : وما للعواطف والشعر ؟ لقد أصبح
الشعر تمرينات صعبة ومثل حسابية معقدة يُطلب حلها ، ودل يستطيع
شخص أن يطلب إلى صاحب الهندسة أو صاحب الحساب أن يُضَمِّن
تمرينه عاطفته ؟ إنما هي تمرينات وزوايا هندسية وأرقام حسابية ،

«...ببني أن لا تدخلها لغواضف وأن لا تدخلها الإحاديث . وأن تكون بجويزات
صعوبات وتعقيدات أو قل من الغار وشعوذات .

ويزان الشيخ شهاب مع ذلك كله لا يبلغ من الشهوة والظفر والتعقيد
و تنصيب مايقع ديوان السيد على الدرويش ، فقد حاول أن يجلب من ذلك
«...ما يقصر عنقنا معاصره عن التطلع إليه . ونحن لا نكاد نلم به حتى نقرأ
في ص ٧ : « ومن غرر صناعياته ، ودُرر لزمياته ، قوله مادحاً ومهنأً
الناج إبراهيم باشا مؤرخاً سنة ١٢٤٥ بآخر بيت منها ، ومطرزاً
أو ثل التناجيل ستة أبيات ، مجموع منفصل حروفها بيت ، يركب من حروفه
بيت آخر ، ويستخرج منها ثمانية وعشرون تاريخاً بساوى المهمل والمعجم
في تاريخ تقديمها » .

وهذا اثنان اثنى الكبير ذو الشعب المستعصية على الخلق
إلا أن يحسبها الدرويش لا نقرأ حلّه ، حتى تأخذنا الشفقة على هؤلاء الشعراء
الذين لم يعرفوا الطرق المستقيمة إلى صناعة الشعر ، فهو ينظم قصيدة مراعيأً
أن تأتي من أول حرف في أبياتها على التوالي ستة أبيات أخرى ، ويلزم
بجانب ذلك أن تكون الحروف المنصبة في هذه الأبيات ستة بيتاً ، وبيتاً
آخر ، وليس هذا خصب ، بل هو يلزم أن يستخرج من البيت ثمانية
و اثنين تاريخاً بساوى المهمل والمعجم . أرايت كيف يكون الشعر ترمناً
هذا عبثاً غير الخلق ، يستعصى على التابيين القدمين من الشعراء ؟

ثم أصبح شعراً لثياً ، فيه حذسة وفيه عُدَّة وكثف . ولا نكاد
ننتهي بعد ذلك في ديوان الدرويش حتى نقرأ في ص ٩ : « وقال مادحاً
الناج محمد باشا هذه الرسالة ، ونستخرج منها قصيدة من الكس ،
لزم فيها التشريع ، فنستخرج منها قصيدة ثانية من مجزولة ، يستخرج
من أوائل تغانيها الأربع أربعة أبيات ، أودعها خمسة وستين تاريخاً
لسنة ١٢٤٨ » .

وهذا تحرير أكثر صعوبة وتعقيداً : فهو يصنع رسالة . ويغوس
 على ثلاث كلمات في كل سطر . وتوضع أقواس تحت كل مترية بحيث تقرأ
 من أعلى إلى أسفل ، فتكون قصيدة من وزن تكمر : وليس ذلك حجب .
 فإن هذه القصيدة معدة بحيث إذا حذف منها كلمة أو كلمتان تكونت قصيدة
 أخرى من مجزوء تكمر . وليس ذلك أيضاً حجب : بل إن الواو لا أجراً ،
 في القصيدة الثانية تزلف أربعة أبيات : حوت خبة وستين ريخاً ستة للذكورة .
 ليست هذه شعوبة ! لقد أصبح شعرفه رخيصة : بعد تغيير عن شيء
 يخلج في النفس ، وإنما أصبح تغييراً عن أعمال آلية وعن تحرير هندسية
 صعبة الحل : وليس وراء ذلك إلا التذكك وزص الكلمات كما يصنع عثمان
 المطابع : فتكون صادق من الحروف ولكن لا تكون أبيات من الشعر .
 وديوان العربش كما يعطى عن هذا النحو من رص الكلمات تغذيت
 تمريرية أو قل لغايات هندسية ، فقصيدة منقصة الحروف كقولها :

وَأَيُّ أَلَمٍ إِنْ زَارَ دَامَ وَدَادَهُ . وَإِنْ دَقَّ رُزْءُ رَقٍّ أَوْ دَارَ لُودَارَى
 وقصيدة أو مقطوعة تقرأ من آخرها لأولها كما تقرأ من أولها
 لآخرها ، وقصيدة يبدأ كل بيت منها بحرف من حروف الهجاء على التوالي :
 وقصيدة كل بيت منها تفتتح جميع ألفاظه بحرف معين من حروف الهجاء .
 مثل قولها :

ضَبُّ ضَعِيفٍ ضَالِّمٌ ضَحْكَةٌ ضَائِقَةٌ ضَرٌّ ضَبْنٌ ضَلِيلٌ

وقصيدة كل أبياتها من ألفاظ معجدة ، وقصيدة ذات ثابنتين : فيمكن
 أن تكون من وزن الكامل وأن تكون من وزن المضارع . ثم ركام
 من تشطيرات وتخبسات وتضمينات . ثم نظم لعلم العروض وتقرأ في .

وهذه كلها ليست من الشعر في شيء وإنما هي أعمال هندسية أو حسابية :
 وقد كثرت عنده حساب الجمل ، وما شعره كله إلا حساب وإلا أعداد وأرقام ،
 وإلا ألعاب بهلوانية كهذه الألعاب التي تراها عند من يحسنون المشي على الخبال
 والقفز في الهواء .

وإن من أعبت أن نبحث وراء السيد أندرويش والشيوخ شهاب عن شاعر
 لا يملك هذه الطرق المثوية : فقد كانت كل ما يملك تقوم من شعر وفن ، ولم يكونوا
 يعرفون شيئاً غير هذا : فهي كل المهارة المطلوبة ، وبها يقاس الشاعر ويعرف فنه ،
 ومدى تجويزه وإحسانه ، وراقت هذه الصورة الآتية على الغيوب ،
 وأصبحت عمود الشعر والشاعر ، فالتاس لا يظلمون منه ما يغذى شعورهم
 ودعواطفهم ، أو قل إنهم لا يجدون عنده ما يغذى شعورهم ودعواطفهم ،
 إنما يجدون هذه الأنفال والألعاب التي تحل منها الشعر ما يطبق وما لا يطبق ،
 والتي لا تعبر عن ناحية فكرية ولا ناحية روحية ، وإنما تعبر عن قصور
 في فهم الشعر ، وذوق مرتبك ضعيف لا يستطيع أن يعرف جيدة من رديئة .

٣

وهذه الأغلال التي قيدت شعر المصري طوائف النصف الأول
 من القرن التاسع عشر كان لابد منه إزاءها من أحداث قوية ورجفات عنيفة
 تفك عنه أغلاله وقبوده . وكانت هذه الرجفات والأحداث قد بدأت
 تعمل عملها في الأرض المعبلة الخليطة ، ومن أهم صورها وأوانها أن مطبعة
 بولاق أخذت تخرج البلاد ، كتباً قديمة غير مسجوعة ولا مطرزة بفنون
 لبديع ومحمد ، كما أخذت تخرج بعض الدواوين القديمة التي تحلوا
 خلوا تماماً من مصطلحات لبديع ومصطلحات الموم ، فضلاً عن حساب الجمل
 وما يدخل به من لغز ودوران في الألفاظ وعقده وكلف في الكلمات
 والحروف .

فكان ذلك عجباً للإدباء ، إذ رأوا وراء أسجاعهم وفنون بديعهم وفنانيهم
 شعرية هندسية عذراً أخرى لعربية لم يكونوا يعرفونها . ولا كانوا
 يظنونها . فهذا ابن القفيع بنظر كمية وقيمة من لغة سهلة ، لا تكلف فيها
 ولا تصنع ، وإنما فيها الانطلاق والاسترسال والامتكان من كل ما يعوق
 الأسلوب ويعثر بعديه .

ثم دعم شعراء الخدمة من الجاهلين والإسلاميين وأيضاً من العباسيين
 أمثال أبي نوحس والنبغي لا يطقى على الشعر عند شعبيزية تخطيطية ، ولا يشتر

تة في شيء مصطلح عسى ، ولا يجهلون شعر في شيء من هذه الحداث
الهندسية حتى تعدت أسوارهم حتى تتسور الأضداد والضعف والحدب
المنفعة فيها من وآمن شديدا .

ومن هنا زهد الكتاب في كانوا بظنونه مثلا شيء في عصرهم وزهد معهم
شعراء أو بدأوا يزهدون ؛ فقد عرفوا أن وراء شعرهم الآسن شعرا حيث
فيه نظرة وجعل . وكثيرا كانت مطبعة بولاق بها نشرت من كتب
ودواوين قديمة نافذة ؛ أو قس نوافذ ، دخل منها هواء قوي في هذه
تسجون الغفلة أخذ ينقها ، ويبعد الحياة إلى من كانوا فيها .

ونحن لا نستطيع أن نعرف مدى ما أحسنت مطبعة بولاق في أدبنا
وشعرنا في القرن الماضي إلا إذا رجعنا إلى الوراء ؛ حين كانت الكتب
والدواوين تنسخ ؛ وحين كان يفتق الناس على تكتاب أو انديوان مئات
الدرهم والدينار في نسخة .

وبذلك كانت الكتب والدواوين مقصورة أو كمنقصورة على طائفة
معينة من الناس ؛ هم ذوى اليسار الذين يستطيعون شراءها ونقلها بثمن
باهظة . فكان ظهور المطبعة بمصر ، كما كان في أوروبا ؛ عاملا مهما
على أن يطلع الناس على الآثار السابقة والكتب النفيسة بثمن يسير .
وليس هذا فحسب ، فإن المطبعة أتاحت لهم أن يقرأوا نسخا صحيحة
مضبوطة ، وكم من كتاب أو ديوان ، نقله جاهل ، فملأه بالغلط ؛ وحشا
بالخطأ ، ولم يمكن الانتفاع به .

وعلى هذا النحو أتاحت المطبعة للكتب والدواوين القديمة أن تنزيع
بين الناس وأن يتعرفوا عليها في صورة صحيحة لا غلط فيها ولا خطأ ،
وكانت دهشتهم كبيرة حين عرفوا أنهم يتكبرون الطريق وينحرفون عنها
في نثرهم وشعرهم جميعا ، فوراء الأدغال التي يتعمرون فيها شهبون ورياض
ورخصب وجمال .

وأثناء ذلك تولى إسماعيل سنة ١٨٦٣ م ، وأعاد الحياة العلمية سيرتها
أيام محمد علي ، فأنشأ المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، وأخفى مدرسة

الآن : وأسس دار الأوبرا ، ودار الكتب المصرية ، وأخذ يرسل
البعوث إلى أوروبا . وكانت الطباعة من أهم ما عني به كما عني بالصحف
والمجلات ، فكان ذلك كله سبباً في نهضة أدبية محققة . واتسعت العين التي تنظر
إلى الأساليب القديمة في النثر والشعر ، إذ دفعت الصحافة أصحابها دفعاً
إلى أن يفكروا في لغة قريبة من الجمهور ، ليس فيها تمسك للسجع
ولا ارتباطات البديع ، وإنما فيها المسهولة والقرب منهم ، وفيها اليسر
والانطلاق .

وتبع توفيق أباه إسماعيل سنة ١٨٧٩ م ، وفي عهده اندفعت هذه الحركة
إلى الأمام ، كما أبدع المصريون نحو الاتصال بأوروبا والحضارة
الأوروبية . وقد أخذت الترجمة تتسع وأخذت الحاجة تتسع معها ،
لا منذ عصر توفيق فقط ، بل منذ عصر إسماعيل ، إلى التخلص من الأساليب
البالية ، أساليب السجع والبديع ، فإن رفاة الطهطاوى اعتمد عليها
في ترجمته ، فأنبتت ضعفاً وقصوراً شديدين . فلم يكن بُدُّ من التفكير في
تغييرها وأن يعود النُقَلَةُ والمترجمون إلى أسلوب أو أساليب طبيعية حرة ،
ليس فيها انحرافات السجع ولا متخنيات البديع ، وخاصة أنهم اطلعوا
على الأساليب الأوروبية وآداب القرب ، فلم يجدوا فيها سجعاً ولا بديعاً ،
وإنما وجدوا أساليب سهلة مرسلة ، لا التواء فيها ولا تعقيد .

وأحس بنفس الإحساس من كانوا يساهمون في الحركة العلمية ،
وأرادوا أن يعبروا بلفتهم العربية عن المعاني العلمية الأوروبية ، فأنهم وجدوا
أمامهم عوائق السجع والبديع ، وشعروا كأنها سدود وحواجز تحول بينهم
وبين ما يريدون ، فكفروا هم الآخرون في أن يدفعوها من طريقهم وأن
يرجموها بالأساليب العربية إلى صورها الطبيعية القديمة ، حتى تستطيع أن
تحتل في غير عجز ولا قصور معانيهم العلمية الجديدة .

وهذه كلها كانت أحداثاً وحزات قوية أَلَمَّتْ بِأَدَبِنَا في القرن الماضي
وجعلت كتابه يفكرون في تغيير أساليبه النثرية على لسان الشيخ محمد عبده

وأما له من كتاب الوقائع المصرية ، كما جعلت شعراء يذكرون في أساليبهم الشعرية وما صارت إليه من تعقيدات وشعوظات . وظهرت جماعة على رأسها على أبو النصر ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله فكرى وعبد الله نديم وعلى الليث حاولت أن يتخلص من أوضاع انشأى وأن ترفع عن شعرها ألقائها .

ولكن لا تظن أنهم بلغوا من ذلك ما كنا نأمل له لصناعة الشعر حينئذ من تجديد ، ومن طرح للتاريخ وحساب الجمل والألغاز والمحسنات البديعية المختلفة . انتهت ألعاب شهاب والدرويش من حيث صنع القصائد المنفصلة الحروف والأخرى المعجزة والمهملية ، ومن حيث صنع الرسائل التي تستخرج منها القصائد ، ومن حيث صنع الضوابط الفقهية والفلكية ، ومن حيث القصائد ذات القافيتين وغير ذلك من ألعاب هندسية ، لا تفتى الثمن والشعر شيئاً . انتهى كل ذلك ، ولكن لم تنته الألعاب الأخرى التي لا تبلغ مبلغ هذه الألعاب في الصنعة والتعقيد ، فما زال الشعراء يعدون خروف أبياتهم أو شطوورها بحساب الجمل ، وما يزالون يلغزون على سبيل التطويق والدعابة ، وما يزالون مشدودين إلى محسنات البديع ، وما يزالون يعدون ويعيدون في التشطيرات والتضمينات والتخميسات والتسديسات والتسبيعات .

واشتهر من بينهم محمود صفوت الساعاتي بأنه يحفظ ديوان المتنبي ، وأنه لم يتلقن صناعة النحو والصرف ، وأنه يجري في أحوال كثيرة على الطبع ، وأنه لا يرهق نفسه بأنقال الصناعة ، ومع ذلك فتحن بجذ في ديوانه قصيدة يمدح بها بعض أمراء الحجاز ، وهي تجري على هذا النمط ^(١) :

أيا من به صار الزمان سميذا ومن كل من وانه آنس عيدا
فصار بجيدا من أطاع ، ومن عصى بصارمه الهندي صارم جيدا
فكم جاز بيدا بالحجاز وذكره إلينا مع الركبان جاء زبيدا

رواضح أنه يجانس بين الكلم وبعض الحروف ، خرف تنون مع كلمة « سعيدا » في الشطر الأول يقابلان « آس عيدا » في الشطر الثاني ، و « صار مجيدا » تقابل « صارم جيدا » في البيت الثاني و « جازيدا » تقابل « جاء زيدا » في البيت الثالث . وهذه كلها انحتمات وتعتيدات في الأسلوب يُراد بها إحداث الجناس ، وإظهار مقدرة الشاعر في أنه يبلغ من ذلك كل ما يبتغى ، فهو لا يجانس جناساً طبعياً بين كلمة وكلمة ، بل يجانس بين كلمتين وكلمة وبعض كلمة ، حتى يقيم الدليل البتة على إحسانه وتفوقه . وهذا هو معنى قولنا إن صناعة الشعر لم تتخلص من العوائق المورثة ، فلا يزال الساعى يفكر في عمل شعره بتغلبه الجليل الماضي ، ولا يزال خاضعاً للانحوائت والانحرافات التي سبته . حقاً تخلص منها في كثير من جوانب شعره ، ولكن لا يزال يحن إليها من حين إلى حين ، فإذا بنا نعثر عنده على هذه الجناسات المعقدة التي تحيل القصيدة أحياناً مفككة ، كل بيت يعبر عن جناس صعب ، يشدُّ أول البيت إلى آخره ، وكأنه يشده من شعر رأسه كما يقولون .

وليس هذا كل ما نجد في ذبوانه ، فنحن نجد عنده توريات وتشطيرات وتخميسات مختلفة ، كما نجد عنده تضمينات وتفرغيات أو اقتباسات لأبيات سابقة ، يحوطها بشطوره ، من مثل قوله (١) .

(حجبوك عن مقل الآلام مخافةً) من أن تبوح بحسبك الانوار
فندوبت بالثر الجليل مُحجَّباً (كي لا نخش خدك الأَبصارُ)
(وتوهوموك فلم يروك فأصبحتُ) آراؤم في أمرها تختارُ
وتخيلوك بنكرم حتى بدتُ (من وهمهم في خدك الآثارُ)
فهذان بيتان ليسا من عمله ، فكهما على هذا النحو ، فأتبع الشطر الأول منهما بشطر من عنده ، وقدم للشطر الثاني بشطر آخر . واحتذى نفس الصنيع في البيت الثاني ، فأتبع نفسه ولم يأت بشيء ، ولكن معاصره كانوا

'يعجبون' يمثل هذا التضمن، وكانوا يرون فيه آية براعة، فاعتد به في صناعته، كما اعتد بالتاريخ وحساب الجمل.

وهذه الصورة العامة لصناعة الساعاتي تنطبق على كل من سينايم من معاصريه، وغاية ما في الأمر أن بعضاً منهم كان سريع الخطر، حاضر البديهة، حلو الفكاهة والساجلة، لا تقوته نكتة ولا نادرة، فأعده ذلك ليكون نديماً وسميراً لإسماعيل أو لتوفيق أو لكلهما على نحو ما كان الشيخ على الليثي، وفيه يقول أحد شفيق في مذكراته: «كان، فوق أنه شاعر، سميراً مليح النكتة حاضرها، من ذلك أن أحمد خيرى باشا مهردار (حامل الختم) إسماعيل أراد أن يداعبه، فأمر أن تُلصق ورقة على باب الغرفة الخاصة به في عابدين، وبها الآية القرآنية (إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لِرُوحِهِ اللَّهِ) فلما رآها الشيخ على الليثي فطن للدعابة وعرف مصدرها فتظم هذين البيتين من الزجل:

كان لي طحوته جوا الدار تدور وتطحن ليل ونهار

دورت فيها، الطور عصي: علقت فيها المهر دار

وكتبها في ورقة ألصقها بباب خيرى باشا، فكان ذلك ردّاً ظريفاً استملحه الخديوي وظل يردده مع ندمائه^(١١).

وقلما نشعر عند الليثي وجماعته بأنهم يكتبون شعراً يعبرون به عن نزعات إنسانية أو عواطف عميقة، فالشعر يجري عندكم في الطرق المرسومة التقليدية من مدح وتغزية وعتاب وتهنئة، وأثناء ذلك تظهر اللباقة وسرعة الجواب. وقد حاولوا أن يذكروا المخترعات، فتعرضوا لوصف الطرق الحديدية، وقال عبد الله نديم في وصف القطار^(١٢):

نَظَرَ الْحَكِيمُ صَفَاتِهِ فَتَحَيَّرَا شَكْلًا كَطُودٍ بِالْبَخَارِ مُتَّيَّرَا

دَوَّمَا يَجْنُ إِلَى دِيَارِ أَصُولِهِ بِمَجْدِيدِ قَلْبٍ بِالْيَيْبِ تَسْعَرَا

(١١) مذكراتي في نصف قرن ١/ ٤٢

(١٢) الآداب العربية لوبى شيخو ٢/ ٨٨

ويظن يبكي والدموع تزيد وجناً ؛ فيجري في انقضاء نشرًا
تلقاء حال السير أقبى تلتوي أو فارس أحيجا أدار النيرًا
أوسج غلب قد أحس بصائد في غايه فندا عليه وزجرا
أو أنها شهب هوت من أقبها أو قبّة المنطاد تقبّد بالمرّا

وبهذا كل ما استطاع القوم من تجديد ، وهو تجديد غير مستقيم
لأنه لا يسلك مزعا أدبيّا واضحاً ؛ ولا يهدف إلى غايات إنسانية عامة ،
ولا إلى التعبير عن تجارب نفسية دقيقة . على أن مثل هذه المقطوعة تندر عندهم ،
وكانها الشهب في الليالي المظلمة .

والحق أن الشعر عند النديم وأصحابه لم يظفر بما كنا نأمل له من تغذية
الشعور ، فضلا عن تغذية العقل ، فقد استمر فيه كثير من الآلية القديمة ،
واستمر لا يعبر عن الشاعر وكشّنه وأعماق نفسه وخوابره . وإن من المبالغة
أن نسميه شعراً بالمعنى الدقيق لكلمة شعر ، فليس فيه وهم ولا لحلم ،
وإنما فيه الصنعة والسير في الدروب القديمة من مدح وغير مدح ،
وحتى المحجون كانوا ينظمون فيه مجازاة للسابقين ، لا تعبيراً عن شعور حقيقي
ولا حوادث حقيقية .

وبذلك كانت دواوينهم لا تتصل اتصالاً دقيقاً بشخصياتهم وأهوائهم
وميوهم ، وكان من أسهل الأشياء على كثيرين منهم أن ينسوا شعريهم
وأن يهجروه ، وحتى إن استمروا في نظمهم لم يكن من المهم لديهم أن ينشروه ،
ولعلنا بذلك نستطيع أن نفهم ما يقال عن الشيخ علي اللبني من أنه لعن
من ينشر نسخة ديوانه المخطوط ، كأنه رأى أنه ليس منه ، فهو ليس
نسيج روحه وذهنه ، وإنما هو شيء غارض يذفى أن لا ينسب إلى عمله
ونفسه . أما عبد الله نديم فقال عنه جامع مختاراته للثريّة المسماة « سلافة النديم »
في مقدمته لها إنه : « لما كان في يافا أول مرة بعث إلى محرراً
يكلفني به أن أطلب ديوان شعره الصغير من صديقه المرحوم عبد العزيز
حافظ ، فلما قصده وجدته مصاباً في قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالاً ،

ثم كتب إلى كتاباً ثانياً بأن ديوانه الأوسط عند م. ف. فطلبته منه ،
فاعتذر بأنه ضاع ، فلما أنبأت المترجم بذلك أرسل إلى في مكتبته الثالث
أنه إنما طلبهما ليحرقهما براءة منها ومن أمثالهما . وختم المکتوب
بهذه العبارة : وقد خلعت تلك الثياب الدنسة ولبست ثوب « إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

فإذا كان على الشيء لعن من ينشر نسخة ديوانه المخطوط فإن عبد الله نديم
أراد أن يحرق ديوانيه الصغير والأوسط . وفي هذا أكبر الدلالة على ما نقول
من أن الشعر عند النديم والليث وجماعتهما لم يرتفع إلى التعبير عن سمو
في المواطن ، وليس فيه ما يتصل بالنفس ولا ما ينطلق من الفؤاد ،
وأيضاً ليس فيه حكمة عميقة ولا معان مبتكرة ، فهذه آفاق لم يكن الشعراء
يفكرون فيها ولا كانت تقع لهم في وهم ولا خاطر . ومن أجل ذلك لا يكون
الشعر عندهم شيئاً له قيمة ، بل لا يراجعونه ، حتى يمتنون لو لم ينسب إليهم ،
وحتى هم يمتنون من ينشروه ، ويودون لو أحرقوه .

وعلى الشعراء جميعاً برغم تخلصهم من ألعاب الدرويش والشيخ شهاب
لم يكونوا تعبيراً سامياً ولا تاماً للأحداث والميزات التي أصابت أديبنا في القرن
الماضي ، فقد قصروا وتصمروا عن حل المهمة ، ولم يستطيعوا أن يفهموا صناعتهم
على أنها ينبغي أن تكون شيئاً طبيعياً حراً ، لا دخل للبدع ولا للتخمين
والنظير فيه ، ولا دخل لحساب الجمل وأزقائه ، فظلوا يبدون ويبدون
في صمور مخنوقة ، وظلوا يكررون ويرددون الأساليب المتنوعة الموروثة .

٤

وأثناء ذلك كانت رتبة الشعر المكتتية المحزونة مهمل ومكبر وبغمرها
غير قليل من النشوة والسرور ، فقد ظهر الشاعر الذي كانت تبحث عنه ،
والذي كان يسعى أن تجده مها استضاءت بمصباح ديوجين ، الشاعر
الطبوع الذي ولد شاعراً ، والذي ملأ جلده الشعر والذن ، وقصد
محمود سامي البارودي الذي انتهى نسبه إلى نوروز الأتابكي الملكي
الأشرفي . فهو من أسرة جركية تنتمي إلى المالك الذين حكموا مصر
في العصور الغابرة . ولد سنة ١٨٣٨ م وتخرج في المدرسة الحربية سنة ١٨٥٤

وسافر إلى الآستانة ثم التحق بخدمة إسماعيل وتقلب في مناصب الجيش وتفرغ .
ولما دامت الثورة العراقية شارك فيها كشارك من قبل في حروب الدولة
العثمانية بكرت وفي البلقان ، وحوكم مع من حوكموا عقب ثورة عراق .
وحكموا عليه بالنفي إلى سرنديب ، فبقى فيها نحو سبعة عشر عاماً ، ثم عاد إلى مصر
حينما صدر عفو عباس عنه ، ولم يلبث طويلاً حتى توفي سنة ١٩٠٤ م .

وشعره كان قصة بديعة هذه الحياة في الحرب ، وفي السلم
بين حلوان والزوطة وملاهيها ، وفي النفي وعذابه والتشريد وآلامه .
وكن وحدة فيه وكن قصيدة هي تجربة نفسية مرّت به ، فشعره نسيج
حياته ، ومن أجل ذلك كان يحفل بالمواطن والأحاسيس الصادقة . وهذا
هو الفرق بينه وبين معاصريه ، فهو لا يعرف الشعر على أنه مهارة هندسية
أو مهارة في استخدام البديع وإحكام حساب الجمل ، أو على أنه تهنئة وتمزيقة
ومناسبة خارجية طارئة ، وإنما يعرفه على أنه حزة عاطفية في النفس .

ليس الشعر عنده إذن أرقاما يد فيها الشاعر تاريخ الحوادث ، أو يعد فيها
ألوان البديع ومحسناته ، فهو ليس لعباً ولا صناديق بئلهي بها ، تتضمن حيناً
تشظيراً وحيناً تخمباً ، كما تتضمن حيناً تورية وحيناً تجنيساً ، وإنما هو
فيض القلب ينطلق كالسيل الجارف لا يمدفع ولا يرفع ، وهو هبة وإلهام ،
وهو لا يوجد في كل الطباع ، فهو ليس صناعة تتعلم ، وإنما هو سليقة
وطبع . يقول في متدمة ديوانه : « إن الشعر لغة خيالية يتألق وميضها
في سماء الفكر ، فنبتعت أشعتها إلى صحيفة القلب ، فيفيض بلائها نوراً
يحصل خيطه بأسلة اللسان ، فينثث بالوان من الحكمة ينبثق بها الخالك ،
ويبتدى بها السالك » . وهو تعريف شاعر يؤمن بالفيض والاندفاع
والانطلاق الخالص ، فالشعر عنده ليس تقريباً في قوالب البديع والتورية
ولا في قوالب التاريخ والتشظير والتخمين ، وإنما هو تعبير حر طليق
عن انفعالات صاحبه وحوادثه ومآلاته وتجارب النفس . فهو يفرح ويحزن
حين يكون هناك فرح وحزن حقيقي ، وهو يحمس ويفخر حين يكون
هناك غر وحماة حقيقية ، وهو يحن إلى وطنه وهو بعيد عنه في كريت

أو في اليقاز حينئذ صادراً من شعور صادق ، وهو ين إدري نفسه حياً
في قفص المنى أنيناً متبعاً من أعماقه .

شعره ترجمان حي لحياته وأحداثها وأفراحه وأحزانه . وهذا هو
الجديد عنده ، بل هو الثورة في تاريخ شعرنا أثناء القرن التاسع عشر ،
فمن حوله ومن قبله لم يكن الشعراء ينظمون للأفصاح عن خلجات نفسية ،
إنما كانوا يتعلمون عروض الشعر وصناعة أوزانه وقوافيه ، ثم يفتنون
على العقدة المحبوكة على جباله ، ويحاولون أن يسيروا على هذه الجبال ليؤدوا
ألعاباً بهلوانية ، لا ليؤدوا شعوراً ، ولا ليؤدوا عواطف وأحاسيس صريحة ،
فأزاح البارودي هذه الجبال والعقدة عن طريقه .

ولعل من الطريف أن نسمع حينئذ أن البارودي لم يتعلم الشعر
على الطريقة المرسومة المألوفة من إنفاق لعب البديع والتمارين الهندسية ، بل تعلمه
على طريقة جديدة ، هي قراءة النماذج القديمة للجاهليين والإسلاميين
والعباسيين ، حتى إذا ثبتت في نفسه سليقة الشعر العربي أخذ ينظمه ويصوغه .
يقول الشيخ حسين الرضوي : « هذا الأمير الجليل ذو الشرف الأصيل
والطبع البالغ تقاؤه والذهن المتناهي ذكاؤه لم يقرأ كتاباً في فن من فنون
العربية ، غير أنه لما بلغ سن العقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر
وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ
بمحضرته ، حتى تصورت في برهة يسيرة حيات التراكيب العربية ومواقع
الرفوعات منها والمنصوبات والمحفوظات حسب ما تقتضيه المعاني والتعليقات
المتخلطة ، فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . وسمعت مرة يسكن ياء المنقوص والتعل
المعتل بها منصوب ، فقلت له في ذلك ، فقال هو كذا في قول فلان ، وأنشد
شعراً لبعض العرب ، فقلت : تلك ضرورة ، وقال علماء العربية إنها غير شاذة .
ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم ، حتى حفظ
الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها فاقدراً شريفها من خديسها ،
واقفاً على صوابها وخطلها ، مدركاً ما ينبغي وفق مقام الكلام وما لا ينبغي ،
ثم جاء من صنفه الشعر باللائق بالأمراء ^(١) » .

ومعنى ذلك أنه لم يسلك مسلك أمثاله من تعلم العروض والنحو ومحنات
 البديع ولعب التضمين والحروف وحساب الجمل، وإنما سلك مسلكاً جديداً،
 وهو مسلك صحيح به موقف الشعر والشعراء، فقد خرج بهم من آفاق
 الجلود والتقليد السيئ المنزه القبيح إلى آفاق تقليد جديد، وهو تقليد واسع
 لا يتحصر في التماذج الثرية والمعاصرة المليئة بالانتقال الهندسية البغيضة.
 فعلى الشعراء أن يمدوا أبصارهم إلى آفاق الفن العليا، إلى العصر العباسي
 وما قبله من عصور، فيقلدوا بقول الشعراء القدماء ويتركوا أمثال
 الخشاب والدرويش والشيخ شهاب إلى النابغة وزهير وجريرو وبارودي وأبي نواس
 وأبي فراس والتنبى والشريف الرضى وأبصارهم. وهذه هي ضناعة الشعر
 عند البارودي في جعلها، فهي ارتداد إلى التماذج الفنية القديمة وفقرار
 من القوالب المعاصرة المعتدة. وانتج ذلك بمعارضاته لأبي نواس والتنبى
 وأبي فراس والشريف الرضى ولثنا بقاء ابن التيه والطغرائي، وروى للرصني
 في وسيلته الأدبية بعض هذه المعارضات^(١) ليدل على جودة شعره ومدى
 إحسانه وتفوقه بالقياس إلى هؤلاء الأعلام المتأخرين، وإنه ليعلق على قصيدته
 (تلاهايت إلا ما يحسن ضمير) التي نظمها معارضاً لقصيدة أبي نواس المشهورة
 (أجارة بيتنا أبوك غير) بقوله: «انظر، هداك الله، لايات هذه القصيدة،
 فأفردنا بيتاً بيتاً تجمد ظروف جواهر، أفردت كل جوهرة لنفسها بظرف،
 ثم أجمعها، وانظر جمال السياق وحسن النسق... وأكمل إلى سلامة
 ذوقك وعلو همتك إن كنت من أهل الرغبة في الاستكمال لتتبع هذه الطريقة
 انشئ». وعلق على قصيدة أخرى له عارض بها أبا نواس أيضاً بقوله:
 «تأمل توليها تجمد الإجازة فيها واضحة، ولللامة من أدنى متعلق ظاهرة،
 بحيث لا تجمد فيها موضعاً لمؤ أوليت». ويقول بعد استعراض قصيدة
 لشريف الرضى (لغير أملا مني ليقلى ولتجنب) ومعارضة لبارودي لها
 بقصيدته (سوى بتحنان الأناريد يطرب): «إن في الخمر معنى ليس
 في لعب»، وما يزال كلما ذكر معارضة له أثني عليه وأطرب.

١١) انوسية الأدبية ٢/ ٤٧ وما بعدها.

ولا ريب في أن هذا شأن قيم لأن تشيخ حسين الرضوي كان أستاذ عصره
في العربية وتذوق آدبها وتماذجها الفنية ، وقد شعر بهناء وفرحة حقيقية
ودور بعض شعر البارودي ، فلا يجد فيه أعشاب التبذيع ولا قوت عصره
من أرقم وأعداء حامية وتبرينات وألعب هندسية ، وإنما يجد فيه الطبيعة
والإطلاق دون عوائق وعراقيل .

وبغني أن لا تقهرهم من معروضات البارودي لأبي نواس وتشريف الرضي
وأبي فراس وتفتخر بهم أنه ذاب فيهم أو أن شخصيته فنيت في شخصياتهم :
فهو إنما استعز منهم بإطار الذي صب فيه نفسه وخواطره وعقله وحواسه
وسرائره . البارودي لم يكن ممن يقلدون للتقليد ، فيلقون أنفسهم وحوادثهم
وحقائقهم ، بل كان من الذكاء والاعتداد بمواجه بحيث ثبت شخصيته
قوية ، كأنها اختارتم بضيع على كل ما نور له باسمه ، أو كأنها الضريبة
التي ضربت على أنماذج التقليد وجاءت بها لتعبر عن أروح المثوبة لشخصية
المصرية ، تلك الروح التي كانت تنبع عند البارودي حماسة وحمية .

وشعره طاقن بوصف الطبيعة المصرية ووصف الثورة العربية وما صاحبها
من قلق واضطراب في قلوب المصريين ونفسه . وفيه وقفات عند آثارنا
القديمة القروية ، فهو شعر يصور البارودي ويصور عصره ووطنه بالرغم
من أنه ينسجه على آلات الغزل الموروثة ، ولكنها آلات طبيعية : لم تصب
بفساد ولا بخلط .

ومعنى ذلك كله أن البارودي في صناعته لشعره كان يقلد القدماء ، ولكنه
كان يختص بتقليده النماذج الطبيعية : يريد أن يرتد بالشعر العربي إلى منابعه
الزفة النياضة الأولى . على أننا نلاحظ عنده ضربين من التقليد : ضرب
أول هو هذا التقليد الواضح حين يقلد الشريف الرضي أو أبا نواس أو غيرها
ويعلم ذلك ولا يخفيه ، وضرب ثان يعم شعره كله إذ صاغه صياغة على طريقة
الأقدمين ، وبذلك كانت مادته أو صورته لا تفرق من مواد الأقدمين
أو صوره ، وكأنما اتخذ من أعمالهم قيثارة وقع عليها نفسه وعصره وفرحة
قلبه وكرمه .

وأغرق أحياناً في التقليد ، فذكر الزيادة الثابت ، ووقف على الأطلال
والرسوم ، وأكثّر من ذكر الظباء والبيد والرمعيان والنجوم كقولہ
في مطلع إحدى قصائده :

ألا حيّ من أسماء رَسَمِ النازلِ وإن هي لم ترجعْ بيانا لائلِ
خلا نغمها الرواسُ والتفتْ عليها أهاضيبُ الغيوم الخوافلِ
فلأيا عرفتُ الدار بعد ترسّمِ أراي بها ما كان بالأس شاعلي

والبارودي لا يقصد رسماً ولا داراً حقيقية ، وإنما يريد إلى الزمن
بهذا العنصر الجاهلي القديم عن بعض ذكرياته . ولا بأس عليه من ذلك مادام
يريد أن يحدث جوا عاطفيا ، فهذه الأشياء البدوية أو الصحراوية التي يجدها
في صناعته وشعره لا تضيق ، لأنه إنما يتخذها رموزاً دالة على بعض حقائقه
النفسية ، وهي لا تنوع هذه الحقائق ، بل تساعد على تصويرها ، إنما التقليد
الشيء هو ما كان من عمل معاصريه . إذ صوّروا شعريهم في قوالب معتدة
لا فن فيها ولا روح ولا حياة .

والحق أنه بحث الشعر لعرفي من رقة ، بل من جحشة : فقد تضافر
الشعراء من قبله وفي عصره على خنقه ، فحذره حياته ، وتفتح فيه من روحه ،
وصدر فيه عن أعماق تنه وأعمق وطنه . وما هذا التجدي عند ، إلا دعوة
للرجوع إلى الأسانيد الطبيعية ، حتى يبتد شعراء كل ما يعوق جريان الشعر
وفيضانه ، وكتبه يريد أن يجمع شعر الماضي في أغواره لعمية إلى الحاضر
في مساره الظاهرة والخفية .

وهذا هو معنى تجديده لصناعة شعر في القرن السابق : فهو تجديد لا يثبت
من الماضي ، بل هو تجديد يعود إلى الأصول والجذور الأولى ، وكتبه
يريد أن يستوعب الواسع ثماني للنفس العربية الخائفة بحجب النفس المصرية
الحاضرة ، حتى يثبت أن لثبات متصل لا يتقطع .

ولا ريب في أن من يقرأ البارودي يعجب بعباياته الفخمة الجزلة ،
 وإن كثيراً من قصائده تبدو كأنها تتخوذ تشاخ أو تمهارة لثاذه ،
 كما تبدو أبيات كثيرة عنه كأنها عمد تشق عنان السماء . ومعنى ذلك
 أنه وقف على أسرار مهنته وقوداً دقيقاً ، فعرف كيف تؤلف الألفاظ
 والصفات ، وكيف يضم بعضها إلى بعض وكيف تُترد ، حتى يتكئون
 البناء الشاق ، وحتى يتضاعف العسوت والترنين .

والحيوان يدل أروع الدلالة على أنه كان لا يزال بصقل في شعره ، وبحير
 ويجزؤ في لفظه ، ولازمة ذلك حتى آخر حياته . وقد لا نباح إذا زعنا
 أنه كان لا يزال حتى بعد إنشائه لقصيدته أو قصائده يعود إليها بالتهذيب
 والتنقيح ، فديوانه ثمرة كفح وجهاد طويل في صناعته ، وهو جهاد بدأه
 منذ مدت له ربة الشعر قنارتها ليوقع عليها الحان نفسه وألقم وطنه ، واستمر
 حتى حاول في أخريات أيامه أن ينشر شعره ويذيعه في الناس .

وإنما يدفعنا إلى اعتناق هذا الرأي أننا نجد معارضاته وبعض أشعاره
 التي أذاعها له المرصني في كتابه « الوسيلة الأدبية » تغير في كثير من أجزائها
 وأبياتها بالقياس إلى الصورة الأخيرة التي استوت لها في الديوان . وقد طبعت
 الوسيلة الأدبية سنة ١٢٩٢ هـ أي قبل طبع الديوان بنحو ثلاثين عاماً . وليس
 من تعليل يمكن أن يفسر السبب في ذلك إلا أن البارودي رجع أو كان يرجع
 إلى قصائده القديمة ، فينقح فيها ، إذ نراه يرفع كلمة ويضع أخرى ، كقوله
 في القصيدة التي عارض بها أبانفراس :

وخيلٌ يرجُ الخافقين صهيلًا زائعٌ معقودٌ بأعرافها النضرُ
 فقد أبدلت كلمة « يرج » في الديوان بكلمة « يرم » . ويقول البارودي
 في نفس القصيدة :

أقاموا زماناً ثم بدد فمحلهم أخوفتكاتٍ بالكرام اسمه الدهرُ
 ووضح أن الشطر الثاني قلبي ، ولم ينب هذا عن صاحبه ، فأبدله
 في طبعة الديوان بشطر آخر ، جعل البيت يستوي على هذا النحو :

أقاموا زماناً ثم بَدَّ شملهم ملول من الأيام شيسه التندر
والشطر الجديد أضبط وأحكم ، وأكثر حبكة من حيث اللفظ والمعنى
وأكثر دقة . ومثل ذلك بيت جاء في القصيدة الدالية التي صور فيها حنينه
إلى مصر أثناء حربه مع الدولة العثمانية في البلقان ، وهو يجرى على هذا النمط :
ومن يتيمى حب الوفاء ولم يكن ليخلص ود لم يحطه الوفاء بئد
والبيت دائر بعضه على بعض ، وفيه تكرار غير مستحب لكلمة الوفاء ،
وفيه كلمة بعد التي تنبؤ في القافية نبؤاً واضحاً . ومن أجل ذلك أبدله
في الديوان بقوله :

ومن شبي حب الوفاء سجيئة وما جبر قلب لا يدوم له عهد
ولعل قصيدة لم تختلف آياتها القديمة والجديدة كما اختلفت قصيدته
التي عارض فيها أبا نواس ، وقد بدأها قديماً بقوله :
تلايت إلا ما يجن ضمير وداريت إلا ما يم زفير
وهل يستطيع المرء كتمان أمره وفي الصدر منه بارح وسفير
وانتجها حديثاً في الديوان بقوله :

أبى الشوق إلا أن يجن ضمير وكل شوق بالحنين جذير
وهل يستطيع المرء كتمان لوعة يتم عليها تمنع وزفير
واستمر يحدف أحياناً ويضيف أحياناً لبيت والآيات ، كما استمر يبدل
في الكلمات والأنماط ، يتغى الربط والتضبط وإحكام الإيحاء والدقة في التعبير
وأنوصف ، يحدوه في ذلك كله ذوق مسعف وقريحة بارعة ، يستلهما التوفيق
في رفع لبناء وعمده : وكأنما كل لينة فيه وكل نقطة جاءت لتسند أختها
وتشدها شدا يكفل لها كل ما يريد من تضخم الرنين . وبذلك كانت أساليبه
جزمة صلبة متينة ، وكانت في الوقت نفسه خالية من كل شوائب الديدج
وما يطوى فيه أو يتصل به من شعوذة أو تعقيد .

وهذه الحركة القوية من البيت والإحياء بلا سرب عروق شفيف صانع صاحبها أو عاصرتها حركة أخرى عند محمد عثمن جلال وأضرابه ممن تعصروا اللغة الفرنسية وأجادوها ، وحاولوا النقل عنهم إلى تعريبية ، فغضروا في هذه الأدغال الملتفة من سجع وبديع في التورق وأزرق الجمش وتنظيم في الشعر ، فرأوا أن يهجروا هذه اللغة التفتيشية اللبيلة بالعقد إلى لغة العالمية ، أو إلى لغة بين عاميتنا وفصحانا ، فلم يمدأ المعنى لا الصورة التي يؤدي فيها ، وما يمكن أن يوضع عليها من تحليل البديع وما يحصل به .

وكان الذي تفتق هذه الفكرة في ذهن محمد عثمن جلال وذهن تائبين من أمثاله على التصحي ماعرفوه عن تاريخ الآداب الأوربية الحديثة ، فقد كان الأوربيون في العصور الوسطى يتخذون اللغة اللاتينية أديانهم للتعبير عن عقولهم ومشاعرهم ، فكانوا ينشئون بها آدابهم ، وينظمون فيها أشعارهم ، ولم يكونوا يعنون بلغاتهم المحلية أي عناية ، فلما جاء القرنان الخامس عشر والسادس عشر حدث تطور هائل في حياة الناس تحت تأثير الاستكشافات الجغرافية الحديثة ، وتحت تأثير التجارب العلمية الجديدة ، وأحسوا أن اللغة اللاتينية ليست لغتهم الطبيعية التي ينبغي أن يسوقوا فيها أفكارهم وخواطرم ، فأنجسوا إلى لغاتهم المحلية ، ولم تلبث هذه اللغات أن رست ، وتوطدت ، وأصبحت لها آداب عظيمة كما نعرف عن الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي والإيطالي .

ورأى محمد عثمان جلال وأضرابه هذا التطور الذي صارت إليه اللغات المحلية في أوروبا ، ففكروا أن يجدوا ذلك بلغتنا المصرية الدارجة ، وأن يتخذوها مثلهم اللغوى الأعلى في حياتهم الأدبية ، فهي لغتهم الطبيعية التي تعودوا أن يشعروا بها ويعبروا في حياتهم اليومية العادية ، وهي لغة جرة ليس فيها حواجز البديع ولا خنادق حساب الجمل ولا ممرات التشطيرات والتخصيمات والاقباسات والتضمينات ، وإنما فيها السهولة ، وفيها الحيوية التي يريدها الشاعر والكاتب لألفاظه وأصاليه .

ونفذه محمد عثمان جلال ، فنقل قصة «نار توف» لمولير إلى الرجز
 العامى ، وصحبها بصبغة مصرية ودعاها «الشيخ متوف» . ونقل أيضاً أساطير
 لافونتين إلى رجز عامى ، وهى طائفة من التعمص الجرافية ألّفها صاحبها
 على لسان الطير والحيوان ، وملأها بالعبر والأمثال ، وسماها محمد عثمان جلال
 «العيون ليراقظ فى الأمثال والمواعظ» . ومن نماذج صناعته فيها قوله
 فى صاحب الدجاجة (١) :

كان البخيل عنده دجاجة تكفيه طول الدهر شر الحاجة
 فى كل يوم مرّ تغطيه العجب وهى تبيض بيضة من الذهب
 فظن يوماً أن فيها كنزاً وأنه يزاد منه عزاً
 فبيض الدجاجة السكين وكان فى يمينه سكين
 وشتمها لصنّين من غفلته إذ هى كالدجاج فى حضنّه
 ولم يجد كنزاً ولا لقيته بل ربة فى حجره موميّة
 فقال لا شك بأن الطما ضيع الإنسان ما قد جما

و «العيون ليراقظ» كلها تجرى على هذه الشاكلة من الرجز ،
 ومحمد عثمان جلال فيها خفيف الروح خفة شديدة . وكان عذب الحديث
 فكها ، يقول عنه أحد شغيقى فى مذكراته : «ومما تذكر من زجله الطريف
 يحاذر تجميلها أمام رياض باشا يشكو تأخره عن أقرانه الموظفين فى الترقية :

اخبر عمّ الناس وعضّ ماحد إلا واستكنى
 إلّا أنا ياسيدى رياض وقمت من قعر اتقنه

ومن فكحته أنه كان مدعوّاً فى دار محمد سكر الكبي أحد أدياء
 عصره لطعام مع بعض الأصدقاء ، فاستطأوه ، وعندئذ دخل رب الدار
 إلى الحرم ، وبينما هو كذلك سمع لضيف دعاً بالحنون ، فتسأل بعضهم
 ماذا ؟ ألا يزالون يسيئون لطعام ؟ فاجاب محمد عثمان جلال : لا ، دول

يكسر واراس مكر" . و نه أرجوزة وصف فيها راحة الأمير توفيق
من «بها» إلى «ذقة وميت غمر» وهي تطرد على هذا السياق :

ومذ صحادك انتري وصاحا وأيقظ انتاجر وتغلاها
أقبلت الناس إلى الوداع من ضها تجرى بنير داه
وانيموا في المسير البتة حتى وصلنا معهم ثفته
لكن رسا الوابؤ حكم الأمير بالركب انعالى على ميت غمر

وهذه الحركة بكل ما جاءت به عند محمد عثمان جلال لم يكتب لها النجاح ،
إنما أحدثت ثورة ، سرعان ما انطفأت ، فإن أصحاب القصص احتجوا
بالقرآن الكريم ونماذج الأدب العربي الرفيع ، ونهبوا إلى أن في اتخاذ
العامية ما يجعلنا نقدر تراثنا الديني والفني جميعا .

وبذلك انتمر أصحاب القصص ، وكان من أهم الأسباب في اختصارهم
حركة البارودي في الشعر وحركة كتاب الودائع المصرية في النثر ، فأنهم جميعاً
رفضوا عن الأسلوب القصصي عقالي السجع وغشاوات البديع وعوائق الاقتباس
والتضمين وأرقام التاريخ والتشظير والتورية وكل ما يتعرف به عن نمادة
الإفصاح السليم عن الشعور الصادق وما يختلج في النفس من أحاسيس
وعواطف إنسانية . وكان شوقي وحافظ هما التعويذتين الشعريين لحركة
البارودي المظفرة المباركة .

الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي.

للكنوز فريد سافعي

أنتج الفنانون في العصر الاسلامي تحفاً فنية لا يقع عددها تحت حصر . وذلك في جميع نواحي الفنون الفرعية . وكان الخشب مادة من المواد الهامة التي فتحت أمامهم ميادين واسعة للتطور والابتكار في التحف الخشبية وزخارفها . ومن البديهي أن مقادير كبيرة جداً من تلك التحف قد فقدت على مر العصور . فالخشب كما تعلم مادة قابلة للفناء السريع وخاصة بسبب النيران ؛ فلا يكاد يشب حريق صغير حتى تصبح القطع الخشبية وقوداً طيباً له فيزيد اشتعال النار واتساعها ، فتلتهم الأخضر واليابس وتقضي على الحرث والنسل . أما في أوقات الحروب والقتال فحدث عن الحسائر الفادحة التي تلحق بالكنوز الفنية من سلب ونهب وإتلاف بالإضافة إلى الخرائق والتخريب . ولا شك أن منتجات الأخشاب كانت أكثر المواد خسارة ؛ فصاعت بذلك أسانيد فنية وأثرية هامة . وهذا بعض أسباب الفراغ الكبير في المنتجات الفنية — وخاصة الخشبية منها — في إيران والعراق وهما القطران اللذان تعرضا لمخاطر المغول واكتساحهم لها . ثم في سوريا التي كانت الحروب والقتال السياسية سبباً في وجود فراغ آخر حتى العصر الفاطمي .

ونعلم أيضاً أنه بينما كانت بعض الأقطار غنية بأشجارها تستخرج منها الأخشاب وتنتج منها التحف بوفرة . كانت هناك أقطار أخرى تفتقر إلى الخشب وتلجأ إلى الأقطار الفنية بها تستورد منها ما تحتاج إليه من أخشاب . وكان هذا الفقر أحياناً سبباً في انتزاع بعض التحف من أماكنها الأصلية وإعادة تكييفها وتحوير أشكالها وزخارفها لاستعمالها في أغراض

ومواضع أخرى جديدة في أزمنة وعصور نالية، وسنرى أمثلة من هذا القبيل في سياق بحثنا .

وأغاب التحف التي وصلت إلينا بل تكاد تكون كلها تقريباً من النوع الثابت الوثيق الصلة بالعالم المختلفة الأنواع . فمنها ما استعمل في الفتحات : أي مصاريع الأبواب والشبابيك والدواليب الخائطية وجوانبها وإطاراتها ، ثم بواطن الأسقف من عوارض وألواح وكوابيل ، والعوارض الرابطة بين العقود ، والازارات ، وكانت الأعمدة الحاملة للأسقف تصنع أحياناً من الخشب ويخرف بعض منها ويترك عارياً أحياناً . ومنها أيضاً المنابر والتوابيت وغيرها .

أما الأثاث فلم يصلنا منه إلا تحف نادرة : منها بعض كراسي للعشاء ودكاك وبضعة كراسي مصاحف . وهو نقص كبير في هذا النوع من التحف الأثرية التي كانت تساعدنا على معرفة الكثير من الحياة المدنية والاجتماعية والمنزلية في العصور الإسلامية المختلفة . ولعل صور الأثاث التي تحتوي عليها الصور التي وصلتنا لم تحث بدقة وعناية لمساعدت على ملئ جانب من ذلك الفراغ الخالي في سلسلة تطور الأثاث في العصر الإسلامي .

وأكثر ما يهيننا من التحف الخشبية التي وصلتنا تلك التي تحمل زخارف ومميزات يسهل بها الاهتداء الى معرفة عصرها والقطر الذي صنعت فيه . وهو هدف ليس من اليسير تحقيقه في بعض التحف حتى ولو كان بها زخارف ومميزات . فكيف به إذا خلت التحفة منها .

أما الطراز الأموي فهو المرحلة الأولى من مراحل تطور الفن الإسلامي التي جاءت مع بداية تكوين الامبراطورية الإسلامية وعندما استتب الأمر لبني أمية واتخذوا الشام مقراً لخلافتهم ، فوجدوا من حولهم ومن بين أيديهم حضارة ناضجة كان لها مركز هام في تلك البلاد ، هي الحضارة الهلنستية — أو سلبية الأغريقية — وكانت سائدة منذ عصور سابقة في كثير من البلاد التي فتحتها المسلمون وتكونت منها امبراطوريتهم والتي كانت قبل ذلك ضمن

مستعمرات الاسكندر المقدوني وقوعات فيها الحضارة الأفرقية التي نشرها ذلك النافع وأتباعه وخلفاءه هناك. فأخذ المسلمون في تبني الترجمة ما احتاجوا اليه منها لبناء أساس حضارتهم الإسلامية الناشئة.

والحق أن الفن الإسلامي في بداجه كان عدد كبير من عناصره وأساليبه منقولاً بأمانة من بقايا عريقة من فن هيلينستي ذو أحد المظاهر الهامة لتلك الحضارة الأفرقية التي نشرها الاسكندر. وامتزجت بتلك العناصر والأساليب تقاليد وعناصر أخرى من مدارس فنية تفرعت من الفن الهيلينستي أو امتزجت أو تأثرت به وهي : المدرسة الرومانية التي انتشرت في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط وزحفت حتى مسّت فارس. ثم المدرسة البيزنطية في بزنطة ومستعمراتها : الشام، مصر، وشمال أفرقية. والمدرسة الساسانية في العراق وفارس. والمدرسة القوطية الغربية في أسبانيا.

ما كان الفن الإسلامي في هذه المرحلة إذن إلا مزيجاً من تقاليد وعناصر وأساليب المدارس الفنية في البلاد التي دخلت في نطاق الامبراطورية الإسلامية ولم ينشأ عن هذا المزج تغيير كبير لا في التقاليد ولا في ملامح العناصر. إذ كانت صلة القرابة بين بعضها وبين المنبع الذي جاءت منه وهو الفن الهيلينستي قوية لم يعبدها الوقت كثيراً.

ويتضح كل هذا جيداً في التحف الخشبية التي وصلتنا من الطراز الأموي. إذ نراها محتفظة بالأساليب المحلية المعروفة في كل قطر من الأقطار الإسلامية والتي كان أغلبها مكوناً من رواسب هاينستية ممتزجة ببعض تأثيرات وعناصر بزنطية وساسانية تتراوح درجة ظهورها بين الواضح والغموض.

الاستبصار الزمزم في فارس :

وإذا بدأنا بشرق العالم الإسلامي لرأينا أن تحف إيران في ذلك العصر تكاد تكون في حكم المهدومة فلم نعتز في التحف التي نشرت في كتب الفن الإسلامي على ما يصحح أن ينسب إلى فارس في العصر الأموي.

الدرء كتاب الزمردية في العراق

من التحف التي تنسب إلى العراقي الذي عثر عليه في تكريت وحفوظ
الآن بمتحف بناكي^(١) (لوحات ٢٤).

ومقاس الباب ٣,٠٠ × ٢,٢٠ متراً ويتكون من مصراعين في جانب
كل منهما قائم خشبي^(٢) من خرف عيشية قشور السلك أو جنيات الصنوبر.

وقسم كل من المصراعين إلى ثلاثة مناطق: السفلى منها تكاد تكون مربعة
ونضم عقداً يسمى ضلعها العلوي في جانبها ويسكون من فصوص من أقواس
صغيرة متلاحقة. وتلاها العقد الخارفي نباتية تتكون من عروق بتموجة تخرج
منها أوراق نباتية صغيرة بيضية الشكل. ويتوسط الزخارف في محور العقد
ساق كاذبة جذع شجرة ينتهي في أعلاه بالتوائين كالتوائين يحملان عنصراً
بصلياً (شكل ١) يلا النص الأيسر من العقد كما يلا باقي الفصوص



(شكل ١)

من باب تكريت (لوحه ٢)

عناصر أخرى إما بصلية أو برعومية
ثم تلاها كوشات العقد حلزونات
تخرج من بعضها وبداخل كل منها
ورقة عنب خماسية الفصوص.

أما المنطقة الوسطى من المصراع
المربعة الشكل فتقسم أضلاعها
من الداخل دائرة بداخلها مربعان
متشاكلان يكونان نجمة مشتملة
والمناطق المحصورة بين المربع الخارجيين
والدائرة وبينها وبين النجمة تلاها

حلزونات بداخل كل حلزون ورقة عنب خماسية أو ثلاثية.

PAUTY (E): Sur une porte en bois sculpté, provenant de Bagdad. (١)
(B.I.F.A.O., t. XXXI/1, 1930, pp. 77-81 and 6 Pls.) وأتم هذا الفرع لأشكر متحف

بناكي من تفضله بالمبادرة بإهداء هذه الصورة لهذا الباب بمجرد طلبها من.

(٢) يعنى على أمثال هذا القائم في الإصلاح الدارج المحلي اسم «أنف».

ويهما من بين زخارف هذا الباب بضعة عناصر وضواهر فيها . العروق التي تنبت منها أوراق الشجر ذات الشكل البيضي انغربية من الطبيعة نمد الطابع الهليني وكذلك العروق التي تلتوى في حركات حزوية تملأها أوراق الغنب انماسية والثلاثية القصوص . وكلها عناصر وحركات هليستية انتشرت في البلاد التي كانت من ضمن امبراطورية الإسكندر .

وإذا دققنا النظر في العروق رأينا بعضها مقسوما في وسطه بخط مخفوف يجعله كأنه مكون من عرقين ملتصقين ببعضهما . ظاهرة العروق للمزدوجة أو الثلاثية معروفة ومنتشرة في الفن البيزنطي ^(١) .

أما العناصر المكنسية ذات الهيئة البصلية التي سبقت الإشارة إليها (شكل ١) فهي في رأينا من العناصر الهليستية . إذ صادفنا كثيراً من تلك الكؤوس البصلية الشكل في الفن الأغريقي مرسومة على الزهريات الاغريقية ^(٢) (شكل ٢) . وفي الفن البيزنطي ^(٣) . وفي الفن الساساني (شكل ٣) وهو قريب من حيث التخطيط الخارجي للعنصر الذي نحن



(شكل ٣)

نقش بارز على أبريق من النفضة

Smirnow : Argenterie Orientale, PLXL III 70



(شكل ٢)

رسم على زهرية إفريقية

Woermann : I, Abb. 319.

بصدده وينقسمه بضعة المحاليل التي تحف به من الجانبين وراها موجودة في عنصر مشابه في قبة الصخرة (شكل ٤) وفي عنصر من قصر الطوبة

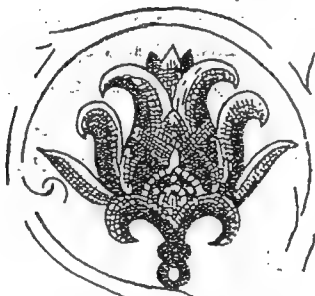
SPELTZ : The Styles of ornament, Pl. 60/3.6. (١)

RIEDEL : Stilfragen, Figs. 104-6 (٢)

KETZINGER : Early Medieval Art, Pl. 13... (٣) في تاج عمود أنظر

(شكل ٥) وهو أقرب الأشكال إلى عنصر الباب الخشبي ، ولذلك ترى من الأفضل اعتبار العنصر دليسياً بسبب انتشاره في الفنون المتعددة التي أشرنا إليها ولا يقتصر وجوده على الفن الساساني ^(١) .

أما عنصر كوز الصنوبر ذو الشكل البرعوي فهو أوثق صلة بأصوله في الفن الساساني إذ نجده منتشرأ في الزخارف المنحوتة في الجص التي تنسب إلى ذلك العصر ^(٢) . كما توجد أشباه له في قصر المشتى (شكل ٢٨) . وفي قصر الطوبة ^(٣) . ولو تتبعنا أصول البرعوم وكوز الصنوبر لرأينا من العناصر المعروفة في الفنون العراقية ^(٤) .



(شكل ٤)

عنصر في فسيفساء قبة الصخرة

Creswell : I Fig 260 & Pl. 18 a .

ومن لظواهر الساسانية تلك الأشرطة المكونة من أقراص منقوبة متلاصقة . فتراها مزدوجة في الفصوص المنقوسة للعقد (شكل ١) وفي الأشرطة المنقبة بين المناطق الكبيرة وفي أمكنة أخرى في مصر اعى لباب (شكل ٦) .

M. van Berchem in Creswell : E. M. A , Vol. 1, p. 210 and Fig. 260 (١)

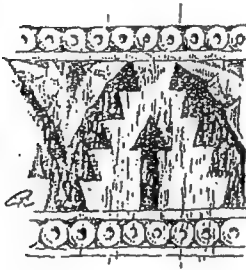
Survey, IV, Pl. 172 C-D. (٢)

CRESWELL, I., Pl. 80-4 (٣)

WOERMANN: Geschichte der Kunst, Bd. I, Abb. 134, 151, 153 (٤)

أما عنصر الشراطات المسننة (شكل ٦) في الشريط الأفقي الذي يفصل بين الشاحنة السفلى والوسطى . فله أصول في الفن الساساني إذ يرجع في طاق بستان (٥٩٠ - ٦٢٨ م)^(١) . وفي طبق من الفضة رست عليه واجهة قصر ينسب إلى العصر الساساني . بل تمتد أصوله إلى الفنون الأخمينية والعراقية القديمة^(٢) .

ويعلو شريط الشراطات المسننة شريطاً آخر يتكون من عقود متتابعة تحملها دعائم مزدوجة وفكرة العقود المتتابعة فكرة رومانية اقتبست في الفن الساساني فزادها في أطباق من الفضة تنسب إلى ذلك العصر^(٣) .



(شكل ٦)

من باب تكريت (لوحة ٢)



(شكل ٥)

من متب حجري في قصر الطوبة

Creswell, I, Pl. 80 a

والتعرجات التي على هيئة قشور السمك الموجودة في جذوع الأشجار في محاور المساحات والبغلي للمصراعين وكذلك في « أنقى » المصراعين نراها كبيرة الشبه بجيبات الصنوبر التي توجد في الكيزان ذات الشكل البرعوى .

*
* *

CRESWELL: Vol. II, p. 243; Herzfeld; Am Tor. von Assien XXXIII. (١)

CRESWELL: The Muslim Architecture of Egypt, Vol. I Fig. 101; Surveys. (٢)
IV, Pls. 85, 91, 92 A.

Surv. y. Vol., VI, Pl. 237 (٣)

ونرى من التحليل السابق أن زخارف الباب مزيج من أساليب وتقاليده مختلفة . إلا أن الطابع الساساني هو أكثرها وضوحاً وغلبة . مما يبرز نسبته إلى العراق الذي كان للتغوذ الفارسي الثمام الأول هناك .

والأصح في هذا الباب أن يؤرخ في أواخر القرن ٢ هـ (٨ م) . فأغلب الزخارف وعناصرها ذات طابع ساساني وهلمنستي وبرزنطي لازال قريباً من الطبيعة ولم يخضع بعد للذوق الإسلامي الواضح الذي يتميز بالميل إلى تحوير العناصر والزخارف النباتية وإخضاع أوضاعها لنظام هندسي منتظم صارم . وهو الأسلوب الواضح في القطع التالية ثم في منبر مسجد القيروان الذي استورد من بغداد كما ستأتي شرحه فيما بعد .

ويأتي بعد الباب السابق مباشرة قطعتان من الخشب (لوحة ٣/١ ، ب) يقال أنه قد عثر عليهما في تكريت ^(١) . ومحموطتان الآن في متحف التروبوليتان في نيويورك .

والقطعة الأولى (لوحة ٣/١) تتكون من ألواح من الخشب متلاصقة ويتوسط القطعة سرة مستديرة تترايط بالأطوار بدوائر صغيرة . كما ملئت الأركان أو الكوطات بدوائر أخرى لها إطارات من صلبان متتالية كائنها مساج . وداخل السرة الكبيرة الوسطى نجمة سداسية من مثلثين متشابهين . وتضم المناطق المحصورة بين الأضلاع الخارجية للنجمة وقوس الدائرة الخارجية دوائر تمس الأضلاع والأقواس وبداخل الدوائر أوراق نباتية متطورة من الأكانثاس في نظام صليبي . كما ملئ المسدس المنتظم داخل النجمة بدائرة لها إطار من أوراق نباتية متطورة هي الأخرى من الأكانثاس ومتراصة بجانب بعضها في توزيع إشعاعي .

أما باقي المناطق المحصورة بين الأقواس والضلوع والأطارات فقد ملئت بمحزونات داخلها أوراق نباتية الغالب فيها ورقة العنب الثلاثية وبداخل قصورها تعرق نخيلي .

DIMAND: Studies in Islamic Ornament, in *Art Islamica*, Vol. IV, pp. (١)
294-299, Fig. 4-5.

ونلاحظ أن هناك شريطين رأسيين على الجانبين من مثلثات كانتها
أسنان المنشار .

والقطعة الثانية (لوحة ٣/ب) لوح واحد مستطيل في أعلاه شريط
ضيق من شرائط مسنة في أوضاع متعكسة بالتبادل . وهو يعلو مساحة
طويلة مقسمة إلى منطقة وسطى مستطيلة على جانبيها من الناحيتين مربعان .
أما المنطقة الوسطى فبداخلها نصف دائرة لها إطار من أوراق نباتية متطورة
من الأكانثوس في توزيع إشعاعي كالتي سبق وصفها في القطعة العليا . ويحيط
بهذا الإطار من الجهتين خطوط متعرجة لا شك أن التصود منها التعبير
عن العصابات الطائرة الساسانية الأعل . وبداخل نصف الدائرة خمس دوائر
في وضع هندسي خماسي منتظم . كما نلاحظ أن هناك جناحين متقابلين حول
ذلك الخمس المنتظم المكون من الدوائر ويحتوى كل جناح على دائرة منها .

وبداخل كل من الربيعين الجانبيين عقد منقصب من خمسة أقواس تملأه
زخارف نباتية . يهنا منها الخرزون الذي يحتوى على ورقة العنب الثلاثية
ذات التعرق التخلي في فصوصها وبجانبيها كوز الصنوبر . إذ أن الخرزون الذي
يحتوى على ورقة العنب وكوز الصنوبر هو الوحدة الزخرفية التي تتكرر
في قوائم وعوارض منبر تكريت ومنبر القيروان كما سيأتى بعد . وكما نراها
أيضا في قطع خشبية عثر عليها في مصر .

ونفصل الربيعين عن المنطقة الوسطى شريطان رأسيان بداخل كل منهما
سلسلة من الصليان .

ونلاحظ في هذا الموضع أسنمة المنشار التي شاهدناها في القطعة
السابقة وسراها في كثير من لقطع الخشبية الأموية المحفوظة بمتحف الفن
الإسلامي بالقاهرة والتي يمكن نسبة بعضها إلى صناعة العراق لعلاقتها
الكبيرة بالقطع العراقية السابقة ولاحتوائها على كثير من العناصر الساسانية
الصينية .

ومن الظواهر الهامة في لتقطعين السابقتين اتجاه أسلوب الخفر إلى التبسيط
من التجسيم والافتلال من تماوت المستويات .

وأشباب خُتّا بُنْ هاتين نقطعتين ترجعان الى أواخر نثر ٢ (م ٨)
وأرائن نثر ٣ (م ٩).

•••

ويوجد أيضا في متحف المتروبوليتان بنيويورك أجزاء من منبر عثر عليها
في جبانة قرب بغداد في نفس الوقت الذي عثر فيه على باب متحف بئكي^(١)
الذي سبق الكلام عنه . ومن ذلك المنبر قطعة^(٢) (نوحنا ٤ ، ٥) هي أكثر
قطع المنبر احتفاظا بكيانها ولم يطرُق إليها تلف يذكر .

وتتكون هذه القطعة من قائمين وعوارض تضم أربع حشوات منها
اثنان مبرعتان واثنان مستطيلتان .

وزخرفت القوائم والعوارض بأشرطة من حلزونات تخرج من بعضها
وبداخل كل حلزون ورقة عنب ثلاثية وعنقود عنب ذو ثلاثة فصوص .
وحول كل حشوة إطاران : الخارجي منهما مكون من سلسلة من صلبان
متتالية ومتلاصقة . والإطار الداخلي يتكون من شريط من أنصاف بخيلية
تخرج من بعضها مضغوطة بين حدي الشريط وتكاد تملأه ولا تترك منه أرضية
تذكر . وهو الأسلوب الذي نضج وماد في زخارف سامرا من الطرازين
الثاني والثالث . وحول الأطارين من الخارج والداخل وبينهما أشرطة
رفيعة من حبيبات متلاصقة كأنها مسامح .

أما الحشوات فتملأها زخارف من حلزونات تخرج من بعضها في نظام
هندسي . وبداخل كل حلزون عنقود ثلاثي الفصوص وورقة نباتية من نوع
المراوح بها تمرق داخلي وقطاعها مقعر . ويحف بمجموعة هذه الحلزونات
من الجانبين صفوف رأسية من كيزان الصنوبر المتتالية .

ولا زال أسلوب الحفر والعناصر في هذه القطعة فيها بقايا من الأساليب
الطليونية . إلا أنه قد بدا بعض التطور الواضح في الأشرطة المكونة

CRESWELL : E. M. A., Vol. II, p. 319, fig. n. 3. (١)

DIMAND : op. cit., p. 291-300, Figs. 1-3. (٢)

من أنصاف المراح النخيلية المنسوجة التي تغرب من ذوق سامرا وزخارفها
من الطرازين الثاني والثالث .

ويمكننا بناء على هذا الأساس أن نضع هذه القطعة في تاريخ تال مباشرة
نلقطع السابقة أى في الربع الأول من القرن ٨٣ (٩ م) وهي في ظننا تسبق
منبر القيروان .



أما منبر جامع القيروان (٨٢٤٨/٨٦٢ - ٨٦٣ م) فتحدثنا المصادر
التاريخية أنه قد جلب لذلك الجامع من بغداد^(١) خشب التل فاستعمله
(الأمير أبو ابراهيم أحد) في عمل منبر للمسجد . وقد يرحى هذا المعنى
بأن الزخارف قد خربت وأن المنبر قد تم صنعه في مكانه أى في القيروان .
ولكن القطع السابقة التي عثر عليها في تكريت والتي كانت تكون منبراً
والتي تحتوى على زخارف كبيرة الشبه وثيقة الصلة بالموجودة في منبر القيروان
ثبت أن المنبر قد صنع في بغداد أو العراق وأنه قد استورد بعد صنعه
من هناك إلى القيروان .

ومنبر القيروان — وهو أقدم المنابر الإسلامية القائمة — يمتاز بالاعتقان
في زخارفه وصناعاته واحتفاظه بحالته الأصلية لم يزل منها يد التلف شيئاً يذكر .
ويتكون المنبر من قوائم وعوارض مجمعة بطريقة النفر واللسان تحصر
بينها خشوات مستطيلة وزيدت قوة تجميع القوائم والعوارض بقطع من المعدن
أضيفت على الأرجح بعد عمل المنبر إذ تغطي تلك القطع زخارف من أسطرة
الاطارات .

ويتركب كل جانب من المنبر من أربعة أقسام ثبتت بجانب بعضها
وتحتوى وهي مجتمعة على ١٣ عموداً من الخشوات الرأسية ملى أغلبها
بزخارف هندسية مفرغة . بينما احتوى قليل منها على زخارف نباتية تخضع
كلها لأوضاع هندسية صارمة . أما لقوائم والعوارض فقد زخرفت بأسطرة

CRESWELL: E.M.A., II, pp. 314 — 317 — 19. Pl. 87 — 99. MARCAIS: (١)
Les Faïences de la Grande Mosquée de Kairouan, p. 10.

من حزونات مشرعة من بعضها يلا حتى حزون منها وحدة زخرفية متكررة تتكون من كوز صنوبر وورقة غيب ثلاثية التخصوص بداخل كل واحد منها تعرق نخيلي .

أما السياج المائل للمنزلة فيتكون من عارضتين طويلتين في أعلا السياج وأسفله بينهما قوائم تقسم السياج إلى حشرات تمددا على الجانبين خطوط رأسية وأعلاها وأسفلها خطوط مائلة . وقسمت كل حشوة إلى ثلاثة مناطق : العليا والسفلى مثكان ، والوسطى مستطيلة تنتهي في أعلاها بمقد إمدادى أو مدبب . ماعدا الحشوة الأولى عند بدء السلم . فهى أعرض من زميلاتها . وأغلب النظم أنها أضيفت عند إصلاح المنبر في وقت قريب ^(١) لأن الصورة التى جاء بها سلاخان فى كتابه عن مسجد القيروان ^(٢) والرسم التخطيطى لجانب المنبر ^(٣) لا تظهر بهما تلك الحشوة التى أشرنا إليها والتى تظهر فى الصورة التى أتى بها كريسول فى كتابه ^(٤) . ولو كانت هذه الحشوة أصلية لكان لها أهمية أثرية كبيرة لاحتوائها على طبق نجمى مكون من ١٢ ساء ، ولكن هذا أقدم طبق نجمى ناضج فى الاسلام ^(٥) ولكن الشكل الكبير الذى يحيط بتلك الحشوة لا يترك للطبق أى أهمية أثرية .

ويستلقت نظرتنا من زخارف المنبر الظواهر الآتية :

١ — ساق الشجرة الذى ينتهى فى أعلاه بالتوائين يعلوها كوز صنوبر على جانبيه جناحان ^(٦) . وهى ظاهرة تذكرنا بشيئة لها فى زخارف قصر المشتى ^(٧) .

٢ — ساق الشجرة المكون من عرقين متضافرين ^(٨) . وقد صادفنا أشباهها لها فى قبة الصخرة ^(٩) .

(١) أصلح المنبر فى سنة ١٩٠٧ . انظر CRESWELL E.M.A., II, p. 317

(٢) H. SALADIN : La Mosquée de Sidi Okba à Kairouan, (Paris 1899), Pl. XXI.

(٣) Ibid : Fig. 52 وكذلك صورته المنشورة فى كتاب الدكتور زكى محمد حسن :

الفنون الإسلامية شكي ٣٦٨

(٤) CRESWELL : op. cit. Pl. 89 a

(٥) نرجو أن تتمكن قريباً باذن الله من التعرف عن الأخطاف النجمية لالفن الإسلامى .

(٦) CRESWELL : I, Pl. 27—J.

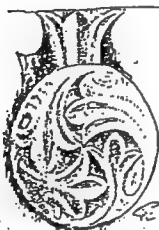
(٧) Ibid., Pl. 76 a.

(٨) Ibid., II, Pl. 90—c.

(٩) Ibid., I, Pl. 26, la 27 and I, Fig. 237

٣ — أوراق الأشجار المركبة التي يوجد بداخلها عناصر نباتية أخرى مثل حبيبات العنب أو كيزان الصنوبر^(١). وهي ظاهرة رأيناها في نيسفاة قبة الصخرة^(٢) وفي محراب جامع الخاصكي^(٣).

٤ — عنصر الرمان (شكل ٧) ويوجد في حشوتين من حشوات النبر. وفي الحالتين ترى العنصر قد ملئ بدنه بأربع أوراق من الأكانثاس ذات الثلاثة فصوص ووضعت الأوراق بحيث تظم بعضها في حركة دائرية كانت معروفة في الفنون الهلينية. أما عنصر الرمان نفسه فقد كان معروفا في الفن الساساني^(٤).



(شكل ٧)

عنصر رمانة — منبر القديس

Grevel II, pl. 99 a.

٥ — عنصر كوز الصنوبر الدعوي الشكل وهو مستعمل بكثرة بين زخارف المنبر في الحشوات وفي الاطارات حولها. على أنه من المحتمل أن الكيزان داخل جزووات الاطارات كانت في الأصل عناقد عنب وأنطورت وحوّرت حتى أصبحت لا تختلف عن كيزان الصنوبر. وقد تكلنا عن هذه الكيزان فيما سبق عند تحليل عناصر باب تكريت (ص ٧٠).

٦ — الشراشات السفنة^(٥). وقد رأينا أشباها لها في باب متحف بناي (شكل ٦). وهي أيضا من الظواهر لاسانية.

٧ — العنقد ذو الفصوص^(٦). وهو من لظواهر لاسانية الأصل ولتي صادتنا في الباب السابق (ص ٦٨).

(١) Ibid., Pl. 90, a-b.

(٢) Ibid., I, p. 147.

(٣) Ibid., Vol. II, Pl. I-a.

(٤) Survey, IV, Pls. 172 A and D, 173 B.

(٥) Ibid., Pl. 89-a.

(٦) Ibid., Pl. 90-a.

٨ - عن الزخارف على مستويات متفاوتة في الحشوة الواحدة . وتجميع العناصر البنائية فترى بعضها مقعراً والآخر محدباً . وهي ظاهرة هليستية عريقة .

٩ - وأهم تلك تقواهر كلها ذلك التحوير (Stylization) الذي أصاب الزخارف البنائية في الحشوات والنظام الهندسي النصارم الذي خضعت له أوضاع تلك الزخارف من تماثل وتكرار . وهو المذوق الجديد الذي أخذ في النضوج مع مرور الوقت من بعده الاسلام . ووضوح ذلك الذوق في زخارف منبر مسجد القيروان من الأدلة على أنه صنع بعد فجر الاسلام بزمن ليس بالقليل .



وقد حاول ديمان أن ينسب هذا المنبر الى أوائل العصر العباسي، وبالنزات لعصر هارون الرشيد^(١) (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م) ولنا اعتراض على هذا التاريخ هو أن الزخارف البنائية التي في الحشوات قد خضعت، كما قلنا، لتحوير زخرفي كبير بعدها عن الأصول الهلنستية التي كانت سائدة ومحافظة بقوتها في القرنين الأول والثاني من الاسلام وخضعت أيضاً لأوضاع هندسية صامدة فضجت في القرن ٣ هـ (٢٩ م) وكان من أهم أسباب نضوجها الاتجاه الزخرفي القوي الذي ساد بين فتاني وصناع مدينة سامرا . فتطوروا بالأساليب والعناصر الهلنستية الى أساليب وعناصر إسلامية صميعة في فترة لا تزيد على ربع القرن . ويمثل هذا التطور فيما اصططلحنا على تسميته بطرز سامرا : الأول والثاني والثالث^(٢) وهي خاصة بالزخارف الجصية . أما الزخارف في الخشب فلم تتبع في تطور الخطوات التي حدثت في الجص . وأغلب ظننا أنها انتقلت من الطراز الأول إلى الثالث مباشرة^(٣) . وبشجعنا ذلك .

(١) DIMAND : loc. cit., p. 300.

(٢) زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر من ٧٠٠ - ٧١٠ : 286-8 : CRESWELL : II, pp.

(٣) أنظر مقالنا : زخارف وطرز سامرا - مجلة كلية الآداب ديسمبر سنة ١٩٥١ ،

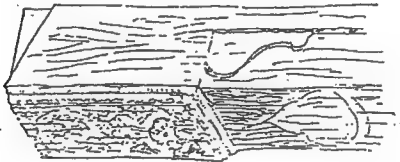
التجوير والنظام الهندسي في زخارف منبر القيروان على القول بأنها تتوازي إلى حد كبير مع التقاليد الإسلامية الجديدة التي نضجت في سامرا. أو بمعنى آخر أنها تعاصرها في الزمن^(١).

ولذا فالتأكد أن أنسب تاريخ لهذا المنبر هو الربع الثاني من القرن ٨٣ هـ (٢٩٠ م) أي قبيل نقله من بغداد إلى القيروان.

• • •

المساب الزخرفية المسموعة في الثامن:

ليس لدينا حتى الآن إلا مجموعة من هذه التحف لا زالت في حالة جيدة. لحسن الحظ وهي موجودة بالمسجد الأنسي بالقدس^(٢).



(شكل ٨)

المسجد الأنسي — موضع الكسوة الخشبية الزخرفية لعوارض في السقف

٧٨٠/٨ ١٦٣ م

Cresswell E.M.A. II, Fig 123.

وهي كسوات لأطراف العوارض الحاملة لسقف البلاطة الوسطى للمسجد وتكون الكسوات من ألواح ثبتت بيوافق أطراف العوارض عند تقاطعها بمخاطي الجانبين (شكل ٨). وتتراوح أطوال الكسوات بين ٩٠، ١٠٠، ١٢٠ متراً. وعرضها بين ٣٥، ٤٠، ٦٠ متراً.

(١) لمحت اعتراض آخر من الناحية الناقية هو أن المنبر في عهد مروان الرشيد معناه أن المنبر قد تم منته ثم انتظر ما يوفق على نصف القرن حتى تم إكمال مكانه في مسجد القيروان. وهو وضع غير منطقي بالنسبة لأن المنبر بُني من قطع الخشبية أو الأبنية التي يصنع ويعرض انتظروا النار يشتره. ومن جهة أخرى فإن الحروف أن المنبر لا تصنع إلا بطلب خاص ومسجد بيت.

CRESSWELL: E.M.A. II, P. 25-27. (٢)

ويمكن تقسيم هذه الكسوات إلى أربعة مجموعات تبعاً لتوزيع الزخرفي العام في كل منها .

والمجموعة الأولى أساس توزيعها هندسي ^(١) إذ ينقسم السطح إلى مناطق بشكل هندسية منتظمة من مثلثات أو معينات أو مبدسات أو دوائر أو أشكال بيضية . ثم تملأ هي والمناطق المحصورة بينها وبين بعضها وبين الأطوار بزخارف نباتية أغلبها ذات أصل هلينستي . وما يستتف النظر أن الخطوط التي تصنع هذه الأشكال الهندسية تتكون من عرقين متلاصقين ^(٢) أو من ثلاثة متلاصقة في باقي النقط . وهي أولى ثلاث ظواهر في هذه الزخارف من أصل بيزنطي (ص ٦٩) : أما الثانية فهي ظاهرة تراكب الخطوط المستقيمة والمقوسة الواحد فوق الآخر عند التقاطع . أما الثالثة فهي الحلقات الرباطة بين الخطوط والأقواس وبعضها .

والمجموعة الثانية ^(٣) أساس زخارفها نباتي من أوراق وحلزونات . ونشترك هذه النقط في وجود زهريات تخرج منها سيقان رئيسية أو فرعية أو أوراق نباتية . كما توجد الزهريات أيضاً في القسم الرابع ^(٤) ذات التصميم المعاري . أما القسم الثالث ^(٥) فهو كالسابق من حيث الزخارف النباتية ولكنها خالية من الزهريات .

والقسم الرابع ^(٦) يمتاز بأن الموضوع الزخرفي في كل منها أساسه فكرة معمارية تلتخص في مليء السطح بشبه حنية مسطحة يتوجها عقد من نوع حدوة القوس يحمله عمودان . ويملاً قوس العقد في أربع حالات ضلوع إشعاعية على هيئة ضلوع الأصداف . أما في الحالة الخامسة فيملأ العقد منطقة دائرية تتوسطها زهرة هندسية من ثمانية فصوص .

ومن الملاحظ أن تيجان الأعمدة كلها تتكون من ورقين كل منها نصف أكاثناس في وضع متقابل . ومطيان للتاج شكلاً بصلياً ينتفخ في أسفله

CRESWELL: If, Pls. 26, e—i; 27, e & g. (١)

Ibid., Pls. 26—g. (٢)

Ibid., Pls. 25, b—e, h; 26, b & d; 27, d. (٣)

Ibid., Pls. 25, a, f, i. 26, f; 27 h. (٤)

Ibid., Pls. 25—g; 26, a & c; 27, a—c, f, i. (٥)

وبضيق قرب أعلاه (شكل ٩). وهو تطور مبسط للتاج تكويرتي الروماني .
أما أبدان الأعمدة فهي من النوع ذي المعى المتلاصقة المبرومة . وهو نوع
معروف في الفن البيزنطي . وقواعد الأعمدة مبسطة كثيرة .

وقد توسع مازيه كثيراً في تحليل زخارف هذه الكوات (١).



(شكل ٩)

المسجد الأقصى

تاج عمود في باطن حارسة صنف

Creswell II: 27 h.

ويمكننا أن نقول عنها بوجه عام أن
الزخارف النباتية من عروق وسيقان
وأوراق عنب وأكائناس وغيرها تمتاز
كلها بحرية ومرونة في حركاتها وصلابة
وثيقة بالألوان الهلينة العريقة اللونية .

ويستلقت نظرنا بعض عناصر وظواهر
له علاقة بتطور الزخارف النباتية الإسلامية .

فمنها مجموعة العناصر من عائلة الكؤوس

المركبة الزخرفية (أشكال ١٠ — ١٤) ونذكرنا بأشياء في الفن الساساني (٢).



(١٠)



(١١)



(١٢)



(١٣)



(١٤)

(أشكال ١٠ — ١٤)

عناصر كؤوس مركبة في عوارض سقف المسجد الأقصى

Creswell, E.M.A., Vol. II, Fig. 163.

CRESWELL, II, pp. 127—137, Figs. 123—142. (١)

Ibid.: Vol. I, Figs. 253—6, 259, etc. (٢)

ومنها مجموعة العناصر التي تتكون من حبيبات يبدأ عددها من اثنين حتى ثمانية وتنتهي في طرفها العلوى بورقة مذبذبة (أشكال ١٥ — ١٧) وبعض هذه الحبيبات لها ثقب في وسطه . ونرى ظاهرة مألوفة في زخارف الأندلس



(١٧)



(١٦)



(١٥)

(أشكال ١٥ — ١٧)

عناصر الحبيبات والأقراص الثقبية

Creswell, II, Fig. 131. & Pl. 25 a.

في الطراز الأموي الغربي وما بعده ^(١) . وأقدم مثل من العناصر ذات الحبيبات في الإسلام يوجد في الكسوات البرونزية لعوارض في قبة الصخرة (شكل ١٨) .

ثم ظاهرة العيون عند تقابل فصوص أوراق العشب : (أشكال ١٩ — ٢١) وانتشرت في عناصر سامرا ^(٢) .



(شكل ١٨)

في كسوات برونزية لعوارض

في قبة الصخرة

Creswell, I, Pl. 25 a.

ومنها مجموعة تمار الرمان البسيطة والمركبة (أشكال ٢٢ — ٢٤) وهو عنصر معروف في الفن الاسلامي ^(٣) وما قبله (ص ٧٧) :

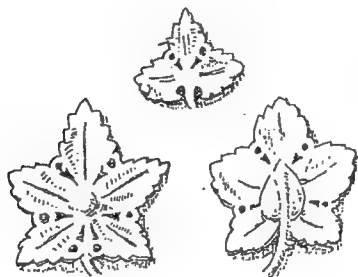
ووجود هذه الظاهرة الساسانية بالإضافة إلى الكؤوس المركبة التي أشرنا

إلى صلتها بالفن الساساني تزعزع قول مارسيه بأن زخارف هذه الكسوات كانت مأخوذة تماماً من النفوذ العراقي .

TERRASSE: L'Art Hér.-Maur. Fig. 12. (١)

(٢) أنظر مثلاً : زخارف وطارز سامرا — مجلة كلية الآداب ، ديسمبر سنة ١٩٥١ . (أشكال ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١

أما تاريخ هذه تكسوات فيغلب على الظن بأنها من أعمال الممدي
في المسجد الأقصى التي تمت في سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) ^(١) . وأعيد وضعهم
في زمن ن ظاهر الناطمي . وقد خالف الأستاذ كريبول في هذا رأى مارسيه
الذي ينسبهم إلى ما قبل نهاية الدولة الأموية . واعتمد مارسيه على قوة



(أشكال ١٩ — ٢١)

البون بين فسوس أوراق الدي

Creswell : E. M. A., Vol. II / Figs. 132, 136.

الأساليب الهلنستية الذي لم يطرّق إليها ضعف أو تدهور . وقد يكون
هذا صحيحاً في أي قطر آخر غير الشام . إذ أن هذه البلاد كانت متفلاً قويا



(أشكال ٢٢ — ٢٤)

عنم الزمان

Creswell, II, Fig. 134.

للتقاليد الهلنستية . وكانت جذورها متفلة فيها وبقيت حية قوية قرون
عديدة حتى أننا نرى عناصر ويميزات منها في العصور الإسلامية الصعبة

CRESWELL, II, p. 122, (t. n. 3. (1)

في الشام ومصر حتى العصر المملوكي ، مما لا يستبعد نفعه وضيع تلك الكسوات
في أواخر العصر العباسي^(١١) بل يرجح وضعها فيه .



الزخارف الزهرية في مصر :

يحفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة^(١٢) مجموعة طيبة من النحت
الخشبية ذوات الزخارف التي تبين بجلاء حلقات متصلة لتطور الطراز الأموي .
الذي يختلف سيرة في مصر عنه في الشام . إذ كانت خطوات التجويز
في الأساليب الهيكلية والبيضية في مصر أسرع كثيرا منها في الشام .
وبرغم احتفاظ العناصر بتفاصيلها وأشكالها وتخطيطها الخارجي فان أسلوب
الخمر والدق العام أخذنا يعدان عن التقاليد القديمة ويتجهان إلى طابع محلي
لابأس ووضوحه وخاصة منذ نهاية القرن ٨٢ (م ٨) حتى وفدت أساليب سامرا
وانشرت في مصر انتشارا واسعا من الربع الأخير من القرن ٨٣ (م ٩) .

فمن أقدم القطع في العصر الأموي خشوة^(١٣) بها زخارف نباتية لها طابع
هيلنستي (لوحة ١/٦) . فلا زالت تحتفظ ببعض من مميزات الصريحة فيها
تجسيم (Modeling) أي تقعر وتحدب في قطاع العناصر وتفاوت المستويات .

(١١) من المعروف أن الفرض الفنية التي تسمى باسم دول أو عصور اسلامية لا تبدأ
بقية تلك الدول أو العصور ولا تنتهي بزوالها . إذ لا يتكون الطراز منها طابع
شخصي وميزات خاصة به إلا بعد فترة تتراوح بين نصف القرن والقرن من بدء قيام
الدولة التي تسمى باسمها ويستمر ذلك الطابع وتلك الميزات فترة — بعد زوال الدولة —
تدول الفترة التي سرت بعد قيام الدولة حتى تتكون ذلك الطراز بطابعه ومميزات الخاصة به .
فلا زالت ميزات وأسلوب وعناصر الطراز الأموي باقية حية إلى أنشوج الطابع
الاسلامي المريح الذي ظهر واضحاً صريحاً في مدينة سامرا أي بعد قيام الدولة العباسية
بما يزيد على ثلاثة أرباع القرن وهكذا .

(١٢) هو الاسم المبدل أخيراً لدار الآثار العربية . وتفتقر هذه الفرصة لشكر حفريات
التي تديرها إدارة هذا المتحف لجلب مآثرهم على حصولنا على صور النحت التي استنتجنا بها
هنا من كميات المتحف وعلى تمكيننا من تصوير النحت الأخرى التي لم يكن لها كيشيات
بالمتحف . ونحس بالذكر حفرة مدير المتحف وحفرة الأمين الاول وحفريات الرملة
من الأماء والمؤلفين .

(١٣) وتم السجل ١٥٤٦٨

• ويتكون الموضوع الزخرفي من زهرية في أسفل المحور الرأسى لمحشوة يخرج منها عرق غليظان يتعدان ويتلاقيان في تقاطع . فيصنعان مرة شكلا دائريا مديبا من طرفيه ، ثم يتلاقيان مرة أخرى فإذا بهما يتدجان في بعضهما في قوس دائري ويصبجان عرقا واحدا . ويكونان في هذه المرة شكلا دائريا آخر مديبا في أسفله . وحركة الاندماج هذه غير مألوفة في الفن الهينسي الأصل . إذ تبعد عن الطبيعة التي كان يحترمها ذلك الفن إلى حد كبير .

ومن الظواهر التي لها أهمية خاصة : ظاهرة انقسام العرق إلى قسمين بشق طويل في محوره . وهي ظاهرة بيزنطية نادرة الظهور في التقطع المنسوبة إلى مصر في العصر الأموي .

أما باقي العناصر من أوراق أشجار بيضية الشكل ومحيطها مسنن وبداخلها عروق نحيل . ومن أوراق عنب خماسية الفصوص ومن عناقيد عنب واضحة الحبيبات فطابها هلنيسي صريح .

وأسلوب ومميزات هذه الزخارف ترجح نسبة القطعة إلى أواخر العصر القبطي وأوائل الأموي . أي إلى القرن الأول الهجري (٧ م) .



وهناك قطعة أخرى ^(١) أغلب الظن أنها كانت مصراع باب ، تتكون من فائمين وأربع عوارض تضم بينها ثلاثة حشوات مستطيلة أتيناً بتفصيل لواحدة منها (لوحة ب / ب) . وتنقسم الحشوة إلى إطار عريض مشطوف يحيط بمنطقة رفيعة طويلة مزخرفة بزخارف نباتية يفصلها عن الاطار المشطوف شريط رفيع من مثلثات كأسنان المنشار . ويحيط بالحشوة إطار خارجي مزخرف ومشطوف بعكس اتجاه الشطف الموجود في الحشوة . وتتكون الزخارف في المنطقة الرفيعة من زهرية أسفل المنطقة في بدنها قنوات رأسية ويحيط بقاعها فصوص نباتية متطورة من الأكانثوس . ويخرج من الزهرية عرق متموج ينبث منه أوراق نباتية ثلاثية الفصوص

(١) رقم الجبل ٤٤٦٨ : انظر PAUTY : Les bois sculptés jusqu'à l'époque
Ayyoubide, Pl. I.

مستنة المحيط وبداخلها عروق نخيلي . ويلاحظ وجود العرق المزدوج الذي صادفناه في النقطه السابقة .

أما الزخارف النباتية في الاطار الخارجى المشطوف فتتكون من عرق متموج يخرج منه فرع ملتو في نهايته ورقة نباتيه بيضيه الشكل تشغل المنطقة بين العرق الرئيسى وحد الاطار .

ومما يستلفت النظر في أسنان المشار التي توجد في الاطارات الرفيعة أنها قد حفرّت في عناية فنية وتجسيم فهي تختلف عن أشرطة الأسنان التي سزاهها فيما بعد في النقط ذات الأسلوب العراقى الموجودة بمتحف الفن الاسلامى . والتي يغلب على أشرطة أسنانها التجرد من التجسيم والمسحة الآلية .

وبشجعنا كل هذا على تأريخها في أواخر القرن الأول وبداية الثانى الهجرى (٧ - ٨ م) .



ومن هذا القليل تجشوة^(١١) (لوحة ٧/١) نحتوى على حيوانين في وضع متقابل ولكل منهما أنفوخة من الشعر خلف رأسه مما يرجح أن المتصور منهما رسم أسدين ولولا هذا الشعر لكان من الصعب الاستدلال على نوعهما فأبْلُوهُمَا ضعيف إلى حد واضح . غير أنه لا زال هناك بقايا من التجسيم وتفاوت المستويات فهما وفى باقى العناصر النباتية التي تحيط بالحيوانين .

كل هذا يجعلنا نرجح وضعها في القرن ٢ هـ (٨ م) .



ومن هذه الفئة أيضاً حشوة مستطيلة^(١٢) (لوحة ٧/ب) . بداخلها معين تمس رؤوسه أضلاع الحشوة بتوسطه قرص دائرى يمس أضلاعه .

(١١) رقم السجل ٤٦٣٠ انظر : PAUTY : op. cit., Pl. II.

(١٢) رقم السجل ٤٦٢٦ انظر : PAUTY : op. cit., Pl. VII.

وفي لوحة ٨ من نفس المجمع قطعة أخرى مشابهة يؤرخها جزئى في القرن ١٨٣ (٨ م) وفي رأينا أن الاثنى نسبتها الى أواخر القرن ٢ هـ (٨ م) - لا-باب التي ترحلتاها في سياق البحث .

وتتلاءم المناطق المحصورة بين المستطيل والمعين والدائرة عناصر من أنصاف
مراوح نخيلية في فحرفها تجسيم . وأوراق عنب ثلاثية في قصورها
تغرق نخيلي .

وفي رأينا أنها ترجع إلى أواخر القرن ٢ (٨ م) وجود بقايا واضحة
من المسحة الهلنستية تتمثل في التجسيم وتفاوت المستويات .
نأتي بعد ذلك لمجموعة من القطع الخشبية تشترك في بعض المميزات
والعناصر المتشابهة .

منها لوح طويل^(١) في وسطه شريط به عرق رفيع متموج يخرج
منه وحدة زخرفية من حلزون تخرج منه ورقة عنب ثلاثية فصوصها
ذو ترقق نخيلي . بجانب كل منها كوز صنوبر . وحولها حلقي صغيرة
ملتبسة . وهذه الوحدة الزخرفية تتكرر بحيث تملأ المناطق المحصورة
بين موجات العرق وجانبى الشريط . ويحف بالشريط على الجانبين شريطان
رفيعان بداخل كل منهما « مسبحة » من حبيبات بيضية الشكل تقريباً يفصل
كل واحدة منها عن الأخرى خطان ، وهو تطور من الزخرفة المسماة بحلية
الحبيبات والأقراص (Bead and Reel)^(٢) . وكانت معروفة في الفنون
اليونانية والرومانية والهلنستية ، أما الزخارف خارج الشريطين فليست
واضحة تماماً .

والقطعة الثانية (لوح ٨ / ١) أساس زخرفتها ذلك العرق المتوج
الذي رأيناه في الشريط الأوسط للقطعة السابقة ولكنه هنا قد اتخذ نموذجاً
متكرراً في أوضاع متباعدة بحيث ينتج مناطق متلاصقة بيضية الشكل أطرافها
مدببة . وبداخل كل منطقة وحدة زخرفية من : ورقى عنب ثلاثية
الفصوص وبها ترقق نخيلي وكوزين صنوبر وورقتين ملتويين . ووضع
كل زوج من هذه العناصر في تماثل تام حول المحور الأوسط للأشكال

(١) رقم السجل ٢٩٧٠ — ووضعها يوتى في القرن السابع وقد ناقشت هذا آثاره

في سياق الحديث وعدلناه . انظر : PAUTY : op. cit., Pl. I .

(٢) FLETCHER : History of Architecture (1921), p. 119 .

البغمية فهي في الحقيقة نفس الوحدة الزخرفية التي رأيناها في القطعة السابقة في وضع مزدوج متماثل .

وهناك قطعتان من هذه الفئة ^(١١) (لوحة ٨/ب ، ج) بأحدهما الوحدة الزخرفية المكونة من الحززون الذي يضم ورقة ثلاثية متعرجة وكوز صنوبر . وهذه القطعة قطاعها محدب . إلا أنه لم يؤثر على أسلوب الحفر فلا زال في مستويين ، والفارق هنا أنهما محبان لامسطحان .

أما القطعة الأخرى ففيها ظاهرة زخرفية هي ثلاث حبيبات منقوبة الوسط — كما في المسجد الأقصى — في نهاية عرق صغير ، كما يوجد بها الورقة الثلاثية المتعرجة داخل حلزون ضاع منه جزء ربما كان في الأصل يحتوي على كوز صنوبر .

وتتفق هذه القطع مع قطع العراق التي شرحناها من قبل في ميزين : (الأولى) الوحدة الزخرفية المكونة من الحززون وبداخله ورقة العنب الثلاثية الفصوص المتعرجة . و (الثانية) أسلوب الحفر المبسط إلى مستويين . وأغلب ظننا أن هذه المجموعة من القطع الخشبية ترجع إلى أواخر القرن ٨٢ هـ (٨٨ م) وأوائل ٨٣ هـ (٨٩ م) .



يشهد وضوح ظاهرة أسلوب الحفر المبسط إلى مستويين في بضعة أشرطة أتينا منها بآتين محفوظين بمتحف الفن الإسلامي في القاهرة ^(١٢) . (لوحة ٩/أ ، ب) . ويظهر في زخارفها ضعف التقاليد المملوكية وازدياد الميل نحو التحيز في العناصر والترصيص الهندسي الجاف .

أما الشريط الثالث (لوحة ٩/ج) فهو محفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك ^(١٣) . وتتكون زخارفه من عنصرين ببادلان الأوضاع أحدهما كوز صنوبر بداخله الحبيبات وعلى جانبيه فصفا ورقة نخيلية . والعنصر

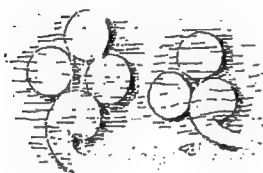
(١١) رقم السجل ٦٨٥٩ / ١ ، أنظر : PAUTY : op. cit., Pl. IV .

(١٢) رقم السجل ٤٦٢٢ ، ٦٢١٦ ، أنظر : PAUTY : op. cit., Pl. I, VI .

(١٣) DIMAND : loc. cit., Fig. 14 and p. 39E . (٢)

الأخر ورقة نحوية ذات خمسة فصوص . وبرغم وجود بعض الحفر المشطوف والتجسيم الخفيف فإن الضمف فيها وانحناء في الأوتباع يضع الشريط مع الشريطين السابقين في أواخر القرن ٢ (٢٨) وأوائل ٣ (٢٩) .
ونسبة الشريط الأخير إلى مصر يجب أن يصحبها الإشارة إلى التأثير الشامي الواضح فيه فهناك أوجه شبه في العناصر والذوق وبين زخارف قبة الصخرة والمشي وقصر الطوبة وعلى الأخص زخارف الأثر الأخير .

ولدينا مجموعة أخرى فيها مميزات مشتركة في أسلوب الحفر والذوق العام والعناصر والتفاصيل .



(شكل ٢٥ : ٢٦)

تقابل من القطعين ١١٥٩٥ و ١١٥٩٦
متحف الفن الإسلامي

منها حشوة مستطيلة (لوحة ١٠) ^(١) في مجورها ساق كأنه جذع شجرة من عرقين متضافرين يخرج من إناه له شكل الزمان وسبق أن رأينا مثل هذا الساق المتضافر في حشوة من حشوات مشير القيروان ^(٢) وفي كسوة معدنية في قبة الصخرة ^(٣) .

وبهذا في هذا الموضع الطواهر الآتية :

(أ) الحزونات للتلاصقه والتي تلبت من بعضها وبداخل كل - ون ورقة عنب مخامية الفصوص . وهي الوحدة التي تغطي الخرج المزخرف كله تقريبا .

(ب) اعلاق الذي ينتهي بالنواء حوله أقراص في توزيع متساوي إما ثلاثيا أو رباعيا (أشكال ٢٥ : ٢٦) . والأول منه -

(١) رقم السجل ١١٥٩٥ ولم تنشر قبل الآن .

CRESWELL : II. Pl. ٩٥-C. (١)

III. I. Pl. ٩٤, Fig. 2١٧. (٢)

يشبه عنصرا في خشب عوارض سقف مسجد "الأقصى"
(شكل ١١٥).

(ج) اقتصار الخشبة على مستويين : المرتفع لتعانيم الزخرفية والمنخفض
لأرضيتها .

ويمكن نسبة هذه القطعة إلى أواخر القرن الثاني الهجري (٨م)
وأوائل القرن ٤٣ (٩م) .

وأسلوب هذه القطعة يتفق إلى حد كبير مع أساليب قطع خشبية أخرى
بمتحف الفن الإسلامي وفي جامع عمرو بن العاص بالنسقاط .
ومن أم هذه أنقطع لوح من الخشب (لوحة ١١) "١١" .



(شكل ٢٧)
عنصر كاشي في قطعة خشب
(لوحة ١١)

وتتكون زخارف هذا اللوح من سرتين
مبتلئين في الحجم والشكل فكل منهن مائة
فصوص من أنصاف دوائر وتصلان بحلقة
رابطة يبعضها وتصلان بإطار الخشوة
من أعلا ومن أسفل بتصني حلقات رابطة
وملئت السرة العليا بزخارف نباتية
تتكون من جذع أوسط من ثلاثة سيقان
يلتوي الجانبين ويخرج منهما في كل جانب
حلزونان يتوازيان مع فصين من فصوص

السرة وبداخل كل حلزون ورقة غيب خماسية الفصوص . أما الساق
الأوسط فيحمل عنصراً كاشياً ذا سبلتين يعلوه عنصر كاشي آخر
(شكل ٢٧) له فص أوسط برعوى الشكل وعلى جانبيه سبلتان تنتهيان

(١١) متحف الفن الإسلامي رقم ١١٥٩٦ وقد اكتشفنا عند قيامت بتصوير هذا اللوح
أن بظايره زخارف هندسية محفورة في خطوط ودوائر ولكنها في حلة متحركة .
ويبدو لنا أن هذه الزخارف كانت جزءاً من زخارف في ألواح أخرى تتكون مع بعضها
موضوفاً زخرفياً كاملاً داخل عقد . رأسيه لا يدخل في نطاق هذه المقالة ونرجو
أن نورد لدراسات في مقالة أخرى . على أننا نرجو بمن يريد من حضرات العلماء
أن يسبقنا مشكوراً إلى دراسته .

بالتوازي في طرفيهما . أما الحرة السفلى فتتوسطها دائرة بداخلها وريدة سداسية المصوص وحول الدائرة ستة أنوارس تنبت عند تقاطعها أوراق عنب خماسية المصوص كما تنتشر بين الزخارف عناصر من أنصاف أوراق نخيلية ومخاليق .

وبستلقت نظرنا أن زخارف هذا اللوح تتميز بثلاث ظواهر التي رأيناها في اللوح السابق وهي : (١) أوراق العنب الخماسية ، (٢) المخاليق ذات الأقراص المتصقة بها ، (٣) أسلوب المستويين في الحفر .

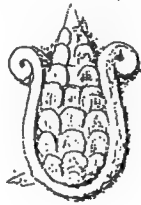
وزخارف هذا اللوح كان لها أهمية أثرية خاصة عند الأستاذ كريستول . فقد اعتمد على بعض عناصرها ومشابهتها لزخارف في قصرى المشتى والطوبة في تدعيم رأى له هو أن صناعات المثلثات (A.C + D.L) في واجهة قصر



(شكل ٢٦)

من نبيسا في قبة المعز

Grevel : I. Pl. 9-a



(شكل ٢٨)

عنصر كاسي من قصر المشتى

Grevel : E. M. A. h. Pl. 78-b.

المشتى كانوا من جماعتين من الأقباط . وخالف بذلك قول الأستاذ هيرزفيلد بأن إحدى الجماعتين كانت من الشاميين والأخرى من الأقباط (١) .

وقد أشار إلى أربعة قط تشابه بين زخارف اللوح وبين زخارف المشتى منها : المنصر لكاسي الذي ذكرناه من قبل (شكل ٢٧) إذ يشبه في توزيع بلامه عنصرا في قصر الطوبة (٢) . وآخر في قصر المشتى (شكل ٢٨)

GREVEL : I. p. 36 (١)

E. M. A. h. Pl. 78-b.

والحق أنه قد صادفنا كثير من هذه الأشكال ذوي الوضع الخاص في زخارف قبة الصخرة (٧٢، ٦٩١، ٦٩٢) في السيفاء والكسوات المدنية (أشكال ٢٩، ٣٠). ثم في عنصر آخر محفوظ في طبق من النضة ينسب إلى عصر ما بعد الساساني (شكل ٣١). بل نراه في أمثلة من قبة العصر الإسلامي في غطاء تابوت من العصر الروماني^(١). وكما نراه منتشرا في الزخارف الساسانية^(٢).



(شكل ٣١)

في طبق من النضة من عصر ما بعد الساساني
Smirnow ; Pl. LXX—126.



(شكل ٣٠)

من كسوات بوز في قبة الصخرة
Cresswell ; I. Pl. 25—c.

ونلاحظ في الأمثلة السابقة أن أقربها إلى النمط المصري وعنصر المشي هو عنصر قبة الصخرة (شكل ٣٠) لولا أن الالتواء لم يكمل إلى دائرة. وهذه الدائرة ما هي في الحقيقة إلا تطور من التواء النهاية العليا لقصوص الأكانثاس. وبمكنتنا رؤية إحدى مراحل تطورها بوضوح في الأطراف العليا لأوراق ناجي العمودين للعقد في كسوات عواض سقف المسجد الأقصى (شكل ٩). وزاها تامة التطور في تاج عمود آخر في خربة المفجر (شكل ٣٢)^(٣).

وكل هذا يشجع على الظن بأن ذلك الشكل ليس له موطن خاص في قطر معين من أقطار الشرق الأوسط.

[Ibid : Fig. 17. (١)]

Survey LA Fig. 116 A ; SMIRNOW, II. XVI. (٢)

Quarterly of Department of Antiquities of Palestine, Vol. VI, Pl. XLV. 2. (٣)

بدرجتي نقط التقاط بين المشق وقطعة الخشب، المراد أن المشق يكون كالي
 منهما من ستة فصوص، ونلاحظ مرة أخرى أن هذه المرر المنصبة ذوات
 الستة والثمانية فصوص قد استعملت بتوسع كبير في زخارف الفسيفساء
 في قبة الصخرة. نشر منها الأستاذ كريسول صوراً كثيرة لها في نفس الكتاب^(١١)
 بل نرى منها أنواعاً ذوى أربعة فصوص في الزخارف البيزنطية في رافنا^(١٢)
 فصلها بدوائر أخرى حلقات رابطة كما في المشق وفي هذا اللوح. وفي ثالث
 نقطة تشابه أشار إليها الأستاذ كريسول.



أما النقطة الرابعة الأخيرة فهي الزريدة
 في بؤرة المنطقة السفلى المستديرة وفي مركزها
 قرص صغير مستدير. وفي لا تخرج عن أن
 تكون تصرفاً هندسياً، لكن حدوثه في أي
 من الفنون. ولدينا مثل هذه الزريدة في إحدى
 قطع سقف المسجد الأقصى وقصص الزريدة
 مسننة وفي وسطها قرص كروي صغير^(١٣). نلاحظ عود في خربة النجر (٢٨٠)
 فهي إذن سند ضعيف لا يصح الاستناد عليه.

وإنه فليس لهذا اللوح تلك الأهمية الأثرية الكبيرة التي منحها الأستاذ
 كريسول له. وخاصة أن أسلوب الزخارف والحفر في هذا اللوح قريب جداً
 من أسلوب الزخارف والحفر في أثار خربية مبنية في جدران جامع عمرو بن
 لعاص في الجزء الذي لا زال قائماً من أعمال عبد الله بن طاهر (٢١٢/٨١٧)
 — كما نرى بعد — مما يرجح نسبة هذا اللوح إلى أول القرن ٨٣ (٢٩)
 أي بعد تاريخ المشق بنصف قرن، لا إلى العصر لبقطي كما يفهم من وصف
 الأستاذ كريسول له. ونذهب إلى أكثر من هذا فنقول إنه إذا كان هناك
 تأثير من أحد الطرفين على الآخر، فالأرجح أن يكون التأثير آتياً من الشام
 إلى مصر لا العكس.

وقبل أن نتوك موضوع صلة زخارف المشق بزخارف القبطية نشير إلى سند آخر ذكره الأستاذ كريبول وهو التشابه بين العقود المتقاطعة المنحورة في مجموعة من الألواح الخشبية المزخرفة بنسج الفن الإسلامي^(١١) والتي تنسب إلى القرن ٣ هـ (٩ م) (ص ٩٩) وبين الدوائر المتقاطعة في المثلث C، من واجهة المشق^(١٢). والفاوق هنا كبير واضح فذلك عقود وهذه دوائر، لها أصول تكاد تطابقها في الفن البيزنطي في إيطاليا^(١٣).

فكل هذه الزخارف والظواهر كانت منتشرة في فنون وبقاع مختلفة ولم يقتصر وجودها على بقعة واحدة بالذات.

وهما يكن من الأمر فنحن لا نتفق مع الأساتذة كريبول وهرتزفيلد في استنتاج وتحديد جنسية الصانع الذين قاموا بعمل تلك الزخارف بأن أكثرتهم كانت من الأقباط استناداً إلى ظواهر زخرفية صغيرة أو من الأقباط والنامين. ومن التعالى أن يزيد الأستاذ كريبول في أهمية الظواهر القبطية هنا يشير إشارة عابرة^(١٤) إلى وجود نقود فارسي أو عراقي ولم يعطه الأهمية التي يستحقها.

ونجد من الانصاف القول بأن زخارف واجهة قصر المشق مجتمعة قام بها صناع من الإقطار المختلفة التي دخلت تحت حكم المسلمين وخاصة الشام والعراق وفارس. وأغلب ظننا أنه كان يشرف عليهم كبير أو رئيس لهم من الشام. إذ نلصق في تلك الزخارف دراية واسعة بالحفر في الحجر بما فيه من تجسيم وتفاوت مستويات وظلال متدرجة لطيفة تنبئ بإمكان كبير من الأسلوب الملبستي القوي الذي أضفى على تلك العناصر والأساليب المختلفة فجعل لها مظهراً تام الوحدة والانسجام.

• •

CRESWELL: I, p. 388. Figs. 485-6. (١١)

Ibid: Pl. 65. (١٢)

SPELTZ: op. cit. Pl. 57-1. (١٣)

CRESWELL: I, p. 389. (١٤)

ويعود إلى القطعة الخشبية التي كنا بصدد ما كنسبها إلى أوائل القرن ١٣ هـ
(٢٩) لأشترأكم في محرات وعناصر مع أفاريز جامع عمرو بن العاص التالية
(٢٨٢٢/٢٨٢٢).

نأتي بعد ذلك إلى الأفاريز والحليات الخشبية المثبتة في الجدران من الداخل
وبين العمود في جامع عمرو بن العاص والتي لا زالت بقايا منها في الركن الغربي
من المسجد والذي ينسب إلى أعمال عبد الله بن طاهر^(١) (لوحة ١٢).

تتكون هذه الزخارف من ثلاثة أجزاء : العلوى منها حلية بها صف
من أوراق أكانت مصطفة بجانب بعضها . وتطرق إلى هذه الأوراق تطور
واضح . فقد ظهر فيها الميل إلى التبسيط في تجسيمها وتحويل في التواء الطرف
العلوى . ونلس فيها بوجه عام بعداً واضحاً عن أصولها المثلثية .

ووضع أسفل الحلية العليا شريط رفيع حفر فيه زخارف لعلها حلية
لييفة والسهم (Egg & Dart) الكلاسيكية . ولكن التطور والتحويل
الذي أصابها كاد أن يفقد اتصالها بأصلها . فقد اختفى قطاعها الذي كان يتكون
من ربع الدائرة واختفى تجسيم السهم والليفة والاطر الليفي حولها
وحفرت هنا في مستو منسط فوق مستو آخر قليل الغور هو الأرضية .
ومن الملاحظ أن هذا الشريط الرفيع كان يلف أيضاً حول عقود الفتحات
ولا زان بعضه موجوداً في الحائط^(٢) .

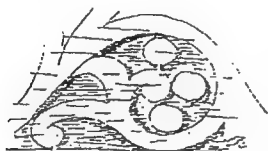
وأفضل الشريط الرفيع السابق إفريز أعرض منه لا زالت بقايا منه تلتف
حول الحائط من الداخل وفي جوانب الفتحات وعلى العوارض الرابطة
لعمود الفتحات . وقد ثبت في منسوب يعزو مباشرة الأعمدة القائمة عند زوايا
الفتحات وتحمل للعمود .

وتتكون زخارف الإفريز من عرق متموج يمرس الحائتين العليا والسفلى
وتتخلل المناطق المحصورة بين لعرق والحائتين وخذنان زخرفتان مكررتان
بالتبادل . فاحداها تتشأ من حزون دائري يخرج من لعرق بداخله أربعة

CRESWELL: E. V. A. Vol. II, Pl. 40, 41, 42.

120, Pl. 43, 44.

أوراق ثلاثية تقصوص تنابع بعضهم في حركة دائرية حول قرص في مركز الدائرة وهي ظهرة حليبية لينة أثبتت في لندن ليزنطي وفي قطع خشبية من العراق (شكل ٧) وفي المسجد الأقصى (١١) ثم ينسحب إلى المنطقة المذكورة ان يلمس



(شكل ٣٣)

عنصر من أنفريز خشن يجمع مرمر بن الناس
(لوحة ١٢)

كمنها بورقة نصف نخيلية في طرف منه حلزوني أو التواء صغير كاتفرص حوله ثلاثة أقراص أخرى من نفس الحجم تقريباً (شكل ٣٣) أما الوحدة الثانية فتتكون من حلزون دائري آخر تملأ ورقة غيب خماسية ويكمل باقي المنطقة نصفاً

المروحة النخيلية التي شرحناها في الوحدة السابقة ونفس الأقراص حول المحاليتين .

ونلاحظ إذن جملة ظواهر مشتركة بين هذه الأشرطة وبين القطع من السابقة : منها الاقتصاد على مسووين . ومنها التخطيط الخارجي لورقة الغيب الخماسية . ثم الالتواء الذي تتوزع حوله الأقراص .

وفي مسجد عمرو أيضاً أخشاب ذات زخارف محفورة في رواق القبلة (لوحة ١٣) وهي الخليات في الرسادات فوق تيجان ثلاثة من الأعمدة بجانب الجدار الجنوبي الغربي . وهي تتكون من حلبة عليها نصف في أوراها أكائاس متلاصقة أكثر تحويراً من التي رأيناها فوق الأباريز السابقة . إذ لم يبق منها هنا إلا ضلوع في توزيع نخيلي على جانبي ساق غليظة ووطى فوقها كتلة كروية هي بقايا التواء النص العلوي المتدلى وتمت هذه الحلبة شريط تملأ زخرفة من أنصاف مراوح نخيلية تخرج الواحدة من فصوص السابقة لها في حركة موجية تتكون منها مناطق تدهطها . وحدتان زخرفيتان بالتبادل . إحداهما ورقة غيب خماسية والثانية ثلاث ورقات متلاصقة

في حركة دائرية أى من نوع الزخرف التى تدور فيه الأوراق المنتشرة من الأكتاف مع بعضها كما رأينا فى الأفرز السابق . ولكنها هنا أكثر تطورا وتغويرا . إذ تلاصقت الأوراق فلم تترك أرضية ما . واختزلت وصوص كل ورقة فى قوس واحد ليتحد مع الجانب المنفوس للورقة التالية وهكذا . ونلاحظ فى أسلوب الحفر أن قطاعه محدب يشبه كثيرا قطاع العناصر فى طراز سامرا الثالث .

وبرغم هذا التغوير الكبير فى الزخارف فهى تعاصر الزخارف السابقة وبناء هذا الجزء من الجامع أى (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) .

وقد لاحظنا فى نفس الجدار الجنوبي الغربي لرواق القبلة فى البلاطة الثانية من جهة الصحن قطعتين مدفونتين فى الحائط على ارتفاع مترين تقريبا من الأرض واحدة بطول ٠,٧٠ مترا والأخرى طولها ١,٦٠ مترا وسكن الواحدة ٦ سم .

وفى الجانب الظاهر من كل شريط زخرفى (لوحة ١٤ / أ) يكون من أنصاف مراح نجيلية تخرج من بعضها فى أوضاع متعاكسة وأسلوب الحفر منبسط فى مستويين . ويبدو لنا أن القطعتين أدخلتا فى الجدار لتقويته . ولكن أسلوب الحفر والزخارف لا يعيدان عن النظم السابقة فى المسجد ويمكن نسبها إلى نفس العصر .



وتمتحن الفن الاسلامى قطعة من الخشب ^(١) (لوحة ١٤ / ب) . تتميز بأسلوب يشبه كثيرا أسلوب الأفرز الحائطية فى جامع عمرو بن العاص (لوحة ١٢) . ففيها العرق المتعرج والحزونات التى بداخلها ورقة العنب الثمالية . واكتما هنا ترى فى داخلها فصا يتوسطها ولكن فى تجسيم ضئيل وهو تطور الأوراق التى بداخلها كزان صنوبر أو عنقيد عنب أو حبيبات الخ . وهى فكرة معروفة فى الفنون الملبستية والبريطانية الخ . ولدينا منها

(١) رقم السجل ٨٩٤٦ — أنظر : PAGTY : op. cit, Pl. III, p. 6.

أهلة في كسوات عوارض سقف المسجد الأقصى . كما زى عنصراً
يتكون من فص أوسط على جانبيه قرصان وبشبه تماثلاً عنصراً في كسوات
المسجد الأقصى (شكل ١٥) .

ويمكننا أن نقسب هذا اللوح إلى أوائل القرن ٣ هـ (٢٩ م) .



ومن الجذع الخشبية التي تسترعى النظر بمتحف الفن الاسلامي لوح
من الخشب^(١) (لوحة ١٥) . تتكون زخارفه من عرقين رقيقين يتقاطعان
فيصنعان مناطق متتالية بيضية الشكل ومدببة الطرفين بداخلها حلزونات
تدعى بأوراق عنب نخاسية القصص بداخل بعضها فص داخلي كما في القطعة
السابقة ، وأهمية هذه النقطه تأتي من وجود عناصر حيوانات تنتشر
بين الزخارف النباتية ونرى أحد الحيوانات كأنه حصان مجنح . والحيوانات
المنحجرة موضوع معروف في الفنون الساسانية والفارسية^(٢) والعراقية القديمة .
وقد رأينا منها بعض العناصر في زخارف قصر المشتى^(٣) . وقد اقتبس
هذا الموضوع في الفن المسيحي والبيزنطي . وصادفنا منها عناصر في الفن
الفاطمي^(٤) .

ويمكن ضم هذه القطعة إلى مجموعة أفانيز جامع عمرو بن العاص
التي نؤرخ في أوائل القرن ٣ هـ (٢٩ م) لاشتراكها معها في بعض الظواهر
الزخرفية مثل :

(١) الاقتصاد على مستويين .

(ب) الحلزونات التي بداخلها أوراق العنب الخاسية .

(ج) عنصر اخلاق المتعقبة أقراص .

(١) رقم المتحف ٤٦٣٥ ، لم تنشر من قبل .

SARRE: Die Kunst des Alten Persien, Taf. 40, 41, 94, 95, 92, 99, 102. (٢)

CRESWELL: E.M.A. I, Pls. 67, 68, etc (٣)

PAUTY: Bois sculptés d'Églises coptes (Époque Fatimide), Pls. IX, 2, 3, (٤)

ونرى تصحيحاً خطئاً وقع فيه يوتى أن نشر إلى أن السمات والظواهر
السابقة تجتمع في قطعة بالمتحف (رقم ٤٧١٩) نسبها يوتى إلى القرنين ٥، ٦ هـ
(١١: ١٢ م) ^(١) بينما تعاصر المجموعه السابقه وينجب نسبتها إلى أوائل القرن
٥٣ (٩ م) .

وهناك فئة من الأخشاب الزخرفية بها بقايا من أوراق الأكائس ^(٢)
التي أصابها كثير من التجوهر (لوحة ١٦/أ، ب) . وخضعت لتكرار
هندسي صارم مع ضعف كبير في الحفر والتفاصيل . فأحداها تتوالى الوحدة
الزخرفية في أسطرحة في تناوب ، والأخرى تتكرر في نظام إشعاعي داخل
مسدس منتظم عند كل ضلع منه صليب معقوف . وهو من الزخارف المنتشرة
في الفن الساساني ثم في الفن الإسلامي وقد عثر على أمثلة منه مغمورة في الجص
في خرائب القسطنطينية .

وأغلب ظننا أن هذه القطع ترجع إلى القرن ٥٣ هـ (٩ م) .

نأتى بعد ذلك لمجموعة من الأخشاب ^(٣) تشترك في أن سطحها قد تثر
عليه معينات دقيقة غائرة في شطف . منها لوح عريض ضاع منه جزء
في وسطه وبقيت منه الشريحتان العليا والسفلى ^(٤) . وكان اللوح
في الأصل مقسماً إلى ثلاثة أسطرحة تحدها وتفصلها عن بعضها أربعة
خطوط من أسنان المنشار ، سبق أن رأيناها في قطع تنسب إلى العراق
(لوحة ٣) ومنبر القيروان .

والشريط العلوى ضيق به كتابة كوفية من بسملة وبداية سورة
الإخلاص . والشريط الأسفل يماثل العلوى في العرض وتلاه المعينات

(١) PAUTY: Bois Pl. LXVIII.

(٢) يورخها يوتى في القرن ٢ هـ (٨ م) أنظر Ibid: Pls. IV, V.

(٣) Ibid: Pls. VII/8945, VIII/853, IX/6852.

(٤) Ibid, Pl. VII/6834

إلى أشرنا إليها ، أما الشريط الأوسط فعريض يحتوى على منطقة مربعة على جانبها عقود متداخلة في بعضها . وفي وسط المنطقة المربعة دائرة داخلها أخرى وبينهما شريط مقوس يوازي الدائرتين من كتابة كوفية يمكن إكمالها فنقرأ « فيمكنكمهم الله » . وأغلب الظن أن الدائرة الداخلية كانت تحيط بشكل هندسي مفصص بأربعة أقواس داخلها أربعة أوراق ثلاثية القصوص في توزيع صليبي . ويمكن استنتاج كل هذا من دائرة مماثلة في قطعة أخرى بالحشب (رقم ٦٨٥٢)^(١) .

وننسب هذه القطع إلى النصف الأول من القرن ٣ هـ (٩ م) .



ويحفظ فتحف الثمن الاسلامي بحفنين من الحشب (لوحة ١٧/أ ، ب) بهما زخارف محفوظة تتميزان بعناصر وأسلوب ساساني واضح .

فالأولى منهما لوح طويل^(٢) ينقسم إلى ثلاثة أشرطة : العلوى والسفلى ضيقان ويحتويان على بسملة ومعظم آية الكرسي بالحط الكوفي . ويذهما شريط عريض ينقسم إلى سبعة مناطق مربعة الشكل تقريبا : منها اثنتان في الطرفين عملاهما أمواج رأسية تتكون من أنصاف مراوح تحيلية تخرج من بعضها في نظام متعاكس بالتبادل . ورتبت الأمواج في أوضاع متناظرة متقابلة ومتدايرة .. وهناك ثلاث مناطق اثنتان بجانب اليافتين والثالثة في محور اللوح .

والنوع الآخر في هذه المناطق الثلاثة يتكون من عنصر مجنح بهلوانيائين كالتقرنين بهلواني فـ وسط يحمل فوقه عنصرا مستديرا . وحول هذه لعناصر زخارف من عروق متموجة وحلزونات تتخللها أوراق ثلاثية ذوات تعرق تخيلي وأوراق بيضبة الشكل ومحاليق صغيرة (شكل ٣٤) ونلاحظ في العنصر المجنح والقرون تجسبا خفيفا بفتح ظلللا لطيفة الدرج .

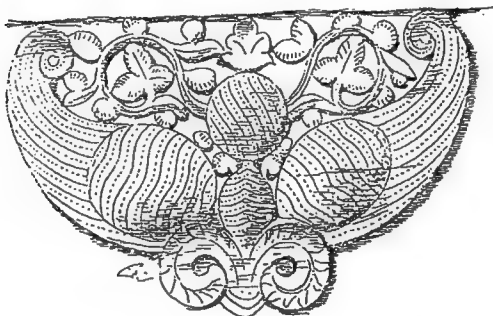
(١) المرجع السابق لوحة ٩

(٢) رقم ٢٤٦٢ — انظر المرجع السابق لوحة ٩ ، ذكرى محمد حسن : فنون الاسلام ،

س ٤٤٥ شكل ٢٧٠

وبين الثلاث مناطق سابقة منعقتان متاهلتان بداخل كل منهما عند
مفصص وفي محور العقد ساق بعلمه فص كنعان اترش . ويغلب على اثنين
بأن المقصود منها هو شجرة الحياة وعلى جانبها حلزونات وأوراق ثلاثية
أو من أنواع أخرى تملأ ما بداخل العقد والكوشات الخارجية .

وبنصل بين هذه المناطق أشرطة ضيقة رأسية منها اثنان على جانبي
المنطقة الوسطى . وفي كل من هذين الشريطين نجد سلسلة من صلبان
متلاصقة . وهي ظاهرة زخرفية رأيناها في قطع من العراق (لوحات ١/٣ : ب ،
١/٥ ، ب) ، (ص ٧٢ — ٧٤) .



(شكل ٣٤ منظر جانبي ، لوحة ١/١٧)

والحق أن هذه القطعة تتميز بيزات وثيقة الصلة بمشيلات لها في تحف
العراق وأغلب الظن أنها قد صنعت بالعراق واستوردت منه .
وهي تعاصر القطع العراقية التي أُرختها في أواخر القرن ٢ هـ (٨ م)
وأوائل ٣ هـ (٩ م) .

أما القطعة الثانية ^(١) (لوحة ١/١٧ ب) . فقد انكسر منها أجزاء
كثيرة فلا أن الباقى منها لا زال يساعدنا على معرفة أسلوبها ولعل أهم ما فيها

(١) رقم ١١٥٦ ولم تنشر قبل الآن .

بقايا الجزء العلوي من جناح تملأ ورقة نصف نخيلية وقرص بداخله وريدة من ثمانية فصوص في مركزها دائرة صغيرة . ويدور أن هذا القرص كان في محور العنصر الجناحي . وعلى يمين الجزء الجناحي نرى خطوطاً متعرجة متلاصقة لاشك أنها بقايا العصاة الطائرة التي رأيناها كاملة في قطعة عراقية سابقة (لوحة ٣/ب) .

وفي المنطقة اليمنى زخارف من أشكال بيضبة مدببة الطرفين في تلاصق وتوزيع هندسي منتظم : بداخلها صف من الأوراق الثلاثية بالتبادل مع صف من المراوح النخيلية الخماسية القصوى .

ومن المحتمل أن تكون هذه القطعة عراقية الصنع ولكن الأرجح أن تكون قد صنعت على أساس الأسلوب العراقي الذي رأينا مثلاً أصيلاً في القطعة العراقية (لوحة ٣/ب) إذ يتقص القطعة المصرية طابع الدقة والأناقة التي زارها في العراقية .

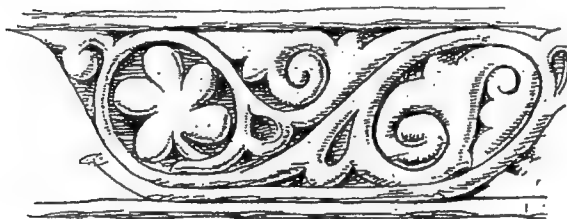
من القطع الهامة بمتحف الفن الإسلامي لوح مؤرخ في ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م)^(١) به ثلاثة أسطر بالكتابة الكوفية وفي طرفيه سرتان مستديرتان (لوحة ١٨/أ ، ب) في اليمنى منهما رسم حيوان قد يكون غزالة حولها بضعة عناصر نباتية حفرت هي والغزالة في محور وضعف ملحوظين على مستويين . أما في السرة اليسرى حفرت فيها نجمة خماسية وملئت المناطق بعناصر نباتية . ومن الملاحظ أن هذه الزخارف كلها لازالت تحتفظ بالطابع والأسلوب الأموي برغم ضعفه . وهذا كله في تاريخ يأتي بعد بناء جامع ابن طولون الذي كان بناؤه بمثابة نقطة تحول إلى الأسلوب العباسي الذي نشأ ونضج في سامرا وانتشر منها في أقطار الشرق الإسلامي كله . وأصبحت له السيادة وخاصة في مصر منذ أواخر القرن ٣ هـ (٩ م) حتى أوائل القرن ٤ هـ (١١ م) ووجود الزخارف الأموية السابقة في نهاية القرن ٣ هـ (٩ م) دليل على أن أسلوب

(١) رقم ٩٠٤ — أنظر بروتق لوحة ٤ ، ص ٢٩ ، إذ قرأها ٢٨٦ هـ بينما قرأها كرمب ٢٨٩ — أنظر Repertoire

سامرا لم ينسخ، أو يقضى عليها . وهو دليل على بقاء رواسب من الأساليب
الهلينسية والمسيحية متأسكة لم تتحلل تماما حتى أصبح لها أن تنفد وتنشط
مرة أخرى في القرن ٥ هـ (١١ م) كما سيأتي عند دراسة الطراز القاطمي .
وقد دعنا هذه الملاحظة الى البحث عن أمثلة أخرى تكون حلقات تصل
بين الأساليب الأموية الواضحة في القرن ٣ هـ (٩ م) وبين سلاسلها المختلطة
بالأسلوب السامري وعناصره بعد المزج بينهما في القرن ٥ هـ (١١ م) .



وقد عثرنا في دير أبي مقاربوادي النطرون^(١) على باب المنصورة في كنيسة
الغبراء (لوحة ١٩)^(٢) إذ يشكو الباب من جملة قطع ضمت إلى بعضها
من عصور بعد القرن ١٣ م . والذي يعننا منه هو الحاجز الثابت الذي يكون
إطارا يتقدم الباب .



(شكل ٣٥)

كنيسة الغبراء في دير أبي مقاربوادي النطرون
وعارف باب المنصورة (أوائل القرن ١٠ م)

والجزء العلوي من الحاجز يشكو من عقد « حدود الفرس » الذي يوجد
في جامع ابن طولون في شكل مدب يحيط به إطار من قوائم على جانبي المدد
وفي أعلاه ، تكون مع العوارض حشوات مربعة ، وزخرفت القوائم

E. WHITE: Monasteries of Wadi-Natrun, Part III: The Architecture and (١)
Archæology, N.Y. 1933.
Ibid.: Pl. 18 A. (٢)

والعوارض بأشرطة من عروق متموجة وأوراق نصف نخيلية مضغوطة ومتلاصقة مع بعضها وتتخللها في الأشرطة العريضة حلزونات بداخلها أوراق عتب خماسية القصوى . فهي تجمع بين عناصر أموية وذوق عباسي (شكل ٣٥) . ونذكرنا بأفاريز جامع عمرو مع زيادة في التطور فيها .

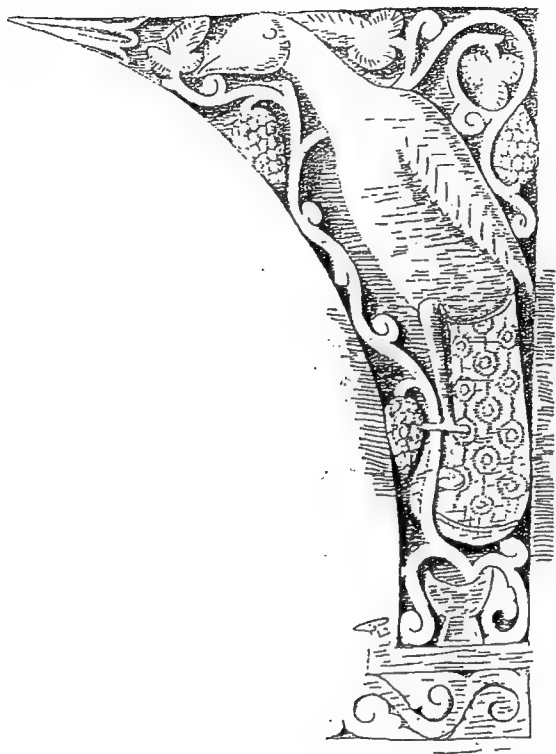
وزخارف كل من كوشى العتد (Spandrel) (شكل ٣٦) تتكون من طاووس ريملاً المنطقة ويحيط به زخارف نباتية من عروق العتب وأوراقه ذوات الثلاثة فصوص وكيزان الصنوبر . وينبت العرق الرئيسى من إناه في قاع المنطقة .

وينسب رابت هذه الزخارف والعتب المفرغ فوقها إلى القرن ١٢ م . أو إلى العصر الأيوبي ^(١) . إذ يشير إلى صلة الشبه بين هذا العتب المفرغ وبين زخارف مفرغة في أعلا محراب السيدة رقا وأخرى مفرغة أصلها من الإمام الشافعى . أما زخارف الطاووس والزخارف النباتية فيشير إلى صلة الشبه بينها وبين زخارف حجاب الست باربارا الفاطمى ^(٢) . وهو قد يكون صحيحاً فيما يختص بمنصر الطائر والأوراق وكيزان الصنوبر إلا أن هناك فروقاً واضحة في العروق الرقيقة فليست في غلط العروق المزودة في حجاب الست باربارا ولعل أهم اختلاف هو وجود العناصر الإسلامية السارية بعد تطورها وإمبراجها بما ارتد إليه النشاط والحيوية مرة أخرى من عناصر وأساليب هندية . وهو ما نشاهده في العناصر النباتية والحيوانية في حجاب الست باربارا . بينما يمتاز الطاووس في حجاب دير أنى بمقار بجفاف ظاهر وضعف الحيوية وهو المنتظر وجوده في العصر الطولونى حتى قيام الأساليب الفاطمية القوية . مثل هذه الأساليب الأموية الذى لم يدخلها أى أسلوب أو عناصر جديدة لا يمكن أن نضعها في القرن ١٢ م . فالصلوات الفنية لم تكن مقطوعة بين هذه الأديرة وبين باقى القطر بل كانت قائمة قوية .

وكل هذا يشجعنا على نسبة هذا الحجاب إلى أوائل القرن ٤ هـ (١٠ م)

^(١) Ibid, p. 64.

^(٢) كان هذا الحجاب ينسب إلى بداية العصر الفاطمى أى إلى نهاية القرن ١٠ م ولما عودته إلى هذا التاريخ لمتحججه إلى الربع الثانى من القرن ١٢ م .



(شكل ٢٦)

دير أبي مذر — كنيسة العذراء
زخرف باب القصور (أوائل القرن ١٠ م)

وفي هيكل بنيامين في القدس الكثير باب مكشوف من حشوات ذوات زخارف هندسية (لوحة ٢٠) محفورة في عتق كبد أساسها حلية الصليب المعقوف وحلية (انفروكة) ^(١١). أما الرؤوس والعمائر حول الحشوات فقد حفر فيها أشربة من زخارف نباتية من عروق متسوجة تخرج منها أوراق نصف تخيلية وحزونات بداخلها أوراق ثلاثية (شكل ٣٧) وكلها تتبادل وعناصر أموية لاشك فيها ؛ وأسلوب المنحرف على مستويين يتميز بالطابع الأموي في إحدى حلقات تطوره ولم يطرئ إلى هذه للميزات الأموية أية بشائر من طراز أو أسلوب إسلامي صريح. وتأريخ وايت له في القرن ١٢ م. بني على أساس تاريخي ولم يستعن بأي أساس فني تحليلية.



(شكل ٣٧)

وايت : أدوية وادي الطرون دير آبي مفار (لوحة ٢١)
٩ — ١٠ م قبل الفطمي

وفي رأينا أن هذا الباب يعاصر الحجاب الخشبي في كنيسته العذراء الذي ذكرناه آنفاً أي يؤرخ في أوائل القرن ٤ هـ (١٠ م).

الزخرفة بالنقش في العصر الأموي :

من أساليب زخرفة الخشب في العصر الأموي أسلوب النظم بقطع تتفاوت أحجامها وأشكالها من سن القليل والعظام وأنواع الخشب المختلفة توضع بجانب بعضها بلصقتها على سطح الخشب كالألواح صناعة الفسيفساء الزجاجية

(١١) هي حلية هندسية باب على الظن أنها ابتكار إسلامي انتشر استعمالها في الزخارف الإسلامية وقد يكون أصلها هو الحلية اليونانية الهندية التي يشكون منها أشربة طويلة . FRET BAND

والخرفية . وأحيانا ناصق تلك النظم وترتب الترتيب الزخرفي المطلوب ويترك بينها فراغ عملا بالمعجون الملون بالون المختار ، وهناك نوع آخر هو حفر أمكنة في الخشب بالأشكال الزخرفية المطلوبة ونزل فيها قطع من المواد السابقة مشكلة حسب تلك الأشكال الزخرفية ونزل في أمكنتها قسلا ما تيسر .

وتوجد من هذه الأنواع من الأساليب قطع في متحف الفن الاسلامي في القاهرة .

فأحدها (لوحة ٢١) قطعة كبيرة من الخشب زخرفت بطريقة التسيغما . تنوسطها منطقة مربعة لها إطار عريض حول مربع تملأه منطقة مستديرة تنوسطها دائرة من العظام قسمت الى نصفين بكل منهما زخارف من حلزونات وأوراق عنب خماسية القصوص . وحول الدائرة اطارات دائرية من قطع مربعة أو طويلة . وملئت الكوشات بين الدائرة وأضلاع المربع بأنصاف أوراق نجيلة من العظام . وقسم الاطار الكبير حول المنطقة الدائرية الى أربعة مربعات في الأركان وبينها مستطيلات . وقسمت المربعات والمستطيلات الى مربعات ومثلثات داخلية بتواصل مائة بزاوية مقدارها ٤٥° . وفي طرفي كل مستطيل مثلث من العظام بداخله حلزون تملأه ورقة عنب خماسية .

وعلى كل من جانبي المنطقة المربعة الكبيرة مساحة في أعلاها وأسفلها شريطان ضيقان بينهما شريط عريض صفت فيه عقود متتالية تحملها أعمدة لها تيجان مستديرة من العظام . وملئت الكوشات فوقها بزخرفة تتكون من زهرة من العظام تخرج منها أنصاف أوراق نجيلة في نظام هندسي تكون شبه ميثاق أو مناطق بيضية مدببة الحواف .

أما باقي الأشرطة والسطحات داخل المربعات ولعقود وغيرها فقد زخرفت بخطوط مائة من مربعات دقيقة من لعظم أو العاج وتتقاطع الخطوط مكونة مربعات ضيقة أو واسعة ملئت بتقطع مربعة دقيقة من خشب .

وتنسب هذه النقعة المنخفضة بمتحف لندن الاسلامي وأخرى مشابهة لها كانت موجودة بمتحف الدولة ببرلين إلى القرن ٣ هـ (٩ م) ^(١).

وبمتحف لندن الاسلامي قطع مفككة يغلب على انظر أنها كانت أجزاء من قطع من الأثاث.

تتكون احداهما (لوحة ٢٢) ^(٢) من قوائم وعوارض رابطة تحصر بينها حشوات مربعة ومستطيلة وعلى شكل زاوية قائمة أو مجرى. وحول كل حشوة إطار من خط رفيع من العظام. ولا زال بالحشوات من النوعين الأخيرين زخارف مفرغة في ألواح رقيقة من العظام ثبتت على حشوات من الخشب. وبغلب على ظننا أن الفراغات بين تلك الزخارف كانت ملوثة بعجينة تملأ تلك الفراغات حتى يتساوى سطحها مع سطح زخارف ألواح العظام. وقد تركت هذه العجينة مع الوقت فتركت فجوات في مكانها.

أما الزخارف نفسها فتتكون من حلزونات تخرج منها أوراق نصف نخيلية في هيئة «مطوطة» وتلمسك مع بعضها. والطابع العام لهذه الزخارف يبدو ضعيفاً إذا قورن بالتقاليد الملبستية الأصلية التي تنحدر منها أمثال تلك الزخارف.

وعلى القائمين الرئيسيين في الجناحين وعلى العارضة العليا كتابات كوفية حفرت أمكنة لحروفها وأزلت فيها قطع من العظام سقطت أجزاء منها فجعلت قراءة بعضها متعذراً.

ويمكن نسبتها إلى أواخر القرن ٣ هـ (٩ م) وأوائل ٤ هـ (١٠ م).

أما القطعة الثانية (لوحة ٢٣) ^(٣) فهي تشبه السابقة من حيث الشكل العام وتختلف عنها في تقسيم الحشوات إذ تنوسطها منطقة كبيرة مربعة

(١) ذكر محمد حسن: الفن الاسلامي في مصر، لوحة ٣٤

(٢) رقم السجل ١٣١١٧

(٣) رقم السجل ٩٧٥٠

على جانبها حشواتان مستطيلتان وتحت هذه الحشوات صف أفقي من حشوات
مربعة ومستطيلة .

وزخرف الثعالبان الجانيان والعارضة العليا بكتابات كوفية غليظة مزهرة ملئت أرضيتها بزخارف من عروق وحلزونات وأنصاف نخيلية. وجميع الزخارف والخروف من العظام فرغ ما حولها وعلى بعجينة يتساوى سطحها مع سطح الزخارف. وزخرفت باقي التوائم والعوارض بوحداث زخرفية مكررة من أنصاف نخيلية في أوضاع متائلة حول محور أو وسط ما عدا العارضة السفلى فقد زخرفت بعروق متموج تخرج منه أوراق جناحية من النوع المجوف القاع وهو نوع عرف بعد بناء جامع ابن طولون وانتشار عناصره^(١) : وكل هذه الزخارف فرغ ما حولها في أرواح العظام وملئت الفراغات بالعجينة السائلة المذكور.

أما الحشوات الكبيرة فيبدو أنها كانت منخرفة بأدراج أو قطع رقيقة من العظام بطريقة التفريغ والمعجزة ولم يبق من الزخارف إلا البقايا الواضحة في الصورة . ويترعى نظرننا أربع قطع من العظام في الجزء الأسفل من الحشوة المربعة الكبيرة منها قطعتان تشبهان إلى حد كبير تيجان الأعمدة في القطعة الخشبية لنباقية الزخرفة بالتقسيما من الحشوب والعظام (لوحة ٢١) ولكنها في وضع مقلوب . أما التلطعتان الباقيتان فيشبهان كثيراً الزهرينات فوق تلك الأعمدة في نفس القطعة ومن المحتمل أن تكون هذه لقطع الأربعة قد انتزعت من لوح مشابه منخرف بالتقسيما وألصقت هنا .

ويمكن نسبة هذه القطعة إلى عصر القطعة السابقة أى أواخر القرن
٥٣ (م٩) وأوائل القرن ٥٤ (م١٠).

● ● ●

بقي أسلوب آخر في زخرفة الأخشاب هو أسلوب التلويح على الحشب
جنا منه بتلويح محفوخين يصحف لثن الإسلامي .

(١١) انظر مثلاً: زخارف وطرز سمرقند — مجلة بحوث الآداب، ديسمبر سنة ١٩٩١

فهناك لوح مرسوم عليه شريط بالألوان من وحدة زخرفية مكررة من سمكة في أوضاع متناوبة في تدابير وتفاصيل (لوحة ٢٤) (١١) . ونحت هذا الشريط آخر رفيع مزخرف بالتزيين أيضا . ويتكون زخارفه من خطوط متعرجة عمودية على حافتي الشريط .

أما عنصر اسمك فهو موضوع مأثور في الفن النسخي . والخطوط للتعرجة المتتابعة في الشريط الرفيع تتل زخرفة عصاة أوراق الزيتون المتراكبة المثلثية الأصل .

وينسب هذا اللوح الى القرن الأول الهجري (٧-١٠م) .

* * *

أما المثل الآخر (لوحة ٢٥/١ ، ب ، ج ، د) (١٢) فهو لوح خطوي كان أصله في الغالب مثبتا في سقف فوق العوارض . وهو مزخرف بمناطق مربعة مزخرفة بالألوان وبين المربعات فواصل عارية من الألوان هي أمكنة التصاق اللوح بالعوارض . وبداخل المربعات دوائر تملأها موضوعات زخرفية مختلفة ضاعت معالم بعضها وبقي واضح منها ثلاثة مربعات أحدها (لوحة ٢٥/ب) بداخله ثلاثة دوائر متلاصقة ككرات البليارد ويقلب على ظننا أنها تمثل نوعا من التاكة . وثانيهما (لوحة ٢٥/ج) بداخله طائر يحترق ذيله محيط الدائرة . وثالثهما (لوحة ٢٥/د) بداخل دائرة سمكتان ملتصقتان في وضع عكسي . وبرغم عوامل التلف الذي أصابت هذه الزخارف فلا زال بعض الألوان محتفظا بروقه فزى ألوانا برتقالية في أرضيات المربعات وصفراء في أرضيات الدوائر ورسمت العناصر بخطوط وألوان سوداء وخضراء داكنة وحمرات فاتحة . ومجموعة هذه العناصر والألوان تذكرنا بموضوعات قطع النسيج التي تنسب إلى العصر القبطي وفترة الانتقال الإسلامية .

ويمكن نسبة هذا اللوح إلى نفس عصر اللوح السابق أى في القرن الأول الهجري (٧م) .

(١١) رقم السجل ٩٤٩٤ — أنظر : FAUTY : op. cit. Pl. A. p. 3.

(١٢) رقم السجل ٩٩٧٠ وإيفشر قبل الآن .

ولعل أغرب أساليب زخرفة الأخشاب ذلك النوع الذى استعمل فيه
 أشرطة من الجلد تلتصق فى التواءات وانحناءات لتكون الوحدات الزخرفية
 المتكررة من حلزونات وأحجية وأشكال تخطيطية وغيرها . ويوجد منه بعض
 النسخ بمتحف الفن الإسلامى ^(١) . ويوجد فى قطعة منها إطارات بداخلها
 حروف كوفية ليس من السهل قراءتها أو إدراك معناها .

ولا ندرى إن كانت الأشرطة الجلدية هى المادة الوحيدة المستعملة
 فى هذه الزخرفية أم كانت هناك مواد أخرى بجانبها تكمل القطعة الزخرفية .

كما أنه من الصعب معرفة الغرض الذى كانت تستعمل فيه مثل هذه
 القطع المزخرفة بهذا الأسلوب الغريب الفريد فى نوعه .

(١) زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر لوحة ٣٠

المراجع

زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر — القاهرة ١٩٣٥

زكى محمد حسن : فنون الاسلام — القاهرة ١٩٤٦

CRESWELL: K.A.C. Early Muslim Architecture. Vol. I, Umayyad
Oxford 1932.

Vol. II, Umayyad Spain, Abbasid and Tulunid, Oxford 1940.

DIMAND (M): Studies in Islamic Ornament, in Ars Islamica,
Vol. IV, pp. 293-337, 62 Figs. n.y. 1937.

PAUTY (E.): Sur une porte en bois sculptée provenant de Bagdad
(B.I.F.A.O., t. XXX, pp. 77-81, 6 Pls.) 1939.

Flem: Bois sculptées jusqu'à Peque Ayyoubika. Le Caire. 1931.

WHITE (E.): Monasteries of the Wadi'n Natrun, part III, The
Architecture and Archaeology. New York, 1933.

نقد الكتب

Ernst Kühnel: The Textile Museum. Catalogue
of Dated Tiraz Fabrics (Washington, D. C.
National Publishing Company, 1952)

للككتور زكى محمد حسن

ظهر في عالم التأليف في الفنون الإسلامية كتاب جديد للأستاذ الدكتور
أرنست كونل (Professor Ernst Kühnel)، وهو عالم غنى عن التعريف،
فقد كان إلى عهد قريب مديراً للقسم الإسلامي من متاحف الدولة في برلين
وأستاذاً متقدماً للفنون الإسلامية في جامعة برلين. وهو اليوم عميد المشتغلين
بالآثار الإسلامية في العالم كله وليس منهم إلا من أقاد من علمه الغزير
في هذا الميدان.

وقد قسم الدكتور كونل وقته الثمين في السنين الأخيرة بين التدريس
في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول أستاذاً زائراً والعمل بمتحف المنسوجات
في واشنطن، وهو المتحف الذي أنشأه الزئى الأمريكى الكبير جورج مايرز
(George Hewitt Myers).

والكتاب الذى نحن بصدد اليوم تمريره هذا العمل الجليل في متحف
المنسوجات بوشنجن.

وقد عرض الدكتور كونل في هذا الدليل العالمى الدقيق لمجموعة كبيرة
من المنسوجات الإسلامية ذات الكتابات التاريخية، عبر عليها في مصر ولا سيما
في أطلال مدينة الفسطاط وبعض مدن الوجه القبلى. وهى في معظم الأحيان
أجزاء من أكفان الموتى في تلك المناطق.

وفي متحف أنعم الإسلامى بالقاهرة وبعض المتاحف الأخرى في أنحاء
العالم مجموعات من المنسوجات الإسلامية ذات الكتابات، ولكن أتيح لمجموعة

متحف المنسوجات في واشنطن أن تكون أولى المجموعات التي تظهر بمثل هذه الدراسة التي تحدث عنها اليوم . وأتضمن هذه المجموعة نحو أربعائة قطعة لم يدرس الدكتور كونل في هذا الدليل إلا ما كان منها ذا كتابة تاريخية تحدد العصر الذي يرجع إليه .

ومن هذه المنسوجات قطع مصنوعة من الكتان وأخرى من القطن وغيرها من اللحم (الحرير والقطن) . ومنها عدد قليل مصنوع من الصوف . وزخارف هذه التحف منسوجة من الحرير في معظم الأحيان .

ويذهب أستاذنا الدكتور كونل إلى أن المنسوجات الكتانية وحدها هي التي يمكن الجزم بنسبتها إلى مصر ، أما المنسوجات التي تشتمل على القطن فالراجح أنها من صناعة العراق أو إيران أو اليمن ، والعثور عليها في مصر إنما يؤدي ما نعرفه من أن المنسوجات القطنية واللحم كانت في مصر البعثة في ديار الأبلان كلها . بينما نرى في العصر القاطم أن التبادل التجاري بين مصر والعراق لم يكن مزدهراً ولذا ذاعت في مصر المنسوجات المحلية المصنوعة من الكتان .

والملاحظ أن المنسوجات ذات الكتابات تسمى منسوجات الطراز . ولتقظ طراز مشتق من الفارسية « ترانيدن » و « تران » بمعنى التطريز وعمل النسيج ، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو السلطان ورجال الحاشية ولا سيما إذا كان فيها شيء من التطريز وعليها أشرطة من الكتابة . واتسع مدلول هذا اللفظ حتى انتهى في العربية والفارسية بالدلالة على المصنع والمكان الذي تصنع فيه هذه المنسوجات .

ونظام الطراز في العصر الإسلامي متصل إلى حد كبير بنوع من الاحتكار الحكومي لصناعة المنسوجات . وقد كانت مصانع النسيج شبه الحكومية معروفة في العصر البيزنطي ومنشرة في أنحاء الامبراطورية البيزنطية ، والراجح أن الخلفاء الأمويين اتخذوها منذ البداية سيلاً لسد حاجاتهم . ونشأ في الإسلام طراز الخاتمة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة والأئمة التي كان يحملها

على كبار رجال الدولة وأغواء حاشيته وطرائق العامة الذي كان يشتغل بفضل
عن هذا بإنتاج المنسوجات الملزمة للشعب .

وقد عني الخلق والأمرء بكتابة أسمائهم على الأقمشة لتجديدهم ودليل
على أنها صنعت في عصرهم وثيقة أن خلعت عليه ، تدل بنوعها على درجته
ووظيفته وتشير إلى رضا الأمير عنه . كما كانت الكتان على الطراز تشتمل
على بعض عبارات الأدعية وكثيراً ما كان يذكر فيها اسم المدينة التي فيها
الطرار واسم الوزير وصاحب المخرج وناظر الطراز .

ولا ريب في أن الدكتور كوتن أصاب في كتابه الجديد أبعد حدود
التوفيق واستطاع أن يعصف قطع المنسوجات وصفاً دقيقاً وأن يصل
إلى مميزات المنسوجات في كل منطقة من مناطق النسيج في الدلتا ومصر العليا
وإلى لطابع الذي كان للمنسوجات في كل عصر من العصور الأموية والعباسية
والطولونية وفاطمية . وكانت قراءته لكتابات الأثرية دقيقة إلى أبعد حد .
وقد نقلها نقلاً أميناً بما تضمنته من أخطاء أو حذف أو زيادة .

وأضاف الدكتور كوتن إلى دراسته الطيبة للمنسوجات الأثرية بيانات
وافية عن مصانع طراز وعن المنسوجات المعروفة في المتاحف المختلفة والمنسوبة
نسبة يقينية إلى المصانع المذكورة .

وقد ذيّل هذا الكتاب بنفسه بقسم كتبه الآنسة لويزا بيلنجر
(Louisa Bellinger) عن تحليل فني للمنسوجات التي درست في لكتاب ،
ولا ريب في أن هذا التحليل الثني بشأناً كبيراً في الوصول إلى الحقائق لعنة
وللتاريخية عن هذه المنسوجات .

وصفوة نقول أن هذا الكتاب الجديد مثال يحذى في دراسة المنسوجات
ذات لكتابات لتاريخية وعمل علمي جليل يضاف إلى الآثار الطيبة لأستاذنا
الدكتور كوتن ويسجل فضل ثري الأمريكي جورج مايرز صاحب الفضل
في إنشاء هذا المتحف الخاص وتأليف هذه المجموعة الثمينة من لحف
الاسلامية في واشنطن .

تم طبع هذه المجلة بمطبعة جامعة قزوين الأول
في ٦ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٢ هـ
الموافق ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ م

محمد زكي خليل

محرر مطبعة جامعة قزوين الأول

Foad I University Press
11-1952-560 ex.

L'auteur explique, dans un chapitre à données techniques, les erreurs dans les tables des niveaux du Nil, erreurs dues aussi bien aux changements dans les méthodes de lecture (cinq depuis 622 jusqu'à 1887, consignées dans un diagramme, pl. XXXIX ; lire "ordonnées" au lieu de "coordonnées", p. 109), qu'au décalage dû aux changements de calendriers (année agricole égyptienne, année musulmane, calendrier grégorien).

Dans les Annexes l'auteur publie divers passages de manuscrits, tant arabes que latins, anglais ou français, concernant les nilomètres. Notons aussi la note extrêmement intéressante sur fonctionnaire en charge du Nilomètre. La charge, retirée aux Chrétiens par El-Mutawakkil, revint en apanage à la famille d'Ibn Abil Raddād. Le "crieur" public devait chaque jour annoncer, pas toujours exactement d'ailleurs (p. 123), le niveau de la crue (p. 169). Peut-être pourrait-on retrouver ces deux charges dans l'administration pharaonique ? Cette excellente étude est illustrée par un choix abondant de diagrammes et photos. On aurait peut-être préféré pouvoir lire sur chaque planche sa légende explicative et consulter une table des matières donnant les titre exacts des chapitres.

L'ouvrage sera considéré comme un modèle du genre, à suivre dans l'étude des nilomètres de l'antiquité pharaonique et gréco-romaine.

Le Nilomètre consiste, comme celui de Kem-el-Gizeh, en un puits au centre duquel s'élève une colonne octogonale (8,855 m. de haut) en marbre en deux tronçons raccordés, placés sur une ancienne meule en granit et couronnés d'un chapiteau moderne de style corinthien (La colonne, p. 29-57). L'auteur a pu établir, lors de la restauration de 1938, que les inscriptions au haut de chaque division de la longueur d'une coudée (540 mm., p. 49), prouvent que la colonne commence au bas avec la quatrième coudée et se termine au haut avec la dix-neuvième (p. 46). C'est donc bien une inondation minima de 16 coudées que le nilomètre devait annoncer, comme à l'époque des anciens. Le beau chapiteau corinthien (62,7 cm. de haut), peint, probablement une pièce de remploi (p. 51), a disparu avant 1822 (p. 54).

La construction du puits à trois étages, qui date de onze siècles, n'a pas bougé (Le puits et ses alentours, p. 58-80). L'aménagement des trois canaux souterrains faisant communiquer le puits avec le bras Est du Nil, intéressera les techniciens (p. 71, pl. XXX). On notera la méthode employée pour renforcer la maçonnerie au moyen de colonnes en marbre engagées horizontalement, méthode semblable à celle des murailles d'Alexandrie (p. 70, n.4). Des divers escaliers qui descendaient au fleuve le plus intéressant est celui dit de Moïse, parce que la tradition rapporte qu'il y avait été exposé: la remarque de Jomard que cet escalier avait pu servir de Nilomètre semble devoir être retenue (p. 76-77). La date de sa construction est inconnue.

C'est aux abords du Nilomètre que furent découverts près de 800 blocs antiques, dont 250 avec inscriptions hiéroglyphiques, des blocs gréco-romains et des fragments de sculpture copte (p. 79).

L'auteur attire l'attention sur la méprise résultant de la forme pyramidale de l'extérieur de la coupole du Nilomètre, méprise qui a amené certains auteurs, traducteurs et commentateurs de Shakespeare (Antoine et Cléopâtre, acte II, scène 7), à y voir la grande pyramide de Gizeh (La coupole, p. 81-88).

KAMEL OSMAN GHALEB PACHA

Le Mikyâs ou Nilomètre de l'île de Rodah

*Mémoires de l'Institut d'Égypte, Tome Cinquante-quatre,
Le Caire, 1951, 182 p., XLVI pl.*

PAR

Dr. ALEXANDRE BADAWY

Cet ouvrage continue la tradition de probité scientifique depuis longtemps établie par les savants de l'Institut d'Égypte. C'est une mise au point des différents problèmes ayant trait au monument historique qu'est le Mikyâs de l'île de Rodah. Doté de copieuses notes, il constitue une source d'informations de premier plan pour tous ceux qui s'intéressent à l'histoire, à la construction ou même à l'archéologie du Nilomètre. Car l'auteur joint à sa science d'ingénieur, une connaissance toute particulière de l'histoire et il n'a pas craint de citer dans son exposé toutes sortes de notes historiques ou même pittoresques qui pourraient servir à étayer et à illustrer ses thèses.

C'est ainsi qu'il est maintenant établi que la construction du "Nouveau Nilomètre" (Mikyâs el Gedid), d'après l'étude du rapport de Ahmed ibn Muhammed Al-Hâcib, connu aussi sous l'ethnique d'El-Farghâny, est due à celui-ci, en exécution des ordres du khalife Al-Mutawakkil, en l'an 247 de l'Hégire. C'est le seul qui subsiste des trois nilomètres de l'île (Les Nilomètres de l'île de Rodah, p. 1-19).

Il semble que ce fut Ahmed ibn Touloun qui substitua, en 259/873, des textes coraniques aux inscriptions profanes, sur les parois du puits, Ouest et Sud, pour y établir ainsi un talisman (Les Inscriptions, p. 20-28).

d'amour, reçu par Horus dans sa main, trop choquant pour le goût d'un milieu très pieux, est remplacé par des bracelets et anneaux que la servante noire du père met au poignet et aux doigts de la fille. Celle-ci, frappée d'horreur, se coupe les mains.

Dans le conte égyptien, c'est la déesse Isis, correspondant à la négresse de la version grecque qui se charge de l'opération et jette la main coupée dans l'eau. Nous trouvons en regard les mains de l'héroïne du conte de l'île de Cos plongées dans du goudron, *alias* dans la mer.

La reconstitution des mains coupées de la fille se fait après un certain laps de temps et en rapport avec ses deux fils qu'elle porte dans une double sacoche posée sur son épaule. Dans le prototype égyptien, la cure a lieu immédiatement après la mutilation, mais le motif des enfants, tout de même, ne manque pas. Il y est question d'un seul fils, sortant sous forme de disque d'or de la tête de Seth, partenaire pervers d'Horus. Tant le disque que Seth se laissent reconnaître dans l'ermite, accueillant la fille dans sa caverne et lui donnant deux merveilleuse baguettes, une pour chacun de ses fils, etc.

Il est à remarquer, en guise de conclusion, que l'ancien thème égyptien de la main coupée est allé beaucoup plus loin que les fées en bordure de l'Asie Mineure. Nous le retrouvons dans les contes arabes de la "Femme aux bras coupés" (Nuits 347-8) et du "Jeune Homme aux doigts coupés" (Nuits 27-28), dans la légende de St. Jean le Damascène (attribuée plus tard à St. Jean Chrisostome); dans plusieurs recueils de miracles de Notre Dame (très populaires au Moyen-âge), etc.

On en découvre les traces jusque dans les contes de Hauff ("La main coupée") et de Gérard de Nerval ("La main enchantée").

En somme, les contes de l'île de Cos sont des exemples, bien reconnaissables, parmi tant d'autres, témoignant du vaste rayonnement des œuvres folkloriques de l'Égypte ancienne.

prêtre. Serait-ce là une réminiscence d'Osiris, enfermé dans un tamaris et retiré de là par une femme (Isis) ? Oui, à en juger d'après le fait que la fille-homme "à l'apparence de St. *Enouphrios*" (< *En-nûr*, épithète d'Osiris) et que le "prêtre" a pu remplacer le "dieu".

Mais est-ce que cela écarte tout contact phénicien et la parenté d'Adonis qui, lui, naît comme la fille d'un arbre ?

En définitive, le syncrétisme pourrait rapprocher les deux points de vue en suggérant de voir le prototype du conte de la "Fille dans le laurier" dans la légende d'Osiris-Adonis, de l'époque hellénistique. Sans nous prononcer définitivement sur cette question, il nous semble dès maintenant que le conte en question pourrait intéresser, sous tel ou tel titre, les étudiants de la légende égypto-phénicienne d'Osiris, rapporté par Plutarque dans *De Iside*. Et c'est pour cette raison que nous le signalons ici à leur intention.

"La Fille aux mains coupées"

Il y a enfin cette autre preuve de la présence d'anciens thèmes égyptiens dans le folklore du Dodécanèse, qui nous est fournie par les contes apparentés de la "Fille aux mains coupées" et de la "Méchante maraine" ⁽¹⁾. Comme dans le cas de la "Fille dans le laurier", le nouveau thème n'est pas parvenu directement au milieu grec, mais a dû faire un long détour.

C'est un épisode des rivalités d'Horus et Seth (*Papyrus Chester Beatty I*) qui se fait reconnaître dans les deux contes de l'île de Cos. La main d'Horus est coupée par sa mère, après qu'elle fut contaminée par suite d'une union contraire à la nature. Après quoi elle est remplacée par une autre toute saine. Les contes grecs substituent à l'oncle pervers (Seth) et au neveu (Horus) un père voulant se marier à tout prix avec sa fille. Le "gage"

(1) R. M. DAWKINS, *op. cit.*, Nos. 9 et 37.

œuvres folkloriques, et cela, tout simplement, à cause de leur ancienneté. Or le fait qu'un conte se trouve fixé dans un rouleau de papyrus, des milliers d'années avant un autre, ne prouve aucunement que le premier soit l'original. Il n'y a pour s'en rendre compte qu'à voir de près le conte de la Fille de Rü, tout en le comparant au mythe d'Amatérasu-oho-kamé. Ce dernier, bien que beaucoup plus récent, donne une version combien plus complète et cohérente. Dans le conte égyptien, certaines choses de première importance sont à peine ébauchées ou manquent d'explication adéquate. A commencer par la cause de la fuite de l'héroïne (enlèvement de la boucle de cheveux), la raison de sa réclusion volontaire dans la tour, le désir du Pharaon de la voir venir en Egypte, etc. A tout cela la version de l'Extrême-Orient apporte des éclaircissements précieux et nous fait entrevoir quelque chose de plus important que la peur de jeune fille ou la lasciveté d'un despote.

Une fois plus cela nous prouve l'utilité de la méthode comparée, libérée de toute entrave et de circonspection à outrance.

Nous le disons à l'adresse de ceux qui ne tiennent suffisamment compte des équivalences et n'admettent que des parallèles portant la même estampille.

VLADIMIR VIKENTIEV

Le Caire, 12-11-1951

ADDENDA

"La fille dans le laurier"

Une autre pierre de touche, tant qu'il s'agit de l'influence du folklore nilotique, serait le conte de la "Fille dans le laurier", lui aussi provenant du Dodécánèse⁽¹⁾.

Il y est question d'une fille sortant de l'intérieur d'un laurier et y rentrant, une nuit après une autre. Ayant quitté définitivement sa cachette, elle se présente en homme et porte l'habit de

(1) R. M. DAWKINS, *op. cit.*, No. 16.

Le conte grec-arménien, que nous venons de présenter au lecteur, vient ainsi grossir la liste, déjà considérable, des œuvres folkloriques, témoignant du vaste rayonnement du thème de la Fille Solaire et de son compagnon subissant tous les deux une pénible épreuve avant leur apo théose.

Cette fois-ci, il s'agit d'un conte apparent du Proche-Orient (Dodécanèse et Arménie). Rappelons à cet effet que nous avons retrouvé précédemment des versions combien plus éloignées de la Vallée du Nil. Nous n'avons qu'à nommer le "Conte d'Inouvaïla'ou" des Iles Trobriand⁽¹⁾, en Mélanésie, et le mythe de la Grande Divinité Solaire "Amatérasu-obo-kamé", au Japon⁽²⁾.

Malgré la très grande distance et toutes sortes d'interpolations et d'adaptations locales, nous y relevons la même présentation des faits essentiels, tantôt en clair (membre viril), tantôt sous forme symbolique de "glaive". L'"armé invincible" y figure au même titre que dans le conte arménien de "Zoulvisia". Et chose importante, tout doute à propos de l'équivalence de la forme claire et symbolique se trouve dissipé, dès que nous la confrontons avec le mythe chintoïste. Ce dernier nous apprend en effet que l'héroïne, correspondant à la Fille de Râ et à la Toute Belle et comme elles de provenance céleste, conçoit et met au monde des enfants en machant les fragments du glaive de son partenaire, le violent dieu de la foudre Sosaïovo (cf. la Toute Belle issue de la Foudre Silencieuse).

La mise en regard avec le mythe de l'Extrême-Orient nous donne une leçon autrement importante. Elle nous suggère d'être prudent en supposant qu'une version donnée est originale, ou peu s'en faut, de tel ou tel thème. Il y a, notamment, une tendance de voir dans les contes égyptiens des aïeux d'autres

(1) B. MALINOVSKY. *La vie sexuelle des australiens du nord-ouest de la Mélanésie*, Paris, 1930, p. 389-393; et le texte de poire conférence sur les "Deux Frères", dans la *Revue des Conf. franç. en Orient*, déc. 1930.

(2) LÉON DE ROSEY. *La bible japonaise*.

Version A

Le membre du héros une fois tranché par lui, il perd toute sa force

11. Le glaive est jeté dans l'eau et avalé par un grand poisson

11. Le membre viril de Bata est jeté dans l'eau et avalé par un siliure

Version B (jusqu'à la fin)

Le cœur de Bata est mis dans un bol rempli d'eau

12. Plus tard le glaive est retiré de l'eau (des entrailles du poisson) et remis au prince, celui-ci revient à lui

12. Après que le cœur de Bata lui fut rapporté dans un bol plein d'eau et qu'il l'eût avalé, il revient à la vie

13. La Toute Belle est reçue dans la résidence royale avec des transports de joie et le roi lui fait part de son intention de la prendre pour femme

13. La Fille de Râ est reçue en Égypte avec des transports de joie, et le Pharaon en fait sa Grande Favorite

14. Le prince est transporté assis sur les épaules de la Foudre (alias, dans son intérieur) dans la résidence du roi

14. Le héros sous forme de Taureau sacré au pelage luisant est amené dans la résidence par son frère assis sur son dos

15. La reine-mère attaque sauvagement la vieille qui avait amené la Toute Belle chez le roi

15. La Favorite royale met à mort son ancien époux, deux fois de suite

16. Le prince se fait reconnaître par son père (le roi) en lui parlant de l'intérieur de la Foudre

16. Bata se fait reconnaître par la Fille de Râ en lui parlant sous sa nouvelle apparence de Taureau sacré

17. Le roi abdique en faveur du héros (d'après "Zoulvisia", le héros monte sur le trône après la mort du roi)

17. Le roi nomme Bata prince-héritier, et celui-ci monte sur le trône après sa mort

V.B.—Le versions, grecque et arménienne, passent sous silence la transformation du héros en arbre et sa mise à mort sous cette forme, à moins qu'il n'y ait une faible réminiscence dans la poursuite par la reine-mère de la vieille, à qui elle verse du vin sur la tête, et dans le mat dont une servante couvre la victime.

2. Le héros enroule le cheveu et soumet la fille en appliquant la pointe de son glaive à son cou

2. Bata demande impérieusement à la femme de lui donner du grain. Elle l'autorise d'en prendre tant qu'il veut, après quoi elle lui propose de passer une hebre ensemble

Version B.

3. Ayant soumis la fille, le prince habite avec elle en toute félicité dans sa tour

3. Ayant reçu de la main des dieux pour compagne la Fille de Râ, Bata habite avec elle dans sa tour en toute félicité

4. La nature de la fille est double. Elle est pieuse et, en même temps, elle fait montre d'une cruauté inouïe

4. La nature de la fille est double. Bien que débutant en tant que paisible compagne du héros, après être créée par les dieux, elle trahit plus tard son époux et par trois fois le met à mort

5. Le héros tient secret la source de sa force invincible, immanente à son glaive

5. Le héros tient secret l'endroit où se trouve caché son cœur qui le rend invincible

6. Le portrait de la Tonte Bellé (alias, son cheveu d'or) est enlevé par un tourbillon (alias, par un cours d'eau) et parvient à la résidence royale

6. Une boucle de cheveux de la Fille de Râ est enlevée par un torrent qui la jette dans un cours d'eau d'où elle parvient à la résidence royale

7. Le portrait, ou le cheveu, est apporté au roi et celui-ci tombe amoureux de la Tonte Belle

7. La boucle des cheveux est apportée au Pharaon et celui-ci tombe amoureux de la Fille de Râ

8. Ayant fait des enquêtes, le roi apprend où se trouve la Tonte Belle

8. Après de longues recherches, le Pharaon est informé de l'endroit où se trouve la Fille de Râ

9. La Tonte Belle massacre trois compagnies de gens armés, venus sur sa sainte montagne

9. Bata massacre les gens armés envoyés contre lui par le Pharaon dans sa Vallée visitée par les dieux

10. Le secret de la force du héros est révélé par la Tonte Belle, et le glaive une fois enlevé, le héros tombe sans connaissance

10. Le secret de l'invincibilité de Bata est trahi par la Fille de Râ et le cœur une fois précipité sur le sol du sommet du Cédre, Bata tombe avec toute l'apparence d'homme mort

Bata, vient à l'improviste chez la femme de son frère aîné et demande impétueusement de lui donner du grain qu'il veut emporter en grande quantité. La femme, occupée à se faire les cheveux, refuse de se lever, craignant qu'ils ne tombassent sur la terre, et autorise le visiteur inopportun d'emporter le grain tant qu'il voudrait. Séduite par sa force, elle lui propose de passer une heure ensemble, mais il refuse. Après le retour du mari, la femme lui fait part de la visite de son frère d'une manière "mensongère" (tentative de viol). Cela a comme conséquence que le jeune homme se coupe le membre viril, et que la femme est tuée par son mari qui apprend la "vérité" sur sa conduite.

Dans la Version B, les choses se passent entre dieux et êtres semi-divins, ce qui est plus conforme à la version originale. Elle commence par le motif du cœur arraché, en reprenant ainsi le dernier épisode de la *Version A* (le cœur étant l'équivalent du membre viril) et passe ensuite à l'histoire de la Fille de Râ remplaçant la femme du frère aîné de l'autre version. Le rôle de l'agresseur est joué par le "torrent", dans lequel on reconnaît sans peine le "tourbillon" du conte grec, et par le héros lui-même, dont la conduite, encore cette fois-ci, est présentée en beau (gibier du désert déposé, soi disant en hommage, aux pieds de l'héroïne ; un motif dont la vraie portée ressort dès que nous le mettons en regard de l'épisode apparenté de la version chintoïste.

LES PARALLÈLES SOUS FORME TABULAIRE

LE CONTE DE LA TOUTE BELLE ET DE ZOULVIBIA	LE CONTE DE LA FILLE DE RÂ (<i>Papyrus d'Orbiney</i>)
---	--

Version A.

- | | |
|--|---|
| 1. Un jeune prince s'en va à la conquête de la Toute Belle, amenée du ciel par sa servante, la Foudre Silencieuse, et la trouve endormie au haut de sa tour, son cheveu d'or pendait le long de l'escalier (*) | 1. Le jeune héros, Bata, s'en va à la résidence de la femme de son frère aîné et la trouve occupée à se faire les cheveux. Elle refuse de se lever par crainte qu'ils passent tomber sur la terre (*) |
|--|---|

(*) Ce sont là des restants de l'ancien mythe solaire se trouvant à l'origine de nos contes de la Toute Belle et de la Fille de Râ. Il vient s'y joindre par la suite la boucle de cheveux et autres choses.

La version grecque nous présente aussi d'une manière plus nette et combien plus dramatique la nature ambivalente de la compagne du prince. Elle est de toute pitié et, en même temps, fait montre d'une cruauté inouïe. C'est elle, et non pas le prince, qui anéantit les gens armés venus sur sa sainte montagne (cf. la résidence de la Fille du Râ visitée par la "Nevaine Divine" et où sont anéanties les armées du Pharaon). Celle-ci est sacrée à St. Elie, patron bien approprié étant donné ses rapports avec le ciel et son ascension finale dans un char de feu). Encore sous ce rapport nous préférons le conte grec-arménien à celui du *Papyrus d'Orbiney* où le fait que le héros et la Fille de Râ habitent dans la Vallée du Cèdre ne donne au lecteur aucune notion précise, à part une indication d'ordre géographique⁽¹⁾.

Nous pouvons également relever dans le conte du *Papyrus d'Orbiney* l'état incomplet de l'épisode du membre viril coupé et jeté dans l'eau. Il est avalé par un silure. Bon, et après? L'épisode a une suite dans la version grecque-arménienne, mais il n'en a aucune dans le conte égyptien, à moins que nous ne soyons prêts à voir la suite dans l'épisode du cœur retrouvé et rapporté au héros par son frère. Mais alors que faire avec le début (cœur arraché et caché sur le sommet de l'arbre)? Somme toute, nous avons une nette impression d'avoir devant nous deux versions d'un seul et même thème.

Nous les appellerons respectivement l'*Version A* et l'*Version B*.

La Version A présente les anciens dieux sous forme de fermiers (tout en gardant les noms divins d'Anubis et Bata). En plus, tout les faits y sont présentés à l'envers, l'agresseur devenant victime innocente, et la victime—agresseur. Le *Papyrus d'Orbiney* garde tout de même un souvenir de l'état original des choses, tout en le qualifiant de "mensonge" et en faisant mourir la femme non pas de la main du héros, mais de celle de son mari. Sous leur forme adoucie et métamorphosée, les choses nous sont présentées de la manière suivante. Le héros,

(1) *Ibid.*, p. 71 et suiv.

En regardant l'une des bêtes égyptiennes, retrouvée, plongée dans l'eau et rapportée à l'homme inanimé, nous trouvons dans "Zoubeida" le glaive retiré par les trois sœurs de l'eau (des entrailles du poisson) et présenté au prince inconscient. L'effet dans les deux cas est le même: le prince reprend ses sens.

Le *Papyrus l'Orbigny* nous montre ensuite le héros transformé en Taureau sacré, muni de beaux poils, et c'est sous cette forme qu'il rejoint la Fille de Râ, devenue Grande Favorite royale. Nous avons montré dans un autre article⁽¹⁾ que ce Taureau correspondait au Taureau Céleste de Feu de l'Epopée babylonienne de "Gilgamesh". Ce fait rapproche davantage de la version égyptienne le conte grec où nous trouvons le prince, rentré en possession de son glaive, montant sur les épaules (*sic*) de la Foudre (*alias* se cachant dans son intérieur) et arrivant, transporté de la sorte, dans la résidence royale.

Il y a dans le conte grec-arménien une certaine confusion en ce qui concerne la tentative de la Fille de Râ, devenue Grande Favorite royale, de mettre à mort son ancien mari, et les deux occasions où celui-ci se fait reconnaître par elle sous sa nouvelle apparence de Taureau (et après, d'arbre). Dans le conte grec, la révélation est faite au roi par le héros de l'intérieur de la Foudre (équivalant au Taureau sacré). Et ce n'est pas le prince qui est mis à mort par la Toute Belle, mais la vieille qui l'avait amenée. C'est la reine-mère qui lui en veut d'avoir amené une rivale.

On conviendra que dans ce qui vient d'être relaté nous avons une version très proche du récit des aventures de la fille du dieu-soleil égyptien et, sous certains rapports, supérieure à lui. Combien plus impressionnante est, par exemple, l'apparition sur la scène de la Toute Belle descendant du ciel dans la splendeur de la Foudre Silencieuse, comparé à la platitude de la "fabrication" de l'héroïne égyptienne par le dieu-bélier Khnoum, se servant pour de pareilles opérations d'un modeste tour à potier !

(1) Le Conte égyptien des Deux Frères, etc, dans *Bull. Fac. Arts F'aul I. University*, dec. 1949, p. 37 et suiv.

amoureux, et, qu'il voit le portrait, ou le cheveux, et à force de nombreuses enquêtes finit par apprendre l'endroit où se trouve la fille divine.

Tout comme dans le conte égyptien, c'est une femme, accompagnée d'une escorte, qui réussit à s'emparer de l'héroïne et l'amener chez le roi.

Le parallélisme, déjà évident, se précise davantage, surtout tant que nous ne perdons pas de vue le conte arménien de "Zoulvisia".

Pour se débarrasser du prince, qui veille sans relâche sur la sécurité de la Toute Belle, on s'enquiert auprès d'elle où résidait la force de son époux. Ayant appris qu'elle était dans son glaive⁽¹⁾, on le lui enlève et jette dans l'eau où il est avalé par un grand poisson. Nous avons là, de toute évidence, l'épisode du membre viril du héros égyptien avalé par un silure, après que lui-même se le trancha. Cela a comme conséquence que Bata "perd ses forces et devient misérable", nous aurions, impotent.

Comme nous l'avons indiqué ailleurs, le motif du membre avalé par le poisson se trouve redoublé. Bata, nous est-il dit, arrache en plus son cœur et le cache dans une fleur (cône) sur le sommet du Cèdre. C'est le secret de cet autre symbole phallique qui est trahi par la Fille de Râ et est la cause de l'évanouissement du héros, pareil à la mort.

Les indices de l'état quasi-mortel du héros privé de son membre, alias de son cœur, ne manquent pas. Nous les retrouvons dans l'histoire arménienne apparentée entre les mains de trois sœurs, correspondant à Anubis, frère aîné de Bata. Parallèlement à ce dernier, elles s'empressent de venir en aide au prince couché sans connaissance dans sa tour.

(1) Même symbole dans le conte de "Iran, fils du sarrasin" analysé par G. Lefebvre dans la *Chronique d'Egypte* (Jan. 1954), et dans le mythe chinois dont il sera question plus loin.

UNE NOUVELLE VERSION DE L'ANCIEN CONTE EGYPTIEN DES "DEUX FRÈRES"

"Le Fils Chéri", conte grec

"Zoulvisia", conte arménien

Adaptation: "La Fille dans le Laurier"
et "La Fille aux mains coupées"

PAR


VLADIMIR VIKENTIEV

Cette version nous vient de l'île grecque de Cos⁽¹⁾. Complétée par les données de "Zoulvisia", conte arménien apparenté, elle nous rappelle vivement l'histoire égyptienne de la Fille Solaire et de son enlèvement par le Pharaon, et cela non seulement dans son ensemble, mais aussi dans son détail.

Laissant de côté le début, faisant défaut dans le conte du *Papyrus d'Orbiney*, les choses se présentent de la manière suivante :

Un jeune prince s'en va à la conquête de la Toute Belle, amenée du ciel par sa servante, la Foudre Silencieuse. Il vient à bout de sa résistance en enroulant son cheveu d'or, tombant le long de l'escalier du haut de la tour où elle dort, et en lui appliquant la pointe de son glaive à la gorge. La fille se soumet et les deux vivent ensemble en toute félicité. Il arrive cependant un jour que le portrait de la Toute Belle est enlevé par un tourbillon (d'après "Zoulvisia", son cheveu d'or tombe dans une rivière) et transporté dans la résidence du roi d'un pays lointain (qui n'est autre que le pays natal du héros). Le roi devient follement

(1) R. M. DAWKINS, *Forty-five stories from the Aeolianese*, Camb. Univ. Press, 1950, No. 10 : "The Darling Son".

triple d'offrandes ) la base, de couleur brun foncé, de laquelle sort le dattier de la plaque en faïence émaillée (pl. II), indique naturellement la terre fertile. La provenance de la plaque est encore douteuse parce que les deux antiquaires ne sont pas d'accord, l'un mentionnant Amarna, l'autre Kantir. On pourrait rapprocher ce petit monument des plaques en faïence émaillée provenant de Kantir et datant de l'époque de Ramsès II ⁽¹⁾, mais on a trouvé également, il est vrai, quantité de ces plaques en faïence à Tell el Amarna ⁽²⁾ (époque d'Akhenaton).

⁽¹⁾ Cf. WILLIAM C. HAYES, *Glazed tiles from a palace of Ramesses II at Kantir*, New York., 1937, pl. XII.

⁽²⁾ Voir par exemple J. D. S. PENDLEBURY, *The City of Akhenaten*, t. III, 1951, pl. LXXII, 2, 6, 9.

vertes cette région est jaune chair, jaune-vert, bleu de ciel ou bleu foncé, sur les dattes jaune chair elle est bleu de ciel ou brun-rouge, sur les dattes rouge-brun elle est jaune clair, enfin sur les dattes bleu foncé elle est vert clair. Cette partie supérieure, qui sur les dattes en or (à peine visible sur notre planche IV) est délimitée par un trait horizontal (légèrement recourbé) ⁽¹⁾, indique naturellement la région où s'insère le pédoncule. Des dattes semblables en bois ⁽²⁾, qui datent probablement, elles aussi, du Nouvel Empire, sont peintes de couleurs qui varient selon le degré de maturité de ces dattes.

Si nous comparons, en terminant, la plaque en faïence émaillée à la peinture de la tombe de Neferfonpet, appelé aussi Kenro (pl. III), il saute aux yeux que les deux monuments se ressemblent beaucoup. La dernière pièce contient évidemment certains détails que l'on ne trouve pas sur la plaque en faïence émaillée, fait qui s'explique par la différence de technique employée dans l'exécution des deux chefs-d'œuvre. Mais ceci dit, il est clair que les deux artistes ont voulu représenter des pigeons ou des tourterelles ⁽³⁾ dans une palmeraie.

Le fond de la plaque en faïence est de couleur grisâtre, celui de la peinture tombale est blanchâtre. Tandis que les dattiers de cette dernière (pl. III) poussent près d'un étang (en forme d'une

⁽¹⁾ Voir L. KEMEN *Pendeloques en forme d'insectes faisant partie de colliers égyptiens* dans *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte* t. XXXI. 1931, p. 148 [4], fig. 1 (pendeloque en forme de dattier).

⁽²⁾ Quelques spécimens que j'ai achetés, il y a une vingtaine d'années, à Louqsor sont conservées actuellement aux Musées d'Art et d'Histoire de Bruxelles.

⁽³⁾ Je m'exprime à dessein d'une manière si vague pour éviter toute la discussion concernant les nombreuses figurations d'oiseaux se trouvant sur les monuments de l'antique Égypte et représentant des membres (genres) égyptiens de la famille des *Columbidae* (voir par exemple *The mural painting of El-Amarna* edited by H. Frankfort, 1929, pl. V avec représentation d'un *Columba livia* et d'un *Streptopelia senegalensis egyptiaca*, p. 53 "rock-pigeons and palm-doves"). J'ai réuni sur cette question, mais jamais encore étudiée en détail, une documentation très abondante.

Les dattes formant des régimes sont sur les deux grands dattiers de la planche III (tombe de Neferronpet) de différentes couleurs, fait que l'on peut observer sur d'autres représentations de dattiers remontant au Nouvel Empire ⁽¹⁾, surtout sur la plaque en faïence émaillée de la planche II. Il existe en outre des grands colliers (*useh*) en or ou en faïence, provenant surtout de Teli el Amarna et des tombes royales de Thèbes, et qui appartiennent presque tous à la XVIII^e dynastie. Les éléments qui les composent sont des imitations de différentes fleurs, de pétales et de sépales de fleurs, de feuilles de dattier ainsi que de fruits de mandragore et de dattes. Notre planche IV donne la reproduction d'un collier *ousekh* en or ⁽²⁾. La troisième rangée du collier, celle au-dessous des signes *nefer* ($\frac{1}{2}$), est composée de ces dattes, on en voit d'autres dans la quatrième rangée. Notre planche V, qui représente un des colliers *ousekh* découverts dans la tombe de Toutankhamon ⁽³⁾, contient deux rangées de dattes, à savoir la deuxième et la quatrième en partant de la rangée intérieure se trouvant tout près du cou. Toutes ces dattes exécutées en faïence, qui étaient destinées aux colliers *ousekh*, sont de couleur verte, jaune clair, rouge-brun ou bleu foncé pour indiquer ainsi les différents degrés de maturité de ces dattes ⁽⁴⁾ : le vert désigne les fruits jeunes et durs, le jaune clair et le rouge-brun les fruits presque mûrs, mais encore durs, enfin le bleu ou le bleu foncé les fruits devenus mûrs et mous. On remarque au sommet de ces fruits (pl. V ; pl. II, les dattes de couleur claire) une petite région de couleur différente du reste des fruits : sur les dattes

(1) FRIEDRICH W. FREIHERR VON BISSING, *Der Fussboden aus dem Palaste des Königs Amenophis IV. zu El Hawata im Museum zu Kairo*, 1941, pl. III; NORMAN DE GARIS DAVIES, *Two Ramesside Tombs at Thebes*, 1927, pl. VII (régime de dattes, à gauche en bas).

(2) D'après TH. M. DAVIS, *The Tomb of Queen Tiya*, 1910, pl. 21 (= G. MÖLLER, *Die Metallkunst der alten Ägypter*, 1925, pl. 4).

(3) D'après HOWARD CARTER AND A. C. MACS, *The Tomb of Tut. Ank. Amen*, t. I^{er}, 1923, pl. XXXIX B.

(4) Voir G. SCHWEINFURTH, *Arabische Pflanzennamen*, Berlin, 1912 p. 230 (dans l'*Abbildung Fl. in Aegypten und Algerien gebräuchlicher Nomenklatur der Dattelpalme (Phoenix dactylifera L.)*).

en faïence émaillée (pl. II), c'est-à-dire des pigeons ou colombes dans des palmiers, sont plutôt rares. Quant aux dattes tombant de l'arbre (pl. II), je n'ai trouvé aucun autre exemple.

Un rasoir carthaginois remontant à peu près au IV^e siècle avant J.-C., mais étant sans doute d'inspiration égyptienne, montre un dattier flanqué de deux oiseaux qui semblent bien être des pigeons (pl. I. 3) ⁽¹⁾.

Une scène du même type, mais d'un style bien plus grossier, présentant un palmier fructifère flanqué de pigeons, figure sur une poterie, souvenir de pèlerinage, qui a été trouvée par C. M. Kaufmann au sanctuaire de Saint-Ménas ⁽²⁾.

T. E. Peet et C. L. Woolley, dans le premier volume de *The City of Akhenaten*, figurent à la planche LXII un fragment de bas-relief (*relief decoration from Maru-Aten*) montrant un oiseau qui pourrait être comparé au nôtre (pl. I, 2) ⁽³⁾, mais ce modeste fragment est peu important par rapport à une scène conservée dans la tombe ramesside de Neferonpet, appelé aussi Kenro (tombe thébaine n° 178), scène dont nous devons un beau dessin en couleurs au talent de Mrs. Nina M. Davies ⁽⁴⁾. Notre planche III, qui en est une reproduction photographique, ne nous procure qu'une faible idée de l'éblouissante beauté de l'original que nul ne pourrait saisir sans avoir sous les yeux la planche en couleurs de Mrs. Davies.

(1) D'après JEAN VERGOUTTER, *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Paris, 1945, pl. XXVII n° 907 (à gauche); cf. également p. 308, note 2 et p. 306 (pour la date du rasoir); voir A. L. DELATTE des Pères Blancs, *La Nécropole des Kabs, Prêtres et Prêtresses de Carthage*, Paris, 1906, p. 12, fig. 17, texte p. 15, en bas.

(2) Cette pièce a été publiée à plusieurs reprises par C. M. Kaufmann, voir par exemple *La découverte des sanctuaires de Ménas*, 1908, couverture, ou *Die heilige Stadt der Wüste*, 1924, fig. 100, en face de la page 145, texte p. 148.

(3) D'après T. E. PEET AND C. L. WOOLLEY, *The City of Akhenaten*, Part I, 1923, pl. LXII, 261.

(4) NINA M. DAVIES, *Ancient Egyptian Paintings*, 1936, t. II, pl. XCIV, texte p. 182-183. On voit ici deux colombes ou pigeons de roche (*Columba livida*).

La description sommaire de la scène figurée sur la plaque fragmentée (pl. II) est simple : on voit un dattier dont la couleur prin- cipale est brune ; des dattiers ou des palmiers *dôm* qui lui ressemblent beaucoup sont fréquents sur les monuments égyptiens⁽¹⁾. Les feuilles manquent au dattier de la plaque, mais il subsiste encore le bas de deux régimes de dattes. Un oiseau,—ses couleurs principales sont blanchâtres et brunâtres,—qui s'attaque à ces régimes, provoque, semble-t-il, la chute d'un certain nombre de dattes. Il s'agit probablement d'une tourterelle égyptienne stylisée : *Streptopelia senegalensis aegyptiaca* ⁽²⁾, en arabe قمرية والناري ⁽³⁾, en allemand : *Aegyptische Palmentaupe*, en anglais : *Egyptian Palm-Dove*, en français Colombe maillée ⁽⁴⁾.

Les dattes qui subsistent des deux régimes et celles qui sont en train de tomber (dessinées sur la fond de la scène) ont des couleurs différentes les unes des autres. Nous nous occuperons tout à l'heure de cette question ; mais mentionnons déjà ici que, faute d'une planche en couleurs, le croquis de la figure 1 indique la coloration de chaque datte.

Des oiseaux représentés dans les palmiers égyptiens (dattiers et palmiers *dôm*) sont assez fréquents sur les monuments de l'Egypte ancienne⁽⁵⁾, mais les sujets comme celui de la plaque

(1) Je ne citerai que NINA M. DAVIES, *Ancient Egyptian Paintings*, 1936, t. II, pl. CII (tombe thébaine n° 218, époque ramesside).

(2) Voir par exemple Nicoll's *Birds of Egypt* by Colonel R. Meinertzhagen, 1930, t. II, p. 510 : ALEXANDER KÖNIG, *Die Tauben (Columbe) Aegyptens*, dans *Journal für Ornithologie*, 1926, numéro spécial, p. 62-70 ; CHARLES WHYMER, *Egyptian Birds*, 1909, planche en face de la page 92 ; R.H. GREAVES AND MARGARET GREAVES, *Sixty Common Birds of the Delta*, 1936, fig. 20.

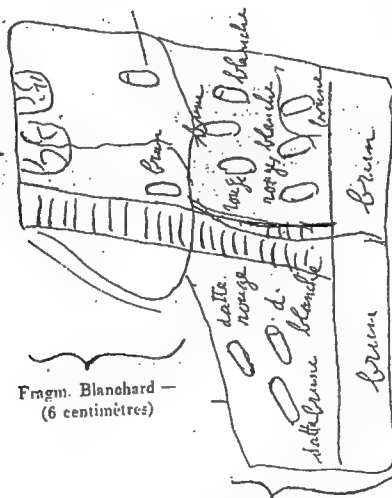
(3) MAJ.-GENERAL AMIN MALOOF, *An arabic Zoological Dictionary*, p. 36, 73 et 238.

(4) Ces noms européens, d'après A. KÖNIG, *Tauben*, p. 62.

(5) Je me borne à citer quelques exemples : J. VANDIER D'ABBAUË, *Catalogue des ostraca figurés de Deir el Médineh*, 1936, pl. II 2004, pl. III 2006, pl. NCII 2717 (en bas), probablement tous des corbeaux ; a-datte en fénice de Gouroh, voir PETRIE, *Kahun, Guroh, und Hawara*, 1890, pl. XVIII. (*Guroh*, XVIII-XIX Dyn.), n° 35 (deux oiseaux voltigeant sur les régimes d'un dattier).

{ deux régimes de dalles (brunes,
blanchâtres, rouges)

Fragm. Blanchard —
(6 centimètres)



dalle de couleur
grisâtre; son en-
tour est brun.

Le fond de la plaque
est de couleur grisâtre.

Pl. 1. — Croquis indiquant les différentes couleurs que l'on distingue sur
la plaque en faïence (pl. II)

Fragm. Nahman & Tano —
(13 centimètres)

l'antiquité au sein du *Section Historique* du Musée Agricole Fouad I^{er}. Ces objets, appartenant à des objets d'art et importants pour l'étude de l'Égypte antique, de l'histoire naturelle, etc., de l'Égypte antique, devaient dû entrer tous dans la dite section du Musée Agricole. J'avisai tout d'abord M. Pierre Lacau, alors directeur général du *Service des Antiquités*, tout en le priant de venir voir le lot envoyé par Nahman. M. Lacau, auquel je ne m'étais jamais adressé en vain, examina immédiatement et soigneusement toutes ces pièces. Parmi celles-ci se trouvaient deux fragments d'une plaque de faïence émaillée provenant d'après Nahman de Kantir, c'est-à-dire du fameux palais de Ramsès II. A notre grande joie, nous constatâmes, M. Lacau et moi, que ces deux fragments (pl. II, partie inférieure) complétaient les deux fragments achetés quelques années plus tôt à Blanchard (pl. II, partie supérieure). La hauteur maximum des fragments Nahman étant de 13 centimètres, ils mesuraient donc, rapprochés de ceux de Blanchard (hauts de 6 centimètres), 19 centimètres⁽¹⁾. Le directeur du Musée Agricole Fouad I^{er} de l'époque, Mohammed Bey Zoufkar, entre temps décédé, ne s'intéressant pas du tout aux antiquités, refusa l'achat du lot proposé par Nahman et le lui rendit. J'appris quelques années plus tard qu'un autre marchand d'antiquités, M. Ph. J. Tano, avait acheté à Nahman les fragments en question (pl. II, partie inférieure). Bien que j'eusse entre temps quitté la *Section Historique du Musée Agricole Fouad I^{er}*, j'ai demandé à plusieurs reprises à M. Tano d'entreprendre des démarches pour faire acquérir par la *Section Historique* les deux fragments se trouvant en sa possession pour les joindre à ceux conservés depuis 1932 à la *Section Historique*. Notre planche II montre que le bord de la base (long. 19 cm.) est intact : il en est de même du bord latéral droit et de la partie inférieure du bord latéral gauche.

(1) Haut. max. des fragments Blanchard et Nahman-Tano réunis : 19 cm.; larg. max. 19 cm.; épaisseur : 2 cm.

DES PIGEONS DANS UNE PALMERAIE

Motif amarnien et ramesside

PAR

LOUIS KEIMER

En feuilletant le beau volume de J. D. S. PENDLEBURY, *The City of Akhenaten*, tome III, 1951⁽¹⁾, mon attention fut attirée sur le fragment d'une plaque de faïence représentant quelques fleurs ou fruits, difficiles à identifier, et un oiseau voltigeant (pl. I, 1) (2). Cette pièce, actuellement conservée au musée des antiquités égyptiennes du Caire, m'a immédiatement rappelé une autre plaque du même genre, fragmentée elle aussi, mais plus importante (pl. II) que la première (pl. I, 1). Ce petit monument m'a dans le temps beaucoup occupé; il m'a même causé un certain nombre d'ennuis. Ayant constaté que mes notes étaient suffisantes pour être publiées, je les ai mises en ordre et les présente aujourd'hui, après environ vingt ans, aux lecteurs du *Bulletin of the Faculty of Arts* de l'Université Fouad I^{er}.

La partie supérieure de la plaque, formée par deux pièces recollées (pl. II), a été achetée, vers 1932, par la Section Historique du Musée Agricole Fouad I^{er}, à feu R. H. Blanchard, marchand d'antiquités américain, établi au Caire. Cette partie supérieure (pl. II) a une hauteur d'à peu près 6 centimètres. Sa provenance serait, d'après le marchand, Tell el Amarna.

Plusieurs années plus tard (vers 1935), feu Maurice Nahman, également antiquaire du Caire, présenta un lot assez considérable

(1) *Volume Two: Plates*, pl. LXXVI 6 (31.53 b), et *Volume One: Text*, p. 91: 536. Part of faience plaque showing bird and flower, 7 cm. long (Cairo). (pl. LXXVI. 6.).

(2) D'après la publication mentionnée dans la note précédente.

resulted in a general upward trend since 1935. One of the greatest hinderances to the improvement of cotton yield in the Sudan is cotton pests, especially blackarm, leaf-curl and pink-bollworm. These constitute a constant menace which can never be ignored, and until control measures are rigorously maintained, cotton yield will remain threatened. A comprehensive survey has been made of insects and other pests (1) and the damage caused by them is being reduced. One of the sure methods for dealing with these pests was the propagation of new varieties, such as the X 1730, X 1730A and Lecrem, which are noted for their yield and high resistance to diseases.

One of the most interesting social and economic features of the Gash Scheme is its "Reserve Fund". From the beginning it was decided to set aside a levy of 2 mm. per pound on all lint cotton, and this was divided into two equal portions; the Gash Board reserve fund and the tenants' equalisation and reserve fund. While the former is used to increase the Government revenue, the latter has played a considerable part in levelling out the oscillation of the tenants' income and in improving their welfare. In bad years something is added to their returns to keep the standard of their share.

REFERENCES

KREN, B. A. — "The Agricultural Development of the Middle East", 1946.

MAC MICHAEL, SIR HAROLD, A. — "The Anglo-Egyptian Sudan 1934.

TORNER, SIR ALNOLD, J. :— "Survey of International Affairs 1925" Vol. I., 1927.

Reports by the Governor-General on the Administration, Finances, and Conditions of the Sudan (cited as Annual Report).

(1) Annual Report, 1935. p. 68.

indigenes and settlers who are second grade cultivators and successful settlers. About 25% are in the hands of the Arab and West Africans mostly from Northern Nigeria. The remaining 5% are farmed by cultivators from the riverain districts who have proved the best agricultural labourers and the most industrious and adaptable farmers.

The following table shows the comparative allotments in percentages of the total area for the three groups of cultivators for five pre-war seasons (1934-1938). The figures are based on the total areas allotted and not on the effective areas:—

TABLE III

Tribes	1934	1935	1936	1937	1938
Indigenous	70.7	71.1	73.2	72.0	73.0
Riverain	5.3	3.9	4.1	5.3	5.0
West Africans	24.0	25.0	22.7	22.2	22.2
TOTAL ...	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0

Cotton occupies only the well-flooded area in the Gash Delta, which is carefully defined every year. The rest of the Delta is used for either dura cultivation or grazing according to the amount of watering it has had. Dura is also the main crop of the rain land. The rotation in force is a three-year one of cotton-fallow-fallow, which has replaced a two-course one in order to check the increasing growth of grasses to which the rich soil of the Gash is extremely subject (1).

The fluctuations in the yield of cotton have now become one of the main characteristics of its cultivation in the Sudan. These fluctuations have been the subject of very intensive studies which

(1) See Annual Report, 1931, p. 61.

independent of prices. In spite of the falling prices in 1930 the cultivated area was the largest on record because the flood was good, and cotton has become the most important occupation wherein natives of the district can put much of their labour. Cotton, moreover, is the only industry that gives a good direct return to the Government in such a region. Its acreage, however, will remain, unlikely to change with the ups and downs of cotton prices, as long as cotton can be sold profitably at any price.

The following table gives particulars of areas watered, sown and effective cotton for the six stations in the season 1937-38, which may be taken as a typical season. The land not sown with cotton was allotted to dura.

TABLE II

Station	Variety Cotton	feddans		
		Allotted	Sown	Effective
Kassala	Sakel	1,294	1,300	1,200
Mekali	"	1,985	2,121	2,018
Degein	"	3,632	4,121	5,446
	Lecrem	1,918	1,631	
Tendelai	"	7,373	7,267	6,339
Mitateib	"	625	616	534
	N. 1720 A	8,305	8,312	7,803
Hadaliya	"	8,738	8,794	8,310
TOTAL		34,070	34,432	31,850

The irrigated area is farmed by some 7,000 tenants, each of them normally being given a holding of 5 feddans while capable tenants may receive up to 50 feddans and assurance of continuity of tenure. Land is allotted on a tribal basis, that is to give shiekhs and sub-shiekhs a block which they sub-divide among their tribes. Some 70% of the holdings are occupied by the

TABLE I

Season	Effective area of cotton	Total yield of seed cotton	Yield per faddan
	Faddas	Katrs	Katrs
1923-1924	2,000	10,000	1.13
1924-1925	15,000	27,000	1.84
1925-6	11,000	23,000	1.53
1926-7	26,000	24,000	2.67
1927-8	26,000	66,000	2.35
1928-9	29,000	71,000	2.53
1929-30	55,000	83,000	1.50
1930-1	38,000	57,000	1.51
1931-2	17,500	31,000	1.75
1932-3	19,000	27,000	1.41
1933-4	31,000	61,000	1.97
1934-5	28,000	69,000	2.45
1935-6	36,000	64,000	1.73
1936-7	30,000	68,000	2.25
1937-8	32,000	63,000	1.96
1938-9	33,000	60,000	1.83
1939-40	24,000	51,000	2.10
1940-1	22,000	44,000	1.96
1941-2	32,000	63,000	1.98
1942-3	31,000	106,000	3.40
1943-4	32,000	70,000	2.16
1944-5	31,000	82,000	2.67
1945-6	27,000	41,000	1.51
1946-7	27,000	50,000	1.81
1947-8	33,000	73,000	2.20
1948-9	47,000	101,000	2.23

The area cultivated with cotton depends primarily on the volume of the Gash flood. Cotton acreage remains more or less

Taking over the scheme from the Company, the government decided after a comprehensive study of the situation to run the area itself and to maintain the commercial character of the undertaking, since it appeared that development in the interests of the local inhabitants could not be on a sound basis unless the undertaking was run on commercial lines for the purposes of making profits, and that, therefore, the success or failure of those responsible for its management was to be judged by the showings of a properly prepared profit and loss account ⁽¹⁾. To carry out this policy a special board known as the "Gash Board" was set up ⁽²⁾, and took over the scheme on the 1st January, 1928. While it was furnished with capital from the Sudan Government funds, it was empowered with the affairs of the undertaking on a strictly commercial basis outside the normal financial and administrative regulations and procedure of the Government. The Board has to divide the proceeds of the crop in accordance with the terms embodied in the original agreement with the Kassala Cotton Company which it replaced.

The adjustment has worked well as a solution of Gash problem. The Hadendowa, the original owners of the area, have freely taken up tenancies in the Delta and can, in addition, grow their crops and graze their herds and flocks untroubled by rules, restrictions or jealousies ⁽³⁾. The results of the undertaking ⁽⁴⁾ for the period under consideration may be summed up as follows (figures to the nearest thousand).

(1) Keen (1926), p. 23.

(2) The Board is composed of three ex-officio members: The Director of the Department of Agriculture and Forests who acts as Manager Director of the Board, the Director of the Irrigation Department, and the Governor of Kassala Province, under the Chairmanship of the Financial Secretary and with the Government acting as banker.

(3) The initial capital required was fixed at L.E. 700,000: Annual Report, 1927, p. 31.

(4) See: MacMaechil (1934) p. 213.

made by both the Kassala Cotton Company and the Province Authorities in improving the water supply in many of the rural districts. Many bore-holes have been drilled and some large reservoirs have been constructed.

The management of the scheme was carried out by the Company for its first four years. The working of the scheme was never smooth, and so it appeared that the Company was disappointed with the prospects in the Gash, although the results were not unsatisfactory. There were two main factors which caused this disappointment. First, the Gash runs through the lands of the Hadendoma tribes who claimed the right of the full ownership of its delta where they used to graze their animals and grow whatever crop they like each year. While ready to let portions of the land to other cultivators and even to grow a certain amount of cotton themselves, they did not care to see the full amount of land which they required for other purposes reduced in the interest of cotton (1). They did not welcome the scheme and their herds have often done damage to the crop. Second, while outside labour was available and the Company preferred to have as tenants those skilful cultivators from the riverain areas who had no flocks, it could not do that, since the concession agreement had determined that development of the area should be done primarily in the interests of the local people. There was then a fundamental clash of interests which led to the return of the concession to the Government. An agreement was concluded in 1927, of which the principal provision was the transfer of the Kassala Cotton Company to a block of 45,000 feddans in the Gezira, which would be run on lines somewhat similar to those adopted as between the Government and the Sudan Plantations Syndicate (2).

(1) MacMicheal (1934), p. 213.

(2) For details see: Annual Report, 1927, pp. 29-30.

"The Eritrean Government agreed to a specific limitation of the amount of water to be taken off at Tessenai, while the Sudan Government agreed, in return, to pay the Eritrean Government 20% of its annual receipts under the Gash Scheme in excess of £ 50,000 (1)".

The results of the first four seasons of the Gash Scheme are compared below.

	1923-4	1924-5	1925-6	1926-7
Effective area under cotton (feddans)	8,000	15,000	11,400	26,100
Total yield of seed cotton (kantars)	10,158	27,253	22,547	24,129
Average yield (kantars per feddan)	1.13	1.84	1.98	2.07

The notable increase of the effective area under cotton in 1926-27 was due to the abnormally heavy flood of the Gash. The crop was to have been larger had not damage been done by nomad herds (2). In addition to the 45,129 kantars of cotton, an estimated 25,000 ardebs of dura were reaped from the flooded area (3).

Two main problems engaged the attention through the first stage of the Scheme. In the first place labour was, on the whole, adequate in normal seasons, but not in years of a big Gash flood. In order to provide additional labour in such years new Fellata villages were formed on the Atbara and on the upper reaches of the Rahad. Secondly, the problem of water supplies for both men and animals was an urgent one. In the Gash Delta water must be supplied near the cotton land for the cultivators and away from it for the herds. Considerable progress has been

(1) Toyinbe: (1927), p. 252, and MacMichael (1934), p. 196.

(2) Annual Report, 1927, p. 105.

(3) Annual Report, 1927, p. 66.

The agreement did not actually operate until the 1st July, 1924, when the Company took over an area of some 9,500 feddans already under irrigation⁽¹⁾. As the water available had not been used to the greatest advantage owing to the lack of proper supervision, the Company had to endeavour to develop further lands. The total area in the delta is probably considerably over 500,000 feddans, but under the present conditions less than 10% of it could be put under cotton⁽²⁾. No expensive irrigation works were required. The whole need was to direct the water on to the selected areas and for that purpose, the Company started the development by digging the important canal at Magaouda 40 kms. north of Kassala, which was designed to double the area available for cotton between Eastern and Western Gash⁽³⁾.

The Gash River is not wholly Sudanese. It rises in Eritrea where the utilisation of its waters simultaneously engaged the attention of the Eritrean Government and a dam was built at Tessenei, distant about 40 kms. from Kassala. This made it necessary to reach an agreement between the Eritrean and the Sudan Governments "to settle definitely how development in Eritrea could be carried out with due regard to the long established interests in Kassala⁽⁴⁾." A joint investigation was made by the experts of the two parts who submitted a joint report on November 25th, 1924. This report was the basis of the agreement which was embodied in an exchange of letters on December 12th, 1924⁽⁵⁾. This agreement secured the two countries' interests:

(1) Of this area 1,000 feddans were south of Kassala town, 4,000 feddans between Kassala town and Magaouda Canal and 4,500 north of Magaouda, see Annual Report, 1924, p. 6.

(2) The area to be cultivated was estimated in the Annual Report, 1922, at 200,000 feddans, but this in fact was an exaggerated estimation, p. 5.

(3) Annual Report, 1923, p. 3.

(4) Annual Report, 1924, p. 6.

(5) The letters were exchanged at Khartoum between the Governor of Eritrea and the Acting-Governor-General of the Sudan. See Cmd. 2474 of 1925 and also Cmd. 2514 of 1925, p. 6.

brought in and a Kassala Railway Company and a Kassala Cotton Company were formed in 1922 with financial assistance of the British Government.

On April 21st, 1924, the railway reached Kassala and thus enabled the delta products to be exported. A few years later the line was extended beyond Kassala to Gedaref and Senmar where it was taken across the Senmar Dam and connected with the Gezira main line. This marked an important step in the development of the Eastern Sudan. It tapped the rich grain-producing areas and Gedaref besides providing an alternative route for Kordofan products to reach the sea.

The Kassala Cotton Company, of which the whole of the preference shares and just under 50% of the ordinary shares were subscribed by the Sudan Plantations Syndicate⁽¹⁾, was granted a 49-year concession upon the same general conditions as the Syndicate held its concession in the Gezira. The Government, who owned the land, undertook to compensate the tribesmen for existing cultivation rights, to arrange alternative grazing areas and to maintain watering rights at the wells in the concession area. The Company undertook to act as agricultural managers on behalf of the Government, and to allot tenancies to cultivators with preference for local people. As it was uncertain, in the first instance, what acreage could be made available in a region depending on varying floods, the net proceeds of the cotton crop were fixed at 50% for the tenants and 50% for the other two parties divided as follows⁽²⁾ :—

	Company	Government
Cotton Crop, up to 50,000 bales	30	20
The next 2,000 bales	25	25
All additional cotton	20	30

(1) MacMichael H. A. (1924), p. 195.

(2) Keen, E. A. (1941), p. 23.

TWENTY-FIVE YEARS OF AGRICULTURAL DEVELOPMENT IN THE GASH DELTA (1924-1949)

BY

M. M. AL-SAYYAD, M. A.; Ph. D. (P. Sci.)

While the Gezira scheme, the backbone of the Sudan economy, was passing through its preliminary stage, cotton-growing projects were being carried out on a modest scale and with varying results in the fertile delta of the Gash-River⁽¹⁾. Irrigation works in this inland area were very simple when compared with the costly works required in the Gezira Plain. They were but minor canalizations to direct a flood of torrenial character which varies practically from hour to hour. The real and most urgent need of the region was the improvement of communications to provide some better form of transport than camels. In an area some 560 kms. from the sea no great agricultural progress can be gained without an adequate system of communication.

The development of cotton cultivation in that area of extreme fertility owing to its rich alluvium, occupied attention for many years but the lack of funds prevented the inauguration of any comprehensive scheme. Here again private enterprises were

(1) The Gash Delta is just north of Kassala. It is about 25 kms. long and 30-40 kms. wide. Being formed by successive flood deposits of the river, it is extremely fertile. The soils vary from an alluvial silt to a black cotton soil, while the subsoil is sandy to gravelly. The annual discharge of the river may be taken as some 200 million cubic metres. Being without an outlet to the sea, more of the river's water is lost.

the excess of precipitation. The October precipitation coincides with the lowest mean pressure data at Florida recording stations, and the average October pressure tends to be lowest for southern Florida (see Fig. 2). Furthermore, the mean pressure of the month for other places in the adjacent regions to the south and southeast are somewhat higher than those of southern Florida. The mean pressures at Havana, Cuba, and Nassau, Bahama Islands are .2 and .1 millimeters higher respectively than the 759.9 mm. of Key West⁽¹⁾. This phenomenon means that the regular path of the trade winds southward is not yet open, and a rising tendency of the air is likely to take place over southeast Florida. There must be a relation between that pressure setting and the rainfall distribution, since a slight piling of such air will produce well-delimited heavy precipitation over the southeast coast of Florida.

(¹) Köppen, W., Graz und R. Geiger, *Handbuch der Klimatologie* (Verlag von Gebrüder Borntraeger, Berlin): Band 2, Teil I, 1936, *The Climates of North America* (by R. D. Ward, C. F. Brooks and A. J. Connor), p. 232; Band 2, Teil I, 1934, *Westindien, Climatology of the West Indies* (by R. D. Ward and C. F. Brooks), p. 33.

confined to the western section of Northwest Florida and to the southeastern part of the Peninsula (Fig. 9). The region of Florida Keys is the driest as the amount of rainfall decreases from an average of 50 inches over the southwestern tip of the Peninsula to 38 inches in the area of Key west.

October Isohyetal Pattern of Southern Florida. The chart of Florida normal precipitation of October shows an extremely concentrated distribution of heavy rainfall along the southeast coast (see Fig. 8). There, precipitation values drop westward from 10 inches to 6 inches within a distance of 20 to 40 miles inland.

An unsound concept has arisen to account for such phenomenon in terms of the frequency of hurricanes during that month. The records of tropical storms in Florida indicate that all October storms have either struck the west or extreme south coasts of the Peninsula, or have recurved northeastward off the lower east coast section. In October, near the end of the hurricane season, hurricanes tend decidedly to originate over the western Caribbean Sea or the southern Gulf, which places, therefore, the southeast coast of Florida on the leeward side of the storm paths. A thorough inspection of the precipitation distribution over southern Florida in October, covering hurricane and non-hurricane years, clearly indicates that there is no necessary correlation between hurricane occurrence and the rainfall intensity on the southeast coast. Furthermore, the isohyetal patterns of the region in October are practically the same throughout the years.

In connection with this, it should be observed that rainfall concentration during October along the lower east coast district of Florida is associated with the northeasterly winds which curve out from the early developed high-pressure system over North America. The northeastern air picks up a considerable amount of moisture from the Gulf Stream waters. The mixing of the modified continental air with the tropical air to the south favors

By the month of *October*, a sharp drop occurs in the amount of rainfall in Northwest Florida and in the interior of the Peninsula. Only the southern half of the Atlantic coast, Southeast Florida, and the Keys record over 6 inches. The southeast coast is the only section where there is an increase, from 8 inches in September to 10-11 inches in October. The isohyetal pattern reveals strongly the concentration of rainfall along this coast.

In *November*, there is a considerable drop in the amount of rainfall over the whole State. The highest recorded amounts are less than 4 inches, and these are received only in Northwest Florida and along the southwest coast.

In *December*, the rainfall in its distribution ranges from 3 inches in the northern part of the Peninsula to 6 inches in Northwest Florida. At the same time, southern Florida records a further decrease amounting to less than 2 inches. The driest section, which receives less than 1 inch, extends south of Lake Okeechobee.

In regard to the monthly distribution of precipitation, every part of Florida has a mean rainfall of not less than 6 inches in some month during the year. On the other hand, all recording stations have an average precipitation of less than 8.5 to 2.5 inches for at least one month; many of them, especially in the Peninsula, receiving between 1.5 and 2 inches.

As a rule, Northwest Florida experiences the maximum average precipitation in July. The Gulf side of the Peninsula has its maximum in August. In southern Florida, the maximum takes place in September. The Atlantic side of the Peninsula, with the exception of the southeast coast which has the heaviest rainfall in October, receives the principal maximum in September. In most of the State, November and April are the driest months of the year.

Concerning the annual rainfall, almost the entire state of Florida receives an average of over 46 inches. The wettest areas, in which an average rainfall of over 60 inches occur annually, are

is limited to the Gulf coast of the Peninsula and the Keys. In Northwest Florida, all recording stations have an average of less than 5 inches.

The entire Peninsula experiences an increase in precipitation during the month of *May*. The 2 inch isohyet disappears. The southeast coast has a marked increase; Miami records an average rainfall of 7.1 inches in May, as against 3.4 in April. Meanwhile, there is a slight decrease in Northwest Florida.

The *June* chart shows that most of Florida receives over 6 inches of rainfall. The rainiest part, receiving over 8 inches, is confined mainly to southern Florida.

July precipitation (Fig. 8) exhibits, on the average, a general increase in amount over that of June, except along the Atlantic coastal strip, and in southern Florida (1). The 8 inch isohyet veers from southern Florida to parts of the Gulf side of the Peninsula, the wettest section in the State. Northwest Florida has almost a similar amount of rainfall.

In *August*, the wet conditions prevail over all the Gulf side of the Peninsula. Normal precipitation values definitely increase over southern Florida where distribution is more nearly that of June than of July. Over the rest of the State, there is a tendency for lower values, especially in the interior of Northwest Florida.

The zone of highest amounts of rainfall (over 8 inches) in *September* is represented in certain parts along the Gulf coast of the Peninsula, and maintains a defined position in southern Florida. The region of the Keys receives a marked increase, Key West, for example, receiving 6.7 inches as compared to 4.5 inches in August. The Atlantic coast stations experience higher amounts than in the previous month. On the other hand, Northwest Florida and the northern part of the Peninsula, record a decrease indicated by the southward movement of the 6 inch isohyet.

(1) There, the relative decrease in July rainfall is a result of the encroachment of the Bermuda high-pressure system from the east.

is in a north-south direction from 70°F. to 78°F. The mean monthly isotherms run across Florida with a tendency to slant to the east-northeast. The Gulf Stream is beginning to exercise an effect, and the Atlantic coast is slightly warmer than the Gulf coast. The month of November experiences the biggest drop in temperature (see Fig. 6). As a result of the advancing cool conditions, the 70°F. isotherm retreats southwards from the northern part of the State to the extreme south of the Peninsula. In the north, the mean November temperatures fall to the lower 60's and upper 50's F. The sharp temperature decrease produces an early close to autumn, and by December, Florida is exposed to winter conditions.

Precipitation differs considerably in amounts and distribution throughout Florida. The monthly distribution of rainfall is illustrated in a series of twelve charts (Figs. 7, 8) which are briefly summarized.

The mean *January* rainfall (Fig. 7) varies from less than 2 inches in southwest Florida and the Keys to over 4 inches in Northwest Florida.

In *February*, the rainfall is about the same as in January in southern Florida, but increases more rapidly in the north and west, and it amounts to more 5 inches in the interior of Northwest Florida.

The change from February to *March* is marked by an increase in the rainfall of southern Florida. The 2 inch isohyet moves southwestwards to enclose the peninsular southwest. Parts of the Northwest also receive more rain in March than in February, some amounts being as much as 6 inches.

In *April*, precipitation decreases generally over the State, although along the southeast coast an average of 5 inches is recorded. The region of least rainfall, not more than 2 inches,

Judged by mean monthly temperatures, January is the coldest month of the year. Temperature zonation at its best is featured here. On an average, temperatures in January range from 70°F. in the southern tip of Florida to 52°F. in the extreme northwest portion (Fig. 5). Winter temperatures decrease uniformly northwards; however, the isotherms do not lie in wholly east-west fashion. The mean January isothermal lines show a contrast in direction between north and south. In the Peninsula and in the southern section in particular, they have a slanting east northeast-west southwest delineation. The Atlantic coast is somewhat warmer than the Gulf coast, which is attributed to its adjacent position to the warm Gulf Stream and its relative freedom from the cold northerlies which reach the west directly.

Spring thermal conditions progress rapidly in Florida. The normal April temperatures are graded in a south-north direction from 76°F. to 67°F. The absence of cold waves distinctly results in the rise of temperatures of the northwestern section so as to reduce the temperature difference between southeast and northwest Florida from about 18°F. in January to 10°F. in April. Compared to January conditions, mean April temperatures have risen 14°F. in Northwest Florida and only 6°F. in the peninsular south. The Gulf Stream effect is weakened and the oceanic controls of the Gulf of Mexico and the Atlantic Ocean are equalized along the seaboard of the Peninsula.

The hot season starts early in Florida. May normal temperatures indicate that there is no place in Florida with temperature less than 72.5°F. July and August are the warmest months, with an average of above 80°F. throughout the State. Summer conditions extend into September, and the mean September temperatures are only 2 to 3 degrees F. lower than those of August (Fig. 6).

Autumn thermal conditions begin in October, with a distinct drop in temperatures. The mean October temperatures are lower than those of September by 5° to 9°F. The temperature gradient

intensity towards the center. Often the total amount of rainfall which occurs at any one locality during the passage of a hurricane is quite large.

Hurricane tides are major events along the coast of Florida towards which the storms advance. The highest tides created by hurricanes have ranged from 10 to 15 feet above mean low tide.

There is a marked difference in the average frequency of tropical storms over the different parts of Florida. The area of the southern Peninsula and the Keys, and the coast of Northwest Florida have experienced more hurricanes than any other part of the State. Southern Florida is exposed to storms originating in both the Atlantic Ocean and the western Caribbean Sea. The Northwest coast is especially exposed to storms that move through the Straits of Florida out of the Caribbean or across the Peninsula from the east and redevelop great intensity over the Gulf of Mexico (Fig. 4).

The hurricane season in Florida begins in June and ends in November, and the main period of expectancy is August to October. Florida, as a whole, has experienced more tropical cyclones in October than in any other month.

THE RESULTING CLIMATE

On the basis of the foregoing presentation of climatic controls, it is now possible to discuss the climate of Florida.

The lack of high relief and the advantage of an insular location contribute to the relatively homogeneous distribution of temperatures. The mean annual isotherm line of 70°F. crosses the northern part of the Peninsula with a slight bulge to the north. Over Northwest Florida, the average is 68°F., or slightly below; whilst over the extreme south of the Peninsula, the mean annual temperature is 75°F.

under the influence of shallow barometric depressions that approach from the west, the weather will be showery. On the other hand, if the anticyclone remains paramount over all atmospheric disturbances, then thundershowers will be of less frequency.

In late summer and autumn, the climate is marked by the West Indies hurricanes. These tropical storms frequently bring pouring rain. The number of cyclones influencing the weather and the intensity of such influence will vary considerably from one place to another. Thus, the atmospheric disturbances during summer and autumn are responsible for the marked variations of the total annual precipitation which are experienced in the different parts of the State.

Hurricanes are often considered as typical of Florida, but in fact, they are not peculiar only to the State, for hurricane effects are also experienced along the Mexican Gulf and the middle and North Atlantic coastlands. Florida is simply closer to their place of origin and mean track.

Hurricanes are an occasional but integral phenomena of the climate of Florida. They are storms of tropical origin that vary greatly in intensity. Some of these cyclonic disturbances develop quickly into violent tropical storms; others increase in force much more slowly; whilst many become nothing more than mild wind circulations with unsettled weather⁽¹⁾. In a fully developed hurricane, cyclonic circulation is violent, the velocity of the winds approaching and sometimes exceeding 100 miles per hour, with gusts of still greater velocity.

Rainfall is usually associated with a hurricane. It is light at the outer edges of the storm and increases in frequency and

(1) To most people the term 'hurricane' implies destructive wind. Therefore, it is customary for the weather stations of Florida and Central America to use the word 'hurricane' in their hurricane-warning service only when the expected storm is of great violence.

moisture for the summer rainfall in Florida as well as over much of the continent. Not until the month of October does Florida experience the early flow of continental polar air. As the continent gets colder, the polar air masses keep increasingly recurring over Florida, so that in November they are noticeably prevalent, and the characteristic dryness and temperature-drop are indicative of the winter approach.

The climate of Florida is distinctly under cyclonic control for parts of the year. In winter, northern Florida lies within the belt of cyclonic storms. Atmospheric depressions, the associated cyclones of which are known as the Southwestern or Texas type cyclones⁽¹⁾, usually originate in Texas or over the western portion of the Gulf of Mexico, and move rapidly eastward and northeastward. The occasional ones which drift eastward hit northern Florida, and the resultant cyclones bring up somewhat cloudy weather and considerable rain. Winter cyclones are often followed by cold waves from the north that cause a drop in temperature.

With the change-over from cool winter to the warmth of spring, the cyclonic effect becomes comparatively very feeble and a change from the irregular cyclonic control of winter to the dominant solar control of summer is characteristic. In summer, the cyclone path shifts to the north and ceases to affect the climate of Florida. Thunderstorms caused mainly by the interaction of excessive heat and moisture, are typical of the season and occur whenever the air near the ground becomes unstable as a result of solar radiation (Fig. 3). Afternoon thundershowers followed by a welcome drop in temperature, keep recurring with considerable regularity, and characterize the summer months in the State. Summer weather is controlled largely by the intensity and persistency of the Atlantic anticyclone. If the latter is weakened

(1) Ward, R. D., *The Climate of the United States* (Ginn and Co., Boston, 1923), p. 59.

lies primarily under the influence of two types of air masses, the Continental Polar and the Maritime Tropical⁽¹⁾; their characteristic properties and frontal interactions have a marked effect in determining the type of weather that occurs throughout the year. In winter, Florida is a region of sharp contrast between the two air masses, the interplay of which may result in very different climatic conditions. When a cold continental air mass sweeps southward, it undercuts a tropical maritime air mass from the Gulf of Mexico and the Caribbean Sea. The recurrent importation of such cold air southward over Florida results in low temperatures, the severity of which depends upon pressure and temperature properties of the air masses. A Continental Polar air mass of great intensity is likely to bring freezing temperatures over Florida as far as the southernmost territory overcoming the warm-water influence in the vicinity of the Gulf Stream. On the other hand, the Maritime Tropical air mass may counteract the invading cold air and consequently irrelatively warm weather is secured.

The Continental Polar air mass is characterized by pronounced temperature inversion, especially when it remains stationary over Florida for periods of two to three days to allow for the subsidence, or slow sinking of the air. Cold pockets develop where environmental conditions permit.

In summer, the Maritime Tropical air mass is dominating over Florida. The sphere of invasion of the Continental Polar air mass is now restricted to the northern parts of the continent. Southeast and south of the continent lies a great ocean of warm water, over which develops a great mass of anticyclonic moist air. To the heated interior, this maritime air advances in the vicinity of Florida as one of its main channels, and naturally provides

(1) For detailed study on air masses of North America, see H. R. Byers, *General Meteorology* (McGraw-Hill Book Co., New York, 1944), pp. 255-277; and A. K. Showalter, "Further Studies of American Air-mass Properties" (*Monthly Weather Review*, Vol. 67, 1939), pp. 204-218.

Cyclones are generally erratic; their activity and velocity of travel are observed to be less marked than in winter. Thus, relatively dry weather is normal in spring.

Summer conditions commence at the end of May. Sub-tropical high pressures are interrupted by low pressures over the heated land mass of North America. The prevailing winds in peninsular Florida are from the southeast, showing a monsoonal change from the prevailing northerly direction in winter. Being warm, charged with moisture, and functionally wet, they are responsible for the rainy season. The moisture is mainly derived from the Atlantic, but in addition, southeast winds frequently meet the moist sea breezes from the Gulf of Mexico and cause downpours on the Peninsula. Northwest Florida, on the other hand, is widely exposed to warm, damp southerly air masses which move across the Gulf bringing sultry, humid weather.

On the whole, summer low pressure-conditions over North America may be said to be neither so intense nor so constant as to dominate the North Atlantic anticyclonic activities, (the Azores-Bermuda high). The latter is a permanent feature on the isobaric chart, and in mid-summer it encroaches on Florida (Fig. 2) and the other South Atlantic and East Gulf States. Relatively dry weather results which interrupts the summer precipitation over the entire area.

Not until the close of September do summer atmospheric conditions give way to those of autumn. With the cooling of the land mass, continental high-pressure areas develop, out of which the winds blow over the Gulf Stream and curve back over Florida from a northeasterly direction. The northeasterlies are dry by origin, but wet in function because they pass over the warm body of the Gulf Stream. By November, winter northeast trades become dominant.

A knowledge of the interplay of air masses and their features is useful in the understanding of the climate of a region. Florida

entire southern third of the Peninsula. Characteristic of southern Florida are the Everglades, an extensive flat surface of swamp land to the south of Lake Okechobee.

4. The Florida Keys form a curved chain, 200 miles in length, of about 50 principal islands. They extend as an arc following the southern edge of the Peninsula.

Florida as a whole is an expansive lowland within the greater continuation of the so-called Atlantic and Gulf Coastal Plain. Most of the land is less than one hundred feet above sea level and the highest point is only 325 feet. The physical features are not sufficient to cause major climatic contrasts; the local topography, however, is of primary importance in giving rise to many variations of micro-climatic conditions. For example, the numerous bodies of water (that is, shallow lakes) throughout Florida and especially in the Peninsula proper, bring up delicate geographic adjustments in relation to frost immunity over slopes adjacent to them.

Pressure distribution and surface circulation of air in Florida conforms to that of North America as a whole. In winter, when the interior of the continent is much colder than the adjacent water surfaces, a belt of high pressure spreads over the land mass and lies fairly close to the latitudes of Florida. The prevailing winds are steady trades which blow from the northeast on the Peninsula, and from the north on the shores of the Gulf of Mexico. Clear dry weather predominates. Nevertheless the high pressure system is constantly liable to interruptions by cyclonic activity which frequently produces several days of gray, overcast skies and drizzly precipitation.

With the approach of spring, the high pressure over the continent becomes less intense. The prevailing winds over Florida are from an easterly direction towards the low pressure areas developed over the southern part of the continent⁽¹⁾.

(1) Miller, E. B., "Monthly Charts of Frequency - Resultant Wind in the United States", *Monthly Weather Review*, Vol. 55, 1927, pp. 308-312.

while in summer the temperatures are similar. The Gulf of Mexico, which acts as a source of precipitation moisture is a major control in the climate of Northwest Florida. Its influence is greatly lessened in winter, however, by the invasions of cool off-shore northerly air masses.

The prevailing temperature conditions of the surface sheet of the Atlantic Ocean and of the Gulf of Mexico, together with the wind direction and velocity, have a decided influence on the amount of precipitation over Florida. It is apparent that the sea-surface water temperatures rise through the summer months, but this water is heated considerably more slowly than is true in the case of the land surface. As the water temperature continues to rise, however, the mean velocity of onshore winds diminishes and the frequency of precipitation increases due to increased opportunity for convection. When sea water temperatures are somewhat below normal, strong temperature gradients take place and result in increased wind movement over the land, thus suppressing convectional precipitation.

The terrain of Florida can be divided into four divisions; The Western Uplands, the Central Highlands, the Coastal Lowlands, and the Florida Keys (Fig. 1):—

1. The Western Uplands along the northern boundary of the State where some places rise more than 150 feet above sea level.

2. The Central Highlands, a topographic continuation of the Western Uplands, occupying the northern two-thirds of the Peninsula. It is a hilly country over 100 feet high with lakes abounding in the eastern section and lime-sinks strewn in the western section.

3. The Coastal Lowlands extend along the Western Uplands from the south, and along the Central Highlands from the east west and south. In southern Florida, the lowland constitutes the

is noteworthy especially in peninsular Florida. Temperature changes of water, and therefore of the air above it, have a lesser range than do those of the land and of the air masses immediately above the land. In Florida, it is not at all uncommon to find that the water temperature conditions are reflected in the temperatures over the adjacent land areas for long periods at a time.

Along the Atlantic seaboard of Florida, the Gulf Stream has important effects on the weather of the Peninsula mainly when the wind blows from an easterly direction. The Gulf Stream is a warm water body and as such favors low pressure, oceanic storms, and precipitation. The sea-surface temperature east of Florida averages 78°F., and ranges from 74°F. in February or March, to 83°F. in August (1). The warmth of the Gulf Stream is most effective in the winter season when its temperature contrasts most greatly with the coolness of the neighboring land. The effect of the Gulf Stream can be lowered considerably either by strong cool northerly winds which move southward and reach the Straits of Florida, or by the cooling as a result of the vigorous hurricanes that disturb and prevent the normal accumulation of warm surface water. Variations from year to year in the normal temperatures of the Gulf Stream, even though these may amount to a deviation of no more than 2° or 3°F., tend to be in part responsible for considerable seasonal variations in the climate of the Peninsula (2).

The Gulf of Mexico also plays an important role in the climate of Florida. The sea-surface average temperature west of the Peninsula is 77°F., ranging from 70°F. in February or March to 84°F. in August or September (3). Compared to the Atlantic seaboard, the Gulf side is slightly less warm in the winter season

(1) Slocum, C., "The Normal Temperature Distribution of the Surface Water of the Western North Atlantic Ocean" (*Monthly Weather Review*, Vol. 66, 1938), pp. 39-42.

(2) Brooks, Charles, F., "Gulf Stream Studies: General Meteorological Project" (*Monthly Weather Review*, Vol. 58, 1930), pp. 103-106.

(3) Slocum, *op. cit.*

Florida. Thus, its location favors a subtropical climate which approaches Florida the closest approach to tropical conditions anywhere in the United States.

Florida's location is unique in the U.S.A., and even in North America, because it occurs as a long southward projecting peninsula from the southeasternmost corner of the compact body of the continental land mass. Atmospheric conditions over the continent with their monsoonal changes influence the region.

The shape of the State of Florida in relation to the continent reveals two distinctive parts: (a) Northwest Florida, and (b) the Peninsula of Florida. Northwest Florida is a strip 220 miles in length which stretches in an east-west direction along the northern side of the Gulf of Mexico. The Peninsula, a south-southeast extension from the northern boundary of the State, is approximately 420 miles in length and actually includes about two-thirds of the total area of the entire State. The former is climatically an integral part of the mainland, while in the latter the peninsular location becomes the dominating factor.

Florida is bounded on the east by the Atlantic Ocean; on the south by the Straits of Florida and the Gulf of Mexico; on the west by the Gulf of Mexico and the State of Alabama; and on the north by Alabama and Georgia. Its coastline (some 3,700 miles in length) is the longest of any state in the U.S.A. No place in the interior of Florida is more than 60 miles from the Gulf or Atlantic Coast. Owing to the peninsular character, the climate is everywhere fairly uniform and marine in type. The cooling effect of the sea during summer and its warming effect in the winter result in less radical temperature fluctuations than are experienced by continental land masses in the same latitudes.

That the State of Florida is favored by water enclosure except on its northern side is of very great importance in its climate. The effectiveness of the sea in moderating temperatures

A CLIMATIC STUDY OF FLORIDA

BY

M. B. HEFNY

Climate is the resultant of many variable controls. Although the number of these controls can be increased arbitrarily, the most important ones are the following: latitude, position relative to land and water, elevation above sea level, and pressure system and prevailing winds. It is understandable that the interplay of such factors will give very different results in various parts of the world; in fact, no two places have the same climate although it will be possible to recognize climatic regions with a certain amount of climatic similarity.

A discussion of the climate of a region necessarily has to start with the climatic controls. The climate of Florida is dependent mainly upon latitude, the peninsular location in relation to the continent and to the bodies of water, the relief, and the influence of the pressure system and resulting air masses; and it is further affected by cyclonic disturbances.

CLIMATIC CONTROLS

Florida lies between latitudes $24^{\circ}30'$ and $30^{\circ}N.$, and longitudes $79^{\circ}48'$ and $87^{\circ}38'W.$, and is the most southerly unit of the United States of America. Its southernmost extension (Florida Keys)⁽¹⁾ is less than one degree of latitude away from the Tropic

(1) Key is an American modification of the English "quay" which is taken from the Spanish "cayo" meaning "small island."

100. Nos. CXLIX and CL. composing vol. 75 (1845). This volume contains also Kinglake's Review of Milne's *Idyls* and of S. Poole's *The English woman in Egypt* in an article entitled "The Rights of Women". pp. 94-125.
101. Bartholomew Elliot George Warburton (1810-1852) made an extended tour, in 1843, through Syria, Palestine and Egypt. These travels were described by him in the "Dublin University Magazine", October, 1843, January and February 1844 under the title of "Episodes of Eastern Travel", and he was persuaded by Charles Lever, its editor to make a book from them. "The Crescent and the Cross" came out in 2 vols. in 1844, but is dated 1845. Although "Eothen" had but just appeared, this work passed through at least seventeen editions, having been reprinted as late as 1888. The success of the book led Warburton to adopt literature as his profession. Its copyright, when in the 13th edition was sold in Henry Colburn's effects, on 26, May 1857, for 240 guineas (*Notes and Queries*, 2nd series, III. 458).
102. "The Crescent and the Cross", 16th ed., 1860. Hurst and Blackell, p. 185.
103. *Ibid.* p. 63.
104. *Ibid.* p. 166.
105. *Ibid.* p. 163.
106. See "Observer", 5th December 1897, p. 7.
107. "The Crescent and the Cross" op. cit. p. 48.
108. "Notes of a Journey from Cornhill to Grand Cairo", by Mr. M. A. Titmarsh (W. M. Thackeray) was first published in 1846.
109. Routledge, London, 1888. p. 306.
110. *Quarterly Review*, vol. 103, p. 356.

- (4) "Superstition — a Retrogressive Movement in Theology and Philosophy", 1861.
- (5) "Poems and Poetical Fragments", 1833.
7. "Letters," 3rd ed., 1839, pp. 151, 152.
8. Emma Roberts (1794?—1840) wrote among other works the following books:
 - (1) "Oriental Scenes, Dramatic Sketches and Tales. With other Poems", Calcutta 1830.
 - (2) "Scenes and Characteristics of Hindostan", 3 vols. 1835.
 - (3) "The East India Voyager", London. 1839.
 - (4) "Notes of an Overland Journey to Bombay" (Posthumous), London, 1841.
89. "Notes of an Overland Journey, through France and Egypt to Bombay", 1841, p. 133.
90. Richard Monckton Milnes, First Baron Houghton (1809-1835) visited Egypt and the Levant in the winter of 1842-43, where he was commonly supposed to have had numerous adventures. In 1844 he published his poetical impressions of the tour in a volume entitled: "Palm Leaves". His poetical works include:
 - (1) "Memorials of a tour in some parts of Greece", 1834.
 - (2) "Memorials of a Residence on the Continent", 1838.
 - (3) "Poems of many years", 1838.
 - (4) "Poetry for the people", 1840.
 - (5) "Poems, Legendary and Historical", 1844.
91. "Palm Leaves", Preface XXXIII.
92. Cantos XLII and XLIV, "The Burden of Egypt", "Palm Leaves", pp. 160, 161.
93. "Palm Leaves", pp. 132, 33, 34.
94. See *Quarterly Review* vol. 75 (1845), p. 54 and vol. 113, pp. 514, 15, (1863), *Asiatic Journal* 3rd Series, vol. 3; W. M. Thackeray "Notes of a Journey from Cornhill to Cairo", London 1846.
95. Introduction to "Eothen", Blackie and Son.
96. "Preface to the First Edition".
97. *Eothen*, Everyman's edition, p. 189
98. *Quarterly Review*, vol. 75 (1845), p. 54.
99. Everyman's Edition, pp. 153, 154.

69. 1st edition, 2 vols. (Knight), 1836; 2nd ed., vols., 2 (S.O.U.K.), 1837; 3rd ed., 2 vols. (Knight), 1842; 4th ed., (Knight's Weekly vols.), 1846. 5th ed. by Stanley Poole, 1 vol. (Murray), 1860, 6th ed. (reprinted), 2 vols. (Murray), 1871.
70. See "Description of Egypt, op. cit.
71. See Lane's "Note Book" reproduced in Stanley Lane-Poole's "Life of E. W. Lane", London 1887, pp. 40, 41, 52, 53, 61, 62.
72. "Description of Egypt" op. cit. vol. 1, p. 6.
73. Halls, "Life of H. Salt", op. cit., vol. II pp. 273, 274.
74. (Stanely Lane-Poole's) "Life of E. W. Lane", op. cit., p. 34.
- 75 76. See Edinburgh Review, vol. 65 (1837), p. 148.
77. See *Fraser's Magazine*, vol. 21 (1840), p. 331.
78. See: "Two years' Residence in a Levantine Family", by Bayle St. John, Paris 1850, p. 6.
Also: J. Kinnear, "Cairo, Petrea and Damascus in 1839", London 1841, p. 61.
Lucinda, S. Mrs. Griffith, "A Journey across the Desert", London 1845, pp. 112, 126.
79. Elliot Warburton, "The Crescent and the Cross", 16th ed. London, 1860, p. 172.
80. Alexander William Crawford, Lord Lindsay, "Letters on Egypt Edom...", etc., London 1838, vol. 1, p. 39.
81. Laws and Regulations of the Egyptian Society, and its Fifth Report 1841-1842", British Museum Ac. 12, 1881 a.i. (125, 126).
82. See: *Miscellanea Aegyptica* (Alexandria 1842), *Histoire de l'Association littéraire d'Egypte. Comptes-Rendus des fondateurs.*
83. T. Waghorn, "Overland Guide to India by three routes to Egypt", London 1844, pp. 17, 18.
84. Dublin Review, vol. 19, 1845, p. 175.
85. See: Marie E. de Meester, "Oriental Influences in the English literature of the 19th Century", Heidelberg, 1913.
86. Alexander William Crawford, Lord Lindsay (1812-1880). Spent his life in studious pursuits in the collection of a magnificent library, and in travel. Among his works are :
(1) "Letters on Egypt, Edom and the Holy Land", 2 vols. 1838, 5th edition, 1855.
(2) "Letter... on the Evidence and Theory of Christianity", 1841.
(3) "Ballads translated from the German", 1841.

varied experiences, are recorded in his "Visits to the Monasteries of the Levant", London 1819. It immediately took hold of the popular fancy; three editions were issued in 1819, a fourth in 1831, a fifth in 1865, a sixth in 1881 and a seventh (the latest) in 1897. In January 1843 he was appointed a commissioner for defining the boundaries between Turkey and Persia. His impressions of the country derived from a year's residence, are published in his "Armenis", of which three editions appeared in 1854. His later travels in Italy were devoted partly to the same object—the discovery of manuscripts, and the Philobiblan Society published in 1854 his "Account of the most celebrated libraries of Italy". He was a student of the history of handwriting, and his valuable collection had been gathered with a view to an exhaustive treatise on the subject, which he never completed. In 1843, he printed fifty copies of his "Catalogue of Materials for Writing, Early Writing on Tablets and Stones, Rolled and other MSS. and books in the library at Parham, which comprised examples in Syriac, Arabic, Turkish, Persian, Armenian, Greek and Coptic and upon which he intended to found a larger work. These manuscripts were deposited by his son in the charge of the department of MSS. at the British Museum.

60. e.g. Rossellini and Champollion. See *Quarterly Review*, vol. 53 (1835), p. 104.
61. G. Gliddon's *Ancient Egypt. Her monuments, hieroglyphics, history and archaeology* (10th ed., New York 1847).
62. For a full view of the work of this expedition, see British Museum Add. MSS. 29, 812-29, 860.
63. See J. Webster *Travels through the Crimea, Turkey and Egypt*, London 1830, p. 15.
64. There is a drawing of Hay's tomb in the Egyptian Collection, vol. 5, British Museum Add. MSS. 29, 816.
65. See: J. A. St. John, "Egypt and Mohamed Ali" 2nd vol., p. 132.
66. G. A. Hoskins, "Visit to the Great Oasis", pp. 16 and 17.
67. See "Description of Egypt or Notes and views in Egypt and Nubia, made during the years 1825-26-27-28 of the monuments, scenery, etc. of these countries; the Views, with few exceptions made with the camera lucida", by Ed. Wm. Lane. In 3 vols. (British Museum, Add. MSS 34-080-88).
68. The Eclectic Review, October 1837, vol. 11. N.S., p. 313, writes: "... his work may be considered as nearly superseding all the slighter sketches conveyed to us in the narratives of the numerous recent travellers".

works are: (1) "The United Irishmen, their Lives and Times", London 1843-6, 7 vols. (2) "The Literary Life and Correspondence of the Countess of Blessington" London 1855. (3) "Travels in Turkey, Egypt, Nubia and Palestine in 1824-7", London 1829, 2 vols. (4) "The Mussulman", a novel, London 1830, 3 vols. (5) "The Infirmities of Oenius", London 1834, 2 vols. (6) "A Twelve Months Residence in the West Indies", London 1835, 2 vols. (7) "Poems by a Slave in the Island of Cuba recently liberated, translated from the Spanish", London, 1840. (8) "Egypt and M. Ali", London 1841. (9) "The Island of Cuba", London 1849. (10) "Shrines and Sepulchres of the Old and New World", London 1851, 2 vols. He, also, contributed to the "Morning Herald", the "Athenaeum" and the "Metropolitan Magazine"

51. "Oriental Herald", vol. 22, p. 490.
52. See "Travels in Turkey, Egypt, etc.," by R. R. Madden, 2 vols., London 1829, vol. 2, pp. 112, 113, 114.
53. See: D. Urquhart, "The Spirit of the East", 2 vols., London 1838.
54. R. R. Madden, "Travels in Turkey, Egypt, Nubia and Palestine in 1824-7", London 1829, 2 vols. vols. I, p. 353.
55. James Augustus St. John (1801-1875) His works, which are of a varied character, include:—
 - (1) "Anatomy of Society", London 1831.
 - (2) "Lives of the Celebrated Travellers", 3 vols., London 1831.
 - (3) "Tales of the Ramadan", 3 vols., London 1835.
 - (4) "Manners and Customs of Ancient Greece," 3 vols., London 1842.
 - (5) "Egypt and Nubia" (an anthology), London 1845.
 - (6) "Oriental Album" (descriptions accompanying), London 1848.
 - (7) "Isis, an Egyptian pilgrimage", 2 vols., London 1853.
 - (8) "The Ring and the Veil", A Novel, 3 vols., London 1856.
56. "Athenaeum" No. 2. (February 1833), p. 90.
57. J. A. St. John, "Egypt and Mohamed Ali", 2 vols., London 1834 vol. I., p. 222.
58. J. A. St. John, "Egypt and Mohamed Ali", London 1834. vol. II, p. 229.
59. Robert Curzon (1810-1873) 14th Baron Touche (or de la Touche) of Harringworth. He visited Egypt and the Holy Land in 1833-4, on a tour of research among the monastery libraries whence he succeeded in rescuing many valuable manuscripts and showed the way to other explorers, such as Dr. Tattam. His

33. T.F. Fisher. 'The Library Companion'. (1824), vol. 2, p. 47.
34. "Narrative".... London 1820, p. 120.
35. *Ibid.* p. 153.
36. See 'Eclectic Review', vol. IV. Part 11 (1808), p. 219.
37. E.D. Clarke (1769-1822) author of 'Travels in various countries of Europe, Asia, and Africa' (1810-23) wrote this in a letter to his friend and biographer, William Ouse, dated January 1800. See D. N. B.
38. 'Aegyptica', London 1809, p. 294.
39. R. Richardson, "Travels", London 1822, vol. I, p. 323.
40. "Narrative of a journey in Egypt and the country beyond the Cataracts", by Thomas Legh, Esq. M. P. 2nd Ed., London 1817.
41. Sir Frederick Henniker (1793-1825). "Notes during a visit to Egypt, Nubia, the Oasis, Mount Sinai, and Jerusalem", London 1823, p. 181.
42. See: 'Oriental Herald', 101-14 (1827), p. 473.
43. See: 'The Rosetta Stone', a publication of the British Museum, London 1839.
44. See: 'Eclectic Review', vol. XXI, N. 8. (1824), p. 1.
45. See: 'Edinburgh Review', vol. 65 (1837), p. 146.
46. The Oriental Translation Fund was established in 1828 and by 1831 it had already published fourteen works. (See 'The Athenaeum', No. 199 [1831], p. 569).
47. 'Eclectic Review', vol. XX, N.S. January 1824, p. 2.
48. "Edinburgh Review", vol. 50, p. 441.
49. John Carne (1789-1844) on coming back to England from his travels in the East, commenced writing for the "New Monthly Magazine", an account of his travels under the title of "Letters from the East." These Letters, were then reproduced in a volume dedicated to Sir W. Scott, which went to a third edition. His works include. "Tales of the West", 2 vols., London 1828: "Recollections of Travels in the East; 3 vols. 1830: "The Exiles of Palestine, a Tale". 3 vols., 1831.
50. Richard Robert Madden (1795-1855) travelled in the Levant between 1824 and 1827, visiting Smyrna, Constantinople, Candia, Egypt, and Syria. In 1840, he accompanied Sir Moses Montefiore on his philanthropic mission to Egypt. He held many important posts in the Government until 1850 when he was appointed secretary to the Loan Fund Board, Dublin Castle. Among his

- (3) *Travels in Arabia*, 1829 (Two editions), trans. Into French, Italian and Spanish.
- (4) *Notes on the Bedouins and Wahabys*, 1830.
- (5) *Arabic Proverbs*, 1830. 2nd ed. 1875, trans. into German, 1834.
- For further particulars about Burckhardt's life, see: Q. R. 18, p. 362; Q. R. 22, p. 437; J. A. St. John, *Lives of Celebrated Travellers*, London (1832), vol. III, p. 239; *Travels of M. Burckhardt in Eg. and Nubia from the 'Calcutta Journal'*, in the *New Voyages and Travels*, Sir R. Phillips, London 1819, vol. II.
23. "Arabic Proverbs.....Trans. and explained by the Late J. L. Burckhardt", London MDCCXXX.
- 24., 25. Henry Salt (1780-1827)... artist, traveller, and writer. His works include:—
- (1) "Voyage to Abyssinia", London 1814.
 - (2) "Twenty-four Views in Egypt and St. Helena", London 1809.
 - (3) "Egypt. A Descriptive Poem by a traveller"; Alexandria 1824.
- For further particulars about Salt's life and work, see J. J. Halls, "The Life and Correspondence of Henry Salt", 2 vols., London 1834; *Quarterly Review* vol. 19, p. 395.
26. See Halls' Life of Salt, op. cit, vol. 2, pp. 131, 132.
27. Letter to the Earl of Mountnorris, Cairo, June 1919, Halls, vol. I, p. 500.
28. "Egypt...", Alexandria 1824.
29. *Ibid.*
30. G. B. Belzoni (1778-1823) lived for nine years in Great Britain, after which he left with his English wife for Malta. He arrived in Egypt in 1815, where he excavated (1817) the Temple of Ramses II at Abu-Simbel. Later, he opened the Second Pyramid of Gizeh, after which he returned to England. There he constructed a facsimile model of two chambers of the tomb of Seti from drawing and wax impressions which he had taken on the spot, and exhibited it with success at the Egyptian Hall. In 1820, Murray published the "Narrative of the Operations and Recent Discoveries...in Egypt and Nubia..., etc., by G. B. Belzoni."
31. In 1831, a summary of the book was published in dialogue form, under the title: "Fruits of Enterprize, exhibited in the travels of Belzoni in Eg. and Nubia...", by Sarah Atkins. It was written for juvenile readers, and is based wholly on Belzoni's narrative.
32. vol. III, p. 88.

15. William John Bankes was Byron's friend through life. He died in 1855.
16. "Narrative of the life and adventures of G. Finati, native of Ferrara; who, under the assumed name of Mahomet, made the Campaigns against the Wahabees for the recovery of Mecca and Medina" transl. from the Italian and edit. by W. J. Bankes, 2 vols., London MDCCCXXX.
17. "Geometrical elevation of an obelisk (in red granite) from the Island of Philae...which was first discovered by W. J. Bankes, in 1815..." London, 1821.
18. J. S. Buckingham (1786-1855). He established the "Oriental Herald and Colonial Review" in January 1824 which he continued to conduct until it ceased to exist in December 1829. In 1830 he published the *Oriental Quarterly Review*, but only two numbers were published. In January 1828 he established the *Attenaeum*, and was editor of it for a short time. In 1828, he was elected M. P. for the new borough of Sheffield. Among his works are: (1) "Travels in Palestine ... 1822". (2) "Travels among the Arab Tribes inhabiting the East of Syria and Palestine; 1825. (3) Travels in Assyria, Media and Persia 1830". (4) Autobiography of J. S. Buckingham, 2 vols., 1855.
19. "Excursions on the Banks of the Nile, appeared serially" in the *Oriental Herald* as follows: No. I, vol. 12 (1827), p. 393; No II, vol. 13 (1827), p. 41; No. III, vol. 13, (1827), pp. 253, 461, No IV, vol. 14 (1827), p. 41. The series was continued later under the title "Voyages on the Nile from Cairo to the Cataracts", and appeared in the same periodical as follows: No. I, vol. 20 (1829), p. 393; No. II, vol. 21 (1829), p. 34; No III, vol. 21 (1829), p. 220; No IV, vol. 21 (1829), p. 439; No V, vol. 22 (1829), p. 36; No. VI, vol. 22 (1829), p. 245; No. VII, vol. 22 (1829), p. 417; No. VIII, vol. 23 (1829), p. 57; No. IX, vol. 23 (1829), p. 219.
20. *Oriental Herald* Vol. 22 (1829) p. 427.
21. *Oriental Herald* vol. 23 (1829), p. 497.
22. John Lewis Burckhardt (1784-1817), arrived in Cairo, September 1812, and after a stay of five years, he was attacked by dysentery and died on 15th October 1817, in Cairo, where he was buried in the Mohammedan cemetery, under his Eastern name of the Pilgrim Ibrahim Ibn Abdallah. His works, which were edited by Sir W. Ouseley, and Col. Leake appeared in the following order:—
(1) *Travels in Nubia*, 1819, 2nd edn. 1822.
(2) *Travels in Syria and the Holy Land*, 1822, German trans., 1824.

NOTES

1. *Quarterly Review*, vol. XLX, 173.
2. R. Richardson, "Travels along the Mediterranean", London 1822, vol. I, p. 163.
3. Preface to "A Narrative of the Expedition to Dongola and Sennar under the command of His Ex. Ismael Pasha", by George Bathone English, Boston, 1823.
4. Irby and Mangles, "Travels in Egypt...", London 1823, p. 163.
5. William Macmichael, "The Gold-Headed Cane", London 1823, pp. 156-7.
6. R. Kerr, "A General History of Voyages and Travels", London 1824, vol. 18, p. 483.
7. F. Henniker, "Notes during a visit to Egypt, etc...", London 1823, p. 139.
8. James Elmes, "Metropolitan Improvements, or London in the 19th Century", London, 1829, p. 157.
9. See the 'Annals of Fine Arts' No. XI, p. 533.
- 10, 11. See:
 - (a) *Quarterly Review* for 1818.
 - (b) Patteson, Rev. E., 'Aegyptus, Egypt or Misr', Richmond, 1806.
 - (c) Wilfred, Francis, 'On Egypt and other Countries...' c. 'Asiatic Review', vol. III. (1807), p. 295.
 - (d) Hope, Thomas. 'The Costume of the Ancients...', London 1809.
 - (e) Baxter, Thomas. "An Illustration of the Egyptian, Grecian and Roman Costume, London 1810.
 - (f) Prichard, James Cowles, "An Analysis of the Egyptian Mythology", London 1819.
 - (g) Landseer, J., "Sabæan Researches, London 1823.
 - (h) "The Travels of a British Druid, or the Journal of Elynd", 2 vols., London 1811.
12. See: Joung, T., on Egypt in the Supplement to the *Encyclopædia Britannica*, vol. IV, Part I, Section I. British Museum Tracts B. 463, p. 2.
13. See: Darbishire, Helen: "Keats and Egypt": in *Review of English Studies*, vol. III, No 2, January 1927.
14. See "Edinburgh Review", vol. 27 (1816), p. 127.

This is relevant to what Kinglake describes in his *Preface* as "feelings appropriate to certain sites"; it also explains the waywardness of *Eothen* in avoiding the current sentiments, and the care its author had to devote to the writing of it.

For it is obvious that as travel-accounts increased allowing the traveller to become less and less concerned with the facts in their objective detachment, the travel-book developed into a highly complex form which called for all the creative powers of the literary "architect", who, in the words of the *Edinburgh Review*, "possessed the *art* of communicating his impressions".

the freedom which the traveller in this period attained in a higher degree than ever before was denied the tourist whose very movements and thoughts had been determined for him by others, preventing him from lending himself to the moment. As a result, the pleasure which now attended the journey, the playful and egotistic wantonness of Kinglake different from the mellow benignity of Lane, turned with many tourists into a persistent sneer, soulless and devoid of humour.

And so, with the emergence of the tourist, the literary interpretation of Egypt almost came to an end, and the misinterpretation began.

Now, before I conclude, I should like to stress one little point—that the appearance of the tourists was no relapse; but an illustration or, call it manifestation—if you like—of the two factors which I have referred to earlier in my lectures as governing the development of the travel-book as a literary form: first, the amount and nature of knowledge possessed by the readers to whom these books of travel were written; and secondly, the degree in which the traveller's experience of the country was integrated.

For, with the accumulation of travel-literature towards 1850, we notice that the experience of the traveller was both artificialized and standardized by the scarcity of both undescribed objects and novel feelings. The *Quarterly Review*, noting this last phase of the 'genre', writes in 1858:

'Most tourists profess to record their first impressions—yet—How many have decided beforehand what their first impressions are to be! A modern tourist addresses himself to those who are familiar with the scenes described, or who soon will have an opportunity of testing the fidelity of his descriptions. He has the labours of his predecessors before him in abundance to compare with his own observations. Can he do otherwise than make it his first care to ascertain, not what his first impressions were, but what they ought to have been and what emotions they ought to have excited' (110)

as the last phase in the development of the travel-book in this period.

We note also that this class of travellers, which we term 'tourists' was produced by two main currents of the time: the facilities of communication and the numerous accounts of travel. The first encouraged many to move, while the second told them what to see. For, by the increase in books of travel, certain features of the country came into focus, and in consequence the travellers came to make the journey not so much to view the country as to see such sights as had already been prescribed for them. Perhaps equally prescribed were the feelings connected with these sights, and as a result we notice that the independence of the travellers was very much diminished. In fact, it was almost lost, and with the loss there came a note of falsehood into the travel-book. For with their movements and sentiments predetermined for them, the lyricism which characterizes the literature of the period is turned in the hands of the tourists into a banal and trivial egotism, the search for the marvellous into a search for the bizarre, and the constant attempt to bring out the qualities of Eastern travel by the sheer power of contrast with the West into a mass of indiscriminating prejudices. We have, perhaps, noticed that the literature of the period derives greatly from an inexhaustible fund of associations and stored-up impressions, in fact, from the impact of the unseen on the seen; but with the tourists, to whom these associations were lost because they were a matter of adoption, there was no inward reality that may have its impact on the scene. Instead, we have a host of set ideas and beliefs which tend to standardize the experience, because they did not originate in the heart, but were obviously borrowed from others. Compatible with this artificiality was the replacement of the sense of pilgrimage, a result of the wealth of associations and noticeable even in someone like Kingslake or Thackeray, by a sense of the sensational. Thus

although he was conscious of the misery and degradation of the people, and is much better in his condemnation of them than many of the travellers. The truth is that he was, like Kingsley, aware that everything had been said about the country, and that nothing was left for him to say. He was also aware of the passion for Oriental colour by which his contemporaries were possessed: and perhaps, in his revolt against the excess of this passion as well as in his desire to say something new, he turns all his powers for burlesque against the tendency. In fact, Thackeray's case affords a good illustration of the currents of the time: the excessive popularity of Egypt in the English mind, the romantic associations connected with it, the search for the Oriental colour, and the appearance of the "tourist".

For, though he ridiculed the romantic travellers, Thackeray's main shafts were directed against the hordes of English tourists who came to the country: and it was something like a disappointment to Thackeray to travel all that way in order to find "England—in a French hotel kept by an Italian at the city of Grand Cairo, in Africa". This "tourist" mode of travel was certainly disagreeable; it worried him constantly as it robbed the journey of all sense of novelty.

He laughs at his fellow-tourists—at "the sentiment of awe lost in the scramble of victuals"—at the Oxford graduate busy with the cold ham, and the Downing Street man particularly attentive to a punch of grapes; but is there not something behind all this laughter and ridicule? A muffled note of dissatisfaction and resentment—or perhaps a disguised protest? In truth, Thackeray could not rid his memory of all the associations which were connected with the scene; and, while he intended to annihilate its colour, he was inwardly zealous for its preservation and resentful because it was being effaced.

Hence Thackeray's mockery and also his condemnation of the tourists whose appearance, as a class by themselves, we note

yearns for the return to a life of action; and in this yearning constantly recalls the European scene contrasting it with and preferring it to the Eastern. And in this recurrent contrast, where the Oriental colour was heightened, one feels that Warburton, like many other travellers was sincere in his praise of the Orient and in his revolt against it, for did it not represent a life of inaction and disintegration that was opposed to the very bent of the English mind, occupied as it was then with questions of reform and a wide world of action and enterprise which the Empire had opened up? Here, he describes a woman of the "Harem":—

"Silken scarfs, as richly coloured and as airy as the rainbow, wreath her round, from the snowy brow to the finely rounded limbs, half buried in billowy cushions; the attitude is the very poetry of repose..."

The mystery, the seclusion, and the danger that surround the Odalisque... but... an English fireside, a Scottish mountain, or an English glen, have more attractions in this respect than any Zenana in Arabia; and the women who inhabit them, with purity in heart, and intellect on the brow, and a cottage-bonnet on the head, are better worth risking life (nay, liberty) for, than all the turbaned voluptuous beauty of the East" (107).

There is a note of disillusionment in this presentation of the Romance and Realities of Eastern travel which is remarkable in many writings of the time, and is much more so in Thackeray's "Notes of a Journey from Cornhill to Grand Cairo" (108) where we may read:—

"It is poor work this landscape-painting in print. Shelley's two sonnets are the best views that I know of the Pyramids—better than the reality; for a man may lay down the book, and in quiet fancy conjure up a picture out of these magnificent words, which shan't be disturbed by any pettinesses or mean realities—such as the swarms of howling beggars, who jostle you about the actual place, and scream in your ears incessantly, and hang on your skirts and howl for money" (109).

But Thackeray's disillusionment does not arise merely from such realities of Eastern travel as Warburton had met with,

on the sentimental. The sub-title of Warburton's book is the "Romance and Realities of Eastern Travel"—the reality consisting in the pronouncement of judgments which had been borrowed and twisted from someone like Lane or Madden and in the indiscriminating condemnation of the whole people. "He was the best of dragomans," he writes, "but an Egyptian still!"⁽¹⁰¹⁾. Without knowledge of Arabic, he condemns the songs of the people, and writes of his Cairene visitors:—

"One soon gets tired, however, of people whose principal contribution to society is the smoke of their pipes; whose every principle (if they have any) is so opposed to our own and whose information (if they choose to give any) is so little worth having!"⁽¹⁰²⁾.

I have so dwelt on this aspect in Warburton, not so much to expose his prejudices, but because it determines the form of the book. Someone called it a guidebook to Egypt and discovered in it the germs of many ideas that were later accepted by English statesmen⁽¹⁰³⁾, and I should add by a large number of English people; but all this would have been irrelevant to our purpose had it not in reality given the book its particular character. For unlike Kinglake, Warburton did not aim only at conveying his impressions, but at giving a complete view of the country—with a chapter here on Islam and another there on women, and a few on the future and the past of the country. There is, consequently no narrative to engage our interest as in Kinglake and no hero on whom we may lavish our admiration—but there are two other qualities which had contributed greatly to the success of Eothen and which made the "Crescent and the Cross" even more successful because in it they were more accentuated. These are the feeling of a different world, and the exaltation of the national feeling—carried side by side, each heightening the other:—a sense of romance which played on the imagination—and of reality which appealed to the national pride. But this is not all. One is aware in Warbuton of the nervousness of an inward energy which, though it delights in the opposite qualities of lull and lassitude that the scene affords, wears the Nils out and

vague prophecy that the English would plant a foot on the banks of the Nile, but no one before Warburton had written:—

“Egypt is rapidly becoming influenced, not by the nation that gives officers to her armies, but by that which gives merchants to her counting-houses, and capital to her exhausted resources. She is becoming gradually and unconsciously subsidized by the wealth that England lavishes, and hourly more entangled in those golden chains from which no nation ever strove to loose itself” (102).

In another instance, he writes:—

“England is expected in the East, where, hitherto, she has never planted a standard, except in defence of the Crescent, and the integrity of her dominions. That she will ever come forward to vindicate the Cross, where her best and bravest blood was shed in its defence six hundred years ago, is very problematical; however, “Gold wins its way where angels might despair”, and the interests of India may obtain what the Sepulchre of Christ has been denied” (103).

The mention of the “Sepulchre of Christ” in this passage is not without its significance; Milnes had declared his wish to fuse his own thoughts with those of the Eastern mind, as something belonging to a different species of the human race. Kinglake with his sweeping statements about the Orientals had reduced them to mere pigmies beside the English giant, and now the “Crescent and the Cross!” There is something, one feels, in this deliberate juxtaposition of the two worlds, in the religious prejudice unanimous among the travellers of the period, and in the universal abuse of the Orientals. Was this new “Crusade” due to the defeat of Mohamed Ali and the decadence of the Ottoman Empire on the one hand, and on the other to a wave of religious and national zeal that was passing over the English mind? It is difficult to tell, but we know that the objectivity of the previous period had almost disappeared, and with it all sense of accuracy or justice; instead we have a sweep of generalizations which are often contradictory, a hauteur of manner; and an exaggerated passion for the Oriental which borders sometimes

youth rather than an aid, Kinglake captured the romance of the Oriental colour which played strongly on the English imagination. Here, he describes his arrival in Egypt.

The heat grew fierce; there was no valley nor hollow, no bill, no mound, no shadow of hill nor of mound, by which I could mark the way I was making. Hour by hour I advanced, and saw no change—I was still the very centre of a round horizon; hour by hour I advanced, and still there was the same, and the same, and the same—the same circle of flaming sky—the same circle of sand still glaring with light and fire... But on the eighth day, and before I had yet turned away from Jehovah for the glittering god of Persians, there appeared a dark line upon the edge of the forward horizon, and soon the line deepened into a delicate fringe that sparkled here and there as though it were sown with diamonds. There then before me were the gardens and the minarets of Egypt, and the mighty works of the Nile, and I (the eternal Ego that I am!)—I had lived to see, and I saw them.

... The next day I entered upon Egypt, and floated along (for the delight was as the delight of bathing) through green wavy fields of rice, and pastures fresh and plentiful, and dived into the cold verdure of groves and gardens; and quenched my hot eyes in shade, as though in a bed of deep waters" (99).

"Eöthen" was addressed to one of Kinglake's friends, Elliott Warburton, whom it was supposed to guide on his tour in the Levant. But he had made the journey already in 1843, and a short while after "Eöthen," his "Crescent and Cross" came out and was reviewed by Kinglake in an article entitled "The French Lake" in the next issue of the "*Quarterly Review*" (100) to that in which Warburton had reviewed "Eöthen" (101).

The emphasis in Kinglake's review was on the political aspect of the book, and Kinglake was right; for Warburton's originality lay chiefly in the depth and insight of his political views. There had been a few guesses, among which was Kinglake's

life among scenes of utter dejection and death in Cairo, the ordeals and fatigues of the Suez route with the blessings of a clean, warm bed where it was delightful "to be on fair sheets, and to dally with sleep, and to wake once more, for the sake of sleeping again" (27). A world of strong contrasts which keeps us alert all the time, with hardly a moment of boredom or repose; and in this world of black and white, he achieved the Oriental colour as no other traveller had done. When the book was published, his friend, Warburton wrote, "Other travellers write about the East—what Kinglake gives us is the East itself" (28). This was what the age demanded, not to know how the Nile or the Pyramids look like, but to feel that they belonged to a different world, and this feeling Kinglake conveys full and whole. For, apart from the purity of form which is a great asset in this instance, he paints the Oriental colour in constant contrast with himself, not as a mere individual, but as an Englishman whose faith in the superiority of his people never flagged. With this consciousness always in the background, the lines he drew tend to be sharp, heightening the colour by sheer power of contrast. On the other hand, his constant exaltation of all that is English, and his deliberate avoidance of all grounds covered by other travellers must have given an additional gloss to his colour, in the eyes of his contemporaries at least. In fact, Kinglake never goes direct to Oriental colour, though the book is one uninterrupted attempt to render it; if he ever does, it is to bring it down to earth, as he after describing the immensity of the Pyramids calls them things of this world, built by men who "ate onions for the reward of their immortal labours". But he implies it in his descriptions, and what we get is a feel—enhanced by its being constantly contrasted with the West.

So that with an extraordinary capacity to detach himself, yet feel and express his feelings, not in intellectualised statements, but as they occurred and in juxtaposition to each other—and with a highly finished prose, rhythmic yet supple, refined and compact, employing artifice as a gambol or a happy frolic of

Kinglake consciously attains the purity of form through an accentuation of his "egotism" or, as he calls it, "his habit of referring the whole external world to his own sensations" (""). And it is a strong, vigorous "Ego" that meets us in these pages—a "sort of Byron in the desert" who, with pride and fire in his soul, sweeps across the decadent East with all the glory and splendour that belonged to the time, indifferent, aloof and expanding, making his way through one difficulty after the other—miraculously victorious in the end. Indeed, I wonder how many realise that a good deal of the charm of "Eöthen" lies in this sense of heroism which it suggests:— in the desert he makes his way alone and unguided to Suez, bandits—who later on rob a poor Arab lad—let him go unmolested, and also saddle a donkey for his use. All through, the Pashas and Arabs he meets are portrayed, we feel, like pigmies beside a giant, and in Cairo, where the plague rages and kills all whom he knows and comes into contact with, his escape is indeed miraculous, especially as he defied all precautionary measures.

This constant conflict with circumstance through which his unconquerable will always finds a way, together with a note of loneliness which comes up occasionally cannot but engage our interest and perhaps win our admiration. Yet, there is something heroically forlorn about the adventure (for so I should call it), something of a "Childe Harold"—and also a good deal of sincerity. Kinglake was young when he visited the East, with an exalted opinion of himself; he did not make the journey because of ennui, but, as he says in his preface "to strengthen his will and temper the metal of his nature". In other words, to find himself, and one feels in the expansion of this young, confident mind against the deserts and the ruins of the Old World a note of inward sadness that emanates from a sense of the limitations and eternal solitariness of the human soul, however much he might muffle it with cynicism or ridicule or nonchalance. This sense of conflict, of something defiantly heroic or subtly tragic, is very much emphasized by a characteristic method which Kinglake applies, not only to the phrasing of his sentences, but to his whole approach—that of thesis and antithesis. The scorching desert followed by the cool verdure of Egypt, the triumphant and defiant

the marvellous, and the adventurous, of the permanent and the transient—and, above all, of a sharp contrast between the East and the West such as the travellers until now have tried to convey is happily and vigorously embodied in "Eöthen".

In fact, "Eöthen" was of the age, and does not represent something that had never been done before—but all the current tendencies at their best; they are all culminated in it, the impressionism, the extreme personalness, the search for Oriental colour and the Byronism of the time. And, as such, it represents but a natural stage in the development of the "genre", for, as he himself admits, Kinglake could not have afforded to be as "free" as he was, choosing to say only what he liked, had he published his book twenty years earlier. He had written it twice before he came to the final form, not knowing to whom he was writing and perhaps wondering, as he tells us in his "Preface", whether it was the Lady of Bitterness, a member of the Royal Statistical Society, or a certain friend who was going to read his book.

Deciding finally to address it to his friend, Warburton, or in reality to no one in particular, he achieved a singleness of purpose which other travellers had chiefly lacked. In this way he met with the requirements of the new sensibility, judging not only by the enormous success with which the book immediately met, but by the opinions of his contemporaries⁽⁹¹⁾.

Sir Quiller-Couch strikes a true note when he writes:—

"This dominance of the Western will over the East may be a passing one... It is almost certainly transitory in comparison with the spell of the East upon Western imagination. Of the two in interplay, at a happy moment, Kinglake gives us a sketch only, but a finished sketch, vivid and fascinating"⁽⁹²⁾.

In fact, that was what the other travellers had been trying to do—to capture what we have referred to as the Oriental colour; Kinglake's achievement was to bring into the capture—among many individual merits—the great advantage of a perfect, unadulterated form. For, with hardly any room for deliberate information or description of external reality for its own sake,

It is an attempt in which he is ethically concerned with the inter-relations of the East and the West, exhorting his countrymen to read Goethe's "Divan", Urquhart and the Koran, to study and understand Islam and to bend their thoughts Eastward so that they might (as he says):

"Learn to labour and to wait."

For apart from historical associations which sent his mind aflight "... through realms of marvel stretching far", the actual scene, with its quiet engulfing the traveller, shutting him out from the rest of the world and throwing him almost entirely on his inward resources, afforded in itself a repose little known to the Western way of life, a languor in which both body and mind expanded and joyed. Most of the travellers of the period give expression to their enjoyment of this sense of leisureliness and lassitude of which the West had been robbed, but which still lingered on under Eastern skies—an almost physical pleasure, yet not without its impact on the soul, suggesting through myriads of strange forms and shapes a strong sense of the marvellous and the uncanny.

Sailing up the Nile, Milnes writes:—

"How happy in that cool night air to glide
By Kene, Edfou, Ombos I each in turn
A pleasure, and to other joys a guide:
Labourless motion—yet enough to
Sren's roseate cliffs Egypt's romantic bourn."
Then I could taste without distress of thought
The placid splendours of a Nubian Night
The sky with beautiful devices fraught
Of suns and moons and spaces of white light;
While on huge gateways rose the forms of Night,
Awful as when the People's heart they swayed
And the grotesque grew solemn to my sight;
And earnest faces thronged the Colonnade,
As if they wailed a faith forgotten or betrayed" (92).

The qualities of Eastern travel, which we have seen the travellers until now trying to pursue with occasional success, were captured with much compactness and imagination by Alexander William Kinglake (93). A sense of splendour and of

"I disliked the idea of hurrying through a scene replete with so many interesting recollections. I had commenced reading the 'Arabian Nights Entertainment' at the age of five years; since which period, I had read them over and over again at every opportunity, finishing with the last published number of the translation by Mr. Lane. This study had given me a strong taste for everything relating to the East, and 'Arabia' especially."⁽¹⁵⁾

Less imaginative than Lindsay, and with much less fire and adventure in her soul, she yet agrees with him in avoiding the description of external reality, concentrating on what relates personally to herself—her feelings and her thoughts. There is no conscious effort to convey anything in particular, and the narrative flows on with ease and quiet, pleasant in its personalness; yet one cannot fail to notice a secret delight in depicting the Oriental colour, sought after by the travellers of the period. Though equally characteristic, it was different from the local colour the travellers of the previous period had depicted. It is a difference of emphasis or attitude; for, whereas the "Realists" had portrayed it as illustrative of manners and customs and part of external reality to be defined and conveyed with accuracy, Miss Roberts and later travellers painted it (as it were) for its own sake, for the sharp contrast it afforded and the halo it helped to widen. A delight in itself, captured not so much by the observant faculties as by the imagination, in the process of connecting the inward with the outward reality. It is a search for the Oriental, not as a quality of a certain locality that is being described, but as an inducement to novelty, remoteness and antiquity: in short, the romantic.

The delight in Oriental colour so much evinced, as I have said by many travellers, was but one aspect of the spell which the East exercised over the imagination of the travellers in this period. A statesman, poet and traveller, Richard Monckton Milnes (⁽¹⁶⁾), attempts in 1843 to go further than his contemporaries and fuse together his

"Own natural and national modes of thought and those of the Oriental province of the human mind taking the East a basis of reflection" (⁽¹⁷⁾).

than a picture, aglow with a light of its own, which is part of the sense of pilgrimage that seemed to accompany the journey in those days—common to most of the travellers because of the halo of associations.

Seen under this light, the bare outlines of reality are now clothed up, and teem with a life that they did not know before. They are no longer represented for their own sake, but to help convey the atmosphere—parts and particles of the enhanced impression. And together with this there is an attempt to convey a sense of the unfamiliar, similar to the Oriental colour for which other travellers of the period had their eyes well open—the strange atmosphere of a strange world. In the following passage, one feels that the words are put together, not so much to depict a picture, but to impart the quality of strangeness and perhaps also to lead up to an emotional climax. He describes the private tombs of the Thebans:

"Life on the one wall—Death was pictured on the other; to the left the owner and his wife, lovingly embracing each other, entertain their friends with the fruits of their labour; servants are in attendance; young men and maidens, the heyday of youth and riches; to the right, he stands erect, but stiff and lifeless—the embalmer extracts his brain with a long crooked instrument, preparatory to filling the skull with aromatics and spices; that work over, the coffin is borne in solemn procession; a figure muffled up and shapeless—his wife—is drawn on a sledge in front of it—the sacred boat of the dead, two obelisks, and two trees, like cypresses. Horace's lines came across me, as I gazed on them, with an indescribable feeling of melancholy" (7).

Perhaps it was a matter of necessity, as Miss Roberts (8) remarks, passing through Egypt two years later, that the traveller should be content with the feelings which the antiquities excited in him, as they had been already well described. She, too, was haunted by a host of associations; and, sensing the imminent prosaicness which was to clothe the Egyptian scene through the Overland Route, she confesses a desire to traverse the desert in a primitive way.

translations of Oriental texts⁽¹¹⁾. Such works as were produced by Byron and Southey, Sir William Jones and Edward William Lane, and the active members of the "Oriental Translation Fund", had by now accumulated and permeated the public mind. There is frequent evidence of this in the travellers themselves whose knowledge, we notice, is no longer confined to the "Arabian Nights" but extends as far as early Arab poets, historians and geographers. And we cannot but infer by their continual search for Oriental colour during this period that their preconception of it constituted one of the chief attractions to visit the country. Even Thackeray, in spite of his attempt to parody the tendency, could not completely rid himself of the Arabian Nights images which haunted his mind while on the scene, or eschew reproducing whatever Oriental "colour" his eyes caught.

So, with this Oriental or romantic attraction, for in fact the two came to be identical, in the background, with the increased popularity Egypt gained particularly as a holiday resort through the Overland Route, also with the accumulation of travel accounts culminating in Lane's exhaustive work, we notice that the literature of travel undergoes a radical change. The emphasis is shifted from description to impression, and subjective feeling has the upper hand. Instead of trying to convey the aspect of reality as in the previous period, the traveller now was concerned with giving his own view, and comprehensiveness was abandoned for a number of grooves which, whether shallow or deep, ill or well defined, remained always what they were—mere impressions—indicative rather than representative.

Thus, in his poem, entitled the "Ascent of the Cataracts", Lord Lindsay does not attempt a description of the Nile⁽¹²⁾, but gives us an indication of how it worked on his imagination and feelings. It is "the king of floods"; "old Homer's Nile", endowed with divine attributes and held in veneration; in fact, a god conceived by the imagination, drawing more on the poet's knowledge and emotions than on objective reality. We notice the same tendency in his "Letters" which express a vision rather

Rossellini, Latorde and Dr. Gildon. Among its objects were the formation of "a rendezvous for travellers" ⁽²¹⁾, the collection and recording of information relating to Egypt, and the facilitation of research by providing its members and guests with a library that contained the chief works on the country. It seems to have been popular, for there is frequent mention of it in the travellers of the period who met at the premises or read at the Library. Another society was also formed in Cairo in 1842 by Dr. Abbott and M. Prisse, the French painter, for the purpose of publishing works dealing or connected with Egypt and also for facilitating research by establishing a library ⁽²²⁾. To connect it with the learned societies of Europe and also with scholars all over the world, eminent men of learning were to be made temporary members, the first being Sir G. Wilkinson.

But there were also other attractions for the traveller besides the local facilities which the country now afforded him more than before, for he was to be shown in Waghorn's words "*Head's Eastern and Egyptian Scenery*", "*Russell's Egypt*", "*Lane's Modern Egyptians*", and above all "the dawn of enlightenment under Mohamed Ali's Government" ⁽²³⁾. In fact, Egypt was doubly gaining in popularity through the Overland Route and the warlike as well as the peaceful activities of Mohamed Ali; so much so that it was asserted that "every publication however small its merits, which bears Egypt on its title-page, is sure to find readers" ⁽²⁴⁾. And so it was in fact. The track had been well beaten, yet books which conveyed nothing novel or fresh and which hardly afforded any entertainment were profitably published for such purposes as raising church funds or commemorating a deceased author.

On the other hand, interest in whatever lay east of the Mediterranean—a general tendency of the age—was now stronger than ever before. Apart from the political events which had brought the East nearer to the English mind, this interest had been nourished by a constant flow of publications connected with the Orient: poetic tales, popular descriptions, and direct

Thanks to the efforts of Thomas Waghorn who, before he left Egypt in 1841, had placed regular steamers on the Nile and on the canal of Alexandria, and also established a service of English carriages, vans and horses to carry the travellers across the desert. The route between Cairo and Suez became a regular high road, marked by carriage wheels, and furnished with seven station-houses, two of which afforded accommodation enabling the travellers to indulge in potations of Champagne or London porter. Donkey-chairs, a kind of slight sedan, were available for women, children and invalids; and we are told that the well-appointed four horse-Suez mail, carrying ladies with reticules and lapdogs, were a sight that would not have created much surprise in Piccadilly. At the "Hotel d'Orient" in Cairo or the "Hotel d'Europe" in Alexandria, the "guests actually dressed for dinner, and the ladies sallied out of the room when the port wine came in" ⁽⁷⁶⁾; and an Italian operetta or a French comedy at the same amateur theatre was not a rare after-dinner entertainment. It is significant, in this respect, that Thackeray should head his chapter on Alexandria with an exclusively English "menu"; in fact, the whole journey became, as one of the travellers observes, "a mere party of pleasure"; ⁽⁷⁷⁾ and however much this might have unromanced the experience, as some complained, it certainly made it much more comfortable.

"With English hotels at Alexandria and Cairo, and floating palaces at command to navigate the Nile", writes Lord Lindsay in 1836, "what is there to prevent our English ladies and their beaux from wintering at Thebes, as they have hitherto done at Paris and Rome?" ⁽⁸⁰⁾.

If that had been possible in 1836, it was more so later on when the travellers were provided with all possible conveniences and entertainments which included, among other things, balls, concerts and even book-clubs. In 1836, for example, a society was founded in Cairo by Dr. Walne under the title "The Egyptian Society", comprising among its honorary members many Egyptian scholars like Lane, Wilkinson, Lord Prudhoe, Hamilton,

3.—THE ROMANTICS 1835-1850

The publication of Lane's *Modern Egyptians* in 1836 was not only the culmination of a whole movement, but it also helped to start a new fashion in Egyptian travel-literature. With everything so carefully and well described, it became difficult to write about the life of the people without being redundant: and, as to the monuments, the interest had by now almost finally passed into the hands of the specialist. Indeed, we find many travellers after Lane borrowing lavishly from him with or without acknowledging their debt, while many others were content to refer the reader to the *Modern Egyptians*, confessing that it left "nothing to be desired, and still less to be done by any future traveller" (7).

Meanwhile, English travellers of every description continued to pour into the country: reporters on the "new regime", merchants on business, invalids in search of health, Indian passengers, parties of holiday-makers, Biblical researchers, and writers and painters in quest of new materials. The range, we notice, is wider and the number is much greater than ever before. We notice also that Egypt was becoming, for the first time, a popular holiday resort recommended to the ordinary tourist for its climate, scenery and antiquity. In fact, certain aspects of the country and the journey were as common knowledge then as some parts of Switzerland or France are now to the average Englishmen. We find that frequent mention was made, for example, of the bazaars of Cairo, the donkey-boys in Alexandria, the trip down the Mahmoudieh Canal and the Hotel d'Orient in Ezbekieh, while the beauties of Philae, the view from the Citadel and the salubrious air of Nubia had become commonplaces which everybody took for granted, yet wrote of all the same; even the ironical Thackeray could not but follow suit and give a serious description of the streets of Cairo.

The popularity was partly increased by the introduction of steam-navigation along the Overland Route, and the great conveniences which naturally attended this memorable event.

the scene. For the traveller still cherished enough love for the country to give full rein to his egoism, though his occasional intimacies and intimations help to take us with him to the scene and we enjoy the journey because his was originally executed with pleasure. Our enjoyment varies, however, in proportion to the unity which he brings into the "Journal"; for, with the exception of very few among whom were Curzon and Lane, the travellers of the period are but painters of small sketches, soundly and vividly conceived, yet separate entities lacking a masterly hand to set up the balance and keep the ground even. Whatever the cause of this may be, an attempt to do too much or a defective sense of selection, we must note that the deficiency is almost invariably redeemed by such qualities as a sustained sense of movement, an abundance of colour, a feeling of place and, above all, by a mild and temperate humanity—unpresumptuous, intimate and understanding

very little employed by the traveller of the previous period. We notice, also, the frequent use of the word "I" together with a general note of personalness which runs through the writings of the time. Native episodes and songs are for the first time introduced into the "Journal", and character sketches are drawn more elaborately and amply than before. The "diary" is still the prevalent form, though here and there the "letter" or the "chapter" is adopted. But the story is on the whole weak, for it is either interrupted by long and detailed descriptions, or its thread is dimmed by the inclusion of too many little stories and situations so vividly drawn as to form entities in themselves, or it is not there at all as in Lane and Wilkinson. In fact, there was little need of it, as the traveller's purpose was not so much to record his physical or spiritual wanderings as to give us what they disclosed to him. In doing so, little use is made of figurative language in his prose, but it contains hardly any of the sternness and water-tightness of the informative prose of the previous period. Disciplined, unrepetitive, lucid and with few imaginative details, it is yet like an airy dress which pleases the eye, though originally designed for practical purposes. But, above all, it is sketchy, light and uncumbersome—well suited to the purpose for which it was employed.



One thing remains to be noticed about this literature, and that is its individuality. For, with no particular track, each traveller was free to follow and produce his own—more so especially as he had no mission to fulfil.

It is as though a large window had opened letting in plenty of fresh air, and at the same time allowing the aspect outside to be seen in its various colours and outlines. This was what we have already referred to as "the traveller's eye-view", producing a series of vivid and colourful vignettes, ill or well executed according to the artistry of the painter, but all alive with a human touch which is never too strong to distract our attention from

This shows a great advance over the previous stage in the relation of the traveller towards the scene, for whereas he had been concerned chiefly with "telling" us about it, compressing his consciousness of it into one particular channel which conveys his information, he began now to assume the more complex character of the artist who so organizes and employs his experience to create something out of it. The one "informs" us about the object, while the other "shows" it to us, preserving in the process all the likeness of external reality. This is apparent in various degrees in most of the travellers at this particular stage in the development of the travel-book; for they were occupied not with tabulating facts but with depicting pictures of the scene in which they tried to correlate its various parts and preserve its local colour. Some, like Lane, preferred to maintain an austere detachment in the handling of their material; but, in most cases, we find that the traveller, in his freedom and in his growing affection for the country, lends himself readily to it achieving a unity that helps him to illumine a great area of his experiences to us. Robert Curzon is a good example of this, for he does not write as a traveller who has accurately and elaborately taken his notes on the spot, but as one to whom his experience does not only mean something but has in itself become an object out of which it pleases him to create a whole. His attention is all the time on the scene itself, and though the book was not published until the late 'forties, his intention to present an objective picture of reality at the time of his visit is clearly indicated by his prefacing that part of it which refers to the country with the words: "Egypt in 1833".

What effect had this phase in the traveller's relation towards the scene on the form of the travel-book?

We notice the emergence of new traits compatible with the leisureliness which the traveller enjoyed in a high degree, and also with his desire to preserve the likeness of external reality. Thus dialogue is used for the first time as a chief component of the narrative to convey a situation or depict a scene, a tool

accounts. In the previous period this had compelled the traveller to select his information, but in this it reached such a point as to make selectivity seem futile, and we see the traveller seeking comprehensiveness instead. In adding to his liberation from task, this knowledge also brought the country nearer to the traveller's heart, gradually deepening into an experience with which his sympathies expanded so as to embrace aspects not even noticed before.

So, with no veil or task, and with a knowledge of the country that was ever maturing, the liberation towards which the traveller had been driving was now almost completed. He was no longer a messenger commissioned to bring back news of what he had seen but one whose steps were guided by no particular goal and to whom all objects seemed equally interesting:—in fact one who travelled where he listed leisurely and individually, though with an eye more on the object than on himself.

This was viewed with a pleasure that was not self-induced but part of the experience itself and had to be conveyed with it.

In what did this pleasure lie? It was induced still in a great degree by the monuments and the antiquity of the country, by a romantic love of the Eastern way of life enhanced by associations from the *Arabian Nights*, and perhaps also by a sense of adventure or pilgrimage. But, above all, it lay in the contact with a society entirely different from and also opposed to the traveller's own with its manners and customs, its local colour, its types and its physical environment. And the contact, we feel, was conducive of a sense of wonder that was essentially mild and a feeling of contentment, ease and mellowness; a pleasure that, in most cases, emanated from the scene.

As a result, we find that the journal was no longer the outcome of labour, but the record of a free and pleasurable experience which had been greatly unified by the increasing knowledge of and affection for the country.

perception is dulled: in short, before the mind stops to wonder about—there is nothing "wonderful" any more. But Lane was an observer from the beginning to the end, because however much he loved the country or mixed with the people, he remained an "outsider" to whom everything was new and whose mind, constantly stirred by the "wonderful", noted it in its all-important detail, never allowing himself to lose the "traveller's eye-view"—the life source of all travel-literature. What Lane gives us is not the "view" itself, but its outcome, gleaned with all the neatness and sharpness his mind was capable of; for it was primarily on the intellectual rather than the emotional plane that he approached the country, reproducing a picture from perception rather than imagination, rich in detail but with hardly any colour or atmosphere. Set against no background, compared or contrasted with nothing, without comment or judgment, it is a world which exists in its entire objectivity, noted with all the rigour and alertness of an extremely curious and honest mind, and described in a prose which aimed at clarity, economy and precision. And so, the Egypt of that decade lives in Lane a life of her own which we may praise or condemn, as we choose, but which we all the time see for ourselves.

Now, that I have quoted these examples from among the travellers who visited Egypt between 1820 and 1835, I think I may proceed to draw a few conclusions about the literature of the period as a whole, in order to examine the changes which occurred in the travel-book as a literary form.

In judging this, we should do well to bear in mind two main factors which helped in determining its production. The first of these is the development of the study of Egyptian monuments on such lines as took it away from the hands of the ordinary traveller, thus eliminating the task which had attended on the journey in the previous period, and also lifting the veil of antiquity through which the traveller had been accustomed to look. The second is the growth of a traditional knowledge of the country engendered by long residences and by numerous current

keen eye and the necessary tools for observation among which was his intimate knowledge of Arabic, was the right person to satisfy this interest by the results of his study—given in a pure, unadulterated form without the common trammels pendant to a traveller's tale. For though Lane would occasionally tell a story as he did in his *Notes* ⁽⁷²⁾, or render the moment as we may judge from his *Diary* ⁽⁷³⁾, he was no better there than any minor traveller, because his true merit lay in his being primarily "a student".

It was as such that he visited Egypt in 1825, "chiefly for the purpose of studying the language and literature of its modern inhabitants" he writes, "and of familiarizing myself with their manners and customs" ⁽⁷⁴⁾. Having met and known him, Henry Salt wrote to a friend in 1827, "In Lane's praise I cannot say too much; he is very studious....." ⁽⁷⁵⁾.

It was not, however, in Lane's constant attention to his work that his virtue lay, but in an extraordinary capacity for detached observation, which was made useful by an equal power for conveying his observations. Lord Brougham, his friend and patron, once said: "I wonder if that man knows what his 'forte' is?—Description" ⁽⁷⁶⁾: but one should add "detachment". For it seems as though he had drawn a sharp line between himself and the object of his study, which enabled him to see it in all its dimensions and objectivity. The result is a book such as could not have been written by an intelligent Oriental, as the *Edinburgh Review* wrongly described it ⁽⁷⁷⁾, nor as had yet been produced by any English traveller however long he might have stayed in the country. For the former would be too close to the scene and the latter too far from it to maintain that alertness of perception which enabled Lane to keep his eye on the object without ever losing his identity. To many a traveller this is possible only so long as the experience is "fresh"—that is to say—before a merging is effected whereby the traveller becomes part of the scene and his selfishness is absorbed into its regular run and his

People directed their attention to aspects of modern Egypt which are reflected in their work, allowing it a share, slight or considerable as the case may be, in the general character of traveller's tale. This is displayed, to some extent, in their various works, but perhaps, the best example of these artist-students was E. W. Lane whose "Modern Egyptians" may be rightly considered the culmination of an epoch in the history of Egyptian travel, giving full expression to all the trends and currents of the age. For it is wrong to think, with some of his contemporaries and with his biographer, that Lane was the first to depict the modern Egyptians; the attempt had been made before by Burckhardt and in Lane's lifetime, by travellers like R. Madden, J. A. St. John and, above all and very much in the same manner, by James Burton in his unpublished diaries. Also most of the artist-students, contemporaries and personal friends of Lane, were trying at the same time as he to preserve a picture of ancient and modern Egypt in their drawings or their diaries—very much the same thing as Lane did in his unpublished notes entitled "A Description of Egypt" (⁵⁷). In form, it is a traveller's tale, like many other ones treating of the monuments, the voyage up the Nile and Mohamed Ali but different in the completeness of the picture it draws and the much wider range of observation it exhibits. For whereas others had made fragmentary studies, Lane constructed a whole (⁵⁸). Yet, it is doubtful had he published his Notes as he intended to that they should have gained the same popularity as the section which he later sliced off them and gave to the public under the title *An account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians* (⁵⁹). The reason is that, apart from the question of form in which the smaller work excels its origin, the "Manners and Customs of the Modern Egyptians" met a general demand which had not yet been satisfied, and it also suited and best expressed the particular talents of its author. For the general interest lay, if we infer rightly from the accounts of other travellers and current ideology, in the study of man and his society: and Lane, possessing in a little degree what the age termed as a "picturesque touch" but a

European expeditions⁽⁸²⁾, they yet worked for over a whole decade copying, sketching, and drawing the monuments, noting, describing and interpreting both ancient and modern Egypt and, in the words of a contemporary, "preserving accurate data"⁽⁸³⁾ on subjects that have since then either been irrevocably obliterated or radically changed.

Among them were G. W. Wilkinson, E. W. Lane and R. Hay, the organizer of the Egyptian Expedition which worked from 1826 to 1838 and consisted of such artists and students as F. Arundale, J. Bonomi, J. Burton, F. Catherwood, A. Dupuy, and Ch. Laver⁽⁸⁴⁾. Having come to Egypt not to satisfy a traveller's curiosity but to make it their abode for some time, they adopted the Oriental way of life, learnt Arabic or perfected their knowledge of it, grew their beards and had most of them a home in Thebes and another in Cairo where they occasionally gave receptions and Turkish concerts to their Levantine and Cairene friends. Living mostly in the native quarters of the city and mixing freely with the natives, they so passed for Turks that their attendants would refuse admission to English travellers dressed in the European fashion⁽⁸⁵⁾. In Thebes an ancient Egyptian tomb was the abode which Hay chose for himself, his wife and most of the members of his expedition; and, fitting it up with bookshelves, divans and pipes⁽⁸⁶⁾, he would invite visitors to stay with him where, seated at the same table, they would discuss "a thousand modern topics and drink the wines of Madeira and France"⁽⁸⁷⁾. Indeed, "never was the habitation of death witness to gayer scenes", writes a contemporary traveller.

"We were fond of the arts, and had proved our devotion to antiquarian pursuits by sacrificing for a time Europe and its enjoyments, to prosecute our researches in this distant land. Our conversation therefore never flagged; and assuredly I reckon, not among the least happy hours of my life, the evenings I spent in the tomb at Thebes"⁽⁸⁸⁾.

Though most of these travellers were students of archaeology, their long stay in the country and close contact with the

...a intense and rapturous, as I experienced during this morning's ride. The landscape appeared to comprehend every element of interest and beauty.. " (53)

The realistic tendencies of the period, fostered chiefly by a growing affection for the country, seem to gather and find full expression in Robert Curzon, who visited Egypt among other countries of the Levant in 1833 in search of old manuscripts (59). Alone in an old country house in England with some of the manuscripts he had corrected, Curzon set out to record the many scenes and recollections which the sight of these books brought before his mind. The 'Visits to the Monasteries of the Levant' is accordingly a narrative of the author's experience of the East, which he tries to recapture in its original freshness having no other end in view than to do so. For Curzon is no student of manners and customs, or political institutions, or archaeology but a simple traveller whose mind records such scenes as pleased him best. These he reproduces with much colour and a right sense of proportion—a series of little vignettes, neatly executed, which he weaves together into a narrative of interesting details. There is information too yet, involved in the narrative, we do not feel that it is extraneous to the texture but an inevitable part of it. For, in this lies the chief merit of Curzon,—he does not write as a traveller who has accurately and elaborately taken his notes on the spot, or one who tries to draw a moral from his observations of men and manners or who is desirous of increasing our knowledge, but as an artist to whom his experience of the country does not only mean something but has in itself become an object out of which it pleases him to create a whole. It is because of this that Egypt lives in his pages more vividly and lastingly perhaps than in any other traveller, like a work of art in which the hand of the creator is traceable but not too prominent.

The Artist-Students.

A distinctive mark of the period was the co-operation of a number of English travellers who visited Egypt for the purpose of study and research. Unaided by public funds, as were other

the impact of a mind in search of truth, adopting the same realistic attitude towards the monuments as towards the works of Mohamed Ali, of which he gives a picture documentarily useful to the student of history. Nor are his frequent remarks on the people less illuminating. He amply notes the poverty and misery of the fellahs, and here he comments on their moral life :

" Fear is their habitual passion. In religion, morals, manners and opinions, the son treads servilely in the footsteps of his father, without inquiry, without reflection. In what does the life of such a being differ from that of a mere animal ? "

But, like most of the travellers of the period, there is no bitterness or bias about his remarks ; they were the result of understanding and perhaps of love. He was made the more conscious of the drab and miserable life of the fellah as it contrasted greatly with the beautiful nature around him which St. John well noted and liked, for Egyptian scenery so attracted him in every one of its aspects that we might consider him among the originators of that taste for Egyptian landscape which was to spread later among visitors to the country. Whether he is on the Nile, or in the Desert, we feel that to him it was an Odyssey of colour and shade with a strong sense of movement and adventure and a keen delight in inanimate objects as well as in abstract thoughts. As he calls them :—

' The principles of fertility and barrenness, of destruction and reproduction, of life and death, the Osiris and Typhon of the mythology—operating undisguisedly, side by side' ⁽⁵⁷⁾ the Nile and the Desert, and the multicoloured range between the two : in this lay the chief merit of Egyptian landscape to St. John, and also an inexhaustible fund of joy. Near Fayoum, he writes :

" Never, at any period of my life—except, perhaps, on the day that saw me wandering among the barren mountains of Messina...did I derive from the presence of mere inanimate objects, a delight so perfect, so capable of absorbing the thoughts and filling the whole mind, so replete with poetical enjoyment,

a thoroughly realistic interpretation of the two codes of morality⁽²²⁾, which was much in accordance with what Urquhart in his "Spirit of the East" advocated nearly ten years later⁽²³⁾. In a letter addressed to Miss T. Y. and dated Cairo, 28th October, 1829, Madden writes:—

"It would be too bad to shock any lady in a Christian country with the description of one of these Egyptian "creatures;" and above all it would be "abominably ungentle" to praise the beauty of such "frights", and malgré the sweet, the sky blue chin and the yellow fingers, and the black eyebrows, to presume to assert, that very many of them are deemed irresistible beauties. "Forbid it, ye chaste stars" that I should say so; though, peradventure, my taste stands accountable in thought for as much depravity"⁽²⁴⁾.

For, it is important here to notice that Madden did not have an eye for the picturesque or the bizarre, the humorous or the exotic;—he noted everything with equal interest and sincerity, and the result was a picture rich in its realism and humanity.

Another traveller who was equally realistic, but who devoted more time, in fact, most of his activities to Egypt was James Augustus St. John⁽²⁵⁾. He set out in 1832 and travelled in Egypt and Nubia mostly on foot. The record of his journey was published in 1834, under the title, 'Egypt and Mohamed Ali, or Travels in the Nile Valley'.

In a letter dated from Cairo, 7th December, 1832, James Augustus writes:

"I do not travel as an antiquary. Neither pyramids, nor temples, nor anything else can divert my attention from the condition of the living men about me, or of the living women either"⁽²⁶⁾.

But, though the study of the people under Mohamed Ali, was the task which he had set for himself, he did not allow it to bind or fetter his activities. In fact, his 'Travels in the Nile Valley' exhibits a variety of interests seldom met with in a previous traveller; yet, in everything he treats, we are aware of

much noticed and described Egyptian landscape for its own sake. With the few who had interested themselves in it, it had been merely a setting for their religious or antiquarian sentiment. But with Carne, the scenery in itself was often worthy of his notice and attention; one might even say that, in his eyes, the monuments gained much from the natural surroundings in which they stood.

Similar in some ways to Carne was Richard Robert Madden, a surgeon who visited Egypt in 1825 primarily to study "the plague (²⁰)". He lived in the country for two years, mixing with the people, attending soirees in the Frank quarters, giving medical advice, visiting the harems, writing charms to love-stricken maidens, making fun of "tomists", and noting all this down with equal shrewdness and interest. The journey is described in a series of letters which are addressed to various people and arranged chronologically; each of them treats of a different aspect of the country or the journey, but, read together, they make one of the most entertaining and illuminating "Travels" of the time. A "free" traveller, who like Carne was not interested in any particular subject but in all things alike, he had yet a subtler touch, and the view he presents is far from being panoramic. With a rich experience, an observant eye, a keen sense of humour and a mind open and communicative, Madden achieves a blend in which the journey and the country are one.

For, though he maintained an individual standpoint, Madden loved the country so well that he never allowed himself to use it as a setting, but merged with it always relating his own experiences to the lasting scene. From the relation we gain an image of Egypt which is intensely human: for whether it is of the monuments or the landscape, the mosques of Cairo or the Catacombs of Alexandria, it involves several portraits of men and women, fresh incidents of travel, a lively humour and a heart that embraced everything. Indeed this all embracing attitude which, refused to judge of Orientals by Western standards adds greatly to the humanity of his touch. The *Oriental Herald* calls it "an air of benevolence and philanthropy" (²¹) but it was more than that; a

could reconstruct and convey the experience intact, now that it meant something to him—a thorough realism. Practised in various degrees by most of the travellers of the period, it is manifest in an abstinence from bias and generalization, in the tendency to describe as distinct from the desire to inform, in an extraordinary attention to detail, in an abundance of colour and in the attempt to conform to life and fact. The picture may be well or ill drawn, of small or large proportions, in dim or brilliant colours, set by itself or in a frame, but it is always there. In an outcry against this, the *Edinburgh Review* writes in 1830,

“the volumes which head this article are an earnest of what the future has in store for us. Not one of them makes pretension to research in a single branch of science; to any kind of classical illustration, or to the slightest innovation upon the state of geographical ignorance... Their object is confined to a description of the country and of manners...” (“).

Now, let me explain this with the help of a few examples from among the forty-two travellers who published works on Egypt between 1820 and 1835.

One of the most interesting was John Carne (“), who in March 1821 left England to visit the Holy places, and seems in 1823 to have completed a tour of Constantinople, Greece, the Levant, Egypt and Palestine. On coming back to England Carne began writing for the “*New Monthly Magazine*” an account of his travels under the title “*Letters from the East*”; these letters were in 1826 reproduced in a volume dedicated to Sir W. Scott. They treat of every aspect of the country with equal interest, for, like many other travellers of the period, Carne had no special object in view and no preferences. He was what we might term a free traveller noting the climate, the manners and customs of the people, the progress of the journey, his feelings and the misery of the fellah—all with an equal lightness of touch which is perhaps a little too desultory to produce anything but a panoramic view of the country. Most prominent in this view, however, was Egyptian landscape, for no other traveller, before Carne had so

On the other hand, Egypt was beginning to engage the attention as the field where a new political force was gathering momentum. It was quickly acquiring a position important both from the military and the political point of view, not only as regards the Ottoman Empire, but also in connection with one of the most interesting and difficult questions of European policy arising out of the relations between Russia and Turkey⁽¹⁵⁾. So, as Mohamed Ali gained in power, we notice an increase in the number of travellers who visited the country chiefly, if not solely, to investigate and report on "the new order". An interview with the Pasha became one of the necessary embellishments of any book of Egyptian travel; and to leave out mention of his works or commentary on the people under his rule would be felt as doing grave injustice to the reader.

The advance which Oriental studies made in England at that time⁽¹⁶⁾ might, as well, have directed the attention of scholars and travellers to Egypt as a land chiefly inhabited by an Arab people, rich in manuscripts and other sources of study. There is no doubt, anyhow, that English travellers came to the country during that period in great numbers. In fact, Egypt and Nubia were so overrun with Englishmen that a contemporary critic writes "we wait for fresh literary arrivals from the Cataracts or the Oases as almost as much matters of course as a mail from Hamburg"⁽¹⁷⁾. And in the various accounts of these travellers we notice a new trend;—an attempt, almost universal, to draw "the picture". To find out and tell the truth, and as much as possible the whole truth, seems to be the task which the travellers of the period set for themselves. One should say to "present" the truth rather than tell it, for the desire to inform seems to have passed; it was now replaced by a desire to describe. Whether he was to search and gather, to understand and interpret, to reconstruct from small facts or merely to see and store in the memory, we find that this traveller almost invariably preferred to represent his experiences by a picture as rich in detail and as true to life as he could make it. For this seemed the best method by which he

The end of the second decade of the 19th century marks a new era in the history of Egyptian travel. For, though the interest in the antiquities continued, it began to deepen rather than widen, and the description, reading and interpretation of Egyptian monuments fell now to a group of travellers who, possessed of special qualifications, may be considered travellers only in the sense that the execution of their work necessitated their visit to the country. Such visits, we read, were considered useful for the development of "historical science,"⁽¹⁾ and one feels that the interest was becoming the privilege of a certain class of men who were trying to establish and develop it on a scientific basis, especially after T. Young and J. P. Champollion had succeeded in drawing from the Rosetta Stone their lists of alphabetic Egyptian characters⁽²⁾.

With the appearance of these specialized men, the precursors of the Egyptologists, the domain of the ordinary traveller, though limited in some respect, was on the whole widened. Unable to trespass, he had to look for other fields, and the more conscious he became of his exclusion the wider and more comprehensive his outlook tended to be. It is true that travellers continued to flow into the country mainly to view the monuments or, as a contemporary periodical put it, "young England was running to view old Egypt,"⁽³⁾ but they no longer considered it their duty to report upon them. This was being done by expert hands, so that the monuments, as an object for serious study or description, were superseded by the modern aspect of the country and its inhabitants. The more so especially as the French Revolution had awakened interest in the study of man and his society, and it is worthy of note here that this interest began to show in English books of travel generally only towards the middle of the second decade of the 19th century.

in their experience or in the country itself? It is difficult to tell; but one thing is certain: the country, whether in its past or its present had not yet achieved wholeness as an object with the travellers. They cherished more love for it than before; but it had not yet struck a key. And the traveller's experience, though more free than before, was not yet sufficiently mature, or wholly pleasurable.

such cases as that of Thomas Legh,⁽⁴⁾ whose narrative is the most interesting and entertaining in its third part because in the first and second parts the traveller has already exhausted his funds of information. With the appearance of these traits (character-sketches, episodes, personal details) in the travel-book, we mark the beginning of the liberation of the traveller. For, he is no longer the slave of a certain task or mission, but is free and has the time to look around, perhaps to enjoy what he sees, and also to say what he wants however unimportant or uninformative this might be. And thus his journal begins to assume the character of the record of a pleasurable experience, rather than be the outcome of labour as before. Let us, for example, read this short excerpt from Sir F. Henniker who published in 1823: one of the most entertaining of travellers' tales: 'The animal, that is to carry me', writes Henniker, 'is so obliging as to kneel down without which complaisance, or a ladder, I should never be able to get upon his back, but the moment he feels a foot over him, he springs up, and leaves me on the ground. The Arabs laugh, and tell me that this is the usual commencement'.⁽⁴⁾

This tells us nothing about the appearance of the country; or the manners and customs of the people: it is not intended as a description or an introduction of the camel to readers who are not familiar with it. In fact, it is neither 'useful' nor 'important'. But it shows that the form is beginning to take on a freer and more leisurely quality as external reality became better known, allowing the 'important' to be steadily superseded by the 'unimportant' detail.

One thing remains to be noticed. Whether the literature produced in this period was the record of an altogether free experience, as in Henniker, Salt and Belzoni—who did not feel bound to give information about the monuments, or whether it was determined by an object, as in most of the travellers, it was, essentially, fragmentary. There is no wholeness about it; it consists of details, which, as the record of travel, remain in a 'raw' state, whether they are personal or objective, strongly or weakly connected. Was this due to some defect in the writers,

them for a shelter. The melons are said to grow there to a very large size, and to be finely flavoured. Instead of being threshed, the corn is trodden as in Turkey' (18).

The writer's interest here is, obviously, in his 'bundle' of facts, which he presents to us almost in the same raw manner as he has collected it.

In the following excerpt from Dr. Richardson's 'Travels', published in 1822, the traveller is concerned with some ancient Egyptian drawings:

"Along with the music, dancers are introduced: three females are dancing together, and one little man is capering and flourishing away by himself, with a club in each hand, which he is ready to discharge into the air, now that the fields are clear, and the flocks can feed more at large, without so frequently disturbing his repose" (19).

One is aware here of the writer's attempt to arrange his details so as to convey to us the image of his object rather than merely tell us about it; he is also in the last three lines adding to his facts so as to aid our conception of the picture.

This concern with the scene more for its own sake than for the knowledge it might enrich us with—in other words, this interest in the facts for their relation with the scene, and not for their own sake marks the first phase in the development of the travel-book as a literary form. For it involved a certain amount of freedom, of individuality and of craftsmanship in the execution of the traveller's work.

The accumulation of knowledge about the country was responsible for another change in the travel-book. For, as more accounts of the monuments were published, and the traveller became less concerned with the task of conveying information about them, we notice an increasing leisureliness in the form of the travel-book. This showed in descriptions of individual men and women, in episodes, and in personal details. These, we notice, began to appear towards the middle of this period, or in

But, as more knowledge about the country was published after the Expedition, the traveller's consciousness of this task or duty became less. He was out not to collect any kind of facts, not as many facts as possible; he had to be selective—and as a result—the travel-book assumed less the nature of “a repository of facts”.

In the meantime, the scene itself—or at least that part of it where the antiquities were concerned—began to engage the traveller's attention, and he came to visit the country—not incidentally or out of necessity as before—but because he was attracted. One may say that he was beginning to cherish some love for it which was fostered on one hand by the growth of a traditional knowledge, and on the other by long residences in the country.

As a result of all this—of the publication of much information about the country, forcing the traveller to be more selective than before, and of the increasing attraction which Egypt held for him, we find that the traveller's interest shifts, or begins to shift from the facts in themselves to the facts in their relation to the scene. So that, instead of, saying (as he would have said before): “Here is something about the scene”, the traveller would now be saying: “Here is part of the scene itself”.

This change of interest brought with it a change in the form. The travel-book became, as I have said before, less of a repository of facts, the narrative became something more than a mere link, and as to the language it exhibited more colour and a greater sense of arrangement than before. Now, let me explain this with the help of two examples. This is a short extract from William Hamilton's “*Aegyptiaca*” which was written in 1801, 1802 and published in London in 1809.

“I noticed several buffaloes which were of a grey colour and very unsightly in their appearance. The inhabitants were in tattered garment, which scarcely covered their nakedness, miserable, pale and wan and as wretched as the dwellings which served

The sanctuary, wholly formed of blue red granite, with the various obelisks standing before it, proclaiming to the distant passenger, "Here is the seat of Holiness, the high portals, seen at a distance from the openings to this vast labyrinth of edifices; the various groups of ruins of the other temples within sight, these altogether had such an effect upon my soul, as to separate me in imagination from the rest of mortals, exalt me on high over all, and cause me to forget entirely the trifles and follies of life" (31).

*
* *

It is now time to stop in order to sum up our observations about this literature of travel which was produced between 1805 and 1820.

We have noticed that the French Expedition had occasioned a great amount of literature about the country, so great indeed that we read in the "Eclectic Review" of 1808 that the Nile was as well known as the Thames (36). We have, also, noticed that between 1805 and 1820 Egypt was visited by at least twenty-three travellers who published and who regularly read each other and that the journey was no longer forced or incidental, but had become something like an extension of the Grand Tour—that is to say that it was undertaken for and with pleasure. We have seen, also, that some of these travellers stayed long in the country, that most of them were chiefly interested in the antiquities, and that their readers at home expected them to write on the antiquities—and not just on anything or everything as during the French Expedition.

Now, what was the effect of all these things on the travel-book as a form of expression?

When interest was awakened in the country as a whole during and a little after the French Expedition, the travel-book became something like a "repository of facts"; it did not matter how these facts were presented: the important thing was (to put it into the words of a contemporary traveller, Dr. Daniel Clarke) "to observe and preserve all" (37). This meant that the traveller bound to a certain task or mission—that of collecting and was conveying as many facts as possible.

often amused to. Six feet seven inches tall, he, thus describes the struggle between his adversaries and himself :—

"Had I not determined to stand, like a pyramid defying the wind, against all their numerous attacks, which poured on me like a torrent, I should not have been able to proceed, even from the commencement (21) ".

The theme is the story of his researches, which are actuated by a strong sense of enterprise and a constant desire to see and remove antiquities. His success in removing the Memnon must have given him the stimulus so that he thought that almost everything could be removed and shipped abroad. His discoveries and his researches in opening the second Pyramid at Gizeh and the Temple of Ibsambul made him zealous of obtaining fame and recognition as an antiquary, but he was not one. Though he held the monuments in great admiration, he had no respect for them or their builders. When short of fuel, he would often collect the bones and remains of mummies to light a fire. In fact, the story of his researches is that of one long pursuit of fame and power, a hunt for antiquities often unscientific in method and motive.

The story is, naturally, laid out among the ruins, temples and obelisks of ancient Egypt. But there are no detailed or graphic descriptions of these objects, as we find in most travellers. For, with a truly artistic eye, Belzoni realized that no description either by pen or pencil could ever do them justice.

But we gain an idea, or rather a vision of the monuments, through the feelings which they inspired him with and to which he occasionally gives utterance. They are feelings of joy, amounting sometimes to poetic ecstasy with which his whole being vibrates.

This is how he expresses it on one occasion :—

"How can I describe my sensations at that moment ! I seemed alone in the midst of all that is most sacred in the world ; a forest of enormous columns, adorned all round with beautiful figures, and various ornaments from the top to the bottom... "

Thelbes to shipboard for transport to the British Museum. The success of this enterprise started Belzoni on his researches which he pursued for about four years. He travelled in Egypt with his wife and an Irish boy whom they had brought with them from England; and the story of his adventures and researches and struggles—in short of his life in Egypt—is told in the one book which he wrote himself in English, and which John Murray published in 1820. The book was received with wide interest: three editions were published before 1822, and in 1835 it was reprinted in Brussels⁽¹⁾.

Prefaced with a sketch of his life and wanderings before his arrival in Egypt, the book is the autobiography of a man who was gifted with extraordinary powers. But the most extraordinary thing about Belzoni was himself; his powerful personality, which meets us in every page, and sustains our interest even when he is describing the dullest of operations. He wrote easily and naturally, with sometimes too little care for idiom, but always with great force, a gusto that nears sensual pleasure, and a flow seldom equalled by other travellers. In 1894, the "London Magazine" writes that: "his style of narrative has the effect of exciting a strong interest in what relates to himself personally,"⁽²⁾ and in the same year T. F. Dibdin, in his "Library Companion", calls him "the renowned and immortal Belzoni, for such are the epithets which necessarily belong to thy name"⁽³⁾. I, myself, have known few narrative styles as intimate as Belzoni's. True to the moment, he always renders it in its entirety, with all the feelings and thoughts, which ought not to adorn it, but which in reality attended it.

The story is complete, with characters, theme and setting. The characters include his wife, the Irish boy, Osman—the Scotsman, Salt, Burckhardt and a host of Kachefs and Arabs; but chief among them all is Belzoni himself. Our knowledge of him increases as he unfolds himself to us, under all circumstances, and in all conditions; his achievements and his failures never fail to hold our attention or win our sympathy; while his little conceits

There is a privilege in walking among these ruins, of drawing the images upon them, and reading the figures; and, with it, is born a sense of joy and desolation. We know that Salt often expressed a desire to quit Egypt, but he never seriously undertook to do so. Neither riches nor ambition kept him there, but a fascination that enveloped his soul, and a craving which seemed never to be satisfied. The poem is an embodiment of all this: the sense of privilege, of joy and of desolation:

In every dale and glen, that charm the eye,
As in thy valley, Thebes! mid these, my soul,
Enjoys sensations 'bove the world's controul,
Dwells on the past, unlocks great nature's store
And feels the rankling ills of life no more (²⁹).

Studied in relation to other contemporary literature of travel, the poem is an example of what the full consciousness of a certain aspect of the country could achieve. For, it is fundamentally the manifestation of Salt's consciousness of ancient Egypt, attained through his first-hand and mature experience of the monuments. Thus, we find that, unlike other travellers to whom the present was impoverished by the vague image of the past, Salt lends himself to the contemporary scene which is enhanced by "thoughts of what has been". He laughs at the travellers who come to look, as he says, "for illustration of the Holy Writ", for, in his opinion, the pilgrim should only enjoy what the present offers. For, by the maturity of his experience the present and the past came to be integrated in a higher degree than was possible in the case of other travellers who went hurriedly through the country.

The third traveller in this group was Giovanni Baptista Belzoni, (³⁰) an Italian who arrived in Egypt with his English wife in 1815, and was engaged for some time in setting up a new hydraulic machine for Mohamed Ali. Upon the failure of this scheme, he was recommended by Burckhardt to Salt, who in 1816 employed him in moving the colossal bust of Ramses II from

lengthen out our existence. I have now indeed become so well acquainted with its ancient inhabitants, their usages, and customs, that when I return to Europe, I shall not be able to consider the whole scene as otherwise than a modern pantomime" (26).

To write a book on Egypt seemed to be his greatest ambition; but it must perpetuate his name, and not be just another of what he described as "the ephemeral productions of travelling authors—who, as the Indian expresses it, take walk—make book" (27). Early in 1820, he wrote to Halls that the work on Egypt had been completed, and that he relied on it for his future fame. But, before it left Alexandria on its way home, the manuscript was mislaid and lost. Shortly afterwards, he published in Alexandria the only book he left on Egypt, a short poem, which he had written to divert his attention from the melancholy thoughts that depressed him after the death of his wife in childbirth, the infant, and his best friend in Egypt, Lee, the British Consul in Alexandria. In essence, the poem is the journal of a traveller, with a strong sense of movement and place, covering the whole length of the country from Alexandria to Assuan. But Salt is at his best in the third and last canto of the poem where the scene is laid in Thebes encouraging him to delve into Egyptian mythology, reading into the strange and mysterious figures which met his eye, and putting them together into a picture, in itself as weird and mystic. This is how he describes the drawings on the monuments:

And of such mystick fancies, in the range
Of these deep cavern'd sepulchres are found
The wildest images, unheard of, strange,
Striking, uncouth, odd, picturesque; profane,
That ever puzzled antiquarian's brain,
Pris'ners of different nations, bound and slain
Genni with heads of birds, hawks, ibis, drakes,
Of lions, foxes, cats, fish, frogs and snakes,
Bulls, rams, and monkeys, hippopotami
With knife in paw suspended from the sky
Gods germinating men, and men turn'd gods (28)

good Arabic that, adopting the name of the Pilgrim Ibrahim Ibn Abdullah (under which he was buried in Cairo) he passed for an Arab. His interest in the antiquities does not show so much in what he wrote as in what he did towards helping both Belzoni and Salt in their enterprises. His chief work on Egypt, though, is his "Arabic Proverbs, or the Manners and Customs of the Modern Egyptians, illustrated from the proverbial sayings current at Cairo⁽²⁾". 782 in number, the proverbs present an honest picture of Cairene life in those days; the first serious attempt made by a traveller to study the modern Egyptians, and a true forerunner of Lane's work.

In 1815 Henry Salt was appointed General Consul in Egypt⁽³⁾, when, shortly after his arrival early in 1816, he began to form a collection of antiquities for the Earl of Mountnorris. From then until his death in 1827, Salt's interest in Egyptian antiquities never lapsed; it expressed itself in an active desire to collect, study, and make drawings of them. In 1816, he and Borchardt employed Belzoni in conveying the head of the Memnonium to Alexandria, with a view to presenting it to the British Museum. But Salt's activities in this field are too numerous to give a full account of here. For such an account I should recommend Vol. 19 of the "Quarterly Review⁽⁴⁾" and also a little book which appeared in London in 1836 under the title of "A Brief Account of the Researches and Discoveries in Upper Egypt made under the direction of H. Salt, by Giovanni d'Athanasii".

During his stay in Egypt, Salt collected antiquities to the value of four thousand pounds, and had the finest collection of papyri then existing. But he was not a mere collector: his zeal in embracing every opportunity to throw light on the ancient history of Egypt sprang from a real passion for its antiquities. To this, he gives expression in a letter to Halls, his friend and biographer, dated October 17, 1818. It runs:

"You cannot conceive the pleasure I enjoy in visiting and sketching the noble remains of antiquity which abound in Egypt. By carrying one's mind back to periods so remote, it seems to

ample quotations from French and classical travellers. But apart from that, Buckingham views the monuments and describes them with love and enthusiasm: and one is often aware in his descriptions of a sense of joy and of privilege. Here, he describes a visit to some ruins:

"When our torches were extinguished, and I sat to repose myself for a moment on the ruins themselves, the history of the last hour appeared to me like a well-remembered dream. It was with difficulty I could persuade myself that I had seen objects so grand and magnificent as those with which my memory was so strongly impressed: and the rich imagery of the countless figures I had seen floated incessantly before my imagination. If I had been entirely without companion to verify my own suggestions, I should have deemed it a vision of fancy, but all was real (20)

As with many other travellers of this period, the past—by sheer power of contrast—turned Buckingham's attention to the contemporary conditions of the country. To this was largely due the note of depreciation which runs through many writings of the time. Here, Buckingham writes:

"All that one beholds in this den of slavery is calculated to oppress the heart with sadness, when it forces on the mind, by the power of its melancholy contrast, a remembrance of its ancient grandeur, wealth and happiness (21) "

We come next to three travellers whose names must be remembered together; they were in Egypt at the same time, and knew and helped each other throughout their careers there. They also achieved more perhaps than any other traveller of time: these are John Lewis Burckhardt, Henry Salt, and Giovanni Battista Belzoni (22); Burckhardt was the first to arrive in the country where he stayed from 1812 until the year of his death in 1817.

He had been sent by the "African Association" for the purpose of discovering the sources of the Niger. Burckhardt was born at Lauzanne, but he wrote in English and spoke such

And gazed, till meaning on his vacant mind
Flashed like strong inspiration, and he saw
The thrilling secrets of the birth of time".

The travellers of the period are many—too many—in fact, to be covered in this one talk. Those who published between 1805 and 1820 were twenty-three travellers; from among these I shall choose only four or five.

One of the most interesting was William John Banks who started his wide tour of the East in 1812 carrying with him several letters of introduction from Lord Byron, his friend⁽¹³⁾. He travelled in the company of an Italian adventurer, Giovanni Finati, whose autobiography he later translated from manuscript⁽¹⁴⁾. In Egypt, where his interest lay chiefly in the antiquities, Banks discovered in 1815 an obelisk in the island of Philae, and with the help of Belzoni had it brought to England for the purpose of having it erected in his own grounds at Kingston. A drawing of this obelisk, which Banks published in 1821, was all that his pencil left concerning Egypt⁽¹⁵⁾.

James Silk Buckingham, founder of the *Athenaeum* was a much more prolific writer of the time⁽¹⁶⁾. In 1813 he formed the intention of settling at Malta, but because of the pestilence there he proceeded to Alexandria to look for fresh sources of enterprise. He became friendly with Mohamed Ali, and unfolded to him many projects, commercial and nautical. He prevailed upon him, for example, to introduce and improve the cultivation of cotton and sugar on the banks of the Nile. He was the first to recommend the plan of sending a number of Egyptian youth to England to be educated, and it is estimated that by 1838 over a hundred missions had been sent to England. During his stay in the country (1813-1814 and 1815-1816), he ascended the Nile into Nubia, and visited many parts of the Delta. The result of these travels came in a series of journals which appeared in thirteen instalments in the *Oriental Herald* between 1827 and 1829⁽¹⁷⁾. They exhibit considerable archaeological research, abounding in

students and collectors of antiquities. For, whatever the motive was, most travellers of the period were antiquaries in various degrees. If they failed to unearth, or interpret, they collected and helped others to collect, they described, sketched, and visited the monuments. It seemed a duty incumbent on the traveller to help reconstruct the image of ancient Egypt, of tremendous appeal in its remoteness and mystery to the revived spirit of romanticism. In the 18th century, the monuments had stood separately, and were viewed as certain architectural wonders of the ancient world. But now that the new spirit of research had imbued them with life, they stood as emblems of a whole civilization—and a glory that had been. To gain an image of this civilization was what most readers wanted: and in 1816 we read in the "Edinburgh Review" that such travellers' accounts as gave mere graphic descriptions of the monuments, without such touches as might aid the reader's conception of the numerous cities, which once crowded the banks of the Nile, were found unsatisfactory⁽¹⁴⁾. — It was in the same year, 1816, that Shelley's "Alastor" appeared with the following beautiful and significant description:—

"His wandering step

Obedient to high thought, has visited

The awful ruins of the days of old

Memphis and Thebes, and whatsoever of strange

Sculptured on alabaster obelisk,

Or jasper tomb, or mutilated sphynx,

Dark Æthiopia in her desert hills

Conceals. Among the ruined temples there,

He lingered, poring on memorials

Of the world's youth, through the long burning day

Gazed on those speechless shapes, nor, when the moon

Filled the mysterious halls with floating shades

Suspended he that task, but ever gazed

A few years earlier, the number of antiquities, which had fallen into English hands, through the French or by private efforts, was great enough to warrant a special museum. This was the Egyptian Hall, which sprang up in Piccadilly in 1812, and continued until the early twenties. It was described as "completely Egyptian, with details correctly taken from Denon's work, and principally from the great temple at Tentyra" (*).

The publicity, which this exhibition, erected at the heart of the Metropolis, must have given to Egypt, is evident. As more curiosities continued to arrive, public interest and curiosity continued to be excited. To gratify this feeling, the "*Annals of Fine Arts*", in 1818, finds it necessary to present its readers with selected descriptions and conjectures from various authorities (*). And in the same year the "*Quarterly Review*" published two long articles dealing with the newest discoveries in Egypt (¹⁶) but, apart from that, the interest is evinced by the numerous arguments and speculations, informations and deductions, artistic and archaeological in which the period abounds (¹⁷). These poured in such an uninterrupted stream that by 1820, we are told, they seemed to establish knowledge of Egypt on a new and sure foundation (¹⁸).

Interest in the antiquities showed, also, in other fields than those of art or archaeology: the Nile became a subject for competition between Leigh Hunt on one hand and Shelly and Keats on the other. And, although the two younger poets failed, their writings exhibit a considerable degree of interest in and knowledge of Egyptian antiquities as a whole (¹⁹).



So, shut out from the Continent for the greater part of the period, with the novel and fashionable taste for Egyptian relics, and with the new security and comfort which the country afforded, it was natural that a great number of English travellers should direct their steps to Egypt. It was, also, natural that their visits should influence and be influenced by the prevalent taste at home: and that in reading their journals, we should see them as lovers,

18th century, also, contributed to the popularity of these countries. On the other hand, the political conditions of Egypt offered the traveller much more convenience and security than ever before. With Mohamed Ali in power, he no more suffered insults at the hand of the natives, or had his property confiscated by the authorities, as in the times of the Mamelukes. The "Quarterly Review" draws an interesting comparison between the two periods, stating that "as far as the present Pasha's authority this extends, an English man may now travel without difficulty and without danger" (1). As many travellers' accounts bear witness, increasing security was absolute by the early twenties. In 1817, a traveller writes that "a visitor may go with his money in his hands, from one end of the country to the other, no person will take it from him by violence, and murder is almost unknown" (2). And in 1823, another traveller states that "Egypt is permeable in all directions with perfect safety to the merchant and the traveller" (3).

In fact, the country thronged so with European travellers that they became a feature and were represented in native plays and pantomimes. In 1818, an eye-witness observes that "Egypt begins to fill with English travellers" (4) and, ten years later, we read that it is scarcely possible to turn the corner of street in London, "without meeting an English man recently arrived, either from the shores of the Red Sea, or... the Cataracts of the Nile" (5).

And the focus, as we have stated, was on the monuments. A contemporary historian points to the same fact, when he says that "travellers in Egypt and Nubia have been numerous... but they chiefly directed their investigations and inquiries to the antiquities of the country" (6).

In 1819, a traveller observes that the "whole of Thebes is the private property of the English and French Consuls", and that one "may return to Rome to look at obelisks and to London and Paris for all else of Egyptian labour" (7).

This is reflected in the form and content of the travellers' notes which begin to crowd with pieces of information on various aspects of the land collected hurriedly and without discrimination to convey as much knowledge as possible, loosely connected, presented in whatever form or manner, with or without the conventional narrative link, matter-of-fact in tone, with very little scope for feeling or sentiment, but exhibiting a new kind of curiosity. The traveller had, as it were, attained the naked eye; he was beginning to see for himself, and perhaps also to wonder. For, from a world of stale and formal knowledge, he was emerging into a world of reality where the barriers which had stood between him and the country, the convention of the classical tour, the Bible, classical authors, or the tendency to moralize, were gradually disappearing one after the other as Egypt gained in importance.

So we find that, by 1805, the traveller's relation to the country had undergone an important change, and that a more direct contact than ever before was being established. This is evinced by the increase in the number of English visitors to the country, and also by their activities there as well as by their publications.

Now, we notice that the sudden and many-sided popularity which Egypt had gained through the French Expedition began, after the evacuation, to gather into one definite interest. For the twenty years, which followed this event, we see English visitors to the country possessed by the almost uniform desire to see, study, or collect antiquities. Such works as Denon's and Hamilton's, and the colossal work on Egypt by Napoleon's "Savants", were obviously, directly responsible. But there were also some other motives which nourished and encouraged this interest.

The Napoleonic wars, which shut out English travellers from the Continent, helped to direct their steps to countries on the shores of the Mediterranean. The increasing interest in scientific archaeology, which is traceable back to the latter decades of the

Also, the foundation of the Missionary Society in 1795 increased the demand for first-hand knowledge of the East, as every member was supposed to be fairly acquainted with the language and the habits and customs of the Eastern peoples he was going to live among.

It is difficult to define or assess Egypt's share in this increasing popularity of the East before Napoleon's Expedition in 1798. This not only brought Egypt into the foreground, but also considerably increased and accelerated the growing interest in the East, as it established Orientalism on a firmer ground than ever before. In fact, it is largely responsible for one of the characteristics of the 19th century—the love of anything Oriental.

Its effect on Egypt's position in the English mind is all too evident. It was no longer mere chance or curiosity that directed the attention to Egypt, but a vital and practical interest. To say the least, it became a scene of British valour and victory. And still it grew in importance as its strategic position dawned on the public mind in the nature of a revelation. Some advocated the necessity of occupation, while others helped to satisfy public curiosity as much as they could. Military journals, drawings, histories, travels, poems on the Nile and the victory of the Nile, articles, cartoons, French books translated into English or reprinted in French—in fact anything that pertained to Egypt was demanded. And in this demand for knowledge, the value of travellers' tales was emphasized—especially as writers on the country until that time had depended greatly on the accounts of French travellers.

So, perhaps for the first time Egypt came to notice in the English mind and as a result it began to be visited more for its own sake than as a stepping-stone to India or the interior of Africa. Aspects of it, practical and useful began to be discussed, and the country as a whole began to be seen in a new, realistic, matter-of-fact light. For the attention was no longer on what had been associated with the scene, but on the scene itself.

Egypt, or of Anglo-Egyptian relations, this must be considered only incidental, though it may be inevitable. Now, to set this period of travel-writing, which is the subject of this lecture in the right perspective, we shall have to go a little further back than the beginning of Mohamed Ali's reign in 1805. A few facts will do. It will be sufficient to bear in mind, for example, that in the twenty years which preceded the French Expedition in 1798, English travellers hardly visited Egypt for its own sake; it happened to be on their way to India, as merchants and soldiers in the service of the East India Company, or to the Interior of Africa, as explorers animated by the spirit of discovery which began to spread towards the end of the 18th century. It will also be remembered that, in reading the observations of these travellers, we find that—in most cases—Egypt provided them with material for philosophising, conjured up in them images or feelings connected with the Bible or the Classics, or called for a few instructions about the route from them to their fellow-travellers, but—as an object in itself—it hardly engaged their attention. This is analogous to the attitude which the writers of the 18th century Oriental Tale adopted towards the East, caring little to know or depict it as it was, and using it chiefly as a setting for the expression of their moralistic, philosophic or satiric trends. So, we see that as Egypt was to the travellers, so was the East to the writers—just a means to an end, but not an object which is worthy in itself of study or attention.

Now, when the 18th century Oriental Tale had come to end with Beckford's *Vathek* in 1786, and with the growth of the new democratic belief in the brotherhood of all the world—also with the growth of the Indian Empire—fresh interest in the East was awakened. It was expressed by the new and vigorous movement in Orientalism under Sir William Jones, by numerous direct translations from Oriental languages, and by the increased number of travel-books. It was then that the East, after having been so far a tool and a background, became an object in itself, approached and studied in the rational, so-called scientific, way.

ENGLISH TRAVELLERS IN EGYPT DURING THE REIGN OF MOHAMED ALI(*)

BY

Dr. RASHAD RUSHDI

I.—THE ANTIQUARIES

1805-1820

If we care to examine the books written about Egypt by English travellers, we shall find that a greater number of these books appeared during the first fifty years of the 19th century than ever before. We shall also find that these books belonging to the first half of the last century form a vast body of writing, that few of them are read to-day, and that these few tend to be viewed by readers and editors alike as isolated phenomena. The "Dictionary of National Biography", for example, thinks it wrong to compare Eöthen with other books of travel, and Stanley Lane Poole in his biography of E. W. Lane considers the "Manners and Customs of the Modern Egyptians" an exceptional piece of writing which had no connection with any other before its time. But these two works belong to a large body of writing, and are phases in its development as a form of literary expression.

To see what occasioned this vast body of writing, and also what determined its development as a literary form is what I intend to outline in the course of these three lectures. If they will be found to elucidate some aspects of the social history of

(*) This is the substance of three lectures which were delivered at the Royal Geographical Society, Cairo in April 1951.



Bibliotheca Alexandrina



0542795